سيرة

عنترة بن شداد



المجلد الثامن

التزام مكتبة الجمهورية العربية

لسان العرب

سيرة

عنترة بن شداد

وهو الفارس المشهور والبطل الجسور . سيد الشجعان وقاهر الأقران عنترة بن شداد من شعراء الطبقة الأولى — وكان من أحسن الشعراء شيمة . وأعلاهم همة . وأعزهم نفسا . وأقواهم بطشا وفتكا . وكان مع هذه الشجاعة التي ضربت بها الأمثال لين العريكة سهل الأخلاق شديد النخوة . رقيق الشعر . وقد عمر تسعين سنة ومات مقتولا — وفي سيرته من آثار البطولة وآيات الشجاعة مالا يندثر بل يبقى على مر الأيام وتدوم سيرته مادامت العصور — وفيها يجد القارىء من الوقائع والحرب معارك مسترسلة في ميادين القتال

الجزء التاسع والأربعون

يطلب من

مكتبة الجمهورية المصرية

لصاحبها : عبد الفتاح عبد الحميد مراد

شارع الصنادقية بجوار الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين (قال الراوى) والاعراب لم يسلم منهم الامن القى نفسه فى البحر من هول هذا الأمر وكذلك قاتلت الروم قتالا غير مذموم وصبحوا الافرنج صباحا ميشوم وعنتر بن شداد فى شدة القتال وهرقل ينادى يا أبا الفوارس قد ملكت المراكب بلا محال فالتفت اليهم وإذا معهم دون الالف فارس رجال الافرنج كالاطواد ومن بقى من قوم عاد فعند ذلك انطبق عليهم عنتر بن شداد وهو ينادى يا لعبس الاجواد بيده سيفه الضامى الذى لو ضرب به جبل قده هذا وقد طلبته الابطال وهجمت عليه الرجال وطلعت عليه طائفة أخرى وهم الف بطاريق بكل سيف ثقيل وترس وثيق هنالك عمل الحسام وانفلق الهام وكسرت العظام وانقطع الكلام وعنتر وقد وقف وقفة كريم النسب من أشرف سادات العرب وطلب منهم القتال والعمل وبطلت الحيل وطلع الزبد على أشدافه وصار يتساقط زبد فمه تقاطير واحمرت أماقيه وكثر العدد عليه وقصدوا الالاف بطاريق بالسيوف إليه هذا والملك هرقل خاف من العطب ومال من خوفه إلى آخر المركب والمركب يموج فى لجج البحر الزاخر كموجات الطائر فى جو السحاب وعنتر يطوقهم بالدم الاحمر والدم من أجسادهم دافق على أقدامهم والمفارق وبعضهم رمى نفسه فى البحر فصار غارق ولروحه مفارق وسيف عنتر فيهم ماحق ورمحه خارق وجنانه منطلق دافق وما أتى آخر النهار وأقبل الليل باعتكار حتى رأت الجمع مفرق والعدد وقد تمزق ونظرت باقى مراكب الليلمان إلى ذلك وما حل بها من المهالك فرجعوا إلى حول المراكب من كل جانب (قال الأصمعى) ولقد سألت شيبوب بنفسى وقلت كم دخل إلى عنتر بهذه المراكب من الرجال فقال وذمة العرب خمسة الاف وستين رجلا من الأبطال والذى قتلوا ورموا أرواحهم إلى البحر من خوف سيف أخى عنتر كانوا مثلهم ثلاثة أمثال وصارت المراكب تنظر إلى مركبنا حذرا وترمقها شذرا ولقد عاينت من أخى الهول المنكر هذا وعنتر يجول على ظهر المراكب ويتذكر ما جرى عليه وما قد وصل إليه وتذكر عبلة والديار وما جرى عليه من قيس من الأمور والأخطار فهزه الشوق فانشد يقول :

أياطير أخبر لقيس وقل له ... بأنى ليث الحرب فى البر والبحر

وخبره فعلى بالقوم وقل له ... رفيقى سيفى والفرنج لحمى ظهرى

ويخبر أمواجا من المالحة ... وامواج دم فوق مركبنا تجرى

وأرديت أنا مائتين وألفين بعدهم وخلفتهم فى البحر صرعا إلى الحشر
ومن يك مثلى يحتمل سائر الأذى ويصبح فى أرض مهانا بلا شكر
ولا ذنب لى إلا بانى حافظ وارعاهم وجهدى ويسعون فى ضرى

(قال الراوى) فقال له الملك لافض الله فاك ولا كان من يشناك فلله درك من بطل همام خطير وفارس نحرير وصاحب المواقف المشهورة والمقامات المذكورة والخصائل المنشورة والأحاديث المخبورة وما أحوالك عن الخلق مستورة بل هى فى الآفاق منشورة فضحك عنتر من قول هرقل بن الملك قيصر من وصفه إليه وشكره وأثنى عليه هذا والملك هرقل قد تحير من عظم فعال عنتر وما عاين منه من ذلك الأمر ثم إن عنتر قال للملك هرقل والله يا ابن الملوك الكرام وحق الرب القديم العلام لو كنت على وجه الأرض وأنا على ظهر الجواد كنت نظرت ما أفعل بهؤلاء الأوغاد المحلقين اللحا أولاد اللئام كيف أحلق رؤسهم بالحسام فصدقه الملك هرقل فى مقاله لما شاهد أفعاله وزادت فرحته به وما قاله هذا وقد هجم الليل وراق وطبق بظلامه الآفاق وقد أوقدت النيران فى المراكب وتحارسوا وتصايحوا من كل جانب إلى أن مالت الكواكب إلى الزوال وطلع الفجر وزالت الغياهب وكان قتال المراكب فى هذه الثلاثة أيام من مشاهدة الملك الليلمان إلا أنه سمع عنتر خنق عليه ومنه تكدر ولما أن رأى من عنتر ما أهاله تغيرت عند ذلك أحواله وعظمت عليه أموره وزاد بلباله فصاح فى رجاله وأبطاله وقد أمر أصحاب المراكب جميعها الحملة أعندها ضجت القسوس والرهبان بقرادة الإنجيل ورفعت الصلبان وانطبقت المراكب التى للملك الليلمان على مراكب الملك هرقل ابن الملك قيصر وضيقت عليهم من كل جانب هذا والبحر من تحتهم قد علا وأيد فزادت المصائب وضرب الموج مراكب الإفرنج ففاض الماء إلى وشط المراكب هذا وقد زحزح عنتر بحسامه الجماجم والرقاب وقاتل قتال الكرام أولوا الألباب وفعل من الأهوال ما رأى أحد مثله من الأهوال هذا وشيبوب قد حاروا تذهل والخذروف قد طاش عقله وتحبل ونادى بابيه شيبوب يا أبت ما النائذ ورمثل الرحا وننتقل وقلبى خائف وقد ضاقت بى الحيل هذا والإفرنج قد بضعت الروم وقرب منهم الأجل واخرقت بقنطارياتها صدورها والمقل وقد ضربت بالسيوف وطعنت بالرمح ودنى المرتحل هذا وعنتر رمى رؤسهم مثل الحنظل وقد هتك ستر الملبوس وسل من الأجساد النفوس هذا كله يجرى وعنتر يقاتل قتال التحرير إلا أن الخلق عليه كثير والجمع غزير وقد صارت المراكب كلها محاطه بمركبة وصارت الأعداء من حوله كأنها الحلقة الدائرة وقد ضايقوه أشد مضايقة وصارت الأرواح للأجساد مفارقه وغربان المنايا عليهم ناعقة وطيور الحمام عليهم زاعقة وهو يحمى وينخى الرجال الذين معه فى المراكب ويتحسر بما قد عاين من قتال البحر هذا وقد

ملكت الافرنج من مراكب الملك قيصر ثلاثة مراكب قوة وقهراوحرقوا بالنفط مركبا آخر ومركبين قد أشرفوا على الاسر هذا والملك اليلدان يحرض الابطال على القتال وينخى الرجال فترمى أرواحها على الهلاك والوبال وقد داخلهم الطمع فى مركب هرقل بن قيصر وأرادوا أن ياخذوا الملك هرقل أسير وقد لاح لهم علائم النصر والظفر فقال الخدروف لابيه شيبوب والله يا أبتاه إن قلبي قد خفق وما رأيت عمرى مثل هذا اليوم الذى اتفق لان نفسى قد صارت مثل العلق فقال له أبوه وأنا والله ما بقى فى ر لقد حفت على نفسى ألف مرة من الغرق فيا ليتنا كنا على البر ودع السماء على الارض تنطبق حتى كنا نتسابق مع الريح حتى يعلم أينا أسبق فبينما هم على ماهم عليه من الحزن والقلق وإذا بالبحر قد هاج عليهم أعظم هياج وقد تلاطم بالامواج وأظلم حتى كانه الليل الداج ولا بقى يبان من المراكب لا لوح ولا سياج فعندها احتاجوا الجميع إلى ضوء السراج وقد تباكت الروم والإفرنج الاعلاج وتخلوا عن الحرب والقتال صاروا بين أمواج كانها الجبال فعند ذلك تغيرت منهم الاحوال وخابت الآمال وقصرت الآجال وطال عليهم المطال وغلى عليهم البحر كغليان المرجل وبطل القتال والعمل وصار الظلام كانه السرادق وقد ضربته الامواج المراكب ففرقتها عن بعضها بعض وصارت تلعب فى البحر طولا وعرض وقد اشتغل كل واحد منهم بنفسه عن أبناء جنسه ولم يزل الظلام دائم عليهم وموجات البحر زاخرة وواصلة إليهم مدة ثلاثة أيام بلياليها على التمام وشيبوب يقول لاخيه عنتر وحق خالق البشر رب الاواخر والاوائل يا ابن الام ما أظن إننا بقينا نسلم من هذا البلاء النازل ولا نرجع نرى الديار والمنازل ولا فعل أحد ما فعلنا بأرواحنا وأنفسنا بمجيئنا إلى هذه الديار وحق خالق الخلق ورازق العباد وما تاسفى على روحى ولا على أولادى إلا كيف تموت فطايس فى الماء ويشتفوا منا بنى زياد والربيع وأخيه عمارة القواد فقال له عنتر وقد تنهد وتحر وأظهر الجلد لا تخاف يا شيبوب وكن جليد وخل عنك كلام كل بليد وان كان لك أجل مديد ما تعمل فى جسدك الصوارم الجديد ومازال الريح عليهم عمال وهو هو قائم والعقل منهم هائم تمام الثلاثة أيام فلما إن كان فى اليوم الرابع انجلى ذلك الظلام وسكن هيجان البحر والغليان اذن الله الواحد الديان المنان الذى لا يشغله شان عن شان وقد انكشف البحر وبانه علم يرمى تلك البحر والاقارب بل إن الريح شتتهم وبعضهم ضربتهم أمواج البحر ففرقتهم وقد الصقوا عند ذلك بعض مراكبهم إلى البر وأنزلوا خيولهم وأموالهم ورجالهم وأثقالهم ونزل عنتر وقد افتقد ما معه من المراكب فوجد قد عدم منهم ستين مركب بما فيها من الرجال والاموال والاهل والاقارب ومراكب سالمين من المعاطب وكذلك مراكب الخيل والجنائب فعند ذلك فرحوا و ـ رموا مراسيهم وأوثقوا حبالهم وقد نزلوا الجميع على البر وضربت لهم

السرادقات والخيام ونشروا الرايات والأعلام وقد رفعت الصلبان وصليت القسس والرهبان وعظمت عندهم الفرحات ودقت الطبول حتى أزعجت البرور ورنت الكاسات ونعرت البوقات والزمور من انزعاج البحر والغلياز وقد أقاموا خمسة أيام بلياليهم ولما كان فى اليوم السادس شاور الملك هرقل الأمير عنتر فى الرحيل إلى ديار الأعداء اللئام فانعم بذلك وأجاب فدقت الطبول والكوسات ونشرت عليهم الأعلام وخفقت الجنود والرايات وصهلت الخيول الصافنات وتقدمت من افرسان السادات وقد ساروا وعنتر سائر قدم القادات ومن لهم بالحروب عادت وقد ساروا وعنتر سائر وخلفو الحفظ المراكب بعض الفرسان وسار عنتر فى مقدمة الجيش وأخيه شيبوب وولده الغذروف بين يديه فعند ذلك تذكر عنتر ماجرى له من نوائب الزمان والضير وما فعل معه بنو عبس بعد ذلك الصنيع الذى صنعة فعندها تحسرو فى كياد بنى فزاره يفكر فجرت دموعه على خدوده كالمطر وقد افتكر عبلة فزادت بلابله وأنشد يقول هذه الأبيات :

كم توردونى عتابا غير مسمعى ... وأنفق العمر بين الناس والطمع
وكم أجد عد الأيام معترضا ... مايحدث الدهر والأيام من فزع
ولست أحيد عن صبرى وعن جلدى ... لوداس من فوق أنفى الموت لم يدع
أقيل النقص والايام مقبلة ... والبيت فى دورة العلياء مرتفع
لاركبين من الاهوال أعظمها ... وكلما يحفظ الرحمن لا يضع
وكم أكون كمن يسعى وغايته ... ومنتهى سعيه المردى والتبع
أيذهب العمر لا يزال معاندى ... خصمى وجارى بقربى غير منقشع
وبين جنبى عزم يقتضى هما ... لوضمها صدر هذا البحر لم يسع
فلا رعى الله أرضا لا أكون بها ... وكم لمست يصبرى من اى وجع
كم عاين من ضميرى مكتمل ... وليس بوجد صفو العيش فى الجزع
وكم سقا بى من كاس على طما ... أمر فى الطمع من سيرى ومن شلع
وما رمانى بسهم من نوائبه ... الا ملكت يصبرى هامة الدرع
سل الاخلاء عن صحبتهموا ... يوما من الدهر إلا والوغا تبع
القبا مسيئتهم متبسما ... حتى كان لم يخن دهرى ولا يضع
وسلهموا عن وفاء ثقاتهموا ... ـر ولم بشر فى عرضى ولم يبع
وقد تفكرت فى شانى وشانهموا ... فبان لى ذنبى هندهم ورع
فـآه من ذفراتى كلما صعدت ... فى الصدر كانت كوقد النار فى الضلع
يسوقه آسفا قد بان من ندم ... شىء على وصم المغبون فى الطمع

وليس ذلك فى عام اقمت به ... حياً وأفناه صرف الدهر والجزع
ولا على شدتى أخشى عواقبها ... والناس قسمان ذو بأس وذو ورع
لكن على درة تزهر جواهرها ... فى عقد كل نظام غير منقطع
كم لمت قومى لا بل كم أنذرهم ... من اقتراحى وأحلامى لمرتبع
فلم أجد باياس غير مرتحل ... عنهم لهم أسوة بالغير مبتدع

(قال الراوى) فلما فرغ الأمير عنتر من الشادة والنظام طربت الرجال وقد شكره الملك هرقل ومن كان حوله من الأبطال وقد ساروا طالبين ديار الملك الليلمان وقد كانوا جدوا فى ذلك الاهتمام لاجل الحرب والصدام فهذا ما كان منهم من الكلام وأما ما كان من الليلمان نسل الحرام فانه لما قامت تلك الزوابع غرق مراكبه شىء كثير من كثرة ما نالهم من الظلام والريح العسير وما سلم منهم إلا اليسير فعندها طلعوا من البحر وساروا إلى جزائرهم وقد كثر بينهم الكلام ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى جزيرة الكافور وقلعة البلور وقد التقى الملك الليلمان بولده سرجوان ولم يكن له ولد غيره فى ذلك الزمان فلما التقاه وقع فى صدره فعانقه وباس يده وهناه بالسلامه من غير ندامة ثم إن الملك دخل إلى قصره وجلس على تخت ملكه وقد جمع حواليه أرباب دولته وقص عليهم قصته وما جرى على مراكبه من الغرق وقتل رجاله وعدم أجناده وما لاقاه فى حربه مع عنتر ونزاله وكيف كانوا قد استظهروا عليه وأخذوا بعض مراكبه وكيف هاج عليهم البحر وأبدى عجائبه وقد أظلم الجو وغابت كواكبه وكل منا قد آيس من الحياة وانقطعت مآربه وبعد ذلك يجب علينا أن نأخذ الحذر ونتأهب للتمنى لعداة الحرب والجلاد وكذلك الأسود عنتر بن شداد ومن معه من العشائر والأجناد إن كانوا أسلموا من الغرق وأتوا إلى هذا المكان ثم بعد ذلك أمر الرسل بأخذ الأهبة للحرب والقتال وقد سير المراكب إلى سائر البلاد والقلاع وقد بعث ملوك تلك الأرض والبقاع أمرهم أن يكونوا على أهبة الحرب والقتال والقراع فما كان أكثر من ثلاثة أيام حتى أقبلت العشائر وانقادت الناس كأنهم مثل السيل إذا شال وقد أمر الليلمان باخراج الاقامات والعلوفات وتجهز فى مائة ألف عنان لابسين الحديد متدرعين بالزرد النضيد وهم من فارس شديد وقدام عبيدهم بالسيوف الهندية والقنطاريات الافرنجية والبيض العادية والدروع الداودية وتحتهم الخيول العربية ورحلوا طالبين عشائر الملك قيصر وابنه هرقل وعنتر بن شداد فارس طائفة العبسية وقد ساروا ذلك اليوم والثانى والثالث وفى اليوم الرابع أشرفت عليهم غبائر وزوابع فتبينوهم وإذا هم أصحاب البلاد والقلاع التى حولهم وهم هاجين خائفين وجيوش الروم لهم طالبين فاخبروا الملك الليلمان بذلك فامرهم باخذ الاهبة للقتال وركوب الاهوال فتأهبوا

كأمرهم ونزلت الرجال للراحة وذلك بسبب الخيل لتعبهم وقت القتال فما لبثوا أكثر من ساعة حتى طلع عليهم الغبار وارتفع وثار وأظلمت منه الاقطار وانجلا ضوء النهار ساعة وقد بانت راية الملك قيصر واشتهر الامر وظهر وانقطع الغبار وبزق فى الاقطار وصهلت الصافنات وعملت الرياح عمائلها فى خفق البنود والرايات ودقت الطبول وضربت النقارات ونعرت البوقات ودقت الكؤسات وركب الملك الليلمان وحوله القسس والرهبان وتبادرت الفرسان والشجعان وضربت كؤساته ونعرت بوقاته ونشرت أعلامه وراياته وتقدمت حماته وكماته ولما وقعت العين وتقابلت الجيشين واصطدمت الفريقين وحان الحين وزعق عليهم غراب البين ودقت النواقيس من الطائفتين وضجت الرهبان وكل قسيس ومطران وقد ارتجت بهم الأرض وجالوا طولا وعرض وصهلت الخيول ولمعت النصول وامتلأت الطلول وجالت الفحول واشتاقت إلى القتال والرجال وهمهمت الابطال ونمى الصياح وقلعت الأرواح وخافت من القتال الأشباح ولمع السلاح وأخذوا فى القتال والكفاح وتقدم الألمان وقوى قلوب الشجعان ورتبها فى الميدان وقل الكلام وقد أراد الليلمان أن يبرز إلى القتال والجولان فسبقه عنتر إلى ساحة الميدان وطلب براز الاقران فعندها برزت إليه الفرسان وصارت تخرج من تحت الاعلام والبنود وعنتر يفترسهم افتراس الاسود ويطعن فيهم بطعن لاتدركه الاوهام ولا يعرفه أحد من أهل هذا الزمان ولم يزل فى الميدان ينهب أرواح الفرسان من الابدان حتى صارت الشمس فى قبة الفلك وهو قدلاقى الاهوال والأخطار وقد أهلك مائة فارس كرار وأرى ملك الافرنج عنتر ليثا منورا وأسدا هدارا فلما رأى ذلك غضب وصارت عيناه مثل النار وصرخ صرخة أرجف بها قلوب الحضار وأزعج خواطر النظار وعزم على البراز فى بقية ذلك النهار إلا أن عنتر الليث الكرار لم تمهل عليه الافرنج دون أن حملت بحملاتها وأقبلت بقسطالليتها وهم طالبين المجال كأنهم قلل الجبال وجردوا مشرفياتهم فصرخ عند ذلك هرقل فى أجناد الروم فارتجت تلك الأرض وانزعجت سكان تلك التخوم وكان ذلك يوم يوما مشئوم وقدحت الخيل شرار النار وأظلم الجو وأسودت الاقطار وطلب الجبان الفرار وخاف الشجاع من النار والفضيحة والشنار وندمت الرجال على فوات الأعمار وجرت الدماء شبه الانهار وباحث القلوب بالأسرار وتهتكت الاستار وقل الاصطبار وهانت المنية على الأحرار وولى منذل من خوف البوار وعميت الابصار وتكدرت الاقطار واشتدت الاخطار وأقبل آخر النهار وشيبوب وولاة الخذروف يحمون جواده من الأضرار وهم كأنهم شعل النار وقد تمنوا أن ذلك اليوم يدوم ولا يشاهدوا أمواج البحار ولم يزالوا يدورون حوله ويحمون ظهره كيف مامال ودار حتى ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وقد خسرت خيالة الافرنج وتضعضعت وتأخرت وقد عاينوا من

عنتر العبوس ماشيب منهم الرؤس لأنهم بلوا بفارس لا كالفرسان وشجاع قد فاق على الشجعان وكانت طعناته تهد الاساس وضرباته تضيق الانفاس وماولى النهار وأقبل الليل حتى فعل عنتر فعال تحيرت منه الابصار وجرى له من الافرنج يوم يذكر ما بقيت الشمس والقمر وقتل من خيالة الافرنج خلق لبس عليهم من عيار ولو لا عنتر كانت عشائر الروم طلبت الفرار وهربت إلى سائر الاقطار وقد انفصلت الطوائف عند أقبال الظلام ونزلت فى مضاربها والخيام وقد حل الليلمان من عنتر ما لا تحمله الجبال وأطلق فى قلبه نار الاشتعال وعلم أنه ويل من الاقيال لأنه كان يقول إذا ما أحد من سائر الابطال يقدر يتقدم ويقف قدامه فى قتال ولا فى نزال فاقسم بالصليب والانجيل وما فيه من التحريم والتحليل لا أحد يفتح باب الحرب غيره باكر النهار ولا يبرز لعنتر سواه ليأخذ الفرسان منه بالثار ثم أنه بات فى تلك الليلة وهو متفكر فى الحرب والكفاح وهو لا يصدق أن يصبح الصباح ومازال على ذلك الافتكار حتى بان ضياء النهار وركبت الجموع ولمعت الدرع واصطفت المواكب فرق ولمع صارم الحمام وبرق وهم الليلمان بالخروج إلى الميدان من شدة الغيظ والحنق وإذا بعنتر إليه قد سبق وجال وصال وطلب القتال وسال البراز وطلب الانجاز واتكا على رمحه فى وسط الميدان وقد رمقته أعين الفرسان وأنشد يقول هذه الابيات الحسان :

الا يا كلاب اليوم دونكم حربى ... ستلقيكموا بالاسمر المران والغضب
فدونكموا لليث الذى لا يرى له ... مثل ليوم الحرب والطعن والضرب
أنا عنتر المعروف فى كل موقف ... إذا أنفرت نفس الجبان من الحرب
رضيت ورب البيت أن يبرز لى ... الوف بطعن الرمح من الشرق والغرب
وانى فى الميدان كفؤ لجمعكم ... ملى وأن النصر من فارج الكرب

(قال الراوى) فما أتم عنتر هذه الأبيات برز اليه فارس كانه الاسد الغضبان على جواد شديد الجريان أشقر اللون مليح الكون بصاص الشعرة سابل الغرة وعلى الفارس درع مكوكب ذهب وفى صدره مراية من الجوهر نورها يأخذ بالبصر وكان فوقها ثوب أطلس أصفر مليح المنظر محشوا بالمسك والعنبر تغلب من حسن وصفه البشر وا كمامه قد عقدها إلى وراه بشراريب إبريسم أخضر وقد أخرج الفارس يده من جلباب درعه وبقى فى ذلك الزى المنظر وعلى صدره صليب عجيب بالذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر وله عينان كأنهما عيون غزلان وعلى رأسه وأكتافه خمس لؤلؤات كبار كل واحدة قدر مثقال تساوى كل واحدة ألف دينار من الذهب كل من رآهم يأخذ لنفسه العجب وكان هذا الفارس هو الملك الليلمان فتوسط الميدان ونادى يا أسود الجلد ويا لون القطران ويا ولد الزنا ويا ابن الأما لقد أكثرت الكلام وأطلت المقام يا ولد الحرام دونك وضرب الحسام لاسقيك كاس

الحمام وأفصل لحمك من العظام فلما سمع عنتر هذا الكلام وما ذكره الليلمان لم يخاطبه بلسان بل حمل عليه حملة الأسد الغضبان والنمر الحردان فالتقاه الملك الليلمان بقوة قلب وجنان إلا انهما لما تصادما ضرخا صرختين رفعت لهما الخيل رؤسها ولعبت باذنابها وارتجفت أجسادها وقد ارتعدت قلوب ركابها وظنت الطائفتين أن السماء قد فتحت أبوابها ونزلت عليهم عذابها ثم انفسحا بعد ذلك الصراخ والصياح كانفسح الكباش للبطاح وعادوا وقد جردوا على الارض عوامل الرماح وتكافحا أشد كفاح وقد تحير من فعالهم العقول الصحاح وكان لهما ساعة تذهل منها الأرواح إلا أن الملك الليلمان قد عاين من عنتر أنه فارس ليس كالفرسان وشجاع لا يقاس بالشجعان وبطل لا يمل من الجولان ونظر من نفسه التقصير وعرف عنتر منه ذلك معرفة خبير فجد معه فى المطاوله والمطابقة وأخذ فى الكر والفر واحتك الركاب بالركاب وبطل الخطاب وقل الجواب فقام عنتر فى مداده وتمطى فى ركابه وضربه بصارمه المهند ضربة بطل امجد طير رأسه عن الجسد فمال عن الجواد ممفرا فى السبسب فلما نظرت الافرنج إلى ملكها قتيل وهو على الأرض منطرح جديل حملت على عنتر بجملتها وقد أظهرت شدتها فامر هرقل الروم بالحملة والتقى حدتها هذا وعنتر انطبق على الافرنج وطعن فيهم طعنا أقوى من الصخر وجنانا احرى من تيار البحر فما طلع فارس ارداه ولا شجاع إلا اعدمه الحياة وما أدرك بطلا إلا وعجل فناه فعندها ارتخت الافرنج وحملت وضربت طبولها وازعجت من البر تلواتها وإلى المعمعة طلبت وعلى الهلاك عولت ولكاسات الحمام نهلت وللسيوف ولرسل المنايا أرسلت وللاعلام الشرت والأسنة طرقت والرماح تحطمت والصدور تحسفت والدروع تمزقت وفرت والنّس ضجت والوحوش هجت والأفرنج خسرت وعلى أنفاسها تحسرت وحملت الروم عليها بكليتها وصلبت على وجوهها من حنقها وانهملت سحائب الموت على الأفرنج فاقتها ودخلت عين الزوايا عليها فارغمتها وحمل عنتر على الفرسان وهجم على الشجعان وصدمها بصدره وقت القتال وهاج فيهم كما تهيج فحول الجمال ونادى بأخيه شيبوب وهو فى أوائل المعمعة وقد تصور بهم ملك الموت بصورته الرائعة وكان عنتر ما لقى فارسا إلا وقمعه ولا شجاعا إلا وصرعه ولا رجل مذكور إلا رقى الحياة أعجمه ولا بطل همام إلا وبالحسام بضعه لأنه كان فى ذلك الزمان وسالف العصر والاوان لا رجل أشجع منه ولا أجلد منه ولا أنجب ولا أفصح ولا أنجع ولا أفرس ولا أعبس من عنتر بن شداد لأنه كان يقتل الفارس والمائة والألف من القادات ويرجع سالما من الجراحات فلما كان ذلك اليوم لم يزل يقبض الأرواح حتى تأخرت الأفرنج وطلبت الرواح ورأت لانفسها الفرج من ذلك المضيق والحرج فلله در عنتر وما فعل لأنه أخرج الصفوف وسقى الأفرنج كاسات الحتوف وقطع منها الأجساد والكفوف وقد تكردست عليه المائة والألوف

وما تأخر الافرنج عن موضع الحرب والضرب وقد تخلصت من البلاء والكرب وكان تأخرها سبب نجاتها لحملت اموالها واثقالها واتبعت الهرب ورأت سلامة ارواحها أوفى طلب وتبعها عنتر الجحجاح وكذلك الملك هرقل بعشائر الروم وهم يطعنون فى ظهورهم بالرماح الذابلات أوفى من ثلاث ساعات وعادوا وقد التقى هرقل بعنتر بن شداد فقبل صدره واثنى عليه وقد تذكر عنتر ملاقاة الابطال وقتاله للاقران وكيف قتل الملك الليلمان فانشد يقول هذه الابيات :

أنا العبسى قتـال اللئام ... ولى فى الحرب أوقات كرام
ذكرت عبيلة فى وقت حرب ... فاصبح حبها بقلبى يرام
وها أنا عاشق إذا اشتعلت ... غداة البين عاودنى غرام
فتكسر أملها من نصل بسبق ... بقبضته مقاليد الحسام
لقد كذبت نفسك فاصدقيها ... لها مثلى يـدوم بها مقام
وفى حربى رددت الخيل عنها ... وهمت بها والقيت الزمام
فقلت لها أقصرى عنها وسيرى ... فقد تظم الركائب بالحزام
غداة الروع حين سمت الينا ... كتائب تبتغى رسـل الحمام
بأيديهم مهندات وسمر ... علوج حول رى ملك همام
فخلوا وتركوا حرب عون ... قلائـدة سباسب كالخـزام
ويكن كل صوت غير صوق ... بوادرهـا تشاريـع السهام
وخيل سقتها بالرمح قسرا ... وبعضهموا معضض باللجام
تركت نساهم تبكى عليهم ... أخوة وأمه من نسل حام
كتائب جيش افرنج وروم ... كأن جبينهـا حجر الظـلام
يكر عليهموا مهر كريم ... غـداة الروع أمثال النعـام
وان وقوف مرجع مرتقيـه ... تثير النقع بالموت الزؤام
يقدم وهو مضرب صروم ... حماة الروع فى رهـج القتام
وراكبـه ينادى بالعبس ... كأن ضياها شعل الضرام
عجوز من بنى حام بن نوح ... حريق فى حريق ضرام
وخيل تحمل الابطال شعثا ... وصوت مهندى عند الزحام
هناجيج تخب على رباها ... على طرف كبير حان الظلام
وهى خيل مسومة عليها ... يرددن التفجع وهو دام

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من أبياته طربت الشجعان غاية الطرب وقال له شيبوب لارد

الله مالك ولا كان من يشناك ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى الخيام وقد انسدل الظلام هذا وهرقل يقبل صدر عنتر الهمام ويهنيه بالسلامة من القتال والصدام فأثنى عليه وشكره ونزلوا فى المضارب والخيام وأخذوا الراحة وأكلوا الطعام وعزموا على المنام بعدما أقاموا لهم حرسا من الأعداء اللئام ورقدوا إلى أن طلع الفجر وقد أقاموا ذلك اليوم كله يجمعون فى الأسلاب والخيل والذهاب وكل مال جسيم وملك عظيم وحولوا الجميع ثم أنفذوه إلى مواكب وعزموا على الرحيل طالبين جزيرة السكانور وقلعة البلور وقد أنجزت العشائر والفرسان طالبين أثر الليلمان وقد أمر عنتر الناس بالرحيل فدقت كوسات الرحيل وأزعجت الخيل الأرض بالصهيل وانشرت الرايات ونعرب البوقات وضربت الكوسات ورفعت الأعلام على رأس الملك هرقل وعنتر سائر فى المقدمة وبين يديه كبار الجحافل فجاشت عبلة بخاطره فزادت بلابله فأنشد يقول هذه الأبيات

طلل لعبلة بالحجاز مقيم	فيظنها بالأنعمين رسوم
وسارعت نحو الديار تعاقد	أفراح خيل فى الزحام قشور
وإنى فارس جلد على الأبطال	الناطق بالمبروم والمجذوم
وكان ظعن الحى لما أقبلت	على والحى ارتفعت لهن جروم
كركرام عظيم فى خليج لجم	دخلت وفيها موقد مكتوم
وعشية فى الجيش أسلم جيشه	الليلمان معفر مكدوم
ولقد أتى فى جحفل ومثاله	قد كان ذا رأى له وحريم
بلغت بهم أحلامهم ومعالهم	والضرب بالهامات والتقديم
وهما حماة البحر حين توعدت	روم وإفرنج للقتال تروم
مازلت أضرب ايهموا بمهند	والمهر تحتى فى الدماء يعوم
حتى استقاموا فى الفرار هزائما	وخيولهم بهم تقع وتقوم
هذا هو الشرف الذى من ناله	بلغ العلا من ذاهب ومقيم

(قال الراوى) وسار عنتر والملك هرقل فى عشائر الروم طالبين جزيرة السكافور وقلعة البلور فهذا ما كان منهم وما جرى لهم وأما ما كان من عشائر الملك الليلمان فإنها لم تزل فى هزيمتها إلى أن وصلت إلى جزيرة السكافور وأعنوا بالويل والثبور وعظائم الأمور ودخلوا على سرجوان بن الملك الليلمان ونعوا إليه وأكابر قومه وذويه وكان شرجوان هذا شيطان فى صورة إنسان عمو ولى عهد أبيه وصاحب حله وعقده والموصى له بالملك من بعده والحاكم على عشيرته وجنده فلما أن نعوا له أبيه بين تلك الأجناد وأخبروه بأن الذى قتله عنتر بن شداد فعند غشى عليه واشودت الدنيا فى عينيه ونادى ياويلكم أخبرونى

بأمركم وما الذى تم لكم فقالوا يا ملك قتلت الرجال ونهبت الأموال والملك تركناه ملقى على وجه الارض والرمال فدع عنك السؤال وانتخ نخوة الرجال أصحاب المنازل العوال فقال لهم ويلكم أنتم سرتم فى مائتى ألف عنان والملك بشجاعته ورأيه الصائب كان فيكم وفى كم كانوا أعداكم فقالوا له ياملك ما نظن أنهم يصلون إلى عشرين ألفا من الرجال ولا قتل الملك وكسرنا إلا فارس أسود على جواد أدهم وفى يده صارم مهند إلا أنه ما حمل على جمع إلا تبدد وصارت الرجال بين يديه تشرد مثل الغنم قدام الأسد ومعه رجلين مثل العارضين يحمون جواده بالنبال ولم تخطىء نبالهم عن الأكباد وهذا آخر حديثنا والمقال فدبر نفسك واعتد للقتال فالقوم لك قاصدين وإليك واردين وبعد يومين تراهم على جزيرتنا نازلين فلما سمع سرجوان مقال الفرسان علم أنه قد داخلهم الفزع والخذلان فنهض من وقته وساعته مثل الأسد الغضبان وقال وحق الصلبان وبيعة نجران ويوحنا والراهب شمعان وصلاة القديسين وما أنزل فى القربان من البركة والبرهان ما بقيت أرجع حتى ما أبقى من هذا الجيش من يركب على حصان وأفرى رؤسهم والابدان وأقودهم أسارى فى حبال الذل والهوان بعد قتلى لهذا الأسود الكشحان وأصلبه على قلعة البلور بعد ما أقطع منه اليدان وأتركه حتى تأكل محاجر عينيه النسور والعقبان وبعد ذلك أسير إلى القسطنطينية وأقتل الملك قيصر المهان وبعد ذلك بيان الملة النصرانية وأبنا أعظم وأقدر شجاعة وأعلا مكان وبعد هذا المقال أمر العشائر بأخذ الأهبة للقتال وكان قد وصل إليه بعد مسير أبيه عشائر بعدد الرمال لأنهم قد اجتمعوا فى الجزائر وأتوا إليه على استعجال فرأوه قد قتل وعلى الأرض مجندل وقد وقع ما سمعتموه من الأقوال فعزوه فى أبيه وهنوه بالملك الذى صار فيه فاعرضوا العشائر ذلك اليوم عليه وكانوا مائة ألف جبار من الجبابرة الأعيان ففتح خزائن السلاح وفرق عليهم آلة الحرب والكفاح وخفقت الرايات ونعرت البوقات ودقت الكوسات والطبول ورفعت الصلبان وظهرت البطارقة والقسوس وأمر البطرق بدق الناقوس بعد ما صلى عليهم صلاة الأموات وحرضهم على القتال والثبات وبرزت العشائر بعد ما أجلس كوبرت على كرسى البلد وترك عنده عشرة آلاف فارس من الفرسان القناعس وقد أوصاه بحفظ البلد وعلى ما فيها من النساء والصبيان ومن الغد عول على الرحيل وقطع ذلك البر الطويل ولم يزل سائرا إلى وقت الزوال فنزل هو ومن معه من الرجال لأجل الراحة والمنام ليريحوا نفوسهم والخيل لأجله ما تعينهم وقت الحرب والقتال وباتوا تلك الليلة وأصبح راحل طالب عشائر الملك هرقل ابن الملك قيصر وابن شداد عنتر ولم يزل فى جد السير إلى أن تضاحى النهار فثار من بين أيديهم غبار الأعداء فامر عشائره بالنزول فى البيداء وقد اعجبه ذلك المكان وقال هذا يصلح الجولان وضربت السرادقات والاعلام والخيام وأركزت البيارق وركبوا ظهور الخيل

وتقدمت السادات والملك سرجوان راكب وقد اشتبكت حوله البطارقة وعلى رأسه الصلبان والرايات وانكشفوا لبعضهم الطائفتين وحققوا بعضهم بعضا برأى العين فعند ذلك لم يجدوا الجيشين ثبات لسبب الحقد والكسرات فحملت طائفة الافرنج بقلوب ونيات وعزمات صافيات والتقتها جيوش الملك هرقل بشدتها وأظهرت حدتها وسطوتها فقويت قلوبها بعنتر لأنه سيف نقمتها وشجيع مملكتها واصطدمت الجيشان وتقاتلت الفريقان ورفعت على رؤسهم الصلبان وضجت القسس والرهبان من كل جانب ومكان وأجرت الأرض بالدماء وفارت كالغدران تقابضت الرجال باللحا وتعلت الفرسان فما كنت ترى فى ذلك اليوم إلا رأس طائر ودماء فائر وحصان بصاحبه غائر وشيخ مطروح وغلام مذبوح وفارس مجروح وفؤاد مقروح ودم مسفوح وهذا يغدو ويروح وهذا يبكى على نفسه وينوح هذا وعنتر قد اخرق الصفوف واورد الافرنج موارد الحتوف وطير بضرباته الجماجم والقحوف وطلب عنتر الملك سرجوان والرايات والاعلام عكوف وشيبوب بين يديه فالخذروف وهم يرمون الاعداء بالنبال ويصيبون بها لبات الرجال ويحامون عن الابحر يمينا وشمال وعنتر طالب العلم الاخضر والصليب الجوهر ليقتل حامله وينال ماهو مؤمله وكان هذا رأى شيبوب فارتفعت عليهم الاصوات إلى العنان وخروا للاذقان وأشاروا إليه الافرنج بالدعاء والتبجيل والقوم يضجون من كل جانب وحملت الكتائب وتكردست المواكب وعزت المطالب وقاتل الملك سرجوان وقتل الابطال وجندل الفرسان وقد دارت به القسوس والرهبان والشمامسة والمطارن والبخور قد عقد كالدخان بتلاوة الانجيل والتوراة ولم يزالوا سائرين سير هادىء قليل حتى جاء البطريق وقرب القربان وتوجل إلى الملك سرجوان وملس على رأسه وصلى عليه صلاه الموت وتلا عليه من الانجيل بعد ما بخره بقطعة من رجيعة صغيرة وبخره ثلاث مرات ونهاه ذلك اليوم عن القتال وأمره بتبطل الحرب النزال فاجابه إلى ذلك وسمع منه المقال وافترق الخلق بعد ماوقع الانفصال ورجع عنتر وقد تماغيظه وزادبسبب أنه ما نال مراده ولاشفى له فؤاد وشيبوب يهون عليه الأمور وعشائر الملك هرقل ونزلت ودارت من حوله من كل مكان والمقسس قد نفرت ودقت نواقيسها وتلت تقديسها فقال عنتر لشيبوب ويلك يا ابن الام اخبرنى عن اصحابنا وما جرى على عشائر الافرنج مع الروم فقال يا ابا الفوارس قد عزم البترق أن يصلى عليهم صلاة الموت الميشوم لأنها صلاة قد اخترعها آباؤهم وهم متبعين ذلك الفعل المذموم فقال عنتر ويلك من يصلى عليهم صلاة الموت الميشوم ما يرجع يفلح ولا يقوم وحق والذى ملكه يدوم وما اظنه عليهم صلاة ميشوم على الافرنج لاعلى الروم أذل الله سبالهم على قبيح فعالهم (قال الراوى) ولم يزالوا فى الخيام وتناول

الطعام حتى أقبل عليهم الظلام وقد عزموا على المنام وقد أضرموا الفريقين النيران إلى وقت الصباح فلما أضاء الفجر ولاح ركبت الابطال الجرد القداح وأشهروا في أيديهم الصفاح وتفاخروا في لبس السلاح وعمدوا الى الرماح وطلبوا الحرب والكفاح واختلطت العشائر وارتفعت الغبائر وتقابلت الفرسان والجنود وصار الغبار مثل الرواق الممدود وتصادمت الافرنج والعلوج والروم قد حملت من كل فج وأظهرت العجائب وطعنت في الصدور والجوائب وغاصت الاسنة في الاحشاء والترائب وكلت الزنود والسواعد والمناكب وقاتلت الافرنج ذلك اليوم قتال من كره طول الاعمار وحمل القتال إلى أن صار نصف النهار وعنتر يجول فيهم عرضا وطولا وإذا به التقى ببطريق الملك سرجوان في وسط المعمعة يجول ويحرض أصحابه على القتال فحمل عليه عنتر حملة أسد قسور ليث غضنفر ووقع بينهم ضرب يعمى البصر ويحير النظر حتى حل بالبطريق العبر والعب والخذلان والضجر فعندها صاح عنتر عليه صيحة هاله وزعق عليه بصوت يفزع الأموات وحمل عليه حملة رجل جبار وطعنه بالرمح فى جانبه الايسر أطلع السنان يلمع من جانبه الأيمن فال عن الجواد كأنه طود من الاطواد وصار يخبط على المهاد (قال الراوى) ولما نظرت إليه الافرنج وهو قتيل وعلى وجه الأرض جديل ماجت عند ذلك وأضطربت وعلى وجوهها صلبته وانطبقت على عنتر بن شداد واقتحمت وعليه هجمت وقد بطل المجال وجرى الدم وسال وحل بالجميع الوبال وزادت نيران الحرب اشتعال وكان حطبها أجساد الرجال والرماح وسرارها بريق السيوف الصقال ودخانها عبار المجال وقد انعقد لضيق المجال وما معه أسنة تسبق الاجال قال الراوى وأنه ما جلا ذلك اليوم غبار وأجرى الدماء كالغيث المطال إلا أبا الفوارس عنتر الريبال لانه أعطى بذلك النهار السيف حقه والرمح صدقه ولم يول الطعن فى صدور الافرنج بالستان وجندل الابطال فى وسط المجال وقد حير بفعله عقول الرجال حتى قربت الشمس على الزوال وقد افترقت الطائفتين عن القتال وقد تحارسوا الفريقان وأوقدوا النيران وصاروا الافرنج يشكون حالهم إلى الملك سرجوان ابن الملك الليلمان أن وقد صاروا حيارى مما حل بهم من الخسارة فقرار سرجوان بعدم بالنصر على أعدائهم لأنه عند الصباح يبرز إلى الميدان ويقتل عنتر الجحجاح ويأخذ منه بالثار ويكشف عنهم العار وشكره البطارقة والقسس والرهبان وعلقوا عليه ثلاثة صلبان الواحد من الذهب الوهاج والثانى من خاص العاج والثالث مرصع بالدر والجواهر لم يوجد مثله عند قيصر وقد صلوا عليه صلاة الموت وداروا عليه القسس والرهبان من كل جانب ومكان وصاروا يبخروه ويقرؤا عليه الداس الاكبر وكل ذلك خوفا من أبا الفوارس عنتر وهم يتلون الانجيل وما زالوا على ذلك الرواح حتى أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح

فعند ذلك ركبت الفرسان على الجرد القداح واعتقلوا بعوامل الرماح وتقلدوا بالبيض الصفاح واصطفت الفريقان ورتبوا جيوشهم يمينا وشمال فعند ذلك خرج من عشائر الافرنج فارس على الحديد غاطس وعليه زرديه تردأسباب المنيه بالذهب مطليه وهو راكب على جواد أشهب إذا صهل كاد أن يتكلم وله غرة كالدرهم فعند ذلك صال وجال حير عقول الابطال وصبر يتقلب على ظهر الجواد وحارت من فعله سائر الاجناد حتى توسط الميدان وصار بين الصفان ونظرت إليه الطائفتان فأعاذوه والنصارى من نظر الاعيان وقد سأل البراز وطلب الانجاز ونادى بلسان عربي فصيح ولفظ مهذب مليح يا عشائر الروم هل مبارز هل من مناجز من عرفني فقد اكتفي ومن لم يعرفني فما بي خفا أنا الملك سرجوان بن الملك الليلان الذى قتل أبي عبد شداد ولا بد أفيكم وآخذ منكم بالثار وا كشف عني العار فما أتم كلامه حتى برز عنتر إليه وصار قدامه وحمل عليه من غير شعور ولا انظام وتجاولا مع بعضهما فى الاكام وقد أحتارت من فعلهما سائر الشجعان وشخصت لهما الاعيان ومازالا فى كر وفر حتى بان من سرجوان التقصير وعرف عنتر ذلك منه معرفة خبير وهجم عليه ولا صقة وضايقه وطعنه بالرمح فى صدره خرج السنان يلمع من ظهره فوقع على الارض جديلا معفرا فلما رأت عشائر الافرنج إلى ابن ملكهم سرجوان صار على الارض والكثبان حملت على عنتر حملة رجل واحد وقالوا له شلت أناملك ياولد الزنا وتربية الامة اللخنا وعنتر لا يفهم كلامهم ومال عليهم وحملت من ورائه عشائر الروم فى أوائلهم الملك هرقل بن الملك قيصر فعند ذلك صلبت الافرنج على وجهها ومالت بكليتها ووقع الضرب وقل الخطاب ومازال السيف يعمل والرجال تقتل ونار الحرب تشتعل إلى أن دخل الظلام وتفرقت الافرنج فى هذا اليوم يمينا وشمال وتعجبوا من هذا المرام فلما أقبل عليهم الغيهب شكوا حالهم إلى أرباب المنصب فوقع بينهم الاتفاق ان يرحلوا تحت الغسق ويطلبوا بلد الكافور وقلعة البلور ويتحاربوا قدام المال والعيال وبذلك ينالوا ما يحبون ويختاروه فعند ذلك رحلوا من ساعتهم فى وسيع المهاد من خوفهم من ابى الفوارس عنتر بن شداد فلما وصلوا إلى بلد الكافور وقلعة البلور التقاهم كوبرت بن الملك شهرمان وسألهم عن الشأن فعند ذلك أوضحوا له البيان وقالوا له قتل سرجوان ابن الملك الليلان والذى قتله عبد أسود يسمى عنتر بن شداد فلما سمع كوبرت هذا الأمر والعناد أمر العشائر بالخروج خارج البلد ورتب الصفوف وفرق آلات الحرب والسيوف لأجل أن يأخذ ثاره وانكشف عاره وبعد ذلك فى مدة قريبه غير بعيدة طلع عليهم غبار وثار وسد منافس الاقطار وانكشف الغبار عن أبى الفوارس عنتر فلما رمقت بعضها بعض الطائفتان أبرز عنتر الخيام وصف عشائره وأجناده وجعل الملك هرقل تحت الرايات وبعد

ذلك برز إلى الميدان وطلب مبارزة الشجعان فما برز إليه أحد بل حملت الافرنج حملة واحدة وكوبرت يطعن الفرسان ويجندل الأقران وايضا عنتر حمل وخاض القسطل وكذلك الملك هرقل والروم قد حملت وما زال الدم يبذل والرجال تقتل وكان ذلك اليوم عنتر أظهر فروسيته وتعجبت الفرسان من فعاله ومراكب الافرنج كانت من أعماله وعملت على الانهزام والحصار من أبي الفوارس عنتر ولولا قدوم الظلام كانت جرت عليهم هذه الاحكام ولما تفرقوا اجتمعت الافرنج على الملك كوبرت بن شهربان وهم فى غاية الذل والهوان فعند ذلك وعدهم كوبرت بأخذ الثار وكشف العار وعند الصباح يبرز لعنتر الكشحان ويسقيه كاس الهوان ولما سمعوا الافرنج ذلك الكلام ثبتوا لتلك الاحكام وما زالوا على ذلك الايضاح حتى طلع الصباح فعند ذلك خرج من عشائر الافرنج فارس بالحديد غاطس راكب على جواد أبيض من الخيل الجياد ونادى لا يبرز لى الا عنتر بن شداد الذى قتل اخوتى وهم سوبرت ويوبرب وخليلجان وقد نشأت عند الملك قيصر برهة من الزمان وعرفتم ما اعطيت عنده من الرفعة وعلو الشأن فليبرز إلى فارس كم الأسود الذى طغى وتمرد (قال الراوى) فما أتم كلامه بذكر عنتر بن شداد حتى أنه قفز بجواده وصار قدامه وقطع عليه كلامه وأخفى غيظه وأظهر ابتسامه ولما رأى حسنه واعتدال قوامه استحى من صدامه وضحك خجلا وسال لعابه لما رأى جماله وحن اليه قلبه وانشد وقد انفرجت عنه الدبله لما رآه يشبه فى حسنه إلى بنت عمه عبلة فانشد وجعل يقول :

جفانى البكرى منذ جفانى الحبيب — فدمعى يفيض وقلبى مريب
وطرفى براعى نجوم السماء — كأنى عليه يحيى رقيبه
وحبى كالبدر فى تمه — وظبى عزيز وغصن رطيبه
له بالجفون مواضى السهام — ومقصد ماجئت يرمى الكثيبه
اصاب فؤدى لما رانى — وماهو فى هجره لى مصيبه
فيامن تكامل فى حسنه — أجرنى فحالى حال عجيبه
وقد سار نحو الفتى الليلمان — عليك همام عزيز نجيبه
فجندلته هاويا فى الثرى — تهب عليه الصبا بالنجيبه
ترى السيف فى راحتى مجذب — أقدبه الهام قدا عجيبه
فيا وقعة شب فيها الوليد — إذا ما اداعت لديه النحيبه
أنا اسد الحرب عند الهيجاء — اذ لاح وسط العجاج القريب
وتنظر لعبس سراة الوغـا — وفعلهم نجم لا تغيب

(قال الراوى) ولما فرغ عنتر من شعره انطبق على كوبرت أسرع من الحمام وتقاتلا الاثنان

وتضاربا بالسيفان وما زالا على هذا الشأن إلى أن كلت من كوبرت اليدان وضعفت منه الزندان ونظر منه عنتر حالته وقد ضعفت قوته فصار يترفق به ويلين له العنان ويزحزحه في الميدان ويعف كأنه بعض النسوان ثم طعنه بعد ماخرج من خلف لأنه صرخ فيه أذهله وحيرة وأضجره وأبهره وطلبه طلب شجاع قسور ثم أقلب سنان الرمح إلى ورائه وطعنه كما ذكرنا خلفه في تلك الفلاة وقد طار من فوق سوجه إلى فوق ثلاثة أذرع وهمز عنتر وخطفه من الهواء التقاه على زندة فأخذه أسير وقاده ذليل حقير وسلمه إلى شيبوب فشده كتاف وبعد ذلك أخذه وأخرجه مع المعمعة وهو مشرف على التلاف فعند ذلك ولت الجيوش متفرقين حتى وصلوا إلى البلد وأغلقوا الأبواب وصعدوا إلى الاسوار ونزلت عشائر الملك قيصر وعنتر حول الجزيرة وضربوا خيامهم هذا وعنتر فرحان بتسهيل الأمر إلا أن البلد عشرة أيام وفي ليلة الحادى عشرة أيام وفي ليلة الحادى عشر اخذ عنتر في ذلك الواسواس حتى ضاقت منه الانفاس لاجل بعده عن الديار فقال له شيبوب ويلك يا ابن الام قدم لي جوادى الابجر فقد زاد على فؤادى الفكر فقدم له جواده وخرج يجر سهم والليل قد بدأ سواده وشيبوب وولده والفكر قد غلب عليه وهو يحدث أخيه فبينماهما في الكلام وإذ قد لاح لهما ضوء مصباح وهي نار بعيدة تارة تخفى وتارة تظهر فقال عنتر وذمة العرب الأخيار قد اشتغلت مني الأسرار لرؤيتي هذه النار لأن بلد أعدائنا حصين وما أنت ترى مافيهم من الحذر والسماع مايغني عن النظر والنار هذا الوقت تزيل الفكر فقال شيبوب وأي شيء هذا النار ونحن غربة في هذه الديار ومن حصل أين لك افتكار فقال عنتر يامذلول الشارب نخاف من مكيدة أو حيلة أما تذكر ماجرى لنا في بلاد اليمن على مياه عراعر وما الذى دبرت لنا الساحرة نسل الفواجر فقال شيبوب وحق الاله القادر الساعة تعرف أن مالك معاند في هذه البلاد فاصرف هذا الهم عن قلبك فقال عنتر لا شك أن هذه النار لبعض السحرة وقد خفت أن يحصل لنا أمر يفيقنا فسر أنت ياشيبوب بين يدى الآن واطلب النار وأنا لابد لي ما اكشف ماعند هذه النار من الأخبار فعند ذلك سار شيبوب وابنه بين يديه وقد قطعا عليه الكلام وعنتر وراءهما حتى انتهى بهم المسير إلى أجمة مشتبكة بالشجر وقد سار وقت السحر فاذا هو بمرج واسع وذلك المرج قد فتح فيه عيون النرجس كأنه مقلة سكن القمر قد اشرق واضاء كما قال فيه الشاعر هذه الأبيات

انظر إليه كزورق من فضة ... قد أثقلته حمولة من عنبر
والروض منتظم النبات كأنه ... حل العقود وذروة كالأصفر
اما غيث قد تقاطر بله ... من لؤلؤ مثل العقيق الأحمر

(قال الراوى) ولم يزل شيبوب وابنه يسعيان فى الشجر وعنتر وراوهما فى الاثر حتى خرج من تلك الأشجار إلى مرج قد أشرفت جنباته وتكاملت صفاته وتمايلت أغصانه وقد فرشت أرضه بالبهار وقد حوى ذلك المرج ما حير الأبصار وفى وسطه نهر جار وعلى جانب النهر قصر عالى البنيان وله باب بمصراعين حديد وشبابك ضيق العيون حديد فتقدم عنتر وأخوه إلى جانب النهر وإذا بجسر منصوب فترجل عنتر عن الابجر وربطه بعدما أنشد لسانه بشعره حتى لا يصهل ثم قال لأخيه أعبر يا أخى حتى أكون لك تابع ومحامى ففعل شيبوب ولم يتأخر وتبعه أخيه عنتر وقد حدثته أنه بقى وحده (قال الراوى) ثم أنهم دنوا من الشباك فسمعوا من داخله كلام عربى فصيح وهو يقول وحق المسيح والسيدة ذات الوجه المليح لقد اجتمع على قلبى هم عظيم وأصابنى خطب جسيم فلما سمع عنتر وأخيه ذلك الكلام والخطاب تقدما إلى عند الباب حتى يكشفا الخبر لأجل أن يعلم أن كان المتكلم أنثى أم ذكر وإذا بقائل يقول للمتكلم الأول يا ملكة نحن قد عرفنا أن قلبك مشغول لأجل الملك كوبرت وما جرى عليه من الأعداء فعلم عنتر أن المتكلمة أمرأة تجاوبها فقالت لها وحق المسيح ما عندى من أمر الملك كوبرت لا هم ولا غم إلا أن وجدى زائد والهم إلى قلبى وارد وعائق من قبل الملك صافات صاحب جزيرة الواحات لا يغره الطمع فينا ويروم أخذ الملك من أيدينا لأنه ملك عظيم وجبار رجيم وحاكم على جزائر وأقاليم من حد الاندلس الجزائر الخاليات إلى مقاطع بحر الظلمات وأما أسر الملك كاوبرت فما جلب لقلبى مضرة ولا آيست منه فى هذه المرة لأنى وحق المسيح قادرة أخلصه من يد قناصه قبل طلوع الفجر وتربه عندى فى داخل هذا القصر فقالت لها مجاوبتها فكيف تقدرين على ذلك وهو الآن فى قبضة هرقل بن الملك قيصر فقالت لها ويلك ومن هو هرقل ومن قيصر هذا حكمه فى يد فارس الحجاز عنتر بن شداد الذى لولاه ما رفعت رايه عل وأسر ابن الملك قيصر هذا وعنتر تحير وزادت به الفكر بما قد سمع وأبصر وكذلك شيبوب الآخر وولدة الخذروف واشتغلت منهم الخواطر وبقى كل منهما غائب غير حاضر إلا أن عنتر قال وحق الركن والحجر والبيت العتيق المطهر ما بقيت ابرح من هذا المكان حتى يتضح لى الأمر عيان (قال الراوى) هذا والجارية قالت يا ملكة وهذا عنتر الذى لكوبرت أسره ما هو على دين المسيح وإنما هو رجل بدوى همام يعبد رب الانام ويعظم قدر البيت الحرام الذى يحجون إليه الناس فى كل عام وهو رجل أسود وله قلب أقوى من الجلمد فى صباه عاشق ابنة عمه وهى عبله بنت مالك وقد قاسى فى حبها شدائد وأهوال لأنها بديعة الجمال ومازال بها مستهام حتى بلغ منها المرام ولو أن لى من يوصلنى إليه ويقصنى عليه ويبلغه منى السلام ما أصبح علينا الصباح الاوكوبرت عندى فى هذا المقام فلما سمع شيبوب منها هذا الكلام فزاد به الغرام

وقال لأخيه عنتر البطل الهمام وحق الملك العلام ما بقيت أبرح من هذا المقام حتى أكشف عن باطن هذا الكلام فقال له عنتر أفعل ما بدا لك نجح الله أعمالك وبلغك الله آمالك ثم أن عنتر توارى هو وابن أخيه الخذروف وقلبه على هذا الأمر ملهوف وتقدم شيبوب الغضنفر ونادى بصوته الجهير وقال يا من هي زينة كل محضر فها أنا شيبوب أخو عنتر حمليني رسالتك واكشفي لي ظلامتك حتى أوصلها إليه واقص قصتك عليه فلما سمعت الجوار كلام شيبوب رجفت منهم القلوب وزادت بهم الكروب وسكتوا عن الكلام وقد التجمت كل واحدة منهم بلجام فقالت المتكلمة ويلكم أي شيء هذا الفزع وكيف أخذكم من هذا الصوت الجزع ونحن ههنا آمنين وقصرنا عالي حصين ولا علينا لأحد طريق ولا سلم ولا سلالم ثم أنها نادت إلى جارية من بعض الجوار وقالت لها خذي بكفك شمعة وطلي بها من شباك وتأملي بين الأشجار واكشفي لنا الأخبار ولا تخافي من أضرار وانظري إلى هذا المتكلم ولا يخشى من باس وأبصري هو من أي الناس فإن كان شيبوب أنا أعرفه من بين سائر الأجناد وإن كان الأمر صحيح وأرسله إلى المسيح وأطلع على نيتي وقضى لي حاجتي فإن قلبي استريح فعند ذلك أخذت الشمعة بيدها وسارت كما أمرتها سنها والجوار من حولها والملكة من خلفهم والجميع خائفين وفي هذا الأمر متعجبين حتى وصلت الجارية إلى الشباك فنظرت إلى شيبوب الفتاك ولم أخذها خوفا ولا ارتباك فنادته من أين أنت يا غلام وما سبب قدومك في هذا الظلام وما قصدك وما مرامك لأنك أزعجتنا بكلامك فوحق المسيح ما لك فينا مطمع ولا لك إلينا مطلع فقال لها يا ستاه لا تخشى ضررا فانا شيبوب أخو عنتر وقد سمعتك في هذا المحضر تقولين لمن عندك حاضر لو أن لي من يوصل خبري إلى عنتر فأتيت إليك حتى تحمليني ما تريدي وتبلغي ما تشتهي فلما سمعت الجارية كلام شيبوب زالت عنها جميع الكروب وتقدمت إلى عند الشباك بسرعة وقالت لجاريتها هاتي ناوليني الشمعة حتى أنظر ما جرى وأفعل على قدر ما أرى ثم أن الجارية قدمت عليها وناولتها الشمعة التي كانت في يدها فلما صارت في يدها قوت على ذلك قلبها وفي عاجل الحال طلت وباعينها تأملت وإلى شيبوب قد نظرت فعرفته جيد المعرفــة وهو على تلك الصفة ثم أنهـا التفتت لجوارها وقالت لهم وحق المسيح والزنار أن هذا هو شيبوب العيار أخو ذلك الفارس الكرار ثم أنها نادت برفيع صوتها أيها الأسد القسور اكشف لنا عن صحة الخبر وانبئنا عن ولدك الخذروف وعن أخيك الامير عنتر وأقدم إلى ههنا يا ولد الزنا وأزل عن قلبنا الهم والعنا فقال لها شيبوب بعد أن تحير وزادت به الفكر يا وجه القمر أي شيء هذه الالفاظ المفرقة وإني أراك عارفة بنا جيد المعرفة فمن أين لك هذه الصفة فقالت له يا ويلك أخباركم عند من مدة أعوام فدع عنك كثيرة الكلام وأتني بعنتر إلى هذا المقام فقال لها

شيبوب يا ابنة السادات الأمجاد وحق من بسط المهاد ورفع السماء بلا عماد هاهو معى حاضر وإلى كلامك سامع وإلى وجهك ناظر فقولى ماشئت فانه يبلغك مرادك ويقهر اعاديكى وحسادك ثم أن شيبوب نادى يا ابن الام إذن منا وبادر واسمع ماتقول هذه الجارية بنت الاكابر من تلك الاخبار التى تذهل النواظر وتحير الخواطر وتبقى مثلا بين البوادى والحواضر فعند ذلك نادت الجارية يا أبا الفوارس بحياة عينين عبلة أجب أخاك وادن منى حتى أراك فعند ذلك أقبل عنتر وهو متيم ولما أتى إليها حياها وعليها وسلم قال لها وحق البيت الحرام وزمزم والمقام ما كانت هذه الجارية إلاخليلى مريم التى هى بدر التمام فقالت له بلى وحق المسيح المعظم فقال لها عنتر ومن أوصلك إلى هذه الديار وجاء بك إلى جزائر البحار فقالت له حديثى عجيب وأمرى مطرب غريب وأن كنت تريد سماعة فامتن على بطلعتك وشرفنى فى هذه الساعة بنقل أقدامك حتى أنى أفتح لك الباب وأشرح لك سائر الامور والأسباب فقال لها عنتر أما الذمام فانت فى ذمامى وجميع من عندك لاجلك وأيضا أهل الجزيرة كلهم فى أمان من حسامى الضامى فالك على من حق الصحبة والجود والكرم النامى وأما دخولا من خلف هذا الجدار فيكون ذلك عند اقبال النهار (قال الراوى) فعند ذلك قالت الجارية يا أبا الفوارس أنا آتى اليك وأقبل يديك وأقص قصتى وما جرى لى عليك ثم أنها نزلت وفتحت الاقفال لما انتهت فى الكلام والمقال ثم تقدمت وقالت له أيها البطل الهمام نحن على العهد والذمام فقال لها عنتر وحق البيت الحرام وزمزم والمقام وذمة العرب الكرام لكى ولكل من معكى الذمام (قال الراوى) فلما سمعت الجارية من الأمير عنتر هذه الاقسام خرجت معها الشمع والخدام إلى أن وقفت قدامه بعدما أبدت السلام وقبلت أقدامه ثم أنها أخذت الأمير عنتر وسارت به إلى جانب النهر وجلست هى وإياه على روضة من رياض الزهر ووقف شيبوب والخذروف وأشهر كل واحد منهما فى يده خنجر اخوفا عليه من طارق وفى دون ساعة أحضر من الطعام شىء كثير وأتوا به الجوار والخدام وقدموه بين يدى عنتر البطل الهمام والأسد الضرغام فاكلا منه الكفاية وشربا بعده المدام وشيبوب والخذروف قيام ثم أن الجارية مريم ابتدأت تحدث أبا الفوارس عنتر وكيف كان أمرها وماجرى عليها من الأمر المنكر من قبل عنتر وكيف أخذها كوبرت ونزل بها البحر وجد فى المسير وماجرى من الأول إلى الاخر هذا وعنتر وشيبوب اليها باهتين ومن حديثها متعجبين وقد حدثته أيضا أن كوبرت هو اليوم صاحب جزيرة الكافور وقلعة البلور وهو يامولاى عندك أسير وهو ذليل حقير قال الراوى فلما سمع الامير عنتر كلامها طيب قلبها ووعدها باطلاقه وبات عندها بانفراح إلى أن أصبح الله بالصباح فنهضت عند ذلك مريم وقالت أنى أريد منك ماوعدتنى به من المسير قبل طلوع الفجر وتدخل معى القصر لازلت فى سعادة

بنصر فاجابها عنتر وقد أمر شيبوب بالعبور فقال له وحق الرب الغفور الذى عرفنا الايام والشهور وخلق الظلام والنور ما أخاطر بروحى وادخل خلف هذا الصور وأنا غريب من هذه الديار ولا أعرف أى شىء يجرى لى من الامور فعندها قالت مريم لما سمعت هذا الكلام ادخل ياشيبوب إلى خلف الجدار فوحق دين المسيح والزنار ماينالك منا إلا ماتحب وتختار (قال الراوى) فعند ذلك صاح فيه عنتر وقال له ادخل يانسل الاشرار ولا يكون عندك خوف ولا أحرار فعبر شيبوب معهم على مضض حتى سار وادخل القصر خلف الجدران فنظروا إلى قصر مشيد نزهة لمن يراه وفيه برج عال غريب ونظروا إلى ستر عجيب ومن خلف تلك الستر من غرائب التصاوير من كل صورة غريب وقد رأوا من الشبابيك بستان فيه شقائق النعمان ونرجس وسوسان وفيه من كل فاكهة زوجان وفيه من غرائب الازهار وقد صفت فى جنباته ألوان الجلنار وهو نزهة للنظار وقد حوى من نرجس وياسمين ومن التفاح والرمان والعنب والجوز ومن السفرجل والخوخ ومن شجر اللوز والمشمش وغيره من الاقحوان وقد أينع من الخضرة ألوان والاترنج قد حان عليه الحول ونزهة الرمان وابتهج القرنفل والمنثور لما أشرفت عليه الاشجار وهذا مما يطول شرحه وقد اختصرنا فى وصف هذا البستان وهو كما قال فيه الشاعر هذه الابيات :

جاء الربيع يقوده أشجارى ... واستبشرت فرحا به الاطيار
غنى الحمام مطربا فكانما ... دارت عليهن سائر الازهار
ورد وزهر قد يلوح ونرجس ... وبنفسج وشقائق وبهار
فكان أخضر الربيع زمردا ... وكان أصفره البديع نضار
ياصاحبى قل الملامة واقتصر ... عنى فما يحسن بى الاقتصار

(قال الراوى) وذلك القصر واسع الفناء عالى البنا كانه قد سبك من اللجين تحير فى وصفه كل عين وعلى ذلك القصر تماثيل وأفنان له تاويل والمسرات به مجتمعة والانوار به لامعة وهى عليه مشعشعة وطيور الهنا عليه حائمة وقد كتب عليه فيه قائمة هذه الابيات

دام بك العز والاقبال يادار ... معزوزة فى فنون الايك أطيار
دمت بالعز والافضال فى دعة ... مامال نجم بأفق الجو سيار

(قال الراوى) هذا وخيام العز عليه مخيمة وأصناف الطيور باختلاف اللغات على أركانه مترجمة وبغرائب جوهر الكلام معربة ومعجمة وفى ذلك المكان أيوان وعليه سدة منصوبة عالية مرفوعة فعند ذلك تقدمت مريم إلى الامير عنتر وأمرته بالجلوس على تلك السدة من غير حذر وقد حار بما عاين وأبصر ومارأى مثلها عند كسرى وقيصر إلا أن ما استقر

به المقام حتى أحضرت بين يديه مائدة من الطعام بصحف من الياقوت الأحمر مرصعة بفصوص من الجوهر ولما مريم أحضرت الطعام وصار قدام عنتر قامت قائمة على الأقدام وأنزلت الموائد من رؤس الخدام وقد شدت فى وسطها زنار من الابريسم الاخضر والأحمر ثم أنها قدمت المائدة قدام عنتر ولما قدمت المائدة وتلك النعمة تاخرت ووقفت فوق رأس عنتر لاجل الخدمة هى والجوار فقال لها عنتر لا وحق من أظلم الليل وأشرق النهار بل أنك تجلسين وتاكلين معنا الطعام وإلا فالنا حاجة فى هذا الاكرام الذى فعلتيه معنا على التمام (قال الراوى) فلما سمعت مريم من عنتر ذلك الكلام أقبلت وقد بدأت الابتسام وامام عنتر أن ياكل من ذلك الطعام صرخ به الخذروف الا يا ابن شداد احذر أن تتقرب إلى هذا الطعام فقال له عنتر ويلك يا ابن الاخ أى شىء سبب هذا الخوف من الطعام فقال له ياعم فيه من بعض السموم القاتلات فقال عنتر لأى شىء ما حصل لنا ذلك الأوهام عندا كلنا البارحة الطعام فقال الخذروف طعام البارحة ما كان قد أعد لهم ولا كان لهم علم أننا نحن إليهم واردين ولا عليهم قادمين والان قد عرفوا أننا معهم فى القصر حاضرين فاتونا بهذا الطعام عن يقين فعند ذلك قال عنتر لله درك ياخذروف أنت احذر من شيبوب أبيك وأخبر منه (قال الراوى) فلما سمعت مريم من الخذروف ذلك الكلام تغير وجهها وقالت لعنتر يافارس الاقطار أنا أقسم بالسيدة أم النور والمسيح الذى ما ولد من أب مذكور ما أنت فى قلبى إلا لأجل السرور فاترك عنك ما تخفى الصدور وأعلم أننى ما نويت لك أمرا من الامور وحق ما فى الانجيل من التحريم والتحليل ما أشغلت لك هذا الطعام ثم أنها مدت يدها إلى سائر الصحف وكانت من الفضة مطلية بالذهب الأحمر مرصعة بالفيروز الأخضر ثم أنها جاءت تاخذ من كل أناء غرفة وجمعت ذلك كله فى إناء واحد وبادرت إلى اكله جميعه ثم أنها طيبت خاطره وقالت له دونك يافارس الجلاد والزاد وازل ما فى قلبك من الهم والانكاد فعند ذلك مد يده عنتر إلى الطعام وقد زال عنه الوسواس والاوهام وكذلك اخاه شيبوب والخذروف ولده أكلوا من ذلك الطعام ولم يخشوا خوفا فلما اكتفوا ارتفعت موائد الطعام والانعام وغسلوا أياديهم من الزاد قال الراوى ثم أن مريم أمرت جوارها باحضار المدام والكاسات والاباريق وقد روقت الخمر العتيق الذى له سنين وأعوام وقد فعلت معهم فى المدام كما فعلت وبعد شرابها ملات الكاس وقدمته إلى عنتر فتناوله منها وقد شربه وتناوله من بعدها وكذلك شيبوب وولده الخذروف وهم قدام عنتر جلوس ولم يزل عنتر يشرب من المدام إلى أن شرب ما أحضرته على التمام ولما تحكمت معه الخمرة قلبه فى ذلك المقام وأعجبه ذلك الوقت شرب المدام ولما علمت مريم منه ذلك أمرت الجوار باحضار الملاهى فى ذلك المقام فاتوها بما طلبت وقد غنت وقد الجوار بصوت فصيح وألحان فداخلهم الطرب والهيمان نخيل لهم أنهم فى منام هذا وقد دارت عليهم الاقداح

بالسرور والافراح وأن عنتر بهذا الحال فرحان مسرور وقد هانت عنده سائر الامور وهو يتناول كاسات الخمور وقال الراوى ولما نظر شيبوب إلى أخيه عنتر وقد أسرف فى الشراب وزاد به السرور وصار من كثرة الشراب عادم الصواب وما بقى يقدر على رد الجواب ولا القيام والذهاب ناداه يا ابن الام تان على نفسك ولا تملا من الخمر جوفك وأنت فى بلاد عدوك وكان شيبوب خائف من مكيدة تصل إليهم وعينيه تدور فى القصر يمينا وشمال وحذرا على أخيه خوفا من الوبال هذا وقد عرفت مريم منه ماهو فيه فارسلت بعض تلك الجوار وكلمتها بلغتها فى الحال من غير أن يفهم عنتر وشيبوب فمضت الجارية وغابت قليل وعادت ومعها حق من الذهب الاحمر عليه قفل من الفضة البيضاء الحجر فاخذت مريم الحق وفتحته وأخرجت منه ثلاث حرزات كبار كل واحدة كانها بيضة اليمام وقالت له يا أبا الفوارس اعلم أنك ما بقيت تلتذ عندنا بطعام ولا تشرب مدام ما بقى الوهم الذى دخل على قلبك من كلام الخذروف لكن خذ هذه الخرزة واعلم أن لها منفعة ولا عنه الملوك مثلها ولا يوجد عند السلاطين شكلها وذلك وإنها كانت فى يدك وحضر طعام عندك وتوهمت أنه مسموم فهذه الخرزة تدور فى يدك ثم إنها تعرق ويسيل منها ما يتقاطر فتعرف من ذلك أن الطعام مشغول بسمى النواظر وإذا بقيت على حالها فاعلم أنه غير مشغول فكل منه وأنت طيب الخاطر (قال الراوى) فلما سمع عنتر من مريم هذا الكلام زال عنه الشك والاوهام وقد شكر مريم وأثنى عليها وحياها فى ذلك المقام ثم إنها بعد ذلك أتت بشريط من الذهب وضعته فى الخرزة وقالت لعنتر لا تدع هذه الخرزة من عنقك لا فى سفر ولا فى حضر ففرح عنتر بذلك فرحا شديدا فاخذها منها ووضعها فى الجيد وقد أعطت الخرزة الثانية إلى الخذروف فرفعها فى عنقه من غير فزع ولا خوف ثم إنها وضعت الثالثة فى الحق وقفلت عليها القفل كما كان فقال لها شيبوب يا مولاتى لم لا أعطيتنى الخرزة الثالثة حتى أكون أنا الآخرة فى أمان فقالت له أنت وولدك واحد وأنك ياشيبوب ما يخاف عليك من الحدثان لانك شيطان فى صورة إنسان (قال الراوى) ثم إنهم عادوا إلى ما كانوا عليه من تناول الاقداح واللعب واللهو والإنشراح والمحادثة والطرب والمزاح إلى أن كان آخر النهار طلب منها الامير عنتر الإذن فى الإنفساح والمسير إلى العشائر بعد ما قال لها ياست الملاح اعلمى بان الملك هرقل بن الملك قيصر الساعة من أجلى مهموم وانزاح لان ما عنده عنى خبر ولا علم بمسيرى لهذا المرج الاخضر وأنا خائف عليه أن يبقى على قلق وهو فى انتظار وقد عولت على المسير اليه والقدوم فى هذه الساعة عليه وإنى أريد من إحسانك أن تنعمى لى بالمسير فى هذا الوقت والساعة فقالت له مريم وقد نهضت على الاقدام أفارس بنى عبس الكرام اعلم أن حق الضيافة ثلاثة أيام فلاشىء كرهت عندنا المقام فقال لها عنتر وحق البيت الحرام وزمزم

المقام وخالق الضياء والظلام إنى أعود إليك عن قريب إن شاء رب الانام ويكون بعد ذلك عندك المقام أكثر من عشرة أيام (قال الراوى) ثم إن عنتر بعد ذلك الكلام أمر أخيه شيبوب أن يقدم إليه الجواد فقدمه له الابجر عن غير ملام فوثب على ظهره وساق الجواد باهتمام وشيبوب وولده الخذووف بين يديه كأنهما فروخ النعام هذا ومريم حواليه لأجل علو قدره والشان ولما خرج من ذلك المكان وأبعد عن البستان ووقف وأمر مريم بالرجوع فقالت له يا هلترى لهذا الفراق رجوع واهتمام عن قريب وتلاقى فى الرجوع فقال لها أى وحق رافع السموات غدا يكون ههنا اجتماعنا على هذه الزهورات فعند ذلك غمضت عينيها وفتحتها وأشارت إليه مودعة بدموع غزار وهى تقول صلوا على طه الرسول :

سر فى أمان الله يا من يرتجى ... وأجل من ركب الجواد وإسرجا
فالقلب من بعد الفراق معذب ... والنار تشعل فى الحشا متاججا
أنت الذى نرجى لكل ملمة ... أنت المفرج هم كل قلب مزعجا
أنت الهنا أنت المنا أنت السخا ... أنت الرجا والمرتجى والمرهقا
فلئن رحلت فانت غير دموع ... ولئن رجعت لنا أنا لك مرتجى

(قال الراوى) فلما فرغت مريم من شعرها وسمع عنتر من مقالها وقد نظر إلى تغيير أحوالها ضمها إلى صدره ووعدها بسرعة العودة إليها وخلاص الملك كوبرت وفكاكه من الاسر والاعتقال ثم إنه سار شيبوب بين يديه وهو أخف من النسيم إذا سرى وما زالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى العشائر ودخل على هرقل بن قيصر فلما رآه فرح به واستبشر وقام له إلى الاقدام وأجلسه بجانبه وسأله عن حاله وما كان سبب غربته فحدثه عنتر بقصته من وقت مسيرة إلى حين عودته وأخبره أيضا بحديث الجارية مريم وما فعلت فى حقه من الكرامه والنعم وما منها من الاحكام وما أودعها من الابرام (قال الراوى) فلما سمع الملك هرقل من عنتر هذا الكلام زاد به الفرح والابتسام وقال له يا فارس عبس الكرام كيف طاب لك عنا المقام هنا عيش وطعام ولعب وشرب وطرب وشرب مدام وأنا ما كنت معك فى ذلك المقام فقال له عنتر يا مولاى وحق البيت الحرام ومنى وزمزم والمقام وما لك فى عنتر من الاكرام والانعام وما شربت قد حا من المدام إلا وشخصك فى ضميرى من دون الانام فقال له الملك هرقل يا حامية عبس وحق المسيح الذى أنى من غير بشر أنك شوقتنى إلى هذا القصر وحسنه والمرج الأخضر والنظر إلى تلك الجارية مريم فقال له عنتر وقد تبسم اعلم يا مولاى بان الجارية قد أخذت على العهد والميثاق إننى لا أتاخر عنها ولا أتعاق فقال له الملك هرقل وحق المسيح لا بد لى من السير فى صحبتك وأكون شريكك فى لذتك فقال له عنتر يا مولاى هذا من أسعد أيامى إذا سار مثلك أمامى (قال الراوى) ثم إن عنتر

نهض وقد طلب المنام وهرقل قد زاد له فى الاكرام وباتوا فى هناء وأفراح حتى ابتلج ضوء الصباح فركب الملك هرقل وهو زائد الافراح وطلب خيام عنتر ودخل عليه وأبداه بالسلام فزاده عنتر تحية وإكرام وجلسوا يتحادثون فيما يرام ولما انبسطا فى الكلام قال له الملك هرقل ياأبا الفوارس البارحه ماذقت منام بما حصل عندى من الأوهام فانعول بناعلى الرواح حتى تغتنم السرور والأفراح فأجابه عنتر إلى مايقول وقد قاموا وركبوا على الخيول وتقلدوا بالنصول وقد أظهروا للعشائر أنهم سائرين يكشفون لهم الأخبار ثم أنهم ساروا على حالة الانفراد من العشائر والاجناد هذا وشيبوب والخذروف بين أيديهم سائرين إلى أن وصلوا إلى قريب المرج المتقدم ذكره ورأوه رأى العين فأرسل عنتر شيبوب والخذروف فساروا إلى أن وصلوا إلى المرج والقصر ولما رأتهم الجارية استدعت بالخذروف وقالت له أعلمنى ما الخبر فقال لها قد وصل عمى عنتر ومعه الملك هرقل بن الملك قيصر وهم نزول على المرج الأخضر (قال الراوى) فلما سمعت الجارية مريم من الخذروف ذلك القول تبسمت وقالت له دعهم يأتوا على الرحب والسعة والكرامة والدعة فعند ذلك رجع الخذروف وجد عنتر قارب المرج فاعلمه بذلك فساروا إلى أن وصلوا إلى الروضة والشجر فعند ذلك تلقتهم مريم بالأفراح وقد جلسوا عندها فى تلك البطاح وقد انبسطوا فى الحديث والكلام ثم أنها غمزت الجوار أن يمضوا ويهيئوا الطعام ويفرشوا المقامات ويحضروا المدام فمضوا الجوار وجلست هى وإياهم ساعة من النهار وإذا بالجوار قد أتوا اليها وأخبروها أنهم قضوا الأشغال فعند ذلك نهضت مريم قائمة على الأقدام وقالت أنعموا لنا يامولينا إلى مكان أعدته لكم ولخدمتكم حتى نتشرف برؤيتكم فعندها نهض عنتر هو والملك هرقل بن قيصر بين الشجر وجوادا الملك هرقل مع الخذروف وشيبوب يقود جوادأخيه عنتر ومازالوا سائرين حتى خرجوا من تلك المكان وهذا البستان الأخضر وقد كسى بالزهروات والأثمار شىء تحير فيه الفكر والجارية إلى جانبهم تمشى قدميها وجوارها بين يديها ومازالوا سائرون حتى لاح لهم فى ذلك المكان قلعة عاليه البناء مشيدة الأركان لايعلوها الطير الطائر ويعجز عن إدراكها الناظر صخرها أنعم من الأجوان وهو لو العقيق والمرجان ولك من تحتها يشفى النفوس ويزيل عن قلب الصب العكوس فلما نظر عنتر إلى ذلك المكان البديع والبناء الرفيع وسار طالبها وعنتر ينشد ويقول هذه الأبيات :

عليها الظل ممدود السرادق والزهر مفروش النمارق
أشجارها وأثمارها وقطوفها مثل اليخانق
والزهر قد نشرت على وجناته إظرف الشقائق

مرجا يزيل به الشقا ... لحسن أنواع العقائق
قد . غردت أطيـــاره ... فى نغمة تحيى الخـــلائق
مـا بين قمرى يصيح ... قد أمنت خطف البواشق
بلابـــل قـــد بلبلت ... الحانهن لـــكل عاشـــق
والأقحـــوان غصـــونـه ... بين السوالف والمفـارق
وموارد الأمطار قـــد ... كحلت بها عين الحدائق
والقلعـــة العليـــا حكت ... علو السماء على الخلائق

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الأبيات تقدمت إليه الجارية مريم وقبلت يديه وشكرته على هذه الصفات وقالت لله درك يا أبا الفوارس فما أفصح اسانك وأنفذ سنانك وأطلق عنانك هذا ولم تزل سائرة بين أيديهم فى ذلك المرج والجدران إلى أن وصلوا إلى آخر ذلك المكان فرأوا فيه دارا عالية فادخلتهم وكانت تلك الدار طيبة المعانى مبشرة لسانها بالامانى موزورة بالسياج والعاج وهى بالذهب الوهاج على ترتيب الحصن بابدان وأبراج وفى وسطها بحر عجاج متلاطم بالأمواج (قال الراوى) وقد اندهل الملك هرقل مما عاينوا وأبصروا من ذلك القصر فقال عنتر لهرقل يا ملك الزمان ما ملك الافرنج إلا ملك عظيم لأنهم أكثرت العالم أموالا وأحسنهم أحوال فما حصلوا القصر وقربهم القرار حتى نصبت لكل واحد منهم كرسيا من الذهب الأحمر الوهاج هذا وقد بسطت فى الديار فرش من الحرير ألوان حتى بقى ذلك المكان كأنه روضة من رياض الجنان وصفت أوانى الذهب والفضة وأوقدت مجامر العود والعنبر وما استقر بهم القرار أو المقام حتى أحضروا لهم الطعام على رؤس الخدام فقالت يا موى إذا حضر الطعام بطل الكلام فعند ذلك تقدم كل واحد منهم وأكلوا إلى أن اكتفوا وشالوا أياديهم من الطعام وأمرت الجوارى بعد ذلك باحضار الأوانى والأباريق وأحضرت وهى ملآنة من الخمر العتيق الصافى مما عتق فى الزمان وصنعته مشايخ القسوس والرهبان وحفظته من اختلاف فصول الزمان وهو يصلح لدفع السقم من الأبدان كما قيل فيه هذه الأبيات .

أدر الكاس أيها القمر الساقى ... وقل هـــذه سلافة خمر
وأحلها فى غلائل من لجين ... يلبس الشاربين ثياب حمر
فهى صفرات فى الكاسات شهبا ... وهى بيضاء فى الكؤس وحمر
تأمل لى واسقنى وقل هاك أنسا ... واعطف راجعا من غير قهرى
مع ندماء وجوهم تشبه البدر ... وقوامهم مشبوهة السمر
فنهبنا خمرا ونظما ونثرا ... والكل منهما لطائف خصر

خمرة تجعل النفوس مكلا ... وتزيد العقول جواهر سر
إن فى الكاس لجة فى نهر ... قد طفى نورها مصابيح در
فترى لؤلؤا يسير على الماء ... يحكى اللؤلؤ الذى فى البحر
كل كاس يدور تطلع شمس ... منه حتى تغيب فى فم بدر

(قال الراوى) هذا وقد انبسطوا فى الكلام وانتشوا من شرب كاس المدام فقال عنتر يا مريم إنى أريد أن أسألك عن حال فلا تخفيه عنى يا وجه الهلال فقالت له اسأل يا فارس الزمان ويا حامى بنى عبس وعدنان حتى أجيبك بالصدق وأنطق معك بالحق فقال لها عنتر يا مريم إن هذه الجزيرة قد درناها وما خلينا فيها مكان فما وجدنا إلى هذه القلعة من سبيل ولا مكان ولا رأينا فيها مسلك لإنسان إلا إن كان معه دلائل وعرفان فقالت مريم وقد تبسمت من هذا الكلام والشان يا فارس عدنان تصعد فوق هذا الباب الذى فى البستان لأنه سرداب طالع إلى القلعة معقود من فوقه أزج مصنوعة نقر فى الصخر صنعه اليونان الكهنة من قديم الزمان وهو بأدراج عراض صنعت لبلوغ الأغراض يصعد منها الفارس الوثاب لكن هالك سرداب له ثلاثة أبواب فيها مهالك قواتل صنعة الحكماء والعقلاء أولى الألباب فلما سمع كلامها تحير وبقى فى فكر فقال لها عنتر من يوصلنى إلى ذلك يا وجه القمر (قال الراوى) ثم أنهم بعد ذلك الخطاب عادوا إلى ما كانوا عليه وصاروا يتناولون كؤس الشراب فبينماهم على ذلك الايضاح وإذا بالباب المقدم ذكره يتحرك فكان من داخله من يريد أن يفتحه بلا مفتاح فعند ذلك نهض عنتر على قدميه وقد اسودت الدنيا فى عينيه وجذب سيفه وصاح فى أخيه شيبوب وقال له ويلك انهض وقدم الأبجر واسرع وعلى نفسك احذر فنهض شيبوب وأتاه بالأبجر وأسرع فقام عاجلا وقد سار على ظهره هذا وشيبوب وولده الخذروف قد سحبوا الخناجر والسيوف وتبعهم هرقل بن الملك قيصر وشيبوب يقول يا ابن الأم أما قلت لك أولا انى فزعان وخائف من هؤلاء النسوان فقال له عنتر يا شيبوب سر قدامى ولا تتأخر وتتفرج على قتال لا يبقى ولا يذر ويبقى من بعدى يؤرخ ويذكر ثم أن عنتر نظر إلى الملك هرقل فوجد لونه تغير فقال له يا مولاى تخاف وأنت معك ابن شداد عنتر ثبت جنانك ولا تحذر فوحق الركن والحجر والبيت الحرام المطهر لو خرج من هذا الباب عدد أمه ربيعة ومضر للقيتهم بقلب أقوى من الحجر وجنان أجرى من تيار البحر إذا ذخر ونثرت جماجمهم نثر أوراق الشجر وأترك دماءهم يسيل مثل هطل المطر وسط هذا المرج الأخضر ولا أترك أحد يصل إليك ببؤس ولا ضرر فشكره هرقل بن قيصر (قال الراوى) هذا ولما رأت الجارية مريم إلى ذلك تغيرت أحوالها وتقطعت أوقامت مسرعة قائمة على أقدامها وسارت إلى نحو عنتر وهى فى أذيالها تتعثر ونادته يا أبا الفوارس ما هذه الفعال وما الذى تغير عليك من

الاحوال أما سبق إلينا منك الذمام عندما أكلت معك الطعام فلاى شيء سللت سيف الحمام فقال لها عنتر وحق البيت الحرام ما أنا إلا مقيم على العهد والذمام لك ولمن عندك من الرفاق إن لم تنظر منك غدر ولا ضيقة صدر فقالت له مريم يا فارس العرب والعجم فوحق المسيح ابن مريم الذى أتى من غير ذكر أنني على العهد مقيمة يا أمير عنتر فقال لها اعلمى أن ما وقع عندى من الارتياب إلا من حيث تحرك هذا الباب فقالت يا أبا الفوارس هذا أمر ما يحصل منه مضره بل يأتيك منه الفرح والمسرة واعلم يا مولاى أن عندنا فى هذه القلعة جوار نهد أبكار وكنت قد وصفت لهن صفاتك فى حال اجتماعك وقد اشتاقوا إلى مشاهدتك فاذا أنعم أذنت لهن بذلك وإلا ارجعوا من حيث أتوا وأقم أنت على مسرتك (قال الراوى) فلما سمع كلامها الأمير عنتر سكن ما به من الغيظ والضرر وقال إن كان الأمر على هذا المعنى فأمريهم بالخروج إلى ههنا معنا وبشريهم منا السرور والهنا والمنى ثم أن عنتر أثنى رجله من على ظهر جواده الأبجر وكذلك ابن قيصر وهم يطلبون النظر إلى نحو الباب وإذا به قد فتح وخرج منه عشر بنات نهد أبكار كأنهن الأقمار وفى أوساطهن جاريه كأنها البدر بين الكواكب وهى كأنها الشمس الضاحية فى السماء الصاحيه قد كسفت حسن الجميع بغرائب جمالها البديع وعلى رأسها تاج ملوكى مكلل بالجواهر لبس ملوك الافرنج وقد شدت وسطها بمنديل أخضر مكلل باللؤلؤ الرطب على ردف كأنه خارج من صورو ذلك الجوار عن يمينها وعن يسارها ولما نظر عنتر إلى هذا الجمال طاش عقله وزال لبه هذا والجارية قد أقبلت وهى تمشى فى حلل البهاء والكمال وتنقل أقدامها بتعجيب ودلال والجوار بين يديها وخلفها عند القدوم وهى بينهن كأنها القمر بين النجوم ومازالت تمشى وتتمختر فى ذلك المرج الأخضر حتى قربت من عنتر فلما رآها أندهش وتحير لأنه نظر قمر الاكل الأقمار وكان يغلب ضوء وجهها على ضوء النهار وعلى تلك الجوار الثياب الملونة مقلدين بعقود الجواهر المثمنة والكلاليب الذهب بأيديهم يرفعن أذيالها وهى بينهم كأنها البدر إذا بدر ولما وصلت إلى عند الملك هرقل بن قيصر وأبى الفوارس عنتر ولها وجه كأنه البدر التمام إذا انجلى عنه الغمام ثم أنها لما وقفت بين أيديهم سلمت وعلى وجهها صلبت فردوا عليها السلام وزادوا لها فى التحية والاكرام فعندها نهضت إليها المدكه مريم على الأقدام (قال الراوى) ولما حققها عنتر تاه عقله وتحير من حسنها وهام ثم أنها جلست بين السادات الكرام فلأ لها الكاس عنتر من صافى المدام وقد غلب عليه السرور والأفراح وناولها بيده الراح ثم أنشد وجعل يقول :

قلبى إلى من يحب يختاج ودمع عينى كأنه لجج

قال ولما سمعت الجارية من عنتر هذا البيت النفيس قبلت يديه والاقدام وأخذت قدح المدام وجلست إلى جانبه وجوارها بين يديه قيام هذا وعنتر قد حار من حسنها وجمالها وانبهر من

قدها واعتدالها ومن حسن صورتها وبهائها وكمالها وأما الملك هرقل فإنه غاب عن الوجود. وبقي حاضرا في صفة مفقود وقد نسي العشائر والجنود ولا يبقى له عقل موجود ثم أن الأمير عنتر أخذ القدح من يدها وملأها ثاني وثالث وهو يناولها وهي تتناول منه وتشرب وهو يلتذ ويطرب وأما الملك هرقل فإنه في محبتها فقدها وغرق في بحور الاوهام وما بقي يقدر يرد كلام وقد انعجم لسانه عن الخطاب والمرام وعنتر يقول للجارية شرفتينا بنقل أقدامك الينا يا بدر التمام وقد صار لك المنة علينا والفضل لدينا والسلام وان هذا اليوم علينا أبرك الأيام. (قال الراوى) فلما سمعت الجارية من عنتر هذا الكلام نهضت قائمة على الأقدام وصارت تتمايل كأنها قضيب بان أو غزال عطشان أو حورية خرجت من الجنان وقد غفل عنها رضوان ثم انها تقدمت وخدمت وقالت بلسان عربي فصيح ولفظ مهذب صريح وحق السيده أم النور والمسيح وما أعتقد من الدين القديم الصحيح لقد شرفت بكم الديار ورقيتنا من السعادة أعظم منار هذا وعنتر قد تعجب من فصاحة لسانها وعذوبة خطابها وبيانها لأن الافرنج وغيرهم من الملوك كانوا يعلمون أولادهم اللغات لأجل هذه الحالات فقال عنتر في نفسه وحق الواحد المنان الذى كل يوم هو شان ولا يشغله شان عن شان ما لهذه الجارية مثيل في هذا الزمان ولا أفصح منها لسان ولا أثبت جنان ثم أنه قال لمريم من يقال لهذه الجارية ست النسوان وما هو أبوها من الملوك والفرسان فقالت له يا فارس الزمان هذه المليكة مريمان بنت الملك الليمان الذى قتلته في الميدان وهي أخت الملك سرجوان الذى جندلته في حومة الميدان قال فلما سمع عنتر من مريم هذا الكلام وعرف أنها بنت ملك همام وقد علم ما لهذه الجاريه الا الاكرام والانعام فعند ذلك نهض اليها قائما على الاقدام وقد زاد لها في الاعظام وكذلك الملك هرقل ابن الملك قيصر عرف أنها من أهل السيادة والمقام فتقدم اليها وزاد لها في الاكرام وقد غرق في بحر الهوى والهيام وقد تعلق به مرض ما له دوى غير الوصال ولا التمام وبعد ذلك شرعوا في تناول الكاسات من المدام هذا وقد غنت لهم سائر البنات وترنموا بأصواتهم الحنكيات ورفعت الجوار الافرنجيات وقد صفت لهم الأوقات بتناول الكاسات وطيب اللذات وأخذهم الفرح والطرب والمسرات وعنتر قد طاب قلبه وتملى في هذه الاوقات وشرب من صافي العقار البكر المفرحات وهو يصيح من الفرح بلسان العربيات وقلب الملك هرقل قد التهب وقد وقع من حب الجارية في بحار الهوى والعطب قال ولم يزالوا على مثل هذه الحالات إلى أن بقي من النهار ثلاث ساعات فقال عنتر للملك هرقل أيها الملك الهمام ما تعول بنا على المسير من هذا المقام من قبل أن يدركنا الظلام ويغلب علينا السكر فلا نقدر على المسير ولا القيام فقال هذا هو الصواب والرأى الذى لا يعاب ثم إن الأمير عنتر التفت إلى شيبوب وامره بحضور الخيل ثم قال لمريم بازنية الملاح وكوكب

الصباح عن اذنك نسير و نطلب الرواح فقالت له يا أبا الفوارس الامر فى ذلك اليك و ما هنا أحد يتحكم عليك فعند ذلك تقدمت المسكة مريمان إلى عند الملك هرقل وقد سقته من كاسها و لثمت فمها بعصابة راسها وقالت له ياملك النصرانية وسيد أهل ماء المعمودية بهذا اسبق اليك من السيد المسيح الوصية فى حق الملكة الربعية حتى تخربون بلاد النصرانية وتهلكون ملوكهم بالكلية ولو فعل بنا غيركم هذه الفعال كنا استنصرنا بكم على الضلال وبعد هذا ياملك النصرانية اسألك فى اطلاق الملك كوبرت من الهوان حتى يكون لكم من بعض الغلمان ولا يخرج من حكمك مدى الأزمان فلما سمع الملك هرقل هذا الكلام تقدم إلى عندها وضمها إلى صدره وقبلها بين عينيها وقال لها ياروح الأرواح وحياة اشراق نور وجهك الوضاح وجمالك ياروح الارواح مالى فى اسر كوبرت لا قليل ولا كثير بل أن أمره إلى هذا الفارس الجراد الأمير عنتر بن شداد وأنا لأجلك اسأله فى إطلاقه من أسره وو ثاقه فإن أجاب إلى هذا الأمر فسيرو الاعتذار اليك من قلة الحيلة والقبول من ذلك التقصير (قال الراوى) فلما سمع عنتر من الملك هرقل ذلك الكلام نهض قائما على الأقدام له يامولاى وحق رب البيت الباقى على الدوام الذى لا تدركه الاوهام لو أن فى قبضتى كل من تحت السماء من الرجال الأبطال وسألتينى فيهم كنت أطلقتهم لك من الاعتقال اكراما لك ولهذه الملكة وجه الهلال وصاحبة هذا القوام الميال ثم أنه قال يا ملكة طيبى نفسا وقرى عينا فقد قبلنا سؤالك واجبناك إلى مقالك وغدا نكون الملك كوبرت هنا إن شاء رب الأرض والسماء ثم أنهم ركبوا وساروا وقد ذهبت الملكة مريمان وفى قلبها من الملك هرقل وما فيهما ون عاد الاوقد ترك عند صاحبه قلبه والفؤاد و مازالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى العشاء ونزل الملك هرقل فى مضاره وأجلس إلى جانبه الأمير عنتر (قال الراوى) ولما استقر بهم الجلوس وقد اطمأنت النفوس قال عنتر لأخيه شيبوب ويلك ائتينا بكوبرت إلى هذا المكان فما كان بأسرع ما حضر بين أيديهم فى ساعة الحال ولما حضر قبل الأرض بين يدى الاثنين وسلم على الملك هرقل وعنتر بافصح لسان واعتذر اليهما من فعله الذى قد كان فقال له الأمير مرادنا طلاقك فقال كوبرت يافارس عدنان وحاوى قصب الرهان أنا ممن لا يضيع عنده الاحسان وأنا أقسم بحق مكور الاكوان الذى خالف بين الليل والنهار وبين الملك والاديان أن هذه يدى لك بالوفاء على ممر الدهور والازمان واتخذنى من بعض أصحابك والاخوان حتى اسير فى ركابك أنا وجميع أهل مملكتى وأرباب دولتى وعشيرتى ولا أخرج لك من خلاف وأنت تكون عونى فى أمورى وشدتى (قال الراوى) فلما عنتر من الملك كوبرت هذا المقال علم أنه صادق فى جميع الاحوال فقال له الامير عنتر يا كوبرت اعلم ان هذه المدينة مدينتك وهذه القلعة قلعتك وهى تحت أمرك ونهيك وطاعتك لكن

استحلفك باعظم الايمان الشداد أن تكون من تحت طاعة الملك قيصر ولا تخرج من حكمه ولا يكون عندك عناد وتحمل إليه الخراج والعداد من سائر الأقاليم والبلاد وإلا وحق الركن والحجر والبيت العتيق المطهر ضربتك بهذا الحسام على وريدك طيرت به رأسك من بين كتفيك فقال كوبرت يا أبا الفوارس اذكر اليمين الذى تريده حتى إنى أنطق به من غير تعنيد فقال شيبوب يا ابن الأم أنا الذى أحلفه فقال له عنتر افعل ما بدا لك فتقدم فتقدم شيبوب إلى الملك كوبرت وأجلسه فى ساعة الحال وقال له يا ملك احلف وقل هذه الأقوال وحق الذى أتى من غير ذكر وبيعة قامة والدم المصور والاسلخة البطرق فى عيد الشعانين ولعنت الشماس والمطران وطحنت لحم الجمال فى بيت قمامة وأحرقت من على رأس شلخا الجاثلين القمامة وكسر الابريق الذى يجمع فيه البطرق الشخاخ والرجيع وأغضبت مريم وعيسى الحواريين الجميع قال الراوى فلما سمع الملك كوبرت من شيبوب هذه الايمان قال وحق المسيح إن هذه أيمان لا أستطيع اسمعها من إنسان ولا تدخل لى فى آذان فكيف أتقصص وأتجرع عليها وأذكرها بلسانى حلفونى بغير هذه الايمان فقال له الملك هرقل وعنتر ما نرضى إلا بهذه الايمان وما زالوا به حتى أنه حلف بتلك الايمان التى ذكرها شيبوب وقد صفت منه القلوب فعند ذلك أطلقه عنتر من القيود والوثاق وقد أنعم عليه وجاد له بالاطلاق وأكرمه بعد الاسر والهوان هذا والملك كوبرت قد فرح بما جرى واستبشر وعلى فعالهم حمد وشكر ثم أركبه الملك هرقل على جواد أشقر عال من الخيل مضمر بمركب من الذهب احمر من خيار جنائب أبيه الملك قيصر فركبه كوبرت وسار طالب المرج الاخضر وما عنده مما جرى خبر إلا أنه فرحان بما حصل له من الخلاص والفكاك بعد ما كان فى ضيق الخناق ووقعوة فى الاشراك وما زال يجد المسير إلى أن أتى إلى باب القصر وهو فرحان بالخلاص والنصر وقد فتحت له الابواب وقد اجتمعت عليه الأهل والأصحاب وعلت الضجة من جميع الاقطار بالفرح الكامل والاستبشار هذا ولما جلس الملك كوبرت على سرير مملكته وقص قصته على أرباب دولته وأخبرهم بكل ما جرى له مع عنتر فى حال غيبته ثم إن مريم صارت تحدثه بما جرى لهم من عنتر فى ذلك المكان وكيف قد سالت فيه المملكة مريمان ثم إنه صعد إلى القلعة وأرسل أحضر دولته ومدبرين مملكته ومن يلوذ به من أهله وعشيرته فما كانت إلا ساعة حتى حضروا الجميع من كل جانب ومكان وبصحبتهم البطريق والرهبان والقسوس والبطارق والمطران ولما إن حضر الجميع فى ذلك المحضر عرفهم بالصلح الذى وقع بينه وبين عنتر وقد وقف عليهم الخبر فما منهم إلا من فرح واستبشر وزال عنهم الهم والغم والضرر وفى دون ساعة شاع فى القلعة الخبر وبان الامر وظهر وما زالوا فى سرور وأفراح إلى أن طلعت غرة الصباح ودنت إليه ذلك الكؤسات

ونعرت البوقات هذا ولما سمع الملك هرقل وعنتر صوت البوقات والطبول وعرفوا الحال والمأمول (قال الراوى) وكان الملك كوبرت قد ركب عند الصباح الخيول الجرد القداح وركب معه سائر الفرسان من أكابر عشيرته والشجعان وخرجت معه القسوس والبطارق والرهبان والمطران وقد أخرج من قدامه الإقامات والعلوفات وسار طالبا الملك هرقل وعنتر ومن معه أكابر الافرنج والملوك والسادات هذا ولما أقبل تلقاه الملك هرقل وعنتر بالرحب والسعة والانعام وأنزلوه فى سرادق الملك هرقل وعنتر بالرحب والسعة والانعام وأنزلوه فى سرادق الملك هرقل والخيام وقد زادواله فى الاكرام وحيوه باحسن تحية واعظام ثم أحضروا ما راج من الطعام وأكلوا ومدوا أوانى المدام وأقام الملك كوبرت عندهم ذلك اليوم فى أرغد عيش وأهنا مقام ولما كان فى اليوم الثانى نقلهم الملك هرقل إلى القصر وزادهم فى الكرامات وقد صفت لهم الاوقات ونهبوها باللذات عشرة أيام متواليات وبعد ذلك شكا الملك هرقل حب الملكة مريمان إلى عنتر وباح إليه سره والكتمان وهم على خلوه ذلك المكان فلما سمع عنتر منه ذلك الكلام استدعى بالملك كوبرت فى عاجل الحال فلما استشاره فى الخطبة الجارية والاتصال قال له يا مولاى لابد من مشاورتها فى المقال فان رضيت وأجابت كان ذلك عنايه من السيد المسيح وإن أبت فانت لنا صليح قال الراوى ثم إن الملك كوبرت نهض من وقته وساعته وصار إلى أن دخل على الملكة مريمان وشرح لها أمر الزواج من غير حرد ولا انزعاج فكانت هى إلى هذا المقال أشهى من العطشان إلى الماء الزلال فاجابت بالسمع والطاعة وكان عندها من قومها جماعة فخرج من عندها وأتى عنتر وأطلعه على الخبر فنهض عند ذلك الامير عنتر وبشر الملك هرقل بن الملك قيصر بذلك الخبر ففرح واستبشر (قال الراوى) وقد حضر الملك كوبرت فى ذلك المكان وأحضر والبطارق والمطران وأمروا بزواج الملكة مريمان بالملك هرقل بن قيصر مالك عبدة الصلبان فعقدوا من ذلك الوقت عقدة النكاح على قاعده شريعتهم والايضاح وقد زاد سرورهم والافراح وقد دخلوا عليها فى تلك الليلة من غير مطال وقد شاهد الملك هرقل من اللطافة والحسن والجمال حتى سكر ومال وقد هاج كما تهيج فحول الجمال لانه رأى عنده صورة القمر الزاهر وقد بقيت الملاح عند مثل الليل العاكر لان خالقها قد أفرغها من قالب الجمال فصار هرقل كانه فى منام أو أضغاث أحلام وهو فى أمور تشرح وأحوال تفرح وفى تناول كاسات المدام وشرب الراح إلى إن أصبح الله بالصباح فخرج الملك هرقل من عند الملكة مريمان وأتى إلى عند الامير عنتر فالتفت إلى الجارية مريم التى هى السبب فى هذه النعم وقال لها إسمعينا الساعة شيا من الحانك وحسن لفظك وإنعامك وقد اشتقنا إلى سماع كلامك فعند ها دقت الجنكيات ولعبت العيدان ورقصت الجوار

الأفراحيات وزاد وفى الطرب ذلك اليوم وتلك الليلة ثم أن مريم أخذت عودا محكوك مبرود صنعة أبناء الهنود وحركت أوتاره ووضعته فى حجرها ومرت عليه بأناملها وتمكنت عليه بجوزة نهود صنعة مدبر الوجود . ضربت عليه طرائق حتى حيرت من الحاضرين الأفكار وطارت منهم القلوب وغابوا عن الوجود فأنشدت مريم تقول :

شجتك بالتغريب فى تغريدها　　　فظننت سعدا كان بعض عبيدها
وكان نغمة صوتها فى فمها　　　وكان رقة صوتها فى عودها
ففتتت الأكباد من حسن صوتها　　　والقد بين قريبها وبعيدها
كانت صنائع وصفها فكأنها　　　ورثت أصول العلم من داودها
تسبى العقول فصاحة وصباحة　　　فيحير بين طريفها وتليدها
من بهجة مكسوبة منسوبة　　　تفنى لعين الحاسدين عيونها
وأغار من لثم الكؤوس لثغرها　　　وأذوب من لمس الحرير لجلدها

(قال الراوى) فلما فرغت الملكة مريم من هذه الألفاظ الحسان طرب كل من كان فى ذلك المكان ثم أنها غيرت الايقاع وأشارت أيضا بهذه الأبيات صلوا على صاحب المعجزات

تحدر أدمع العين من أعين السحب　　　وقهقهة صوت الرعد من سحب الحجب
ولاحت بأرجاء السماء بوارق　　　من الشرق تبدو تارة ومن الغرب
إلى أن بدا جيش من الصبح مسفرا　　　ولاح بأنوار مطرزة الذهب
وغردت الأشجار من فوق فرعها　　　فهيج أشواق المحب إلى الحب
وقد أبدت الأرواح نفحات عطرها　　　إلينا وقد جاء السرور بذى القرب
فتى مجده من أين يقاس بغيره　　　على قمة الجوزاء والمرتقى الصعب
وتفهم من ألفاظه كل نغمة　　　تلذ بها الأسماع من منطق عذب
وإن كنت قد قصرت فى وصف مدحه　　　فان لسان الحال جوده ينبى
فلو كانت الأيام من طيب نشره　　　به نشرت بين الترائب والصلب

(قال الراوى) ولما فرغت الجارية مريم من أبياتها دنت من الأمير عنتر وقالت له بسم الله يافارس العرب من غير سوء الأدب فقال عنتر ياشيبوب قدم الجواد الأبجر فقدمه اليه فركب وسار والملك كوبرت وجميع الجوار مع مريم فى خدمة عنتر والملك هرقل بن قيصر وفى أيدى الجوار الشموع وهى فى مناور من الذهب الأحمر وهو الشمع المكوفر الذى فيه السر وهو إذا انطفت الشمعة من يد الذى يكون ماسكها يهزها فيعود ضوؤها كما كان فى سرعة ولا يتأخر (قال الراوى) ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا منازلهم بسلام وقد انصرفوا

لجماعة وانضجع عنتر بعد ذلك ونام واختلى الملك هرقل بالملكة مريمان بدر التمام وتمنى أنه لا يفارقها مدى الأيام وقضى ليلته معها بالبوس والعناق والالتثام وقل عنه العنا والسكلام وجرى بينهما العتاب والملام وبعد ذلك دخلوا إلى درا السلام وما أدرى بعد ذلك كيف جرى بينهما من السكلام وعند الصباح أقبل إليه الامير عنتر وهناه بعرسه وسأله عن ليلته وأنسه فقال له وحق المسيح ما كانت إلا ليلة تعد بليالى وبهمتك أنيا بلغت المرام ففرح عنتر بذلك وقال له يا ملك ما أنا إلا من بعض غلمانك ثم أقبلت إليهم أكابر البلد بالهدايا والتحف وشيء يعجز عنه الواصف إذا وصف ثم أنهم أولموا الولائم عشرة أيام متواليات وهم فى أفراح ومسرات وخلعوا على المقدمين والسادات من أحسن الخلع والملابس الملونات وصفت لهم الأوقات فعند ذلك تقدم كوبرت إلى هرقل والأمير عنتر وقال لهم يا موالى هل تنعمون إلى بالصعود إلى القلعة وتتشرفون على ما فيها من الخزائن والأموال والتحف الغوال فأجابوه إلى هذا المقال وقدروه بين الصواب فعندها نهض عنتر وهرقل وأكابر الروم مثل الحجاب والنواب وأصحاب الرأى الصائب وبين أيديهم الغلمان بالسيوف والحراب حتى وصلوا الدار التى خرجت منها الجوار وهو باب من الفولاذ بقنطرة معقوده على عواميد من الرخام عمودة مختلفة الألوان فتقدم كوبرت وقد فتح الباب ودخل قدامهم فى هذا المكان (قال الأصمعى) حدثنى من أدركته فى زمانى عن معمر بن بنى عبس وحكى لى ما سمعه من شيبوب أخو عنتر وقد قال لما فتح الباب وحصلنا من داخله نظرنا إلى درج نقر فى حجر أحمر وهو مرتفع بعضه فوق بعض لا يكاد أن يطوله إنسان إذا كان على ظهر الحصان وبيده رمح من الرماح الطوال وقد بنى سلم عريض قد أحكمنا الصناع وعرض السلم عشرون ذراع وطوله ثلاثون ذراع بالاتساع وقد أحكموه لأجل طلوع الخيل قال شيبوب فسرنا عن يمين الباب مقدار مائتين ذراع فرأينا باب ثانى أعظم من الأول بغاية التركيب وأحسن ولكنه مع هذا التركيب والصناعة المحكمة من خشب القاقلى والقمارى والمسامير من الفضة والذهب وهذا الباب أعجب من كل عجب وهى قد صنعتها الكهان فلما فتح الباب رأينا فارس طويل كأنه من أولاد قابيل وبيده سيف صقيل إذا ضرب جبل هده وهو مائل بكليته إلينا ومقبل بصدره علينا تخيل إلينا أنه إنسان حامل علينا بغير ارتياب عند دخولنا من هذا الباب وهو طويل عريض شجاع وقرم مناع فلله در تلك الصناع الذين أتقنوا تلك الايقاع وهذا الفارس راكب على جواد من أفخر الجياد فصاح أخى عنتر عند نظره إلى كوبرت وقال ما هذا الفارس الواقف فى طريقنا وما له حامل علينا وقصده يعيقنا فقال كوبرت يا أبا الفوارس ما هذا بطل من الأبطال وما هذه إلا صورة من النحاس الأصفر قد أحكمته حكماء اليونان من قبل هذا

الزمان فقال عنتر إذا كان هذا التمثال كيف حمايته لهذا المكان فقال كوبرت اعلم يا أبا الفوارس أو هذا التمثال إذا وصل إليه إنسان يد ور بسيفه مثل ريح الشمال فلو صادف سيفه هذا الجبل لقده قطعتين فقال عنتر وحق من لا تراه العين إن هذا التمثال أعجب ما يكون ثم أنه قال لكوبرت تقدم إليه وارجع حتى ينظر ماذا يصنع فسار كوبرت قليل حتى تقرب من الملك وإذا بالتمثال قد دار كالولب وانقض مثل الكوا كب فحار عنتر وقد أخذه العجب وقال لكوبرت وأى شيء يكون طلوعنا من هذا المكان وقد حصل لنا مثل هذا الشيطان ووقف لنا فى الطريق ومنعنا عن التوفيق فقال كوبرت أنا أبطل حركته ولا أدعه يتحرك ولا يفعل شيئا من صناعته فقال عنتر أفعل ما بدا لك وأرنا ما تصنع من أعمالك وفرجنا على أفعالك فتقدم كوبرت إلى التمثال ومد يده إلى طاقه بالقرب من هناك ومن داخلها سائر الحركات والأعمال وفى وسط تلك الطاقه درة وفى فم الدرة حلقة موصولة فى طابق من الرخام بصناعة وهندام فتقدم كوبرت ومسك الحلقة وأقام اللوح الرخام فبان من داخل اللوح سلسلة من الذهب الأحمر متصلة بساقية على البحر بقواديس من الفضة الحجر تحمل الماء وتصب فى حيضان من المرمر بمجار من النحاس الأصفر تصب فى مساق من الرخام الأحمر والأصفر والأبيض وتلك الفساقى بوسط القلعة المقدم ذكرها بمجارى أخرى من الرصاص متصلة إلى بستان ملآن من الأزهار النبات والأشجار والنخيل والأثمار وفى جانب تلك السلسلة سلسلة أخرى متصلة بساقية أخرى بقواديس من الذهب تملا من الزيبق متصلة بذلك التمثال المقدم ذكره الذى فى يده هذا الحسام الفصال فاذا دارت الساقية وصبت من الزيبق فتبطل حركة هذا التمثال ويجرى فى هذا المكان فيه قوى هذا التمثال على قتال الرجال وإذا أراد إبطاله الذى يعرف بحاله فيتقدم إلى السلسلة ويسحبها ويلتقوا بها الساقية المتقدم ذكرها وتبطل دورانها فيقف الزيبق فتبطل حركة هذا التمثال عبد الملك هرقل وعنتر والجماعة فى أسرع حال صنع كوبرت أما صنع من إبطال حركة التمثال عبد الملك هرقل وعنتر والجماعة فى أسرع حال وكان آخر من عبر شيبوب وولده الخذروف ولما عبروا وتقدم كوبرت وعنتر ينظرون إلى ذلك وإذا به قد عبر إلى طابقة أخرى ورفعها بيده فنزلت تلقى الطابقة المقدم ذكرها وحصلت فى مستقرها فجرى الزيبق فى هذا المكان ودار القتال كما كان هما وعنتر قد انبهر وحار بما عاين وأبصر من تلك الأحوال والصور ثم أنهم بعد ذلك الأمر الذى يذهل العقول قد صعدوا من المراقى إلى باب حديد آخر غير الأول عند ها دخلا منه إلى وسط القلعة فنظر عنتر إلى قلعة عالية البناء شاهقة فى الهواء فقال عنتر وحق من خلق الخلائق من الماء وجعل البيت الحرام آمنا وحمى ما هذه المكان إلا قريب عهد من السماء ثم أنه نظر بعد ذلك فرآها مبنية من

الصخر الاحمر مركب حجارتها نقر محكمة بأبراج عالية وسيعة أمينة وأركان عالية منيعة وهي حصينة وكانت هذه القلعة بين مدائن أربع وكانوا إلى ملك من ملوك الافرنج يقال له الملك صافات وكانت كل مدينة منهم حولها أربع جزائر وكانوا هؤلاء الجزائر يقال لها الواحات وما كان أحد من ملوك الافرنج له سبيل وكانت الملك يقال له جنطيانيل ملك الاندلس لانه كان بطل صميدع وكان الملك صافات من تحت أمره ويحمل إليه الخراج والمداد في كل عام وكان الملك صافات أحب ما إليه من هذه المدائن الاربع إلا جزيرة الواحات لانه كان يقيم بها أكثر الاوقات لانه منها خرج وفتح المدائن الاربع فكان أولهم قلعة البلور ورومة المدائن الكبرى التي ما مثلها في سائر القرى ومنها قد اشتهر الاسكندر على سائر الورى وكان فيها قصره الاعظم الذى فيه سائر النعم وكان طوله خمسة فراسخ في عرضه اثنين تحيرت في وصفه الناظرين وكانت أرض القلعة مفروشة بالرخام الاحمر والاصفر وحيطانها من حجارة المرمر ولها أربع صوامع كبار وكان عليها رجال لاجل المنع والحصار فيها بستان قد اجتمع فيه من سائر الاشجار وفيه من غرائب الاثمار والماء يدور فيه دائر يدور من اسفل الاصوار وفيه قصور عاليات وأركانها مشيدات وعلى حيطانها تصاوير ونقوش ترد البصر المدهوش وتشتاق لرؤيتها النفوس وأكثر أشجارها من الفواكه والازهار (قال الراوى) وكان الملك صافات كلما رأى هذه المدينة وما حوت من الاصناف المختلفات ما يهون عليه الخروج منها بل يخشى الكلام من أكابر البلدان يروه بين العجز والهوان فكان يخرج في كل وقت إلى ظهر المدينة وينصب الخيام والسرادقات ويأمر باحضار العشائر من سائر الجهات وقد ذكرنا أن هذه المدائن الاربع تحت حكمه أولهم قلعة البلور والثانية رومة المدائن الكبرى والثالثة قلعة الصنم والرابعة مدينة كيرونة ولما كان في هذه الايام بلغه خبر قتال الافرنج مع الارورام ومجىء هرقل بن قيصر في هذه العشائر التي لا ترام وكيف أتى معه عنتر بن شداد البطل الهمام وكيف قتل الملك الايلداز وابنه سرجوان وملكوا قلعة البلور وجزائر الكافور وما حوته من البساتين والقصور والاماكن والنهور وبلغه أن الملك كوكوت صادقهم بعد الحرب الشديد وصاروا بعد المعاهدة في عيش لذيذ والذى أتى له بالخبر قال احذر على نفسك واجمع العشائر والاجناد من قبل أن يأتيك الملك هرقل والامير عنتر ابن شداد (قال الراوى) فخرج في هذه وجمع العشائر من الخاص والعام وما حوته يده الدساكر والالزام فأقبلت إليه الافرنج هي مثل البحار الزواخر مالها أول من آخر وهي مقبلة إلى طاعته وسائرة إلى خدمته ولما تكاملت الفرسان فاعرضهم عليه فكانوا مائة ألف وسبعين ألفا من الافرنج المجربات وهم راكبون على الخيول العربيات لابسين الدروع والزرد الماديات بأيديهم الحراب الخطيات والقنطاريات والخلنجيات والدرق المركبات

ومتقلدين بالسيوف المشرفيات الهنديات وهم كأنهم السباع الضاريات إذا خرجوا من الغابات وفي سرجهم الديابيس الاندلسيات وعزم على الرحيل بعد أن استخلف بعده ابن عم له يقال له ميخائيل وترك عنده خمسين ألف بطل من كل فارس نبيل وأمره باليقظة والاحتراز وسار بعد ذلك يطلب جزائر الكافور وهو مثل الأسد المصور في تلك الساعة وجمع ذلك القسيس الذي أنفذ الملك كوبرت وأخبره بقدوم هذه العشائر كما شرحنا وسمع ذلك عنتر فازور منه البصر وهو ذو بحر فعند ذلك أمر عنتر للملك هرقل بالرحيل فدق كاس التحويل ورحل معهم كوبرت فكان عدة الجيش ثمانين ألف فارس من كل ذرع ولابس هذا والأمير عنتر قد سار في المقدمة على جواده الأبجر معتقل برمحه الأسمر وشيبوب بين يديه وولده الخذروف والجميع يتقربون بالخدمة إليه فعند ذلك جاش الشعر في خاطره فأنشد يقول :

تعلق القلب عبلة غير تعليق ... وأنت معها رهين غير موثوق

(قال الراوي) سار الجيش سيراً عنيفاً ثلاثة أيام حتى أتوا إلى مرج فسيح وماؤه يسرح وزهره قد فتح فقال كوبرت لعنتر يا أبا الفوارس أنزل بنا في هذا المكان لأجل راحة الخيل والرجال للحرب (قال الراوي) فأمر العشائر في ذلك الصحصحان ونزلت العشائر والفرسان ونصبت السرادقات وضربوا المضارب والخيام وقد أقام على أكل طعام وشرب مدام وأراحوا واستراحوا يومين تمام ولما كان في اليوم الثالث استشوروا في الكلاب ورحلوا طالبين جزائر الوحات وقد سارت من خلفهم الفرسان والشجعان من سائر الجهات والأمير عنتر سائر في أول الأبطال وهو مثل الأسد الريبال وقد أخرج من جلباب درعه وهو يهز هزات الأسد من شدة الغيظ والحرد ولما اتسعت عليه القيعان تذكر الأهل والأوطان والأصحاب والخلان وقد جالت عبلة في خاطره فباح بما كنت عليه ضمائره فأنشد يقول .

من حاكم بيني وبين عذولي ... الشجو شجوى والنحول نحولي
أصبحت في بحر الهوى متفرداً ... وأنا أخاف عقوبة التعطيل
عجب لقوم لا تلين قلوبهم ... لحريق قلبي في الهوى ونحولي
في أي جارحة أصون حبيبتي ... سلمت من العذيل والتنكيـــل
إن قلت في عيني أصون مدامعي ... او قلت في كبدي فثم عليـــل
والشيب لما إن سكن في مفارقي ... فعلمت أن نزوله لرحيـــل
إن كنت تركت الحي لا عزلي ... وبدت برأسي حجة التشكيل
حتى إذا ما العين عن اللحظة ... أرمي يقاربه عن كل سبيـــل

شيب تبدى مثل صبح طالع وفراق أحبابي وفرط نحول
ولقد سريت إلى العـــدا جحفل قد حصنوا بذوابل ونصول
لي قلبي يحكي العاج مفضضا في غرة فيه وفية تحجيل
يحلو بتحليل اللجام كما زهى ملك محل الرأس في التعديل
حتى إذا سمع العداة سهيله ولوا وقد خابوا بكل سبيل
فرت جيوشهما تجد كأنها أسد تجد وراء كل هزيل
يا عبلة إني عاشق فتحكمي في مهجتي يا غاية المأمول
يا عبلة ما زال الزمان معاندي وأنا الحور لزمانه لحول

(قال الراوي) فلما فرغ الأمير عنتر من إنشاده وترنح الملك هرقل بن قيصر على ظهر جواده وحق المسيح ماهذه إلا فصاحة وافرة وشجاعة باهرة فلله درك يا أبا الفوارس فما لك في هذا الزمان مقايس ولا منافس لا في الفصاحة ولا في البيان ولا أجرأ منك جنان ولا أثبت منك قلب في الميدان فالله يبلغك آمالك ويصلح صدرك وشأنك وينصرك على كل ما تؤمل من العدى والحسا. فدعا له عنتر وله شكر وترجل إليه وقبل وجنتيه فقبله هرقل بين عينيه ولم يزالا سائرين وهما يقطعان السهول ومكثبان ويتحادثان فيما يقول وما كان (قال الراوي) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من أخبار الملك صافات فإنه لما رحل بعشائره والأجناد وخرج من أرضه وبلاده طالب الملك هرقل وعنتر بن شداد ومازال كذلك حتى تقاربت العشائر من بعضها البعض وطلعت عبايرها واسودت منها أقطار الأرض وقرن اجتماعهم في مكان يقال له وادي الآس فعلا منهم الضجيج لأجل اختلاف الأجناس ونمت بوقاتهم مع دق الكوسات فهربت الوحوش من الغابات وارتجت سائر الجبات ولمعت برق الصوارم مع سحائب الغبائر المرتفعات وصهلت الخيول العربيات فشوقت إلى الحرب قلوب السادات وهان على الأبطال شرب كاس المات وقد جرت لهم في الحرب عادات وما فيهم إلا من لاح له وجه الطمع والنصر بعلامات لما خفقت البنود والرايات فكانوا كما قيل فيهم هذه الأبيات :

جيش بدا عند الصباح المسفر والخيل تركض عند الرياض العنبر
والطل من فوق الشقيق كلؤلؤ رطب على فص عقيق أحمر
والآس في أرجائها كزبرجد والياسمين معبق ومعنبر
والأرض قد كسيت بحلائل وعرائس ناهيك عن ذهب يصاغ بجوهر
وكتائب قد أقبلت وعساكر ومقادم أكرم بها من عنصر
والبيض تلمع في العجاج كأنها برق تلالا في سحاب ممطر

وليوث غاب مثل آجام الفلا | يسمون فى حرب السكى الاحمر
متقلدين صوارما مصقولة | خضر من اتصاع الحديد الأخضر
والأرض ترجف من زلازل ركضها | من وقع حافرها وسط المحجر
والوحش قد جفلت كذا من كرها | والطير محجوب الغبار الاكدر
والموت قد نسج الغبار سرادقا | أطنابهن من الوشيح الأشمر

(قال الراوى) وفى تلك الساعة أشارت الطوائف إلى بعضهما البعض من غير إطالة ولا مراسلات بل انطبقوا عليهم مثل البحار الزواخرات وكانت لهم ساعة عظيمه لا تشبه الساعات ومدت القناة والقطاريات ولمعت أسنة الرماح السمهريات وطارت الرقاب بمضارب السيوف المشرفيات وسقطت الجماجم على أغصان هياكل القامات وجرت الدماء مثل السحائب الممطرات وزعجرت الافرنج بلغات مختلفات واستغاثت بالقسوس والرهبان وارتفعت على رؤس الطائفتين الصلبان وصاروا بالمسيح ومارى حنا المعمدان وزعقت الروم باسم عيسى ومريم وطعنت باسنة الرماح فى الاجساد وودعت الارواح الأجسام توديع الفراق وصعدت الغبار حتى أظلمت الآفاق ونزلت عليهم الأقدار والأحكام بانقطاع الآجال والأرزاق ولسعتهم اسنة الرماح الدقاق وعجلت لهم المنون والمحاق وء ت عن ذلك ألسن الحذاق وفى آخر النهار ترجل الملك صافات وقاتل مع أجناده قتالا حارت منه الناظرات وسطا على الفرسان سطوه الغضب وخطف أرواحهم ونهب أموالهم وفرق المراكب سرب ونظر عنتر إلى فعاله فخاف على رجاله فصدمه صدمة الأسد الضرغام وجرى بينهما حرب تحيرت منه الأوهام وتشيب منه الأطفال قبل الفطام ومافرق بينهما إلا الظلام وعادت الطوائف إلى الخيام وقد زعجت الروم على الافرنج اللئام بقتال عنتر الفارس الكرار وخسرت عساكر الملك صافات وظهر عليها علائم الانكسار ولولا خوفها الملك صافات لكانت طلبت الفرار ولكن صبرت على البلاء خوفا من العار وسكنت عساكر الروم بعض خيام الافرنج والرجال ولكن رجعت وهى تشكوا إلى عنتر مالاقت من القتال إلا أنها صارت تشكره وتثنى عليه وتشير بالدعاء إليه فهذا ما كان منهم (قال الراوى) وأما ما كان من الملك صافات فانه رجع هو فى أعظم البليات وجميع أرباب دولته ومن يعتمد عليه من بطارقته وقد استشارهم فيما يفعل فى دفع هذا البلاء الذى عليه قد نزل وهل يقيم قدام الاعداء أو يرحل لانه نظر منهم ذلك اليوم فى القتال ما حير منه البصر ويذهل النظر فقال له أرباب دولته ومن يعتمد عليه من رؤساء مملكته أيها الملك ما فى هذا الأمر إلا أننا نصبر على قتال الاعداء ولو جرعونا كؤس الرداء فان رزقنا عليهم النصر فى غد وإلى التجأنا إلى ذلك الجبل الطويل وتطاولهم فى القتال وترسل إلى ابن الدير

والشاهد ونسأله أن يكون عونا لنا على هؤلاء الاعداء ومساعد ومتى وصل إلينا هان أمر هؤلاء الأعداء إلينا فقال الملك صافات وحق المسيح لقد أشرتم بالصواب وما هؤلاء الكلاب إلا هذا الأسد الوثاب وكان هذا الفارس الذى ذكروه الافرنج فى نفسه شيطان من صورة إنسان ما كان إلا من عفاريت سيدنا سليمان وله حديث عجيب وأمر مطرب غريب لأن أمه كانت من بنات الافرنج الكبار وكان أبوها ملك يحكم على أقاليم وأمصار وعشائر وانفار فى جزائر البحار وكان عاش عمرا طويلا حتى كبر سنه ودق عظمه ولم يرزق من ظهره ولد ذكر يجعله عهده ويرث الملك من بعده فعندها جمع أرباب دولته ورؤساء مملكته الذين يعتمد عليهم فى شدته وقص عليهم قصته وعظم بليته من ضعف قوته وزيادة حسرته وانقضاء مدته وما رزق ولدا من زوجته وقد آن أوان رحلته وقال فى آخر كلامه وكنت أطلب من المسيح أن يرزقنى بولد مليح حتى يكون ولى عهدى ويرث الملك من بعدى فقال الحاضرون أيها الملك الرأى أن تنفذ إلى الديور والصوامع النذور وأكسى الصوامع والكنائس من الخطة والستائر واطلب من المسيح هذا الولد ولا تكن من رحمة ايس فأجابهم إلى ما ذكروا وفتح خزائن أمواله وفرقها عن الرهبان وأهبان وأهل الديورة والقسوس والمطران وزار الكنائس والديورة والصوامع واجتهد وتعبد وطلب من المسيح هذا الولد فرزق من زوجته هذا العام بنت مليحة جميلة صبيحة فاغتم لذلك غما شديدا وكان مؤملا أن يرزق ولدا رشيدا حتى يدوم ملكه ويذكر إلا أنه لما رزق هذا البنت هبة المسيح وطاف بها الكنائس والديورة والصوامع وسائر المواضع وطاف بها عابد الرهبان والقسوس والمطران ولم يزل يحسن فى تربيتها ويجتهد كل الاجتهاد حتى كبرت وبلغت الارشاد فطلعت على زيارة الديورة والصوامع وسارت بين الرهبان القساسة وكل مطران زاهد ولم تزل على ما هى عليه أياما وليالى وهى تكثر من زيارة دير كان قريبا من مدينتها وكان به راهب من الرهبان يقال له الداهب سمعان فاحبته تلك البنت حبا شديدا ما عليه من مزيد حتى صارت من محبته فى هيمان ومن محبتها له ظهرت الرهب وصارت منفردة لوحدها وهى ملازمة هذا الراهب صاحب الدير وتفعل مع الرهبان والقسوس فعل الخير وتنفق عليهم المال الكثير وفرح أبوها بذلك وأمها وأجابوها إلى ما طلبت من فعلها إلى أن وجدت الخلوة بالراهب وحدثته بقصته وطلبته إلى نفسها فعند ذلك أجابها ولم يعرض عنها ولم تزل فى محبته مدة يسيرة وكان أبوها وأمها يقدمان اليها فى رأس كل شهر ويقصدون زيارتها ولما مضى على ذلك الأيام قلائل حتى مات ذلك الراهب وكانت قبل موته حملت منه وقد كبرت بطنها وبان عليها حملها وقل نشاطها وزاد بها الكسل فسألها عن ذلك وقد

تغيرت أحوالها فقالت لها أمها ما أعلم لذلك سبب إلا أنى أحدثك بحديث عجيب وهو أنى كنت فى بعض الليالى راقدة فى ظلمة الديور وكان قلبى بايت فرحان مسرور وإذا أنا بشاهد والراهب الكبير قد أقبل إلى وهو مذعور وضربنى من وسطه بعامود النور وهذا الذى جرى لى من الأمور وحق العذراء أم النور فعلمت منه من ليلتى وهذا تمام كلامى وقصتى (قال الراوى) فاسمعت أمها كلامها فرحت وزاد ابتسامها وأعلمت أباها بالخبر ففرح بذلك واستبشر وأتى إليها وصار يلمس على بطنها بيده ويتبرك بها وقال لها الآن يا بنيه من بقى يفاخرك من بنات الافرنجيه وقد حملت من راهب الدير والرباز (قال الراوى) ولما انقضت مدة الحمل أتاها الطلق كما أراد خالق ووضعت مولوداً ذكراً كأنه فلقة القمر فقالت لابيها يا أبتاه بماذا اسمى هذا الغلام فقال سموه ابن الشاهد والديولان وجهه فيه علامات الخير (قال الراوى) فسموه بذلك الاسم وانتشى هذا الغلام وخرج فارس همام وأسد ضرغام وتفرس على أقرانه وكمل علاه وفرحت به أهلها وأصدقاه حتى ملك سائر البلاد وزلت له رقاب العباد وصارت ملوك الجزائر تهاديه وبالتحف والأموال تداريه وكان شجاع بلاد الاندلس وفارسها وحاميها وكان من جملة من يتحفه بالأموال والهدايا والتحف الغوال هذا الملك صافات ملك جزائر الواحات ويطلب بذلك كف أذاه عن بلاده ودفع شره عن عساكره وأجناده وكان بينهما مودة قديمة ومحبة عظيمة وكان الملك صافات له عنده قدر وقيمة ولما جرى له مع عنتر ما جرى وشاور أرباب دولته فيما ترى فأشاروا عليه أن ينفذ إلى هذا الفارس ويسأله أن ينجدهم بشجاعته فى الصدام فاجابهم إلى هذا الخطاب وقد رآه عين الصواب فانفذ إليه جماعة من الحجاب وأقام ينتظر رد الجواب وهم فى هموم واكتئاب فهذا ما كان منهم (قال الراوى) وأما ما كان من عنتر وعشائر الملك هرقل ابن الملك قيصر فانهم نزلوا فى الخيام وهم فى فرح زائد وابتسام وقد عولوا أن ما بقى لاعدائهم ثبات ولا مقام (قال محمد بن هشام) ولما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح ركبت الفرسان على ظهور خيولها وقد اشتهرت مضاربها ونصولها وشمرت على الخيل ذيولها وطلبت عنتر بن شداد جميع العشائر والأجناد وكان عنتر فى أوائل الجيش راكباً على ظهر جواده الابجر مثل ملك الموت إذا تصور هذا وقد طلبت الافرنج عنتر بن شداد فحملت عليها الروم وعنتر فى أوائلها وعمل فى ذلك اليوم عمل حير الشجعان ودحرج الرؤس كالاكر ولم يزل معهم فى القتال بالصارم الذكر مدة سبعة أيام وثمان ليال دارت الحرب بينهم قائمة على ساق وقدم والرؤس تتناثر من على قامات الابدان إلى عاشر الايام وفى اليوم الحادى عشر ضعفت الافرنج وقل نشاطها وظهر عليها الانكسار وعولت تطلب الهرب والفرار فبينما هم كذلك وإذا بغبار قد ثار واسودت منه الاقطار واحدقوا إليه بالابصار وقد علموا أنهم أنصار وأما الفرسان

القادمة لما رأوا الطوائف فى لمعركة والرماح بينهم مشتبكة ورأوا طائفة الروم على الافرنج فائقة فاكبت رؤسها وحلت مثل الابالس وفى مقدمتها الفارس المغوار والبطل الكرار وهو ابن الدير والشاهد لأنه لما وصل إليه رسل الملك صافات فاوجد الدقرار ولا ثبات بل سار فى هذا الدسا كرالجرار ولما وصل بهذه الفرسان كما ذكرنا فى هذا الديوان ونظر عنتر إلى عظم هذه صدمه صدمة أعظم من صدمته ولما رأى الملك صافات إلى تلك الحالات زعق على الافرنج فحملت وعلى القتال عولت ولنار الحرب أشعلت وعنتر يشجع فرسان الروم ويحمل حملات تزعزع الجن من تحت التخوم وينثر بسيفه الجسوم ويترك الرجال تقع وتقوم حتى أنسدل الظلام وقد طلبوا الانفصال من الحرب فامكنه ابن الدير والشاهد بل قوى عزمهم على الأهوال والشدائد هنا لك حقت الحقائق وعمل السيف الماحق والرمح الخارق وعلم عنتر مراد الافرنج اللئام فبذل فيهم الحسام واجرى دماءهم من الاجسام ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل وهى تغلى كغليان المرجل حتى صار قريب السحر وبان لهم ملك الموت وظهر الرؤس كالاكر وضاق الميدان وانحدر وتصادمت الشجعان والتقى الجمعان وخرق السنان الامعاء والمصران وعمل الحسام اليمان فى الجماجم والابدان حتى سار كيوان وأدبر الدبران ومالت كفة الميزان وسط السرطان واشترى المشترى الأرواح بابخس الأثمان وانحط سقاء الدلو بعد ارتفاعه إلى محل الزبرقان وحار الحوت عند ما حوت بحر الحيوان وفارقته الثريا والخلان وزحزح زحل عن موضعه وطلب الامان وطبقت الافاق من الاشرار صنعة الملك الديان الذى لا يشغله شأن عن شأن فسبحان من يخضع له كل سلطان وكانوا كما وصف فيهم بعض فضلاء الزمان حيث يقول .

أكرم بذورز يار فراح المنى ... مستصغرا ولعذرها مستكبرا
أمست تعاذلنى الغزالة والدجى ... متلاطم الامواج جياش القرا
والبدر فى أفق السماء كأنه ... فلك قد اتخذ النجوم معسكرا
وكانما الزبرقان يقدم صحبة ... بطل اتى بكتيبة متقاطرا
وكانما الجوزاء حين تفرقت ... أجصادها عقد لهـا متعثرا
والليث قد مد الذراع كأنه ... يبغى الوثاب مقدما ومؤخرا
وترى السهام كأنه الجاسوس فى ... جنب الجبين حاذرا أن يظهر
والقلب مكسور الخطا فكأنه ... عان لواقان قيده مستاسرا
وتخال ميزان حمله من جدية ... خل المريخ ضم خال أحمرا
وسهيل يخفق دائما فكأنه ... قلب الجبان رأى الوغا فتاخرا
وتقابل النسران هـذا واقع ... وأخاه طار محلقا وحذرا

حتى إذا برز السماك مصمصا وغدا يكر برمحه متدبرا
وافا أخوه الاعذلى المشهور فى طلب النزال بلاصلاح بذكرا
ودنا خميس من خميس يرتمى غار الصباح على الصباح ناسفرا

(قال الراوى) ومازال القتال يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل وماء الفرسان تبذل من الجراح والأبطال تتأسف على فراق الأرواح وتتناهل من شرب الموت أقداح من سمر الرماح وحد وبيض الصفاح حتى جرى الدم وساح على الروابى والبطاح وازورت المقل الصحاح وعدم القوم الفلاح وخاف الشجاع الافتضاح وولى الجبان وطلب الرواح وقد سمحوا القوم بالارواح من بعدما كانوا بها شحاح إلى أن انار ضوء الصباح وقد تكسرت من الضرب الصفاح وتقصفت من الطعن الرماح الاعنتر فانه ما استراح إلى أن قفز إلى الميدان وجال بين الصفين واشتهر بين الفريقين ولعب برمحه بين العسكرين وسل سيفه الابتر وهدأ مرج جراده الابجر وجاشت عبلة فى خاطره فحن إلى قربها والنظر إلى وجهها فانشد وجعل يقول

طربت وهاجنى صوت الصوائح غداة ثار منها سفوح ونازح
ومالت بى الاعداء حتى كاننى تردد فى صدرى من الوجد قازح
يذكر قلبى عبيله حيث دونها صحاسيح يبيد بقتلى صفائح
لعمرى لقد أحذرت لو تعدريني وميزان صدقى بعد ذاك راجح
عبيلة كم من يوم صعب شدته له منظر بادى النواجذ كالح
وبكر فلاة لم تخف واستظامت ولا اقتصها من قبل مهرى نا كح
كشفت خمار الصون عن خروجها صبح اللثام الشرف فى الحروب جائح
انكحتها يقظان من نسل لاحق فامست به من عمقها وهى لافح
من الشهب فى إدراكه الشهب طامع فناظرة نحو الكواكب طامح
أخوض به بحر العجاج لدى الوغا واورده حوض الردا وهو طامح
وقومى منسوج الجديد عليهموا بكانحهم فيه العدو المكافح
وأن مشوا فى السابقين حيتهم بمسلول وقد هاجت بين النوائح
تواحف زحفا إذ تراع كتيبة تطاعنها أو يذعر القوم طابح
ولما التقينا بالجزار تصففت وطاحت بهم فى السابغات الطوابح
ودرنا كما دارت على قطبها الرحا وجارت على هام الرجال الصفائح
ودمنا على ضرب النصال ولم يزل تسيل الدما حتى بدا الصبح كاسح

تداعت بنو عبس بكل مهند   صقيل يهد الهام والموت لائح
وكم بطـــل كان سنانه   شهاب بدا فى ظلمه الليل واضح
كذا هو مابين أنين ومزبد   وبين قتيل غابت عنه النوائح

(قال الراوى) ولما فرغ عنتر من إنشاد هذه الأبيات نادى بصوت سمعه جميع السادات أبرزوا يا أرباب الرايات فانا أعلم بانواع السمريات العالم بما مضى وما هو آت الا ان عن البنين والبنات ما أرجع إلى وطنى ويكون فيكم عزمات إلا بعد قتل ملككم صافات وأخذ جزيرة الواحات فدونكم الآن والبراز وسرعة الانجاز وكان عنتر يشير إليهم بالكلام والملك صافات وابن الدير الشاهد قيام ما يعلمون ما يقول بل نظروه يجول ويأخذ الميدان عرضا وطولا فعرفوا أنه يريد البراز كما جرت عادة أبطال الحجاز فهم الملك صافات أن يحمل عليه فنزل ابن الدير والشاهد عن الجواد وتقدم إليه وصلب على وجهه وقبل يديه وقال وحق المسيح لا يسبقنى اليوم أحد إلى البراز حتى آتيك برأس هذا الأسود فارس الحجاز فلما سمع الملك صافات هذا الكلام زاد فرحا وابتسام وخلع عليه وخرج بعدها إلى الميدان وهو راكب على ظهر حصان يسبق البرق فى اللمعان وعليه درع مضىء وعلى رأسه بيضة لامعة مشرقة ساطعة معتقل برمح أسمر له سنان يطير كما قال الشاعر حيث يقول

مزقت فى معرج الهيجا شموطها   فى مارق يوم بيض البيض ممتزق
بكل أبيض ماضى الحدين تحسبه   صبحا عليه من دماء الأبطال كالشفق
إلا على غمده أن لا يراجعه   إلا إذا عاد محمرا من العلق

(قال الراوى) وكان تحته جواد أدهم مجتمع ململم بحافر كالدرهم إذا صهل كأذان يتكلم كلون العندم (قال الاصمعى) ولما برز إلى الميدان فى تلك العدة وهذا الشان صاح على الحصان فخرج من تحته مثل هبوب الرياح أو البرق إذا برق ولاح فالتقاه عنتر بقلب لا يخاف ولا يرعب وقد اعتركا فى الميدان ساعة من الزمان وقد ثار على الاثنين الغبار وتسردق برداء الضرب واختلف وكثر الضجر والاسف وخشى عليهما من التلف وقد نظر ابن الدير والشاهد أنه فارس ثقيل العيار وبحر لا يدرك له قرار قد إليه القنطاريه ورمى وحده عليه وطلب الانجاز فصبر عنتر عليها إلى أن قاربته وقد ثبت إلى أن حاذته وضربه طيرها من يده وقد أذهله وأبهره وبعدها صاح عليه واستقبله بسنان أصلب من الحجر وابن الدير قد خار وانبهر وأراد أن يلوى عنان جواده ويرجع فضربه عنتر بالضامى الابتر على قمته وقد استتر بطارقة فقطعها السيف نصفين ونزل إلى البيضة قدها ووصل إلى رأسه شقها شطرتين وإلى جسده تركه قطعتين ورماه على الارض دلوين وبعد ذلك أشار عنتر إلى الروم برأس السنان فحملت من كل فج مكان وقد

حملت على طوائف الافرنج وهي تصيح بفرد لسان وصارت تستغيث بالذبيح ولما نظر هرقل ابن قيصر إلى فعال عنتر حمل إلى نحوه بباقي رجاله وقد جردوا البيض الرقاق وشرعوا أسنة الرماح الدقاق وخاضوا في بطون القتلا بالخيل العتاق وقد نشر عنتر برأس السنان الابطال وبددها وهتك بسيفه الدروع وبددها ولعب بمهج الفرسان وقطع بسيفه المفارق والاوصال ولما نظرت الافرنج ملوكهم قتلى وعلى وجه الارض جديل فعولوا على الهرب وقد وعاينوا من عنتر الموت والعطب فثبتهم الملك صافات ونحاهم المقادم والقادات حتى طيب خواطرها على القتال وقد انضمت واشتعلت نار الحرب واضطرمت وحارت الخواطر واندهلت والدماء من الجوارح انهلت والرماح الطوال وانحطمت المراكب تقطرت والهزائم وقعت والانذال تأخرت والابطال تقدمت والصدور تخسفت والاعلام انكست والخيول ارتاعت والرجال تقطعت والحبال اهتزت والارواح راحت والدماء ساحت والرؤوس طاحت ولم يزل السيف يعمل إلى أن قارب الظلام وخيمت مواضع الاقدام فعند ذلك رجعت كل طائفة تطلب مضاربها والخيام والدماء تسيل في الاجسام وهم يتأسفون على من قتل من السادات والاجناد والملك هرقل وعنتر قد نزلوا في السرادق الكبير وكان من الديباج والحرير وقد تركوا أمر القتال وتدبير الحرب والنزال فقال عنتر لهرقل يا مولانا وحق خالق العباد ورافع السبع طباق لا بد عن قتل الملك صافات نسل الاوغاد وأن من معه الاجناد وأجعلهم عبرة بين العباد وتدوس أجسادهم الخيل الجياد لانى علمت لولا ثبات هذا الفرنان كانت الافرنج قد انصرفت إلى ديارها من زمان خوفا على أولادها والنسوان ففرح الملك هرقل بكلام عنتر وقد انشرح بهذا القول صدره واستبشر وقام طالب خيامه وقد زالت عنه أوهامه فهذا ما كان من هؤلاء (قال الراوي) وأما من كان من الملك صافات فانه رجع إلى خيامه وجمع أكابر قومه وشكا لهم حاله وما عاين من عنتر وقتاله فقالت له أرباب دولته وأكابر مملكته وحق المسيح الموجود ورب القديم المعبود ما قتل اليوم فرساننا وأباد أبطالنا إلا هذا العبد الاسود والجحجاح الجاحد لانه قد فينا بسنانه العسال وحسامه النصال فقال الملك صافات لما سمع هذا المقال إن كان خوفكم من هذا العبد الاسود فأنا غدا أتركه قتيلا عندنا أو آتي به أسيرا مقيدا وقد هان الامر وتدبر وانقضت الاشغال وانكسر هذا الجيش ومال فطاب قلب الرجال لما سمعوا من ملكهم هذا الكلام ورتب الحرس بعد ذلك إلى أن بان ضوء الصباح فركبت الابطال الجحاجحة الفاح وقد جردوا الصفاح وتبادروا للحرب والكفاح ولما انتظمت صفوفها واعتدلت ألوفها كان أول من طلب الحرب واعتدل للطعن والضرب الامير عنتر بن شداد وقد ركب الجواد إلى أن سار بين الفريقين واشتهر بين الطائفتين ولعب بسيفه بين الجيشين حتى حير العقول والاذهان وطلب براز الابطال والشجعان

وقد أخذ الميدان عرضا وطول وأشار ينشد ويقول هذه الابيات :

أرى كبدى من لوعة البين محرق … وجفنى من ماء الصبابة غارق
فلا دمع جفنى مطفئا نار لوعتى … وقلبى وأحشائى تذاب وتحرق
لحا الله من يلجأ محبا إلى الهوى … وأحشاؤه من لوعة البين تخفق
سيبقى الله أياما نعمنا بقربها … من السحب هطالا يسيح ويدفق
عبلة فى قلبى من البين لوعة … وقلبى من حر الصبابة مشفق
فمن مخبر عنى العداة بأننى … أصول بعزم صادق ليس يفرق
وكان صحبتى أبناء معد وغالب … وراياتهم فوق الرؤس تحقق
كأن هبوب الريح فوق فروعها … صواعق رعد للاعادى تحرق
وحولى من أبطال عبس فوارس … وجوههم مثل الأهلة تشرق
لهم يوم كسرى والأعارب وقعة … سال الدما على الأرض يزهق
رجال غطاريف اسود غوالب … ليوث لهم قلب الأعادى تحرق
لهم صولة صوله يوم الهياج بعزمة … يقصر عن ادراكها كل حاذق
ولو قصدتهم عند اللقاء راياتهم … اسود عبس فى الغبار المسردق
ن ساروا اهتزت الأرض من تحتهم … إذا ماجت الفرسان فوق السوابق
هم بنو عمى وذخرى ومعشرى … علوت بهم على كل خصم مسابق
تراهم فرسن المنايا وكم لهم … وقائع مخضوبة بغرب ومشرق
لا أيها الافرنج والعلج فاسمعوا … نظامى ولا تتعرضوا للمطابق
ن استنقام الحرب والضرب منهموا … إذا سار الفرسان فالحرب زاهق
دونكم الكاس الذى قد نهلتموا … تزوقوا اسكم ملانه بلا تدافق

(قال الراوى) وما فرغ عنتر من شعره حتى تمخضت جيوش الافرنج وترجل منهم ألوفى من الفين فارس وبينهم فارس راكب على حصان شجاع طويل القامة والباع ثابت الذراع وعليه درع ضيق العدد وله لماز وبريق مليح وشيق بوذسنة الرماح والمزاريق كأنه ملك الموت لا يبقى على عدو ولا صديق (قال الراوى) وعلى رأسه بيضة عادية مدلة مجلية ترد مضارب السيوف الهندية وبيده نمطارية خلنجية بالذهب مطلية وتحته جواد من خول البحر الجياد يصلح ليوم الطراد ملسح الثبات وكان هذا الفارس الملك صافات صاحب جزائر لواحات ثم أنه صار وجال ولعب فى الميدان عرضا وطولا وزعق زعقة عظيمة ونادى بلسان الافرنج هل من مبارز هل من مناجز اليوم يوم المزهر فلا يبرز الا عنتر فارس الحجاز فلما تم كلامه حتى انقض عليه عنتر انقضاض الباز ولكز جواده بالمهماز ولاصقه بلا فزع ولا

ارتجاج ونادى دونك والفارس الكرار والبطل المغوار ليريك عجبك والاعتبار فعند ذلك تقدم الملك صافات ودمدم وسب عنتر وشتم وكان جبار لا يلتقى بشجاعته عند اللقا شديد القلب صبور على الطعن والضرب وحمل على أبى الفوارس وصال عليه وجال وطلبه ومال بكليته اليه وصرخ صرختين رفعت الخيل لهما رؤوسها ثم أشار إلى عنتر وقال له دونك يا أسود والقتال حتى تذوق من سنان رمحى الوبال فمال عنتر إليه وجال وجرى بينهما حرب وطعن كفاح ونظر عنتر أنه فارس جحجاح فزعق بنفسه وصاح ورقى نفسه على البلاء وخاطر فى طلب العلا وقارب خصمه ودنا ولم يزل الا كذلك حتى حك الركاب والتقا بضربتين أخف من نظر العين إلا أن عنتر كان السابق فصادف سيفه قلب الملك صافات خرج من نقارة ظهره ولما حلت بالملك صافات هذه النكبة والغلبة صلبت الروم على وجوهها من عظم تلك الصرخة وخامر قلبها الفزع إلا أنها لما رأت ملكها قتيل وعلى وجه الأرض جديل فصاحوا صيحات عاليات وحملت الفرسان من سائر الجهات وضجت الطوائف من كل مكان وحملت عشائر قيصر مثل النيران وفى مقدمتها فارس عبس وعدنان وقد اختلط الجمان وكذلك المشايخ والشبان ونشط من كان كسلان وضاق بالفريقين وسيع المكان وقال عنتر لأخيه وولده ويلكم احموا انتم ظهرى حتى أورجكم على كرى وفرى وانظروا ما يجرى من فعلى ثم جعل يصدم تلك الامم وينكس علما بعد علم ويضرب بسيفه القمم ويخترق الصفوف ويجزع الانوف حتى أنه لحق حامل العلم الأخضر والصليب الجوهر وطعنه طعنه ليث قسور فمال العلم وانكسر ولما رأت الافرنج علمها وانكسر وملكهم بجندل معفر وضربات عنتر لا تبقى ولا تذر ولت الخيل برؤسها وطلبت الهرب وعنتر لهم فى الطلب وقد غاصوا فى الفلوا على ظهور الصافنات وما ساروا غير قليل حتى وصلوا إلى بحر عجاج متلاطم بالأمواج فوقفت الفرسان على ذلك النهر وقد منع عنتر واجناده عن بلوغ مرامه والعبور فى تلك البلاد واسودت فى وجوههم المذاهب وعظمت عليهم المصائب إلا أن عنتر نزل فى ذلك المكان وحوله تلك الجيوش والفرسان وضربوا الخيام والمضارب ونزلوا فى الخيام وقد زادت بهم الاوهام فعند ذلك قال عنتر يا قوم الذين هربوا من قدامنا من عشائر الملك صافات كيف دخلوا فى هذا الماء ونجوا من الآفات ولهم مراكب فى المكان حتى نقول أنهم دخلوا بهم إلى ديارهم والاوطان وما كانت اشتهى أن أعرف اخبارهم لكن اسألونى بعض هؤلاء الاسرى من أقارب الملك صافات واسألهم عن ذلك الماء وكيف عبروه هاربين وكيف كان مجيئهم لما أتوا إلى قتال الملك قيصر بالفرسان فعند ذلك احضر عنتر بطريق وسأله فقال البطريق يا مولاى وحق المسيح ما أقول لك إلا الصحيح لاننا قصدناكم وعدنا من ههنا ما كان فى هذا الوادى قطرة من الماء وأنا ههنا ربيت وانتشيت فما رأيت ولا سمعت أن هذا الوادى

كان فيه ماء أبدا فضاق صدر المتقدمين واشتغل قلب هرقل و عنتر بن شداد لأنهم قد ارادوا أن يرجعوا إلى ارضهم وبلادهم فاتاهم شيء لا كان لهم في حساب وحصل لهم مثل هذه الأسباب واقاموا في ذلك الوادي عشرة أيام وهم في هموم وأوهام فقال عنتر للملك هرقل يا مولاي هذا الماء لا بد له من مدخل ومن مخرج وأنا اريد غدا اركب واقصد راس الماء وانظر من اين يأتي والى اين يتلقى فقال له هرقل ما هذا الاراى جيد يا أبا الفوارس إلا أنه ما يهون علينا أن تفارق أصحابنا وحاميتنا بل نحن ننفذ خمسة من تحت الماء وخمسة من فوق الماء حتى يحققوا خبر الودي والماء من اين ياتي والى أين هو عادي ويبين لنا صحة الاخبار وبعد ذلك نعمل بعقدر ما نرى و نعرف الآثار فقال عنتر أفعل ما بدا لك حتى نتابع رأيك وافعالك ولما انفصل الحال قال شيبوب يا أخي أنا أسير مع أحد الرجال وولدي الخذروف ايضا يمضي مع الفرقة الاخرى بلا مطال وقدراه عين الصواب وماز الواحتى طلع الفجر وعاد الملك هرقل ودعا بعشرة من أبطاله وفرسانه الشداد وأمرهم بالسير خمسة انحدار وخمسة أصعاد ويكشفون خبر هذا الماء الجرار ولا يعودون الا بحقيقة الاثار وأقاموا بعدهم في الانتظار مدة سبعة أيام فحصل لهم من ذلك أوهام ولا طلع لهم خبر ولا بان فضاق لذلك صدر عنتر ولعبت به الهموم والفكر وخاف على أخيه وولده من صروف القضاء والقدر وكذلك هرقل بن قيصر (قال الراوي) فبينما هم في الكلام وإذا بشيبوب قد ظهر من بين الأركام وهو كأنه ذكر النعام وهو أشعث أغبر من قطع ذلك البر الاقفر وفي دون ساعة صار بين يدي اخيه عنتر بن شداد ففرح به واستبشر وقال له هات يا شيبوب ما عندك من الخبر (قال الراوي) واعجب من هذا الكلام أن عنتر سأل اخاه شيبوب عن الخبر وإذا بغبار الخذروف قد ارتفع وظهر من تحته مثل البرق إذا لمع وماز الوا سائرين حتى أن الخذروف صار قدام عنتر وسلم وترجم وبالغ في السلام لابن الملك قيصر هذا وشيبوب يقول له يا مولاي لما سرت مع أصحابك سرنا سبعة أيام حتى أدركنا آخر هذا الماء فنظرته يخرج من ذيل جبل لاحق بعنان السماء نعم من حجر المسن لا يتعلق عليه النمل ولا يدرك علوه ناظر ولا يلحق به الطائر ولما حققت هذا الخاطر تركت أصحابي ورجعت على الأثر وهذا ما عندي من القول والخبر فقال له الملك هرقل بن قيصر لما انتهى في الكلام وما تصل البطارقة إلى هذا المكان فقال له يا مولاي بعد ستة أيام أن كان عليهم خير وسلامة فتبسم هرقل من كلامه وقد تعجب من قوة اهتمامه وجريه على اقدامه ثم قال للخذروف أنت متى فارقت أصحابك والخيل فقال له يا مولاي من أول الليل فقال عنتر تفارق الخيل من الليل وتصل آخر النهار وتقول ما يصلون الا بعد ستة أيام فقال الخذروف أي وحق البيت الحرام ولو انهم على ظهور الغمام فاشتغل سر عنتر بذلك الكلام وخشي أن يطول عليه المقام .

(تم الجزء التاسع والاربعون ويليه الخمسون)

الجزء الخمسون

من سيرة عنتر بن شداد

(قال الراوى) وما زالوا مقيمين خمسة أيام وهم يسألون لا يحققون عن أحد خبر ولا بان لهم أثر فلما كان فى اليوم السادس أقبلت بطارقة الروم ومعهم ثلاث رهبان وقد أتوا بهم من بعض الديورة وذلك المكان فلما حضروا قدام هرقل وعنتر سألهم عن الماء الذى فيه هل هو محدث أو قديم فقالوا وحق المسيح هذا شىء ما عرفه أحد من الجماعة إلا فى هذه الساعة وما رأيناه إلا بعد قتله الملك صافات فلما سمع هرقل هذا الخبر ضاق صدره وتحير وقال لعنتر كيف يكون التدبير فى هذا الأمر العسير فقال له عنتر يا مولاى ما فى الأمر إلا أننا نعود على آثارنا ونطلب أرضنا وبلادنا فقال هرقل يا أبا الفوارس نحن نمضى ولم تحتوى على هذه الجزيرة وقد وقعنا والله فى حيرة لأنه بعدنا يخرج منها جيوش وأجناد وينهبون القرى ويقتلون كل من فيها من العباد ورباما قتل الملك كوبرت ويبلغوا منه المرام ويأخذوا منه بالثار عوضا عن من قتل منهم فى هذه الديار ويضيع تعبنا يا أبا الفرسان ويا حامى بلاد عدنان ولا نكون قد عملنا شيئا من الاحسان (قال الراوى) فبينما هم فى الكلام وإذا بأحد الرهبان تقدم وكان أكبرهم سن وأيام وقد مضى عليه مائة وسبعون عام وقد أشار على عنتر وهرقل بالسلام وقال لهم إن أردتم معرفة هذا الوادى وهذا الماء الذى فيه من أين قادم أحضروا بالراهب الذى على دير الصنم وهو على جنب قلعة الملك فانه يا مولاى راهب هذه الاقطار وأقدم كل راهب فى هذه الديار فقال له الملك ولم سمى هذا الدير الصنم والنصارى كلهم ما تعبد الأصنام وتخاف وتعتقد عقولهم الفاسدة التى تهلكهم يوم القيامة إلا فى عيسى بن مريم وأمه الطاهرة البتول فقال الراهب اعلم يا مولاى أن هذا الصنم الذى فى هذا الدير فانه ما يعبدونه وحق الواحد الفرد الصمد الذى لم يتخذ صاحبة ولا ولد ولكن يا أمير هذا الدير له موسم فى كل عام هكذا على طول الدوام وهو لا يفتح إلا فى يوم واحد من دون الأيام وأنه عندهم عيد ويجتمع فيه كل من كان فى هذه الاقاليم من الامم وأنهم يحملون إلى ذلك الدير فى صحبتهم النذور ويكون يوم فتحه بعد شهور ويحصل عندهم الفرح والسرور ويدخل إليه الاكابر والأنصار والملوك وكل فقير وفقيره وكل غنى وصعلوك ومالك ومملوك ويأتى إلى ذلك من سائر الاوديه والجبال والاقاليم والبلاد والفلالى والصوامع والاديرة والكنائس ثم أن الراهب الكبير يحرضهم قدام ذلك

الصنم ثم أنه يحدثهم ويحثهم على عبادة عيسى بن مريم ثم أنه يحدثهم بخبر الحواريين الاثنى عشر وذلك بعد ما يقرأ عليهم فصلا من الإنجيل المكرم العظيم ويفسر لهم ويقرألهم ويفروا له كلهم بالتبجيل والتكريم وإذا انقضى ذلك الموسم وفرغت أيام زيارة الصنم غلق ذلك الراهب باب الدير بعد ما يكون قد حصل له ما يكفيه عاما بالتمام والكمال ولا يفتح بعد ذلك إلى أحد من الأنام لا شيخ ولا غلام وهذا يا مولاى حديث الدير وما كان من الصنم وغير ذلك ما أعلم (قال الراوى) ولما سمع عنتر والملك هرقل والراهب تكلم أمر بالمسير إلى ذلك الراهب إلى دير الصنم وأمرهم باحضار الراهب لهرقل يامولاى إنه ما يرد علينا جواب وما يرضى يفتح لنا الباب وحق المسيح لأنه كلب مستكبر على البشر وما أحدمنا يطلع على خبر فقال الملك هرقل لعنتر يا أبا الفوارس كيف يكون التدبير فى هذا الأمر الخطير فقال له شيبوب أنا الرأى عندى أن ترسلوا خمسمائة فارس تحط على هذا الدير وتطلب الراهب وتحاط به من كل جانب وتأمره بالحضور فان أجاب فهو عين الصواب وإن أبى يحربون الدير حجرا بعد حجر ويحضرونه إلى هذا المكان فقال عنتر وحق علام الغيوب لقد أصبت فى هذا الرأى ياشيبوب (قال الراوى) فعند ذلك أمر الملك هرقل الخمسمائة فارس من خواص الجيوش وسار معهم ذلك الراهب وتقدم وتنتخب الفرسان ولما اجتمعوا أمر بالمسير ولا أحد منهم يتأخر ويأمرون الراهب بالحضور وهو مبجل وإن لم يطلع أخربوا دير الصنم وسحبوه إلى ذلك المكان وهو ذليل مهان فاجابوا بالسمع والطاعه وقد ساروا من تلك الساعة طالبين الدير ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا اقامة ذات العلم وأتوا إلى باب الدير ووقفوا على الباب وتقدم ذلك الراهب وطرق الباب طرقا شنيعا فطل الراهب من طاقة الدير فنظر إلى ذلك الراهب والخيل معه وهم فى صحبته فقال لهم الذى تريدون وإلى أين أنتم سائرون فقال له الراهب ياأبا الرهبان شمشمون اعلم أنه قد نزل علينا ملك من ملوك النصرانية وهو الملك هرقل بن الملك قيصر صاحب القسطنطنية وهو الذى قد سيرنا إليك وهو يامرك بالمسير اليه والحضور بين يديه فعجل فى المسير حتى أنه يسألك عن أمر هذه الديار واعلم أنك إذ لم تنزل وأنت مكرم هدمت هذه الفرسان الدير بالتوت وأخذوك معهم بعد أن تسحب وتلطم والرأى عندى أن تبادر إلى خدمة هذا الملك المكرم وارفع عن نفسك الملام وتتكلم وبعد ذلك أنت أخبير بشأنك فقال الراهب مالى سبيل إلى النزول ولا أقدر أخالف الصنم فيما يقول (قال الراوى) فلما سمعوا كلامه العنيد طلبوا باب الدير بالعواميد الجديد والتوت وقد تبادرت إليه الفرسان من قريب وبعيد ولما نظر الراهب إلى هذه الأسباب نادى ياقوم لا تكسروا الباب تمهلوا إلى أن أنزل اليكم وأرد إلى ملككم الجواب فوقفوا عند ذلك عن كسر الباب فقال لهم لا تعجلوا على فى النزول اليكم حتى أنى أدخل على الصنم وأسمع منه ما يقول

وما بنتكلم فقالوا افعل ما تريد فها نحن لك فى الانتظار وأن أبطأت علينا كسرنا الباب بهذه الأعمدة الحديد وجعلنا عاليها أسفلها فعند ذلك تقدم الراهب ونزل اليهم وقد عرف أن لابد له من الخروج إليهم وأن أبى يهدمون دير الصنم وقال لهم ياقوم أعلموا أن الصنم قد أمرنى بالمسير إلى هذا الملك الكبير ثم أنه خرج إليهم وعاد غلق باب الدير وركب معهم وساروا به على الآثار ومازالوا سائرين به إلى أن أوقفوه بين يدى الملك هرقل وعنتر (قال الراوى) ولما سار فى حضرتهم سلم الراهب وخدم وكان اسم الراهب متى بن يوحنا ويلقب بشمعشونا هذا والمسلم وترجم قال له الملك ماحاجتك فى أيها الملك المحتشم فقال له الملك هرقل ياأبونا أريد تخبرنا عن هذا الماء الذى هو فى هذا المكان هل من قديم الزمان أو انه حدث فى هذا الأوان فقال الراهب ياملك الزمان أى شىء عرضك وهذا الشأن فقال له أنا قصدى أن أسير بهذه الجيوش الجرارة وأفتح جزيرة الواحات فقال الراهب أعلم أيها الملك الجليل مالك إلى هذا الأمر من سبيل لأن عندنا منقول على الانجيل والتوراة بان هذه الجزيرة ماتفتح إلا بعد قتل الملك صافات وبهذا أخبرت القسس والرهبان وهو مؤرخ من قديم الزمان من عهد مارحنا المعمدان فلا تتعب نفسك فيما لا تصل إليه ولا تتمكن منه ولا تقدر عليه وأعرض عن هذا الأمر واستريح فهذا رأى عليك مليح وحق المسيح فقابل الملك هرقل لعنتر وقد اندهش وتحير أى شىء نقول ياحامية عبس فى هذا الأمر الذى تعسر فعند ذلك التفت عنتر وقد ازورت عيناه ودلات شفتاه وهمهم ودمدم وبربر وزمجر وطار من عينيه الشرار وصاح بالراهب ويلك ياابن الانذال وراهب المحال وحق الركن والحجر والبيت العتيق المطهر والاله الذى ماله ولد ولا زوجة ولا أحد ولا مستقر أن أخفيت عنى من سؤالى لفظة واحدة والا ذكرت لى حجة باردة بهذا الصامى ضربة أهد أنفاسك وأهد أساسك فلما سمع الراهب ذلك الكلام التجم بلجام واجتمع بعضه البعض واشتبكت أضراسه وانزعجت حواسه واضطرب بدنه وعلط فى لباسه لما نظر الى الأمير عنتر بن شداد ورأى قده وشكله وعرضه وطوله ولكن ثبت جنانه وأطلق لسانه وقال للأمير عنتر يافارس الزمان لاتعجل فقد صح الخبر وبان الأمر وظهر أنا أريد منك بحق القسم الذى قد أقسمت به وبالحديث الذى تكلمت به أنك تخبرنى من أين أتيت إلى هذه الديار وأى أرضك من الأقطار فقال عنتر أنا من أرض الحجاز ومسكنى البر الاقفر وأتيت من أرضى وبلادى خدمة إلى الملك قيصر فقال الراهب يافارس دع عنك التطويل وأمهل على قليل حتى أنى أعود إلى الدير من أجل أمر عندى قد ظهر وأعود إليك بصحة الخبر فقال الأمير أجيبك إلى ما تريد ولكن القصد أنى أنفذ معك جماعة من أصحابى العقود حتى أنك تسرع الى وتعود فاجابه الراهب الى ذلك المطلوب والمقصود فسار معه عشرة من الفرسان

وفى جملتهم شيبوب وأتى إلى الدير وفتح الباب ودخل وأخذ حاجته ورجع معهم من وقته وساعته حتى وصلوا إلى الأمير عنتر والملك هرقل بصحبته وجلس الراهب وأخرج كيسا من الأطلس الأبيض وأخرج منه كتاب مجلد وجعل ينظر فيه تارة وينظر فى الأمير عنتر تارة ويحدث إليه بالنظر وبعد ذلك نظر إلى شيبوب وولده والخذروف والحجاب جميعهم ووقف ثم قال للامير عنتر ياحجازى بحق النبى الذى يظهر فى آخر الزمان الذى اسمه محمد الذى يأمر الناس بالإسلام ويرمى عن الكعبة الأصنام فقام الأمير عنتر ياراهب نعم فقال الراهب هل ظهرت وقعة ذيقار بين الأمم ونصرت العرب على العجم فقال عنتر نعم وحق البيت الحرام تفرقت العجم فى كل سهل وجبل وقتل منها كل فارس بطل فقال الراهب أتعرف بأى اسم نادت العرب تحت الغبار الأسود قال الأمير عنتر فنعم كان نداءهم يا آل محمد يا آل محمد وأنا والله ما كنت حاضر ولكن أسأل الله تعالى أن يعمنا ببركات هذا النبى الأمجد فقال الراهب سمعت أن إيوان كسرى انشق من على رأسه هل هو صحيح أم لا فقال عنتر بن شداد أى وحق الواحد الجواد فقيل الراهب بأى اسم تعرف أنت يافتى بين العباد فقال له أنا اسمى عنتر بن شداد ومقامى بارض الحجاز وتلك البلاد فقال الراهب وحق الإله المنزه عن الصفات البشرية وعن اللغات إنك أنت الذى على يديك فتح جزائر الواحات بعد قتل الملك صافات فتبسم عنتر من هذه المقالات وقال أما الملك صافات فقد جندلته على الارض ومات فلما سمع الراهب هذه المقالات فقال يا فارس عدنان الآن أريد أن أعرفك ياولدى عن هذه الأمور المخفيات وهو أن على باب البلد الشرقى من قلعة ذات العلم أسد مصور على عامود درخام وعليه صورة صنم فارس فأنت من يقلع العامود ويرمى الاسد وقد غار هذا السماء وبيان تلك الطريق وها أنا عرفتك بما عندى من الخبر وحق من أنبع الماء وأنبت الشجر (قال الراوى) ثم أن الراهب بعد ذلك رمق بطرفه إلى السماء لما انتهى من هذه الكلمات وقال اللهم يارب الارضين والسماء ويامن علم آدم الاسماء يامن أحاط بكل شىء علما يامن خلق إبراهيم وموسى ويا من رفع الجبال وأرساها يامن أحصى الخلق جميعا يامن أخرج من ظلمة الاحشاء نسعى بحق المولود الذى يظهر بين زمزم والصفا وهو نبيك المصطفى اقبضنى من هذه الساعة على دينه من غير رياء ياقادر على جميـــع الاشياء أشهد أنى على ملته مصدقا برسالته ثم أنه توجه إلى القبلة وشهق شهقة خرجت روحه ومات وقضى نحبه والحق زبه فعند ذلك اقشعرت الجلود من أقسامه لما شرب كأس حمامه وأمر عنتر ابن شداد بغسله ودفنه إلا أن الأمير عنتر طالت عليه حسرته وتمنى أن يطول الله فى مدته حتى يقاتل بين يدى هذا النبى بشجاعته وأن يموت على ملته . أن عنتر أرسل إلى المعة ذات العلم وكانت خراب من زمان الاسكندر وأبو العباس عليهما السلام وكان أيضا سكانها أقوام من

الجان ففرت أمام الاسكندر واخرب هذه القلعة والأركان والذي أسلم على يديه بقي مقيماً في هذا المكان إلى الآن . الأمير عنتر بن شداد أرسل إلى أخيه شيبوب وجماعة من الرجال إلى القلعة وقد طلعوا إلى أعلى البرج فنظروا إلى ذلك الأسد الذي هو على ذلك العامود فرموا الاسد وصورة الصنم التي تحته فعند ذلك غار الماء في سفح الآكام وبعد مدة ثلاثة أيام لم يبق من الماء في تلك الوادي ولا نقطة واحدة ففرحوا ببلوغ المنى ونيل المراد (قال الراوي) وبعد ذلك أنفذ الملك عمرو بن هند وعنتر أحضروا جميع ما في الدير من الأموال والستور والصلبان والرجال وأخذوا أيضاً الصنم المذكور وهو من الذهب الاحمر وعيناه من الياقوت الاصفر ولما بانت الطرائق للسالكين ودخلت الجيوش البحار والزواخر طالبين جزيرة الواقعات وزادت بهم الافراح والمسرات (قال الراوي) وكان سبب اجتماع الماء في هذا الوادي سبب عجيب وأمر مطرب غريب ولا بد أن نذكره على الترتيب ولما قتل الملك صاصات وولت جيوشه منهزمات وعساكره متفرقات وكان له ابن عم يقال له ميخائيل بن ساعات ويلقب بجبار المسيح بين الملوك والسادات وكان بطلاً عظيماً من الابطال خبيراً بالمكر والاحيال فاعتمدت الافرنج كلهم عليه ومالوا بكليتهم إليه كان عارفاً بطلسم الماء فطيب قلوب الافرنج ووعدهم بأن يبعد العدا عنهم وأنهم ما يمكنهم القدوم إلى تلك الاطلال والرسوم من غير حرب ولا قتال ففرحوا بهذا المقال وحلفوا كلهم بالمسيح والانجيل أنه هو الحاكم عليهم ولما وصلوا إلى هذا الوادي وعبروا إلى تلك الجزيرة سار جبار المسيح بنفسه إلى ذلك الجبل فرأى صومعة عليها فارس وفرسه منحوت من الحجر فأخذه واقتلعه وألقاه على وجه الأرض فخرج الماء من ذيل الجبل وتلاطمت أمواجه وثار عجاجه وما نجى منه إلا من كان على ظهر جواده وكان هذا الطلسم صنعه ملوك اليونان وقد ادخروه بذلك المكان وانقرضوا الملوك في ذلك الزمان وقدم الاوان وتغيرت الحدثان وسكن الجبل والوادي قوم من الجان وصلت جيوش اسكندر إلى هنالك فطعت الجان الطريق فاهلكهم الخضر عليه السلام باسم الله الاعظم وقد خربت القلعة وبقي منهم جماعة مؤمنين على دين الاسكندر وما زالوا مقيمين وبها ساكنين (قال الراوي) وعدنا إلى سياقة الحديث والخبر وصار ذلك الجيش في مقدمة الامير عنتر وبين يديه شيبوب والخذروف وعنترة تذكر الاوطان وما لقي من نوائب الزمان وتذكر عبلة ومشيب رأسه وبعد الديار ففاضت دموعه على خديه غزار وانهملت مثل الامطار فسار يترنم بهذه الاشعار :

طال التجافي عن رسوم المنزل ... بين الغريب وبين ذات المحمل
إذا تحمل أهلها وتمايلت ... فيها بدوراً كالصباح المنجل
لعبت بها الاهواء بعد نسيمها ... والطامسات بكل حول مسيل

فوقفت فى غرامه متحيرا أبكى الفراق كمثل من لم يعقل
ولقد شجتنى فى الطلول حمامة تبكى بشجنى لا بدمع مهمل
وأثارت الشجعان من بالأسى لما وجه المصطلى غير طائل
تبكى كشبه حمامة فى أيكة فاضت دموعى فوق ظهر المحمل
من أجل واضحة الجمال عزيزة تسبى العقول بعارض متهلل
أى عيش عيشى إذا كنت منه بين خل وبين وشك راحل
ولقد رأيت الموت ثم لقيته متسربلا والموت غير مسربل
وقحمت فى وسط العجاج مصمما مالى مجير غير حد المنصل
ضحكت عبيلة من فتى متدرع ماضى العزيمة ماجدا متفضل
وكم ضيغم جندلته بمهندى وأقول لا شلت يمين المنصل
ولقد سمعت نداء قومى قد علا وحكا يدعون منه الاخيل
ناديت عبس فاستجابت بالقنا وبكل أبيض ماض لم يمهل
بكل ممدود الكعوب مثقف فى كف كل صميدع لم يجهل
فأتوا لعنتر والرماح شواجر والخيل وتعثر فى رؤوس القتل
وأنا ابن شداد الكريم نجاده من آل عبس طاعنين المنصل
ان المنية لو تصور شخصها لى فى العجاج طعنها فى الأول
وإذا دعيت الى المكريهة لم أقل بعد المكريهة ليتنى لم أفعل
وبلاء النجم فى فؤادى مدة زينا فاعمل بالأعز الاجمل
واحذر مصاحبة اللئام وقربهم إن الكرام عن اللئام بمعزل
واحذر لجار السوء لا تأمن وإذا كبا بك منزل فتحول
خير المنازل منزل تحظى به إما نصاح به وإما تفضل
وإذا أردت مفارقا لمحلة فاختر لك الجيران قبل المنزل
بئس النزول على الطريق مجيرا يوما ولو كنت الأعز الافضل
واعلم بأن الضيف يخبر أهله بمبيت ليلته وإن لم يسأل
الجار احفظه وارعى حقه واكرم صديقك بالفعال الاجمل
والق الضيوف بمرحب وتحية وابسط لسانك للضيوف النزل
وإذا تولت الأمور فكن بها واجتهد لقومك بالصيحة واجمل
وإذا أعمدت بفعل سوء فاثنى وإذا هممت بفعل خير فافعل
يا عبلة كم من غبرة باكرتها بالسيف كانت عمرها ما تنجلى

إنى لعنترة إذا اشتبك القنا ... وترا موقفى العقول فتذهل
كل فج من البلاد كأننى ... أسطو وأحمى ساعدى والمفصل
كم من بطل كتيبة جندلته ... بالسيف ضربا مال فوق الجندل
لا تنكرى يا عبلة فعلى عادتى ... ضرب الجماجم بالحسام الفصل
أشفيت نفسى من أعادى مهجتى ... فقهرت كل متوج ومكلل
وبلغت كل فضيلة عجز الورى ... عنها بحد مهند وبذابل
ما كل من طلب المعالى نالها ... مالها إلا سعيدها فى الأول

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الأبيات قال له يا شجاع الزمان ويا حاوى قصب الرهان ويا فاه الأبطال والشجعان قد أحسنت بهذه الأوزان ولم يزالوا سائرين على تلك الحالات حتى أنهم أشرفوا على مدينة الواحات فشاهدوا إلى جزيرة عظيمة تضج بسكانها وترتج بقطانها ونزلوا إلى مضارب وخيام وسرادقات ومراتب وخيل مسروجة وجنائب تحت السلاح والزرد وضجيج قد علا وانعقد (قال الراوى) وكان السبب فى هذه الحالات حار المسيح بن سامات كان ابن عم الملك صافات وكانت وصلت إليه الأخبار فى تلك الأيام أن الجيوش كسرت الطلسم الذى للباء وعبروا طالبين إليه فى جيش لا يرام فلما تحقق هذا الخبر أمر من كان عنده بالخروج إلى ظهر البلد بجميع مالهم من السلاح والزرد وخرج فى عالم عظيم لا يحصى لهم عدد وهم يزيدون عن مائة ألف فارس مثل الأسود العوابس وأقبلت أيضا غشاشر الملك قيصر وفى مقدمتها الأمير عنتر وضاقت بهم تلك الأرض وامتلأت طولا وعرضا وكثر الإبرام والنقض ودار الحرب الشديد الذى يذيب الجلاميد ويشيب من هوله الوليد وأظهر الأمير عنتر بن شداد فى ذلك اليوم بجميع الأهوال ومدد الرجال فى المجال وجندل الأبطال ورماهم على الرمال فعند ذلك عظمت الأهوال واهتزت الجبال من شدة القتال وقصرت الآجال وصارت العيون تدمع والقلوب تخشع والآناف تجزع والأرض للجبان تكرع والبيض على الرؤس تشعشع وأنفس حل بها الهلع والألسن خرست من الفزع والمرائر انفطرت من الجزع ورق حبل رجالها وتقطع وكان صياح الجميع لا يكاد أن يسمع وعاينوا من الأمير عنتر قتال لا يندفع وهو يفلق الجماجم ويقطع وطلب الجبان الهرب والفرار فما رأى للنجاة مطمع والشجاع خالطه الفزع وكان جواد الأمير عنتر يشب ويفزع فلله در الأمير عنتر بن شداد من ليث أروع وبطل سميدع وكان فعاله فى ذلك النقع مرتفع كما قال فيه الشاعر أسد بن أدرع هذه الأبيات الحسان .

ولرب نقع حكى شهب الرماح بها ... نجوم أفق إلى غسق الدجى حجبت
قد حدث فيه الآثار ضوء علا ... فأثرت فيه قدوم الدهر قد نفحت

جادت بطعن القنا في الحرب أيديهم   فكلما جودوا طعناتها سبحت
والخيل تغدو ثقالا من جماجمها   تشكوى الشكائم فيها كلما سرجت
حمل الاديم صقيلات ملابسها   كأنها في دماء الأسد قد سبحت
تغدو غضابا إذا اسود العجاج بها   حتى إذا شاهدت ريح الصبا فرحت
تحملت أســـد الهيجاء مأتمة   ثغورها في وجوه الموت قد كلحت
لا يستبشرون في الهيجاء سوى خطب   حتى إذا استبشر عد في معركه لجت

(قال الراوى) وما زالت الخيل تمض على شكائمها وتقطع شديد حزامها وعنتر غارق في لحم الخلائق وعظمها وقد سقطت الأبطال عن ظهور الخيل وحل بعشائر الافرنج الحرب والويل وقطرت الدماء مثل السيل وثقل على الابدان الحديد وملت من الحرب الفرسان الصناديد وبانت أعلام ملوك الموت قريبا وبعيد وصار النهار مثل الليل وتسردق سرادق الويل والسيوف تقطع والرماح تخرق والنبال ترشق والدروع تتمزق والدماء تهرق والفرسان تزعق والبلاء عليهم قد احدق والحسام يقطع والرجال تصرع والبنود ترفع والسنان يلمع والعيون تدمع هذا وعنتر يجول ويصول ويلعب ويشفت الابطال عرضا وطولا وإذا به قد التقى بجبار المسيح في وسط المعمعة وهو يفتك في الرجال والابطال فصدمه عنتر صدمة الأسد الريبال وذات بينهما الاهوال وسطا عليه عنتر واستطال وكانت سطوته سطوة من لا يبالي بالنوازل وطعنه طعنة جبار خبير بالمقاتل فصادف السنان صدره وخرج لمع من ظهره فانقلب عن جواده يختبط في دمه ويضطرب في عندمه ويبحث الأرض بيديه وقدميه هذا ولما عاينت الافرنج أن جبار المسيح قد سقى كاسات العطب الموت رؤس خيلها وطلبت الهرب وتبعتها الروم أشد الطلب ودخلوا الافرنج إلى البلد وأحاط فيهم الويل والنكد ومن عظم ما حل بهم من هذا المصاب غلقوا جميع الابواب وصعدوا فوق اسوار ورموا بالنبال والاحجار فتأخرت الروم إلى وراء عن الجدار وأقاموا على الحصار مدة ثلاثين نهار وعنتر يقول طال علينا المطال واشتقنا إلى العيال فقال شيبوب يا ابن الأم تريد تفتح هذه الجزيرة وتتيسر هذه الامور الوسيرة فقال عنتر ويلك يا ابن الانذال والا في أي شيء جئنا وقطعنا هذه الجبال ولقينا هذه الاهوال إلا لأجل فتحها على أن هذه البلد حصينة بالجيوش والاجناد وأنا أرى هذا الدير منيع والعالم فيه مثل الجراد وما أظن أننا نبلغ منهم مراد الا بالصبر وطول القعاد فقال شيبوب وحق خالق العباد ورافع السماء بغير عماد إذا قمتم شهور تلقون من الأعداء المراد فقال عنتر فكيف أخالف مشورتك وهي صلاح قل ما عندك يا أبا رباح يا جلب الافراح فقال له فرأيك الرباح فوحق الاله القديم ما فينا من يخالف مقالك فقال شيبوب يا ابن الام تأمر هذه الجيوش أن تقطع هذه الاشجار وتخرج هذه الرسوم الذى

فيها من الدور والقصور والآثار وبعد ذلك تصح لنا الأخبار فقال عنتر وإذا فعلنا ذلك أى شيء يصل إلى أعدائنا من الأضرار وأى شيء بنا لنا نحن من المسرة والاستبشار فقال شيبوب إذا نظروا أهل هذه الجزيرة إلى تلك الفعال وقطع أشجارهم وخراب ديارهم والرسوم والأطلال ما يهون عليهم هذا الشأن وربما طلبوا منكم الامان وبهذه الفعال تبلغون الامان والرأى أن تبادروهم بالخطاب وتعرفوهم بالحال فان أجابوا إلى ما يريدون إلا فاقطعوا بذلك الاشجار قال فاستصوب عنتر هذا الكلام وأمر بعض الأسارى أن ينادوا بأهل الجزيرة ويعلمهم بما اتفقوا عليه وبعد ذلك أمر العشائر بالزحف إلى نحو البساتين والأسوار فزحفوا عليهم كأمواج البحار قاصدين الجدران والاشجار وفى أيديهم المعاول والمنوت من سائر الآلات ولما نظرت أهل الجزيرة إلى زحف الرجال ظنوا أنهم طالبين القتال فحققوا فوجدوا العشائر طالبين البساتين والاشجار فالتهبت قلوبهم بالنار وسمعوا المنادى بلغة الافرنج يقول يا معاشر أهل الجزيرة من أهل الوحات أن الأمير هرقل ملك البلاد وأمير الدولة عنتر بن شداد أهلك الأجناد فاذا سلمتم إليه البلد لكم ولاموالكم وأولادكم الامان وجميع النسوان وأزيلوا من رؤسكم الطمع والعصيان والجزع والاقطعنا أشجاركم ولا ينفعكم أرضكم ودياركم وأخربنا ذلك الحصار وهذا الملك هرقل أقسم بحق المسيح والحواريون الاثناعشر الذى كانوا له تبع وبكل فارس ريبال أنه ما يرحل عنكم حتى يرمى صوركم ويقتل رجالكم ويسبى نساءكم وعيالكم وأن أبا الفوارس عنتر قد أقسم بالركن والحجر والبيت العتيق المطهر أنه لابد أن يمحقكم بالسيف الابتر ولا يترك منكم بشر وقد حذرتكم غاية الحذر (قال الراوى) فلما سمعوا أهل الجزيرة هذا النداء أيقنوا بالضرر والردا وتطارت الأرواح وقد طلبوا الأشجار وصياحهم قد أوهج الاقطار فنادوا عن لسان واحد الامان ثم نادوا يا ملك قيصر يا منصور كل من عاداه صار مقهور قال فعند ذلك دقت الكؤسات ونعرت البوقات ودقوا الناقوسات وجاءت البشرى إلى الملك هرقل ففرح بذلك قلب الأمير عنتر وأجابت الإفرنج إلى ما طلبوه وقد عزمت على العودة إلى ديارها وبلادها وفى دون ساعه فتحت الأبواب الى المدينة وخرجت القسوس والرهبان والبترك الكبير والمطران ولا تخلف إنسان الا وقد أتوا إلى هذا المكان حتى أنهم يأخذون من الأمير عنتر والملك هرقل العهد والامان فلما وصلوا إلى السرادق أمر بملتقاهم بأحسن ملتقى فخدموا بعد ذلك ولهم دعوا بطول العمر والبقاء وأخذوا عليهم العهد والميثاق وانصلح الأمر والشان وجددوا على بعضهم بعض العهود وزالت من بينهم الحقود (قال الراوى) وكان الأمير شيبوب وأخيه الأمير عنيز والخذروف حاضرين فعند ذلك دقت الكؤسات بعد خفق البنود وركب الملك هرقل فى عشائره والجنود والأمير

عنتر بن شداد إلى جانبه كأنه أسد من الأسود وقد دخلوا إلى البلد فى يوم مشهود ونثر عليهم مال ممدود وأخذت جميع العالم فى الدعاء وقد تعجبوا من الأمير عنتر بن شداد ومن عظم خلقته وكان عليه ذلك الوقت خلعة من ملابس الملك كسرى وعمامة خضراء وكأنها روضة من رياض الخضرة وبين يديه أخوه الأمير شيبوب وولده الخذروف وفى أيديهما الخناجر والسيوف والعالم وقوف ينظرون إلى الأمير عنتر وقد هان عليه الأمر وتيسر وقد دخلوا قصر الملك الغريب الصفات الذى كان للملك صافات وجلس الملك هرقل على سريره وقد صنعت لهم الولائم والدعوات وطابت لهم الأوقات مدة عشرة أيام وبعد ذلك استحضروا الرجال وفتحوا خزائن الأموال فحارت منهم النواظر من ذلك المال الباهر ثم قال الملك هرقل للأمير عنتر بن شداد ما هذا إلا ملك عظيم وإقليم لا يقاس بالأقاليم وكنا ذكرنا أن الملك صافات كان له أربع قصور مفروشة بالحرير فى كل قصر إيوان وتاج وبدلة وسرير فاحتوى الملك هرقل على الجميع وساروا إلى القصر الكبير فوجدوا هناك فرش عظيم وتاج يساوى ثلاثة أقاليم وهناك منطقة من الجوهر وبدلة مرصعة بالياقوت والدار وفيها معلق خنجر وكانت هذه البدلة والمنطقة وتاج للملك الإسكندر وسرير من العاج قوائمه من الذهب الأحمر يطلع عليها بمراقى من الزبرجد الأخضر ولما أن سار القوم فى وسط هذا القصر نظروا إلى باب قصر من الحديد عال مقفول بأربعة أقفال فأمره الأمير عنتر بفتحه فتقدم واحد من الغلمان حتى أنه يفتحه وأراد أن يأخذ المفاتيح وكانت معلقة فما قدر وتقدم آخر وتأخر ثم تقدم بعد ذلك آخر وتأخر وما بقى أحد فى الملك الأرض إلا وتقدم حتى أنه يفتحه فمن الهيبة يرجع بعود بلا مقصود وبعد ذلك عجز الجميع فدنا الملك هرقل بعدم بن قيصر فلم يستطع على ذلك وتأخر وكذلك شيبوب أخو عنتر وولده الخذروف وقد بقوا باهتين وقوف فبعد ذلك نادى شيبوب بأخيه عنتر وقد انذهل وتحير وقال ويلك يا ابن الأمة تقطم وخلصنا من هذا الأمر الذى وقعنا فيه فإن أنت عجزت من هذا الأمر رجعنا من هذا المكان بالخيبة والحرمان فعندها تقدم الأمير عنتر وهمهم وزمجر وهو فى هموم وفكر وهم أن يأخذ المفاتيح فتخيل للقوم أنها إليه نهضت فزاد واستبشر وركب المفتاح الأول فانفتح القفل بسريع وما طول حتى أنها فتحت الجميع ولما تشرعت الأبواب دخل الأمير عنتر وأخوه شيبوب وولده الخذروف وقاموا الغلمان وقوف ودخلوا إلى ذلك البيت فرأوا فيه سوى جواد أدهم كأنه الليل الأدغم أو الغراب الأسحم وهو مشبوح فى سلسلة من الحديد وفى يده قيود وعلى القيود أسماء مكتوبة وطلاسم مرسومة مضروبة والجواد قائم عيناه مثل المشاعل فقال عنتر لشيبوب هذا من خيول البحر وأنا أريد آخذه وأركبه لأجل أريح جوادى الأبجر لأنه

كبر وثقلت جثته (قال الأصمعي) فلما سمع الجواد ذلك الكلام تكلم بلسان فصيح وقال يا ابن شداد ما أنا جواد أصلح للطراد بل أنا ملك من ملوك الجان الأمجاد وكنت أسرت على يد الخضر عليه السلام وكان سلني إلى الملك الاسكندر وكان التقائي عند قلعة ذات العلم بعد أن جرى لنا معه أمور وخروب تحير كل عاقل دروب وأشرفنا على شرب كاس النقم يا فارس العرب والعجم وحبسني الخضر عليه السلام وكان قال لي بعد ذلك أنتم تقيم مسجون ههنا في هذا المكان حتى يظهر عنتر بن شداد فارس عبس وعدنان ويفكك من القيود ويسيرك إلى عند فرسان وجنود وهذا سبق في علم الله المعبود والآن يا أبا الفوارس ما يقدر أحد يخلصني سواك يا صاحب الجناب الرفيع والعز الكبير المنيع (قال الراوى) ولما سمع الأمير عنتر بن شداد هذا الكلام انذهل من ذلك وتحير وقال ويلك يا ابن القوم الكرام أنت من الجن والجان قد قتلوا ولدي الغضبان وقد أبلوني بالأحزان وأنا مرادي أن أقل مثلك وها أنا في هذه الساعة أردت أن أتقدم إليك وأطير رأسك من بين كتفيك فقال له الجواد وأي شيء الفخر في قتلي يا ابن شداد ولا بيني وبينك دم ولا ثار فقال له عنتر نعم الجان قتلوا ولدي الأمير الغضبان في وادي صارخ وتلك القيعان فقال له الجواد اعلم يا أبا الفوارس أنني آتيك بقاتل ولدك وأضمن لك أن آخذك بالنار وإن أطلقتني سلمتك قاتل ولدك إليك ويقر بهذا الفعل عينيك فقال الأمير عنتر بن شداد أريد منك أن تحلف لي برب العباد فحلف له بمثل ما اشتهى وأراد فرق قلب الأمير عنتر إليه لما رأى فيه من الأيسر والضيق وأخذ عليه العهود والمواثيق فلما استوثق منه باليمين قال له يا أخا الجان كيف السبيل إلى فك القيود وفتحهم فقال له المفاتيح تحت بلاطة متركبة على طابقه من الجهة الشرقية فاترك لو لبد الطابق شمال تنظر هم من غير إهمال فعند ذلك بادر الأمير عنتر بن شداد وأخرجهم وجرد عنه سلاسله ومن قيود أطلقه فقال الجواد أعلم يا فارس الجلاد الوعد بيني وبينك على رأس قلعة العامود المعروفة بذات العلم فقال له الأمير عنتر مر في رعاية الله أيها القيل المحتشم فعند ذلك صفق الجواد بكميه في الأرض وطار في الهواء والأمير عنتر والملك هرقل قد ذهلوا مما جرى وما أقاموا في تلك الجزيرة غير عشرة أيام ونقلوا الأموال إلى الخيام وتركوا رجالا من قبل الملك هرقل حكاما على تلك الجزيرة وعلى المقاطعات وخلفوه على طاعة الملك كوبرت وقد أمن من الكربات وأن لا تقطع الحل والرهبانات ثم رفعوا الأحمال على ظهور البغال ورفعت على رأس الملك هرقل الرايات وخفقت البنود والصناجقات ولم يزالوا سائرين حتى تنصف النهار وأدركهم المساء وقد قاربوا المكان الميعاد الذى وعدهم به أخوهم الجان فبينما هم كذلك وإذا بغبرة مقبلة من صدر البرية عظيمة وتحته ملك الجان وكان اسمه سلهب بن عقهب وهو مقبل إلى عند الأمير عنتر ليوفي له الوعود وما وعدة من أخذ الثار إلا أن الأمير

عنتر بن شداد المنزول بالخيام واستقر به القرار وإذا قد دخل عليه ملك الجان وسلم على الأمير عنتر وقال له يا فارس العصر وفريد فرسان البدو والحضر نرجو من إنعامك أن تشرف أرضنا بوطيء أقدامك لان المسافة بيننا قريبة وهذه قلعة ذات العلم غير بعيدة حتى أننا نأتيك بقاتل والدك الذي كان نزل عليك واستطالت يدهم إليك فإنهم أعداؤنا غائر الشرط الذي كان بيننا والايمان قد تهيأ الشغل فيه واكتمل وأنا أريد المسير أنا وابن عمي إلى عزمات وأعداك (قال الراوي) فعند ذلك أجابه عنتر إلى ذلك وقال له اعلم يا أخا الجان أنه قد خطر بقلبي أمر وإني أريد أن أسألك فيه وإن كان فيه سوء أعلمني فقال له قل يا أبا الفوارس ما تريد من السبب فقال له هذه الصورة صورتك فقال له صورتي غير هذه الصورة وإذا أردت ذلك فاركب جوادك وانظر ما نفعل من الاهوال بأعداك فعند ذلك ركب عنتر وشيبوب والخذروف في ركابه فلم تكن غير ساعة إلا والجان قد أتت وهي تركض في تلك البطاح وهي طالبة الحرب والكفاح فقال عنتر بعد أن ركب جواده الابجر وشيبوب والخذروف فسمعنا أصوات هائلات وضجات مرتفعات وزعقات متواليات من الجان الغارات الغواصات نخيل لهم أن الأرض قد انطبقت على السموات ولا نرى لهم بأعيننا حركات فقال عنتر يا شيبوب والله ما نحن إلا كأننا نحكم في الأسر فقال له ملك الجان أي شيء هذا الكلام يا ابن شداد إن أعداك هم الذين يكونون في الأسر الآن فقال عنتر وحق ذمة العرب الاجواد ما أنا إلا صادق فيما قلت لاننا ما نبصر بأعيننا لا أبيض ولا أسود بل نسمع ضجات وهياطات فقال له ملك الجان يا فارس الزمان وتحب أن تبصر أعيانا فقال له نعم يا ملك الجان فعند ذلك أخرج ملك الجان مكحلة وميلا من الذهب وكحل عنتر وشيبوب والخذروف (قال الراوي) ولما أنهم اكتحلوا الثلاثة فقال عنتر والله لقد رأينا خلائق غير قليل وجيوش كثيرة بخلاف الآدميين وأجناس مختلفات من طوائف الجان منهم أبدان بلا رؤس ورؤس بلا أبدان وبعضهم على صورة الطيور من النسور والعقبان وهم على سائر الالوان وبعضهم على صور الجمال والخيل والبغال وبعضهم على صورة الجاموس وبعضهم بأربع رؤس وبعضهم على صور القطط وعلى صور الحيات وشيء على صفة الكلاب وشيء على صفات السباع قال عنتر وقد رأيت فارسا راكبا على جواد قد علا في الهواء وطلب القتال وهو على جواد أدهم كأنه الغراب الاسحم وعليه درع من الزرد مضاعف العدد كأنه عيون الجراد لا يعمل فيه الصارم المهند وقدميه تدق الأرض من طول قامته وكبر جثته وعظم هامته وما زال يكر في الابطال ويسقيهم كاسات الوبال ويبترهم بالصارم النصال ولم تكن غير ساعة حتى ظهر غبار عالي المقدار وتحته من الجان جيش جرار وهم مثل الآدميين لكنهم عدد التراب وفي دون ساعة احتاط بعضهم ببعض وقد خالوا طولا وعرض ووقع بينهم القتال

وكثرت الاهوال فما كنت ترى إلا قتال شديد يلين له صم الجلاميد وكان أحدهم يأخذ النار من فاه يضرب الفارس الذى حذاه فيحرقه فى عاجل الحال ويتركه ملقى على الرمال فلم تمكن أكثر من ثلاث ساعات من النهار حتى انكسرت أعداء عنتر والملك سلهب فى أقفيتهم هو وقومه وقد صارت أعداهم متفرقات فى الفلوات شاذ ذات وفى أثرهم صيحة تذهل العقول وتترك من يسمعها مذهول وبعد ذلك عاد سلهب وهو على جواده ومعه خمسة مثل الأطواد وهم مقيدين مصفدين فى الأصفاد ولما وصل إلى عنتر قال له يا أبا الفوارس أعلم أن هؤلاء أعداك فبرد بقتلهم فؤادك واطفى نار حشاك وهم الذين قتلوا ولدك الغضبان وأحرقوا قلبك بالنيران فلما سمع عنتر منه هذا الامر والشان ما بقى يعرف اليمين من الشمال وقال عنتر يا أخا الجان اعلم أننى أشتهى أن أقتلهم بيدى لعل أن ينطفى ما بكبدى فقال له يا فارس الزمان ويا حامية عبس وعدنان أعلم أن حسامك ما يقطع فى الجان ولو كانت تقطع فينا كانت قطعت معك فى وادى صارخ وتلك القيمان يوم قتلوا ولدك الغضبان فقال له عنتر يا أعطينى سيفك حتى أنى آخذ ثارى بيدى وأكشف عنى عارى فناوله الملك سلهب الحسام فأخذه عنتر منه وقد أبدى الابتسام وتقدم عنتر إليهم وقد زادت بهم العبر والسيف فى يمينه مشتهر وكان هذا السيف مطلسم منقوش فتقدم عنتر إلى واحد منهم وضربه بذلك السيف قسمه نصفين وتركه دلوين وقد ضرب الآخر جعله شطرين وقد قرت منه العين وقد ضرب الباقى لى أعناقهم طير رؤسهم ولما فعل ذلك فذكر ولده الغضبان فجرت دمعة من الأحقان وقد تذكر ما جرى له مع أعداء فى هذا المكان فأنشد يقول

دار عبلة فوق المنصب العالى	ومجدها ساعد المشترى العالى
سقيا لدار كانت أخلاف بها قرت	فقد رووا وأبرق سحب المزن هطال
وكم عبلة علمت أنى فارس شرس	ليس كمى وفى العزمات ريبال
وأخوض بحر المنايا وهو ملتطم	بكل أبيض فصال وعسال
وأقتحمها إذا ثارت ولها شرر	من نفخ حاميها زادت اشتعالا
وأورد الخيل علقم النقع من ظما	بحر الهلاك فتنهل بئس انهال
أسرت كل الفوارس عرب مع	ونجم سعدى من فوق السها عال
ياعبله إن كان قد وقع الفراق بنا	وحال من بيننا بحر وأجبال
وكان بين جسمى نيران مضرمة	ماتنطفى يامنى قلبى وآمالى
وقد سقم جلدى من بعد قوته	وغير البين بين الناس أحوال
وقل صبرى الذى أرجوه يعيننى	عدمته وتزايدت أفكار بلبال
والشيب فى مفرقى ياعبله ينذرنى	وهو الرسول يخبرنى بارتحال

يا عبيلة ماهد ركنى فى الزمان ولا ... أضنى فؤادى سوى فقد الأشبال
يا عبيله فقد غصوب زادنى حرقا ... لهفى عليه طريحة فى الثرى بال
ومصرع الفارس الغضبان أورثنى ... جوى ودمعى على الخدين سيال
من كان سيفى ورمحى فى الحروب إذا ... سطت على صنـاديد وأقيال
لهفى عليه وقد رمــوه مجدلا ... فى أرض صارح رهنا بين أحبال
جارت عليه الليالى والزمان معا ... والدهر ما زال فى إدبار وإقبال
قتلته أسياف قــوم لا شبيه لهم ... ولا مثـال ولا شكل ولا حال
من معشر الجن أعظم الرحمن خلقتهم ... وصوروا من حـميم ثم صلصال
أشباحهم كجـذوع النخل هائلة ... ترتاع منهم أسـود ثم أشبال
لأنهم أضرموا للحرب موهجة ... يطير منهـا شرار هائل عال
وصارت أشخاصهم بالليل ترشقنا ... حتى تفانوا بنى عمى وأخوال
تبكى عليه سيوف الهند معطلة ... تحت العجاج ويندب كل عسال
وينتحب كل قــرم أجذ ولهم ... مضمر من جياد الخيل صهال
وقد عوات بأخذ الثار يا والدى ... بأخـذ ثارك يا سؤلى وآمالى
أخذت ثارك يا غضبان مقتدراً ... بحد سيف صقيل المتن فصال
وصرت أطعن فى لباتهم حنقا ... بأسمر من رماح الخط عسال
جرعت قاتلك كاس الموت يشربه ... بصارم الملك الشهـير العال
لو كنت أقتر عن ثارى لما نسبت ... إلى آل عبس ولا السودان وأخوال
ضربت رؤسهم بالسيف مقتدراً ... فساح دمهمو على الأرض سيال
أنا الشجاع الذى ما رايت منزلة ... إلا وأركبـها سعدى وإقبال

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من إنشاده وملك الجان شهلب يتعجب من فصاحته وقوة جنانه وقد شكر عنتر وأثنى عليه وقبله بين عينيه ثم أن عنتر أخذ منه الإذن فى المسير إلى الجيش وأن يمضى إلى ابن الملك قيصر فأذن له ملك الجان وقال له يافارس عدنان لو فعلنا مافعلنا ما جازيناك على ما أوليتنا من الإحسان * أخذ منه الأذن فى المسير وقد قبل عنتر فى الركاب قدميه فارس عنتر روحه عليه وقبله بين عينيه وشكره وأثنى عليه وأمره بالرجوع إلى الأوطان وهو فرحان بأخذ ثاره واقتداره على الفرسان والشجعان وشيبوب والخذروف بين يديه يقطعون القيعان إلى أن وصلوا إلى الجيش وقد دخلوا إلى عند الملك هرقل ابن قيصر ففرح برؤياه واستبشر ونهض له قائماً على الأقدام وقد أخذه بالأحضان وأجلسه إلى جانبه وسأله عن عجائبه وما تم عليه من الجان وما لاقى من الأهوال فى ذلك المكان

فحدثه بجميع ما جرى وكيف أخذ ثاره من الجان وقد برد حر ناره فى ذلك الزمان فتعجب الملك هرقل من عظم سعادته وقوة عزيمته والإمكان وقد باتوا تلك الليلة فى ذلك المكان وقد فرحوا بالأمن والأمان وعلو الشأن وقد راح عنتر واستراح إلى أن بدت غرة الصباح فعند ذلك أمر الناس بالرحيل والرواح وقطع الروابى والبطاح فبينما هم على ذلك وإذا بغبار قد ثار حتى سد الاقطار والأرض منه تدكدكت والمياه قد تغيرت وتكدرت والزوابع قد ارتفعت وقد سمعوا دق كاسات ونعير بوقات وكان ذلك جيوش أفرنجية وعساكر أندلسية وفى دون ساعة انكشف ذلك الغبار وبان من تحته عشائر قد ملأت الأقطار والجميع يعبدون المسيح ويشدون الزنار وهم مثل قطع النار وهم يجدون المسير فى تلك القفار (قال الراوى) وأعجب ما فى هذه السيرة الحجازية أنه كان المقدم على هذه العشائر الأفرنجية والجيوش الاندلسية ملك يسمى عنان بن الملك جنظيائيل صاحب مدينة الاندلس وقدامه القسس والشمامسة والمطران الكبير والراهب صافير والبطارقة الكبار والعمالقة الطوال وهم قد أتوا عازمين على الحرب والقتال قال الراوى وقد كان السبب فى هذه الاحاديث وأمر أعجب من كل عجب يجب أن يؤرخ ويكتب بماء الذهب ليعتبر به أهل الذكاء والمعرفة لما فيه من الاقوال وذلك أنى ما جمعت هذه السيرة والفتها الا على قاعدة الصدق والخبرة بالاخبار المذكورة وذكرت ما جرى فيها من الامور المشهورة التى قد أخذت عن أصحاب التواريخ تواريخهم وثقاة المحدثين من أهل السير وحديثهم وقد جمعت حديثا كأنه الدر والجوهر النفيس وسبائك الذهب لا يليق سماعه الا لذوى البصائر والعلماء والفضلاء والملوك الاكابر لانه نزهة للناظرين وانشراح للخاطر لم يجمع أحد مثلها من أهل السير لما فيها من الاحاديث والامثال والعبر وغرائب الاقوال وقوة الفصاحة والشجاعة وجودة الفكر وفنون الغرائب والكلام المعتبر وذلك بأننا قدمنا فى هذا الديوان من قبل هذا الكلام أن عنتر لما تمسك فى بلاد الشام وكانت مسكنة على يد شيخ بنى فزارة سنان لما كمن له فى رحيق الرمل وضيق ذلك المكان ورتب له هناك الروم والافرنج وجماعة من بنى غسان وقبضوا عليه وعلى من معه وكانوا أربعمائة فارس من بنى عبس وعدنان وكان السبب فى مسكنه من ذلك المكان ولده ميسرة وأخيه مازن الاسد الفاتك لما تتماه لاوأخذا أسماء وهرب وهى زوجة مجيد بن مالك وكانت قد أكثرت البكاء والانين والاشتكاء وما هدأت لها لوعة ولا نشفت لها دمعة حتى سألها سنان شيخ بنى فزارة الطائفة الغدارة عن سبب ما هى فيه من تلك العبارة فقالت له اعلم أن هذا ميسرة بن عنتر وهذا أخيه مازن بن شداد وأنهما قد سرقانى من الخيام من عند بعلى وهربا بى إلى الشام وهذا ما ترى من الحال ثم أنها قد أمسكت على جميع ما جرى لها فلما سمع سنان منها ذلك الكلام فرح وقد انشرح وقد زالت عنه الهموم والترح فمسكهما وقال لابد

لعنتر أن يلحقهما إلى هذا المكان ويأتي ومن معه جماعة من بني عبس وعدنان ولما عم عنتر بخبرهما أتى إليهما فسكهم سنان وكان ما كان من أمر عنتر ولحق أخوه وجرى له ما جرى وأما عند الملك الحارث الغساني وقد فرح بقبض عنتر وبه استبشر وقد أرسل الحارث الملك قيصر يعلمه بأنه قد احتوى على عنتر ومعه أربعمائة فارس وقد سأله هل تبقى عليهم أو يرحلهم أو أنه يهلكهم أو يكون الحال (قال الراوي) وأن من القضاء والقدر أن في تلك الايام رأى الملك قيصر منام ورأى فيه ذلك الذي جرى وتدبر وأخبروا ان المسيح لقد حضر وقال له أعلم أنه قد آن أوان رغزوات وأن تخرج وتملك أرض مصر وملك أنوشروان والحجاز وتملك جميع تلك الامصار وتكون الت جماعه من أرض الحجازات أعوان وأنصار وفي تلك الأيام قد وصلت إليه مراكب من جزائر البعض وفيهم ذات المعتدى الذي كان يسمى سيرون مكيد وكان ابن أخت ملك الاندلس جنطيائيل وكان فارس مليح زاهد معزمات لثبات وقد كانوا يسمونه رجال الاندلس فارس الناسر وكما وصل ذلك الفارس إلى الملك قيصر أوسله هو وجماعة من عنده إلى الملك الحارث وقد وصاه أن يبقى على عنتر وبعد ذلك جرى ما جرى وقتل الملك النعمان لما تحايل عليه الملك كسرى أنو شروان وطمعوا فيه الروم كأن النصارى قد طمعوا في دولته وقد جهزوا عشائرهم والجنود لما أنهم سمعوا أن عشائر العجم في يوم ديقار كان كسرها هانىء بن مسعود وكان في ذلك اليوم في ثمانية آلاف فرسان وقد كانت العجم في مائة ألف عنان فارادوا الروم وملك بني غسان أنهم يسيروا إلى العراق وتلك البلدان وبعد ذلك يسيروز إلى مدائن كسرى أنوشروان ويملكونها إلى أقصى خراسان فلما سمع الملك كسرى فارسل إليهم إياس بن قبيصة في كثير من الفرسان وصحبته رستم فارس الزمان وقد تقاتلوا الاعياء فقتل رستم فارس البحر بالعمد ولما ملك أبو الدوح البلد وقتله عنتر ومن معه من الفرسان لما أطلقوا عنتر النسوان ولما قتل فارس البحر هربوا أصحابه وطلبوا الفرار خوفا من العار ونزلوا من أنطاكية في المراكب وساروا طالبين الجزائر وما زالوا إلى أن وصلوا إلى الأندلس تلك البلدان والديار وعلموا الملك جنطيائيل بهذه الاخبار وقد نعوا إليه قتل ابن أخته الفارس السكار ولما سمع جنطيائيل هذا الكلام ما هان عليه قتل ابن أخته وصعب عليه وكبر لديه وقام وقعد وارغى وأزبد وكفر وجحد وتمرد وقد حلف بدينه والمعبد الاكبر وما على الكنيسه من الصلبان والصور وبالمسيح ابن مريم وبكل من شد وسطه وتزنر لا سار إلى هؤلاء إلا هو بنفسه ويأخذ الثار قبل كل شيء من الملك قيصر ويمحق شافته ويبيد غابرته ويخرب دياره ويزيل عنه ويملك رومه الكبرى وقسطنطينة العظمى ويسير بعد ذلك إلى أرض الحجاز ويملكها ويخرب قلعتها ويأخذ العراق وخرسان ويقتل كسرى أنو شروان ويملك سائر البلدان إلى قزوقاشان

والنهر وماوراء النهر ويخرب بيوت النيران ويجدد ملة الصلبان ويبطل الأصنام وجميع الاوثان ويقتل هذا الذى ولد فى آخر الزمان وهو بارض الحجاز الذى يصير نبيا يعبد الدين القويم ويبطل الطريقة المسيحية والملة المريمية ومن شدة ما حصل له وتزايد به من غيظه على ابن اخته الذى قتل فى أرض الشام وقد حلف أنه يأخذ فى ثاره من سائر الانام (قال الراوى) وكان هذا الملك جنطيانيل ملك شديد وفارس جليد وبطل صنديد وليث عربيد وكان طويل القامه عريض الهامة كبير الجثة وافر البدن قوى الاطراف مليح الانعطاف واسع المحاجر طويل الاظافر وقد كان طوله اثنى عشر ذراع لا يفزع من الموت ولا يرتاع من الفوت ولا يمل من الحرب والفزاع وقد كان أبوه من نسل العمالقة يقال له الملك المطاع ابن الملك القعقاع وكان على ما ذكرنا طوله اثنى عشر ذراع بالهاشمى وقد عاش هذا القعقاع من العمر ستمائة عام فى زمان المسيح وقد تولى ابنه من بعده المطاع وقد عاش من العمر ثلثمائة عام على التمام الا أن ابنه جنطيانيل الفارس الضرغام كان عمره فى ذلك الزمان مائتين وسبعين عام الا أنه كان عظيم الخلقة واسع المنخر غليظ قبيح المنظر أصابعه تزيد عن شبر ن كبير اليدين طويل الرجلين واسع الجبهة مبحلق العينين وقد كانت له آذان كدورر حايتين وعنقه أطول من عنق البقر وكل من رأى صورته يذعر وهو فارس عظيم وبطل جسيم وشيطان رجيم لا يقدر يقاومه فارس لان خلقته خلقة الجن والابالسة عظامه صفح مافيها مخ بل أنها صم وهى عظام خلقة البارى ذو الجلال والاكرام ولا تحمله الخيول البحرية ولا العربية ولا الهجن البجاوية ولا تحمله إلا الافيال العتية لطول هامته وعرض منطقته لان عرض دور منطقته ثلاث أذرع من اذرع الرجال وكان من الافيال لانه آفة من الآفات وبليه من البليات وهو مصيبة عظمى كأنه صاعقة من السماء ولا يقاتل ولا يناضل بسيف ولا بسكين الا بعامود من الحديد الصينى ويقاتل بالحرب والمزاريق وقد كان وزن عاموده أربعمائة رطل وتسعة أمنان وطوله بالذراع الهاشمى تسعة وعرضه أربعة وقد كان بعد أبيه قد عار على البلاد وملك المهاد وقد كان ملكه إلى حد فلسطين إلى فاس إلى تونس إلى القيروان إلى الاسكندرية إلى دمياط إلى مدينة أسيوط إلى الاهواز وأسنا والمنصورية وقوص وبقارة وإصواذ وطوخ الترامس وضبورا وأم القصور وانصنة إلى الاشمون إلى بلاد أخميم إلى بلاد النوبة وإلى بلاد السودان إلى كباجة إلى تكرور إلى دروا ومرواه وإلى قريطه إلى الواحات إلى الصعيد إلى مدينة البهنسة إلى أهنامن وكل هذه البلاد كانت تحت يده وطائعة لأمره وتخاف من شره ومن شجاعته وفروسته وعظيم براعته ويحمل إليه الخراج (قال الراوى) ولولا الإطالة لشرحت لكم ملك بعد ملك وجزيرة بعد جزيرة ومدينة بعد مدينة ومدائنه وبلاده وكم عدد أجناده

وجيوشه وقد كنت أذكر لكم الديار المصرية وجزائرها وسائر بلادها وأماكنها والجزائر الشرقية والبحرية والغربية والقبلية وأذكر لكم بلاد البجاه والسودان وأرض الصعيد وملك النوبة وتلك البيد وما اشتملت عليه تلك الأقطار والبلاد ولكن اقتصرنا على هذا الكلام كثرة التطويل وإلا خشيت على النفوس لا يحصل لها ملل من كثرة القال والقيل بل اقتصرت هذا المنهل القليل ولقد أتيت في هذه السيرة الحجازية بكل نادرة عجيبة ولكل حكاية غريبة وهي كاملة المعاني والبيان عظيمة القدر والشان لا يسمعها إلا أهل البصائر والعرفان ومن لهم عقول حاضرة والباب لا يفهمها إلا أهل الخطاب ولا تقرأ إلا بين أهل المعرفة والافهام لأنها كالزهر في الرياض (قال الراوي) إلا أن الملك جنطيانيل صاحب هذا الملك العظيم الجسيم لما حلف بدينه وتلك الايمان اقام مدة من الزمان إلى أن سمع بقتل الملك الليلبان وابنه سرجوان وقد سمع بأن عنتر بن شداد فارس الحجاز شجيع بني عبس وعدنان ومعه جماعة من بني غسان ومعه من أبطال الروم من كل فارس قسور وبصحبته الملك هرقل ابن الملك قيصر وأنه قد ملك جزيرة الكافور وقلعة البلور وأقعد فيها كوربت وقد أطاعته سائر الجزائر التي تليها وسار وقد ملك مدينة الواحات وجزائرها وقتل الملك صافات ورتب عليهم دفع الخراج والمال والعداد وأنه قد فتح القصر وتلك البلاد والجزائر والمهاد ماهان عليه قتل الملك الليلبان وابنه سرجوان وقتل الملك صافات صاحب الواحات لأن تلك البلاد كانت تحت يده وخراجها يحمل إليه وقد كان له ولد يسمى عنان وقد كان فارس عظيم في الميدان وشجيع الوقت والزمان إلا أنه لما سمع بذلك الشان وما أخذ عنتر من المدائن وسائر البلدان والجزائر صعب عليه ذلك وقد أرغى وأزبد وقد خرج الزبد على أشداقه وقد حلف بالمسيح والانجيل الصحيح أنه لا يترك من هذه الجيوش والعشائر لا أبيض ولا أسود ويقتل أبا الفوارس عنتر وكذلك هرقل بن الملك قيصر وبعد ذلك يسير إلى قيصر ويملك بلاده ويهلك عشائره وأجناده ويفني منهم كل فارس همام ويملك انطاكية وأرض الشام ومن وقته وساعته استدعى بابنه عنان وقال له سر من وقتك وساعتك إلى هذا الرجل الأسود المسمى بعنتر واقتله وأهل هرقل بن قيصر واقتل جيوشه وامحق منهم الأثر ولا تترك لهم ذكرا يذكر ويكون المسيح في عونك والمعبد الاكبر فلما سمع عنان من أبيه ذلك المقال أجاب بالسمع والطاعة وقال له أنا اسير في هذه الساعة ثم أنه نادى في جيوشه بالمسير وقد فرق على عساكره الأموال وفرق عليهم العدد والخود والبيض والدرق والسيف والرماح والخيول لما أكمل أمر بتجهيز المراكب واعتدت الفرسان وقد صار يعقد منهم ومن راكبين والزرد لابسين وقد تجهزوا في المراكب وقد سارت تلك المراكب والكتائب الذين هم بعدد السيل وقد رفعت على رأس بن الملك جنطيانيل الصلبان والبيارق وسائر الاعلام وقد

دقت النواقيس وتقدم كل مطران وقسيس ثم إن الملك ودع ولده وقد أمره أن يكون من أمره على حذر وإن هرقل بن الملك قيصر وهذا الأسود الذي يسمى فارس عبس وعدنان عنتر وقد سارت المراكب في تلك البحار ولم يزالوا يجدون السير ليلا ونهار وقد طاب لهم الريح السيار إلى أن أشرفوا على جزائر الواحات وتلك الديار وقد لاح لهم البر ودخلوا الميناء ونزلوا من المراكب وركبوا الخيل وساروا الليل والنهار إلى أن قابلوا عنتر وبان لهم ولاح لهم الغبار وعلا وزاد إلى أن اسودت منه الأقطار وامتلأت بهم الأرض وتلك الديار ولم تمكن غير ساعة من النهار حتى انكشف ذلك الغبار وبان للابصار عن برق الزرد ولمعان الخود والرايات والصلبان والبيارق والأعلام والصناجق على رأس عنان فارس الزمان ابن الملك جنطيانيل وعباد المسيح والانجيل وقد وقعت العين على العين وقد ناح عليهم غراب البين ولما رأى الملك هرقل إلى تلك الجيوش اصفر لونه وارتعدت كونه وكذلك كوبرت خاف وانذعر وأما جيش الروم لولا الفضيحة والخوف من عنتر كانوا هربوا إلى الفرار عولوا فقال لهم عنتر مالي أراكم قد انزعجتم وما الذي رأيتم حتى أنكم فزعتم من هؤلاء الطاجير المحلقين اللحاق وأي شيء يكونوا هؤلاء الانذال المخرقين الآذان والأدبار فوحق الواحد المنان المعظم السلطان الدائم على الدوام الذي لا يشغله شأن عن شأن أنا وحدي أفنيهم بهذا الصارم الذكر ولو أنهم بعدد المطر وورق الشجر أو بعدد أمة ربيعة ومضر أصدمهم بصدر حصاني الأبجر وحسامي الضامي الأبتر ورمحي الأسمر وصوتي الأدعر واترك لي ولهم حديث يذكر تتحدث به الناس سيرا بعد سير وأدعهم عبرة لمن اعتبر وأنتم لا تباشروا حرب ولا قتال وانظروا كيف أبتر رؤسهم مثل ورق الشجر وأخلي الدماء تسيل في هذه الجزيرة مثل سيل المطر وأي شيء هؤلاء الطناجير يعدون مثل فرسان البشر فما بينكم وبينهم إلا صيحة من صيحاتي وحملة من حملاتي وقد أشتتهم في هذه الجزائر ولا أخلي الأول منهم يلحق الآخر فقالوا له يا أبا الفوارس نحن ما فزعنا من هؤلاء الاشرار وإنما فزعنا من ملكهم الغدر لأنه فارس مغوار ما يقع على فروسيته عيار وهو أسد كرار لا تحمله الخيول العربية ولا الخيول البحرية ولا الهجن إلا الأفيال العتيقة ولا يقاتل بمهند ولا يناضل إلا إن كان بالعمد وهو شديد البأس صعب المراس قوي الرأي أطول ما يكون من الناس وهو ملك الأندلس إلى أقصى بلاد فلسطين والجزائر البحرية والقبلية والغربية والشرقية والمصرية وهذه الأرض التي نحن فيها من تحت يده وتحمل إليه الخراج والعداد وابن الملك قيصر كان لا يتعرض لأجله إلى هذه الأرض لأن يا أبا الفوارس يخاف منه كل من في الأرض وإن له عشائر بعدد الرمال وأبطاله مثل السيل إذا سال وأما ابنة عنان فإنه فارس العصر والزمان وشجيع هذا الأوان إلا أنه أقصر باعا من أبيه في الميطان وكانك به وقد أتى إلينا في الأبطال والاجناد وعشائره ومن له من الاقيال ولو كان علمنا بان هذا يجري علينا

ما كنا أتينا ههنا ولا كنا سرنا ولا التقينا الملك الليلمان وكنا أقمنا فى أوطاننا وبلادنا وكانت عشائرنا كثيرة زاجناد نا غزيرة ولما سمع عنتر منهم هذا الكلام قال لهم لا تخافوا من هؤلاء الفرسان فانهم الاغنم ونعامات سارحات وها أنا بين أيديكم وستروا ما تقر به أعينكم وأما ما ذكرتم من أمر هذا الفارس وملكهم جنظيائيل الذى ما يحمله إلا كل فيل فلا تفزع من طوله ولا من عرضه وسوف أقده بحسامى الذى لو ضربت به جبلا لهذه وأما فيله فلا تحمل همه فانى معود بقتل الأفيال وأنا فى القيود والأغلال لاسيما فى كل فائدة اسمى فيها باسم النبى المفضل فانى أسال الله تعالى بجاه محمد ﷺ أن يمدلى فى العمر حتى يبعث هذا النبى الكريم وأقاتل بين يديه كل جبار اثيم وشيطان رجيم ولا تفزع يا ملك الزمان ولو انطبق على خلق الشيطان فانهم بهم أملى وفى قتالهم أوفى فلما سمع الملك هرقل من عنتر ذلك الكلام فرح واستبشر وأمل بالنصر والظفر وفى دون ساعة زعق وزجر وأمر أصحابه بالحملة على تلك الدساكر وكذلك الملك كوبرت زعق فى دساكره فجرت وإلى حروبها انتصبت وقد زعق فى تلك الدساكر وحمل ودعس فيهم بجواده الابجر وضرب بالعمد وما اقتصر وقد ترك الجماجم تتساقط كأنها الأكر لله دره من أسد قسور وليث أغبر وشجيع غضنفر وأما عشائر الاندلس فانها لما وقعت عينها على عشائر الملك هرقل فزعق فى أوائلهم عنان وحمل ذلك الجيش وقد ثار الغبار واعتكر وقد دقت النواقيس وصاح كل مطران وقسيس وحملت البطارقة والعمالقة وقطعت السيوف الخود البارقة وقد صارت النفوس زاهقة والأرواح من الاجساد مفارقة والفرسان باخصامها عالقة وسوق المنايا بعد الكساد نافقة وقد سالت الدماء على الحصى والجلمود وغاصت الاسنة فى العلائق والكبود وقد تنكست الاعلام والبنود وقد ركضت حوافر الخيل فوق الاضلاع ومزقت الجلود وتبدلوا بالعدم بعد الوجود وسارت الوجوه من شدة القتال سودا وقد تضاربت الافرنج والروم باللت والعامود وسار الجبان مفقود وقد كانوا القوم بين فاقد ومفقود وشقى ومسعود وزادت زعقة الشجعان وساروا مثل الأسود واقشعرت الابدان وتمزقت الجلود وقد فاضت منهم المدامع على الخدود وانكسرت الصوارم ومالت البنود وأما عنتر فقد أشعل نار الحرب واصطلاها وضرب بسيفه الرقاب أبراها وأزل الدم وأجراها وأطعم من لحومها بعدان فراها وتلق الابطال بالضرب وأجرى دماها وقد نثر بسيفه الضامى رقابها ومزق كلاهما وقد جالت الخيل بفرسانها ولعبت بابطالها وقد تصادمت أقيالها وتبدل نهارها بليلها وعشائر الروم قد انحصرت واخلصت إلى القتال نياتها وقد زعقت أصواتها بعيسى ومريم وقد علت زعقاتها وطعنت صدور الاعداء بقنطارياتها وفلقت جماجم بمشرفياتها وقد طحنت رجال الاندلس بسمرياتها واسودت الاقطار من سائر جنباتها وقد ركضت بخيلها واخلصت أعنتها

وزاد بلبالها وقد حامت على أجسام ساداتها وكان ملك الموت قد دار عليهم من المنايا كاساتها وكان رسوله عنتر وقد أسقاهم علقم شرابها لله در عنتر بن شداد فانه كان كالنار المسعره ذات الشرر التى لا تبقى ولا تذر وقد جال فيهم بجواده الابجر وضرب فيهم بحسامة الضامى الأبتر وشيبوب والخذروف بين يديه يحمون جواده الابجر وقد ترك الافرنج على الثرى عبرة لمن يرى واعتبروا مالك عنان لما رأى فعل عنتر فى الميدان فحمل وخرج من تحت الأعلام وبرز وبان بعد أن كان تحت الصناجق والأعلام وقد صار يطلب الكفاح والصدام وقد كثر الصياح والزحام وعظم القتال واشتدت الأهوال وقد زاد الحرب اشتعال وكثر القيل والقال وهلكت الرجال وقد جاء الحق وزهق المحال ولما نظرت عشائر الاندلس إلى ذلك الحرب والقتال فلله در كوبرت ومافعل فى ذلك اليوم من الفعال فانه فلق الهام وقد نثر الرؤس من الأقوام وخلا جماجم مدحرجة تحت الأقدام وقد جرى بينهم عجائب تشيب الأطفال وأحوال تحير الأوهام ولم يزالوا على هذا الحديث والكلام وهم فى صدام ولزام وتجريع الموب الزؤام إلى أن ولى النهار وأقبل الظلام وعادوا إلى المضارب والخيام وقد استظهر الروم على عشائر عنان ولولا الخوف من العار كانت قد طلبت الهرب والفرار ولما رجعت عشائر الروم فاكان فيهم إلا من يثنى على أبى الفوارس عنتر فاثنى عليهم ولهم قد شكر وعنتر لانه قد أوعدهم بالنصر والظفر ففرح الملك كوبرت واستبشر وكذلك الملك هوقل بن الملك قيصر وكل منهم لعنتر حمد وشكر فهذا ما كان من هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من الملك عنان فانه لما عاد من الميدان فرأى الأرض قد اللمت من أصحابه فماب صوابه وقد داخله الفزع وحل به الجزع وقد أوقدوا النيران وتحا سوا مفريقان فعند ذلك شكت أهل الاندلس إلى الملك عنان مالقيت من عنتر ومما قاست من الموت الأحمر فى ذلك اليوم لأعبر ومافعل فيهم من العبر وقد أخبروه بمن قتل ومن أسر فقال لهم لما سمع مقالهم وسمع شكواهم واذلالهم أقبل عليهم وقال لهم ما أفنا كم وبدد شملكم وفرق جمعكم إلا هذا الأسود والبطل الأنكد المسمى بعنتر وفى غداة غد أبارزه واقتله واقتل لكم من بعده هرقل بن الملك قيصر وكذلك كوبرت الغضنفر وكل من معهم من المشائر وهل أرسلنى أبى ملك الزمان لاقتل هؤلاء الفرسان واقتل سرجوان بن الليلبان ولم أدع منهم إنسان ولم يزالوا إلى ذلك الرواح إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وطلعت الشمس من على الروابى والبطاح فعند ذلك ركبت العشائر واصطفت وترتبت الفرسان وقد همت الطوائف بالحملة على بعضها بعض وإذا بفارس قد برز من عشائر الاندلس راكبا على جواد أحمر عال من الخيل مضمر اقبل أوأدبر افتن الناظر إذا نظر بين عينيه غرة تزهر كأنها دائرة القمر جريه أسرع من لمح البصر واسبق من خيل ربيعة ومضر حديد النواظر

مدور الحوافر صنعه الملك القادر متسع الكفل لا يوصف بالتعب ولا بالملل ولا بالنصب ولا بالفشل وعلى جسده زرديه بالذهب مطليه لا تعمل فيها السيوف الهنديه ولا الرماح الخطيه وهو معتقل بقنطاريه خلنجيه متقلد بصفيحه هنديه وعلى رأسه بيضه ذهبيه عاديه وفى ظهره مرآة تخطف النظر ومن خلف ظهره صليب من الجوهر وهو كأنه الاسد العابس وقد ترجل فى ركابه ألف من ألف فارس وما زال إلى أن توسط الميدان فرجعت من حوله تلك الفرسان ثم أنه أشار إلى طوائف الروم بالبراز وطلب الانجاز وطلب الملك هرقل والملك كوبرت وعنتر فارس الحجاز فلم تم كلامه حتى سار عنتر قدامه وهو راكب على ظهر جواده الابجر متقلد بسيفه الضامى الابتر معتقل برمحه الكعوب الاسمر وقد حمل عليه كأنه الاسد الغضنفر فتلقاه عنان كأنه النمر القسور فجال عليه عنتر بنية غير فاترة وقد طلعت على الاثنين الغبرة وقد كان لهما وقعه عسره تذهل من الشجاع بصره وقد أبصروا الارض عليهما ضيقه منحصرة وقد نزلت عليهما من الله أقداره المقدرة وقد ضاقت منهما النفوس من أسباب المنايا هذا كله والفارسان قد أظهرا أعجبا حتى كانت الخيل منهما تعبا وقد مشيت بعد الجرى خببا وقد صارت الانفس علقا وسالت الاجساد عرقا وقد جاعا الاثنين وعطشا وحارا واندهشا وقد مضى النهار مندجا وقد صار البر ضيقا حرجا وقد طلب من شدة الظما فرجا وكان هول ذلك اليوم من أعجب العجب حرجا ولما رأى عنتر ذلك اليوم حاذاه وساواه وقد طعنه بالرمح فى أحشاه أطلع السنان يلمع من قفاه وقد مال عن الجواد فعند ذلك زعق عنتر ونادى يا لعبس الاجواد أنا عنتر بن شداد فانجدل صريعا يعج علقما ونجيعا ولما رأت الافرنج إلى ابن ملكها قتيل وعلى وجه الارض جديل زعقت بالانجيل واكبت رؤسها فقرا بيص سروجها وقد وطنت على الموت نفوسها وقد دقت نواقيسها وقد طمطمت على عنتر بالافرنجيه وزعمت أنها تسقيه كاس المنيه فعند ذلك نزل الحديد على الحديد وقد بان الضعيف من البطل الصنديد وقد حملت الابطال الاماجيد والبطارقه الصناديد وقد قدح الشرار من الجلاميد وقد جرى الدماء على الصعيد وبانت أعلام هلاك الموت قريب وبعيد وقد عرف الشقى من السعيد والشجاع من الجبان البليد وقد جال فيهم عنتر وأطرحهم على الصعيد وقد أهلكهم وفرقهم ومزقهم وصلبوا على وجوههم وأمطرت سحائب الدماء على أهل الاندلس ودمدمت رعود المنايا على الاجساد فاهلكتهم وقد حمل عنتر بن شداد على الفرسان وهجم على الشجعان وأجرى أدميتهم على الارض فصبغ بها الميدان وقد أهلك الفتيان وقد هاج فى الحرب والقراع كتهيج السباع وشيبوب والخذروف يحمون جواده وظهره بالنبال فلله در عنتر ما فعل وكم أهلك فى ذلك اليوم وقتل لانه خرق الصفوف وسقى أهل الاندلس شراب الحتوف وقد مزق من عشائرهم أكثر الصفوف وقد وضعت أهل الروم فى أهل الاندلس

السيوف وقد قويت قلوبهم بعنتر شجيع المشارق والمغارب فلم تكن غير ساعة حتى أهل الأندلس الأدبار وركنوا إلى الفرار وقد تركوا أموالهم وأثقالهم وطلبوا الهرب وقد رأوا سلامة نفوسهم وغنائمهم أوفى مكسب فتبعهم عنتر وهو يطعن فى ظهورهم بالرماح المداد هو ومن معه من الروم الشداد إلى آخر النهار وقد عادوا إلى أماكنهم والخيام وقد أهلك عنتر عالما لا يقع عليهم عيار وقد تذكر عنتر عودته مما قاسى من الأهوال وهجومه على المهمات الثقال فخطر على قلبه من الشعر ارتجاز فأنشد وجعل يقول هذه الأبيات

اعطنى رمح الحسامى فلقد طال مقام وإذ نادى منادى
اهتزت فرسان الأنام أين أبناء الكريهة أين أبناء الكرام
فترانى أطلب السوط لكل ليث صدام وعلى جسمى حديد
يكم عند الصدام وألبست الجسم درعا صان لحمى والعظام
وصارت الخيل رفقا مثل سير الغمام وإذا لقيت جيشا
طاب لى شرب الجام وتركت الروم صرعا فى الثرى مثل النيام
وأنا عنتر حقا بطل عند الصدام وترى النار تضرم من
بين سرجى ولجام هكذا العيش وإلا فعلى الدنيا السلام
أبلغوا جنطائيل عنى بالحروب غير مضام سوف أتركه صريعا
ثاوى الجنبين رام وأذقه كاس حتف من سنانى وحسام
لو رآنى الموت يوما فر من عظم صدام
لى عزم طول عمرى زائد فى كل عام

(قال الراوى) ولما سمع الحاضرين من عنتر هذا النظام لحقهم الطرب والهيام وأما هرقل بن الملك قيصر فانه ابتهج وقد مضت عنه الهموم وقال له لا فض الله فاك ولا كان من يشناك وجعلنى من الأسوا فداك ونشر المسيح عليك أعلام نصره وأمنك من حوادث دهره ثم أنه نهض فى عاجل الحال وقبل صدره وبين عينيه فقبل عنتر يديه وقد شكره وأثنى عليه ثم أمر من معهم من الرجال بلم الخيل الشاردة والأسلاب المبددة وحملوهم على البغاله وقد عادوا بعد ذلك إلى الموضع الذى كانوا فيه (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من أمر الملك جنطيائيل ملك الأندلس الكلب اللعين الغدار فانه كان قاعدا لابنه هناك فى الانتظار حتى أنه يأتيه بعنتر وهرقل وكوبرت ومن معهم فى الأسرار والاضرار لأنه ابنه عنان كان بطل عظيم وعلج جسيم ولم يزل يطمن نفسه بهذا الكلام إلى أن كان فى يوم من بعض الأيام فلم يشعر إلا وقد أقبلت إليه المنهزمين وهم كلهم منهزمين وهم فى البرارى والجزائر صارخين متقطعين من عشرة وعشرين وهم كانهم فى يومهم كالبحر الزاخر

والأول منهم لايلتفت إلى الآخر ولما وصلوا إلى المدينة أكثروا من البكاء والعويل وقد أعلنوا بالويل والتنكيل وقد أكثروا من الحزن الطويل فسمع الملك جنطيائيل الضجة فسأل عن ذلك الخبر فقالوا له أيها الملك قد وصلت الجيوش ـ هم مكسورين والفرسان متقطعين بعد ما كانوا مجتمعين وقد أخبروا الملك أن ابنك عنان قد قتل فى الميدان وقد قتله فارس الفرسان وشجيع العصر والزمان فارس عبس وعدنان الذى قد ملك تلك البلدان والجزائر وهو عنتر بن شداد الذى أتى به الملك هرقل بن قيصر من أرض الحجاز لأنه فارس همام وبطل ضرغام (قال الراوى) فلما سمع جنطيائيل منهم الكلام استوى عنده الضياء والظلام وقد غاب عنه الصواب لما سمع ذلك الخطاب وصار كأنه فى منام ساعة من الزمان وأفاق وتفل إلى الأرض من فمه وقد مد لسانه كأنه الشعبان ونفخ وسال ريقه على تلك الكثبان فاحرق ما حوله من الحشيش الأخضر من شدة غيظه وما دخل على قلبه وأغم على عقله ولبه ثم أنه أدعى ببعض المنهزمين من تلك الأعلاج الفرسان ولما حضروا قال لهم كيف قد قتل ولدى عنان فى الميدان فقالوا له يا ملك الزمان أعلم أنه قد قتله فارس أسود له قلب أقوى من الجلد وقد طعنه بالسنان فى صدره أطلع الرمح عشرة أنابيب من ظهره وبعد ذلك حمل علينا فى ساحة المجال وقد قتل الأبطال وجندل الأقيال وهو كأنه الجبل إذا هاج وقد سمعناه وهو بالعربية يقول ويلكم يا أوغاد غير أمجاد أما علمتم أنى عنتر بن شداد فارس الأرض والبلاد وادخلت إلى دياركم حتى أملك سائر بلادكم وأقتل ملككم جنطيائيل هذا الكلب الطويل الهبيل وأملك بلاد الأندلس والغرب الكبير ثم كان يباطن الفارس العظيم ويقبضه ويخطفه من على الجواد ويضرب به الأرض يخلط بعضه فى بعض ثم أنه صار يضايق الناس فى المجال ويمسك فارسا بيده اليمين وفارسا بيده الشمال ويضرب بهما الاثنين فيقتل أربع رجال ويطلع الزبد على أشداقه فى الميدان وتحمر عينيه حتى تبقى كأنهما شرار النيران وما كأنه إلا مارد أو شيطان أو من عفاريت سيدنا سليمان لأنه أسود يشبه الأبنوس ولا يقدر عليه لاعاج ولا فارس لأن ما مثله أحد فى هذا الزمان مقايس ولا يوجد مثله ممارس لأن صدماته تهد الجبال ويطعن طعنات تقرب الآجال وجواده إذا رأى الفرسان قد ازدحمت عليه يفتح فاه كأنه الغول أو الأسد المهول ويصدم الفارس فى الميدان فيكسره ويرميه عن ظهر الحصان فتدكه الخيل بأرجلها بين صاحبه على لقاء الشجاع ويبيد الفتيان فلا يصعب عليك أيها الملك من هذا الانسان فما مثله شيطان إلا أن يكون أنت يا ملك الزمان وليس له ضد ولا مقايس سواك ولا يقمعه فارس إلا أنت لانك أقوى منه فى الميدان ولا فينا أحد يلقاه فلما سمع منهم ذلك المقال صعب عليه ولا بقى يعرف ما بين يديه ولا يمينه من الشمال ثم أنه بعد ذلك سحب عامود وبطش فى الرجال فقتل عشرة من الأبطال والباقى هربوا من قدامه فى عاجل الحال وقال لهم يا ويلكم يا أنذال لمثلى يقال

له يقال هذا المقال و تصفون هذا البدوى حلاب النوق وراعى الجمال ولو لا خوفى من المسيح ما أبقيت منكم بطريق صحيح إلا ملقح على الثرى طريح بالويل لكم أكون أنا الملك جنطيائيل ابن الجلاع بن القعقاع وتفزعون من هذا الاسود عند القراع وأى شىء يكون هذا الاسود المشوم ومن معه من العرب والروم وأنا الأسد الغشوم وسوف تنظرون كيف أخلى أنفهم مرغوم ولا مثلى يقاس بكل من فى بلاد العرب وأنا ملك الشرق والغرب وسوف ترون ما أفعل بهم فى الميدان وأنا على ظهر فيلى سيروان وسوف أقتل هذا معبد المسمى بعنتر أخو السودان وكوبرت ومن معه وكذلك هرقل بن قيصر ولما سمعوا كلامه الجميع سكتوا ولا عاد تكلم منهم لا وضيع ولا رفيع وقالوا له أيها الملك ها نحن كلنا بين يديك نقاتل معك وسوف ترى منا ما تقر به عينيك ثم أنه فى ساعة الحال أمر بالتجهيز إلى ساحة المجال للحرب والقتال وأن يكونوا على أهبة النزال ففعلوا ما أمرهم به ملكهم جنطيائيل ولبسوا الزرد والخود بالانطويل (قال الراوى) وزعقت البوقات السلطانية وعرض الملك عشائره فكانوا اسبعمائة ألف بطل فترك فى المدينة مائة ألف فارس من كل مدرس ولابس وللحرب ممارس مكانه ولده الصغير عبد المسيح لأنه ذو عقل رجيح ولسان عربى فصيح هذا وقد ركب جنطيائيل على ظهر سيران الفيل وقد رحل من مدينته طالب هلاك جيش الروم وفى مقدمة عشائره القسس والبطارقة والاعلاج والشمامسة والشجعان والراهب الكبير والمطران والملك جنطيائيل على رأسه الصلبان والأعلام عليها صورة مريم ابنة عمران (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من كوبرت وعنتر وهرقل ابن الملك قيصر فانهم لما كسروا ذلك الجيش أقبل عنتر على كوبرت وابن الملك قيصر وقال لهما ما قصدنا عن هذا الطنجير جنطيائيل وله لا لسير إلى ديارهم ونخربها ونمحى آثارهم ونقتله ونسبى حريمه وعياله ونأخذ ذخائره وأمواله وأى شىء هو هذا الكلب الطويل حتى نتركه إلى هذه الديار يسير ولاى شىء لم نسير بجمعنا إليه ونقتل جيشه الكبير ولا نخلى منهم لا قليل ولا كثير ولا صغير ولا كبير ونملك بلاد الاندلس إلى أقصى الغرب الكبير فقالوا نعم يا أبا الفوارس ما به تشير ثم أنهم تجهزوا فى ساعة الحالة فى مائة ألف عنان من الأبطال فقال عنتر ولو يكون عشائر الأندلس بعدد الحصى والرمال افنيتهم بعون الملك المتعال وأفنيهم بالحسام والقناة وسوف ترى أيها الملك منى ومن جيش الأندلس الكثير وما يجرى لى مع هذا الطويل بن الاندال جنطائيل ففرح ابن الملك قيصر بهذا المقال وعلم أنه يقدر على هذه الفعال ثم أنهم قسموا الجيش قسمين فانتخبوا مائة فارس من الاعلاج الشداد وقد ركب عنتر على ظهر جواده الابجر وشيبوب والحذرف بين يديه كأنهما ذكر النعام إذا انذعر هذا والامير عنتر قد تذكر دياره فتلهبت أحشائه وتأمل الشام فنظر برقا يلمع فتذكر عبلة ففاض دمعه وانهمع وزاد به الوجد والغرام فانشد

يقول هذه الابيات :

أبرق نجد أضاء ياسعد أم هتيا ... أم نور عبلة يبدى يا برق هنيتا

أم نورها قد أضاء يا برق وغسق ... كما تشب على أيدى اتصاليتا

فاق ذكر لها أول وآخرها ... تعاونتها بنسات اروم سميا

قد صاغها الله من حسن وقال لها ... خوضى المااياك تركيا ونثيبتا

وسحر أجفانها قد زادنى سقما ... أخلت فيهما كهاروت وماروتا

أيا عارضا رائحا يغدو بوارقه ... أقصد لشام دمشق فهذا نجيتا

يابرق إن جزت أرض الشام لى رشأ ... تحمل تحيتها عنى فحييتا

إن منك قد سألت عنى اقل لها ... كان سيفى لو قد النار كبريتا

يا عبلة إنى إذا ما جلت فى رهج ... تسمع له الأذن إرعادا وتصويتا

ساورى الروم ضرب السيف بيتة . ر ... تخر له الأسد الضرغام مبهوتا

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره وإنشاده وإذا بهرقل بن الملك قيصر قد مال وترنح فوق جواده وقال له وحق المسيح مالك مثيل فى الفصاحة ولا فى الثبات فى الميدان فالله يبلغك ما نايك ويكمد حاسديك فدعا له عنتر وأثنى عليه وله شكر ثم أنهم ساروا بعد هذا الـكلام وهم يقطعون البرارى والآكام مدة خمسة وثلاثين نهار على التمام وهم يقطعون المهاد والأرض والبلاد وفى أوائلهم عنتر بن شداد حتى تقاربت العشائر من بعضها بعض وطلع غبارها فاسودت منه الاقطار وخفقت البنود والازدهارات فكان التقاء ببعضهم البعض فى مكان عظيم يقال له وادى الرميم هذا وقد علا الضجيج لاختلاف اللغات ونعرت البوقات ودقت الـكؤسات وهجت الوحوش من الغابات وارتجت سائر الجنبات وخفقت الاعلام والروايات من هبوب الرياح العاصفات ولمعت بروق الصوارم المرهفات مع حلل سحائب الغبائر المرتفعات وصهلت الخيول الصافنات واشتاقت إلى الحرب قلوب السادات وهان عليهم شرب كاس المات وما فيهم إلا من لاح له وجه النصر بعلامات وخفقت البنود والرايات هذا وقد انكشفوا الطائفتين وحققن بعضهم بعض برأى العين ولم يجدوا الدسا كر ثبات بسبب الحقد والكراهات والملك جنطيا ئيل فى مؤخرة الجيش راكب على فيله وسائر كأنه الاسد القسور ولان أكثر الخيل كانت منه تنفر فلأجل هذا ما تقدم أمام الجيش هذا وقد أمر عشائره بالحملة فحملوا على بعضهم البعض وجالوا طولا وعرض فارتجت من تحت حوافر خيولهم الأرض وعظمت الاهوال واهتزت الجبال وقد تقاربت الآجال وصدمت الرجال بالرجال واشتدت المخاوف والاوجال واخذلت الطعن يمينا وشمالا وزعزع الشجاع فى سرجه ومال وانقطعت من الجبال الآمال وعظم

الويل والوبال وبان الصدق من المحال وتصادمت الشجعان واختلط الجمار وتقاتلوا الطائفتان وتطاعنوا الجيشان وعمل السيوف اليمان إلى أن غابت الثريا والزبرقان وأدبر السرطان ومالت كفة الميزان وانباع المشترى بأبخس الأثمان وطار عقل عطارد الصباح فأخذه بعد الامان وسمى سهيل السماك وتفرقد الفرقدان وزاد على الثور فشمم الأسد فقطع منه مواصلة الابدان وضربت الجوزاء الجدى فانصدعت بعد أن كانت كالسندبان وهجم على المريخ سلطانه الضياء فخضع باسه رطاب الامان وخضعت السنبلة وتجارى على الجدى من النور كرأس العقبان وانحط سقاء الدلو بعدار تفاعه محل كيوان وحارت النواظر والاذهان وكان يوماً من أيام الزمان أنباعت فيه الأرواح ببيع الهوان وقد صارت الأرض من دماء الفرسان كالارجوان وضجت عمار تلك الأرض والسكان وهممت أسود الحرب وزادت الرعقان وذهب عين الجبان وتمنى أنه لا كان وضاق الميدان وصحا السكران ولله در ذلك اليوم من يوم عظيم الشان زاد الكرب على الفرسان وحمى فيه الحديد على الابدان والأمير عنتر بن شداد يجول فى الميدان أى جولان ولا يعفو عن قائل القسوس والرهبان ولا البطارقة ولا المطران ولا العلوج ولا العقبان ولا الشيوخ ولا الشبان وقد بلغ العرق إلى الاذقان والأمير عنتر ينثر الجماجم من على قامات الابدان ويزيد وقيد الحرب نيران ودمدم فارجف قلوب الشجعان وفرق شمل الافرنج اللئام عباد الصلبان بتواتر الطعان وجندل الاقران وصبغ بادميتهم الميدان ولم يزالوا على ذلك الشان إلى أن اذن الله تعالى للنهار بالارتحال وأقبل الليل بظلامه والانسدال هنالك افترقوا من الحرب والقتال والطعان والنزال وعادوا إلى الخيام وأكلوا شيئاً من الطعام وقد بحث الروم فى ذلك النهار تحت الغبار بقتال فارس عبس وعدنان البطل الكرار والاسد الجدار وحارت أهل الأندلس وظهر عليها الانكسار ولولا خوفها من الملك جنطيائيل لطلبت الهزيمة ورجعت إلى وسط الديار بل صبرت على الروم خوفاً من البوار ونهبت عشائر الملك هرقل بن قيصر بعض خيام الافرنج والرجاله ولكن رجعت عشائر قيصر وهى تشكو إلى الأمير عنتر ما لاقت من القتال إلا أنها تشكره وتثنى عليه وتشير بالدعاء إليه (قال الراوى) وأما صاحب الفيس الملك جنطيائيل فانه جرد على عشائره ووبخهم على ما قد فعلوا وكيف أنهم تقهقروا وقت الحرب والقتال وقال لهم يا ويلكم أما أنتم رجال ولا فيكم نخوة الأبطال أما تخشون من العار والقيل والقال حتى يكسر وكم هؤلاء الابدال فقالوا له أيها الملك جنطيائيل أنا جهلنا أمرهما حتى وصل إلينا شرهم وحق المسيح ما يقرأ والانجيل وزبور داود وذات التبجيل فى غداة غد ندهمهم ونحمل بأجمعنا بعد ما يقرأ علينا الانجيل فلا نخلى منهم لا كبير ولا صغير ولا كثير ولا قليل وأوما نقتل هذا الأسود المشهور المسمى بعنتر لأنه مثل الموت الاحمر الذى لا يبقى ولا يذر ونقتل كوبرت وهرقل

ابن الملك قيصر ولا نخلى من هذه العشائر من يخبر بخبر ففرح جنطيانيل من مقالهم وأطان لأعمالهم ثم أنهم قاموا للمنام بعد أن أكلوا الطعام ورتبوا لهم حرسا فى الظلام ولم يزالوا على هذا الروح الى أن أصبح الله بالصباح ركبوا الجراد القدح واعتقلوا بالرماح . طلبوا الحرب والكفاح فعند ذلك دمت الكؤوسات والنواقيس وزعق كل راهب وقسيس وشماس وبطريق ونعرت البوقات وخفقت الرايات هذا وقد حملت العشائر من سائر الجهات وطعنت بالرماح السمهريات وجردت السيوف المشرفيات وطاب لهم شرب كأس الممات وضاقت بهم الأرض والسموات والفلوات ودارت عليهم طاحون الآفات وحملت عشائر الروم على عشائر الأندلسيات وثبتت للطعان فى اللبات وحمل عنتر وزعق بين أذنى جواده الابجر زعقات عاليات وصاح صيحات مرتفعات حتى رجت الجبال والفلوات وشيبوب والخذروف بين يديه يرميان بالنبال فيصيبيان بها نحور السادات وصبرت عشائر الروم صبرا ولاد للعربيات وعمت المصائب وأسردت الاماكن والجهات وخاضت الخيل بالدماء فتغيرت ألوانها المختلفات هذا السيف يعمل من سائر الجهات وزلزلت الأرض من ركض الصافنات وتهامروا مثل الصباع الضاريات وعملت الرماح والقنطاريات فى صدور السادات وارتعدت الأبدان من شدة الأهوال الحادثات وبدم الجبان على الثبات وأخذت الحيرة الشجاع والانبهات وطارت الجماجم بضرب المشرفيات وحارت المسامع من اختلاف اللغات وكان النهار قد ضاق عن مثل هذه الصدقات وعظمت المصائب والآفات وأيقنت النفوس بالممات فيالها من ساعة لا تشبه الساعات ووقعة لا تشبه الوقعات واسودت فى أعينهم سائر الجهات وامتلأت أبدانهم بالجراحات وقلت منهم الحركات هذا والامير عنتر يثب وثبات ويسوق عشائر الأندلس سوق الغنم السارحات وينثر الفرسان من على السروج بطعنات صادقات وجمل كل بطريق اثنين بضربات قاطعات وفتك فى البطارقة والشمامسة والقسيسة وهو يكثر الصرخات ورزعقات فتولى الخيل من زعقاته لما تسمع تلك الأصوات ترمى ركابها إلى الأرض من شدة ما دخل عليها النائبات لما تسمع من تلك الصيحات المعظمات هذه الوجال تظن من شدة زعقاته أن الأرض أنطبقت عليها من السموات ولم يزالوا على هذا الأشياء الهائلات إلى أن أذن الله للنهار بالارتحال وأقبل الليل بالظلمات باذن رب البريات هنالك افترقوا من الحروب والكربات لما أمسى المساء وما فيهم من يعرف أحسن إليه الدهر أم أساء هذا وقد رجعت عشائر الأندلس خائفات من ضربات عنتر المسرعات فوبخهم الملك على هذه الفترات فقالوا وحق المسيح ما عمرنا رأينا مثل هذا الاسود لأنه داهية وبلية عظيمة وكانت زعقته كأنها الصاعقة من السماء أو سخطة نزلت على هذه البلاد فكلما نطلبه من كل جانب ونقول وأننا نمزقه بالقنا والقواضب فيصيح فى المواكب فيشتمها الخيل

من صيحاته باعتها وكان المسيح قد غضب علينا حتى أرسل هذا الشيطان إلينا وإلا لو كفينا أيها الملك شر هذا الأسود فى القتال الذى كأنه فحل من فحول الجمال فقال الملك أنا لولا أنى أخاف أن يعايرونى سائر ملوك البلاد ويقولون الملك جنطيانيل برز إلى عبد شداد وإلا كنت من أول ما وقعت عينى عليه أهلكته وضربته بعمدى هذا محقته ولكن لا بد لى منه فى ساحة المجال أقتله وآخذ بثأر ابنى عنان الفارس الرئبال لأنى أراكم فشلتم أنتم بكثرتكم عن قتاله ولا تقدرون على أهواله وحربه ونزاله ودع تقول الشجعان ملك الأندلس بارز عبداً أسود فى الميدان وأنا وحق المسيح أن ضربته بعمدى هذا أقضى عليه ولكن لا كلام حتى يطلع النهار وأبرز إلى الميدان وأقاتل هذا الأسود ابن اللئام ثم أنه أمر بحضور عدته والحراب والمزاريق والعمد الذى يقاتل بهم وأن يحضروا له زرديته المذكورة الطويلة السوابغ وأن يأتوا بفيله سيرون فهذا ما كان من هؤلاء (وأما) ما كان فارس عبس وعدنان وليث الميدان وشجيع الزمان فانه عاد بالربح لا بالخسران وأما كوبرت والروم فانهم شكوا لعنتر ما يجدوه من الكثرة وقالوا له يا أبا الفوارس العشائر كثيرين ونحن قليل ولا يحصى لهم مدد فيا ليتك أن ترجع بتلك الفرسان إلى المدينة فعند ذلك شجعهم عنتر وقال لهم إلا تخشوا من أحد وأنا أعلم ما ثبات هذه العشائر الجزيل إلا بملكهم جنطيانيل هذا الكلب الذليل وأنا أن شاء الله الملك الجليل فى غداة غد أصرم عمره الطويل وأقتل فيله وإسحق عمره وأجعل طوله بعرضه لأن نفس هذا القرنان تكبر عليه أنه يبرز فى الميدان لأنه يقول فى نفسه أنه ملك الأرض فى طولها والعرض وسترون كيف أجندله فى هذه الأرض واخلط بعضه فى بعض وأن هو خرج إلى الميدان فرقت أنا هذه الأجناد ولا أزال أخرق الجيش حتى التقيه وانثر رؤس ما حوله من الأقران وأقتل بطارقته والرهبان إلى أن القى هذا القرنان وسيجرى بينى وبينه ما يريد الرب القديم رب زمزم والحطيم فاذا فرغت من هذا النذل ابن اللئام أفنى بعده هذه العشائر ولا أخلى منهم لا كثير ولا قليل واترك العالم تتحدث بفعالى جيلاً بعد جيل (قال الراوى) فلما سمع الملك هرقل وكوبرت والعشائر من الأمير عنتر هذا الكلام فرحوا بما وعدهم من النصر والظفر وتقدم هرقل بن الملك قيصر وأثنى عليه وله شكر فقبل عنتر يديه ووعده بما تقر به عينيه وبعد ذلك بات الجيشان يتحارسان وباتت الروم فى أحسن ما يكون إلى أن أصبح الله بالصباح فهنا ركب الجيشان الجرد القداح وطلبا الحرب والكفاح وصف عنتر جيوشه ميمنة ورتبهم ميسرة وقلبا وجناحين وأمل وأن يسقى ملك الأندلس كاس الحين وينزل به الشين فلما تمخضت الصفوف وترتبت الألوف وإذا قد ترجل على التحقيق أو فى عشرة آلاف بطريق ويقدمهم فارس طويل راكب على فيل عظيم قال وكان الفيل مثل الجبل العظيم أعلاه جبل وأسفله جندل وهو مثل سواد الليل البهيم أكبر

ما يكون من الافيال يحمل عشرين من الرجال وكان له آذان مثل الدرق واسع العينين غليظ الرقبه كبير خرطوم طويل الزلوم في مشافيره سيف يماني ثقيل رزين شديد اللمعان له أنياب كأنها مداري وكان الفارس لذي عليه لابس زرديه ترد أسباب الرزيه شغل العالقه بالذهب الاحمر بحليه مرصعه بالدر والجواهر المعدنيه وعلى عنقه صليب من الزمرد الاخضر وعلى رأسه خوذ عاديه ململه كسرويه في قدر القبه المبنيه وعلى كتفه ذلك العمود الذي ذكرناه وعلى جانبه الخراب السمهريه ومن عظم هذا الفيل لا يقع وجلده الحسام الصمصام ولا طعن الرمح اللهدام ولا تخرق جلده السهام إلا أن ذلك الفارس راكب عليه وهو يحرث الأرض برجليه قال وكان هذا الفارس هو ملك الاندلس جنطيائيل فلما توسط الميدان رجعت تلك الرهبان الى ما جاءت في خدمته والشجعان إلا أنه لما توسط الميدان ورمقته تلك الفرسان وعشائر الروم وما لهم من الرهبان ونظروا إلى كبر جثته وطول قامته فاقشعرت منهم الابدان وتعجبت القساوسه التي للروم والرهبان والبطارق الكبير والمطران هذا ولما نظر عنتر إليه وإلى علاظه وطول يديه فقال والله ما هذا القرنان إلا أعظم الحلقه في هذا الزمان ليكونن لي معه شان وأي شان تتحدث به الناس إلى آخر الزمان وأول ما أفجعه في فيله هذه الذي يسمونه سيروان وبعد ذلك أنزل بصاحبه الشين وأسقيه كاس الحين وأضرب بسيفي هذا على وسطه أجعله دلوين وأتوسل كما سبق مع النبي محمد الذي يكون سيد الكونين ورسول الثقلين (قال الراوي) إلا أن جنطيائيل لما برز إلى الميدان لعب بعاموده حتى حير الفريقان وأذهل العينان وجعل يدمدم بالافرنجيه واللغات الاندلسيه ويطلب البراز وسرعه الانجاز فلم يجسر أحد يبرز إليه ولا يدنو منه ولا يقف قدامه ولا بين يديه لعلمهم أن الخيل تنفر من الفيل ولا يطيقوا بالثبات قدام ركاب الملك جنطيائيل فلما رأى أن أحد لم يبرز إليه ولا اقدم عليه صعب ذلك عليه وكبر لديه وجال بقبله وحمل على عشائر الروم فزلزل بحملته الأرض من تحت التخوم فشمت الخيل رائحه الفيل وإليه نظرت فهربت منه وشخرت ونخرت وتأخرت من بين يديه وتقهقرت قدامهم فضربهم بسيفه الفصال ولم يزل في حملته حتى قتل مائتين وخمسين من الرجال والابطال وبعد ذلك رجع إلى الميدان ونادى باللغات الاندلسيه بالثارات ولدي عنادر وجعل يشتم بالافرنجيه ويطلب البراز وأول ما طلب عنتر فارس الحجاز وبعده يبرز إليه كوبرت ومن يكون تحت يديه من الفرسان وكذلك هرقل ابن الملك قيصر ومن معه من الشجعان وطالبهم كلهم أن يبرزوا إليه في الميدان حتى يأخذ بثار ولده عنان وصاح بصوت مثل الرعد القاصف وجعل يلعب فوق ظهر فيله مثل الريح العاصف وصار يشتم عنتر ويبرع عليه ويطلبه أن يبرز إلى بين يديه هذا وقد سمع كوبرت ما تكلم فاعلم أبا الفوارس عنتر وأخبره بما شتم وبما منه إليه قد جرى وصدر فلما سمع ذلك صعب عليه وأحرمه

عينيه وقامت شعرات شاربيه وابيضت شفتيه وصار عبرة لمن ينظر إليه وأنه لم يجد على ذلك مصطبر دون أن قمز على ظهر جواده الابجر وجال فى ذلك الوقت جولانه المعروف وأنشد يقول :

احن إلى ضرب السيوف القواضب ... وأصبو إلى طعن الرماح الكواعب
واشتاق كاسات الموت إذا صفت ... ودارت على رؤوس السهام النوائب
ويطربنى والخيل تعثر بالقنا ... حداة المنايا وارتهاج المواكب
وضرب وطعن تحت ظل عجاجة ... كجنح الدجا عند امتداد السلاهب
تقاوز رؤس السمر وسط ظلامها ... وترهج منها كالنجوم الثواقب
وتلمع فيها البيض من كل جانب ... كلمع بروق فى ظلام الغياهب
لعمرى الفخر والمجد والعلا ... ونيل الأمانى مع بلوغ المآرب
لمن يتقى للحرب منه بهمة ... لها فى أعالى المجد أعلا المراتب
وأهجم فى أبطالها وسراتها ... بقلب صبور عند وقع المضارب
وأجرد غضباً باترا ومثقفا ... بعزم جرى لا يخاف النوائب
وأبنى بحد السيف مجدا مشيداً ... على غيهب العلياء بين الكواكب
ومن لا يرى رمحه من دم العدا ... إذا اشتبكت سمر القنا والقواضب
ويعطى القنا الخطى فى الحرب حقها ... ويغزى بحد السيف عند المناكب
أعيش كما عاش الذميم بذلة ... وإن مات لا تندب عليه النوادب
ولا تندب البيض للجبان تأسفاً ... سوى الفارس المندوب بين المواكب
أنا البطل المعروف فى حومة الوغا ... وفارسها المقدام بين الأعارب
يهابه الأسد العرين والضيغم الذى ... يكشر عن أنيابه والمخالب
الأسود الضاريات إذا سطت ... ومفترس الأشبال وسط السباسب
أنا عنتر العبسى ابن زبيبة ... أنا الأسد الموصوف بين الكتائب
ستنظر ما تلقى وإن كنت ناكرا ... ويصدق ظنى فيك يا نسل كاذب
سأقسم بالمبعوث من نسل هاشم ... محمد المختار زين الأطايب
نبى حباه الله بالصدق والوفا ... وأيده بالمرتضى ليث غالب
وإن كنت لم أدرك أوان ظهوره ... فإنى لهم من محب مناسب
وحبى لهم فى خاطرى وضمائرى ... قد فزنا بذكرة عن سطح بين الأعارب
فصلى عليك الله ما هب الهوى ... وما باح قرى وسارت ركائب
بدونك يا جنطيائيل قين سميدع ... سرى ذكره فى شرقها والمغارب
محب لآل المصطفى معدن الوفا ... مقيم على حسن الوفا غير كاذب

(قال الاصمعي وجهينة وحازم المكي) لما سمعوا هذه الابيات من عنتر بن شداد ولما فرغ الامير عنتر من هذا الشعر والنظام سل في يده الحسام بريد الحرب والصدام بعد ذكره لسيدنا محمد رسول الله الملك العلام وهمز الابجر فيا أخر به وسخر ونخر وتقهقر قال فلما رأى عنتر جواده على ذلك الحال ترجل عن ظهره وقد حصل له انذهال وزاد به الغرام لما ذكر سيدنا محمدا بدر التمام ومصباح الظلام صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام قال وما نقله الاصمعي المصنف لهذا الكلام أن الامير عنتر البطل الهمام قد استنجد بسيدنا محمد خمس مرات في المهمات العظام كان الله يؤيده ويستجيب منه الدعوات حين يذكر سيد السادات وصاحب المعجزات الباهرات وسأذكرها لكم مع الاشيات فكانت المرة الاولى وهي أصح الاقوال لما قتل الفيل المجنون فيل كسرى وقطع السلاسل والاغلال ونادى يا آل محمد النبي المفضال وانكافى السلاسل فطارت قطع من يديه ورجليه في عاجل الحال وفعل من قضاء تلك الاشغال وفي المرة الثانية لما قتل العبد زنجير الشرير الخنزير وأنشد الشعر بلا انكار وصاح يا آل محمد النبي المختار وذكر ابن عمه على الفارس الكرار وضرب العبد زنجير بحسامه الضامي البتار أطار رأسه عن جسده في وسط مقفار والثالثة لما قتل الشعبان قدام الملك عبد هياف والرابعة لما قتل طود الأطواد واستنجد وصاح يا آل محمد سيد العباد ورسول الملك الجواد وكب يده ولكمه بين ثدييه فكسر لوح صدره وعجل منيته وقضى عليه والمرة الخامسة في نوبة هذا الملك جنطيائيل لما قتله وقتل فيله قبله (قال الراوى) ورجعت إلى سياقة الحديث الاول بعد الصلاة والسلام على نبينا المرسل إلا أن لما ترجل عن جواده الابجر أخذ الطارقة بيده الشمال وجرد في يمينه سيفه الضامي الابتر وحط عليها كأنه الأسد اذا انذعر فعندها صاح فيه شيبوب أنت تجننت والاصرت مهبول وإلا يمكن لما كبرت ما بقى لك عقل رأسك ولا معقول أخبرني ماذا تريد أو تصنع حتى إنك ترجلت إلى هذا الأسد الادرع والله لو أنك مرأولادقا بيل ما كنت ترجلت لهذا الملك جنطيائيل الذى كأنه شيطان رجيم وتحته هذا الفيل العظيم وأنا أخشى عليك أن يدوسك ويسقيك كاس منيتك ويعجل في هذه البلاد حلتك والا لو أنك ذو عقل أو تدرى ما تفعل ما كنت ترجلت إلى هذا الشجاع البطل فقال له عنتر ويلك يا أبا رياح أى شيء هذا الكلام الذى تقوله لى والملام هو أنت نسيت فعلى بالجبابرة العظام فاني وحق من له البقاء والدوام وهو الواحد العلام لاقتبعن هذا الفارس إلا بلا سلاح وترى ما أفعل به في هذا البرارى والبطاح وتبقى تتحدث به الناس سير ويأخذوا منه عبر ويسمعون بفعلى ويتعجبون منه ومن ثم أنه خلع ما كان من عليه من لباس الزرد وقلع الخوذة من رأسه ورمى سائر الحديد المنضد ولبس حلة حمراء وتعمم بعمامة وتمنطق بمنطقة الملك كسرى ثم

أنه رفع أذياله فى دروع منطقته و وثب كأنه الأسد فلما رأت الروم إلى ذلك انبهرت وحارت منه وتعجبت وصلبت على وجوهها بما عاينت وتحدثت مع كوبرت وهرقل ابن الملك قيصر وقالوا لها أما تنظروا إلى ما فعل فى هذا اليوم الأمير عنتر واحتقاره بالملك جنطيائيل الذى راكب على هذا الفيل الطويل فانى وحق المسيح خايف عليه ولا تقتل وينزل به التنكيل لأنه إن هلك عنتر ما تفلح بعده ويحل بنا كل أمر وبيل وإلا يا ملك أى شىء هذا الفعل الذى يفعلها واحتقاره بالرجال فقال لهم الملك هرقل لا تفزعوا من هذا العمل لأننا قد سمعنا عنه وأيضا شاهدنا فعله أن عمره ما فزع من بطل لا من صغير ولا من كبير وإن هذا الملك ما هو عنده إلا لا حقير وإنه بلغنى عنه من الأمور النفائس أنه عاش هذا العمر كله ما قهره فارس ولا رأى له طول العمل فى الحرب مقايس واليوم يكون آخر عمر جنطيائيل ولو أن المسيح بيده قائد الفيل وستر ما فعل به هذا الفارس النبيل قال فبينما هم على ما هم فيه من ذلك الكلام وإذا بزعقة شديدة تزعزع منها البر الاقفر وكانت الخيل من شدتها تكاد أن تنفطر وظن الفريقان أن السماء قد انشقت وبان المواعيد قد حقت وصرت الخيل لها آذانها وارتعدت من الرجال أبدانها ونفرت الخيل من تحت ركابها وولت من هول تلك الزعقة أصحابها وإذا بها صرخة عنتر عند نزوله لجنطيائيل قرلى من تحته الفيل فصاح جنطيائيل بالفيل فضربه بسوط كان فى يده طويل فاضطرب الفيل فى بعضه البعض وأراد أن يبرج راكية فى جنبات الأرض فرده صاحبه بتلك العمد الذى فى يده وأخذ يجول به طولا وعرضا وهو على ذلك الحال الهائل حتى قارب عنتر ووصل إليه وهو راجل وزعق ثانياً وهدر وزمجر فرآه جنطيائيل وهو كأنه الأسد إذا ذعر وقاربه وحمل عليه ودرقته وحسامه بين يديه فصعب ذلك الأمر عليه وأنا خالى من السلاح وعليه تلك الثياب الحرير الملاح فعلم أنه قد احتقره فعند ذلك امتلأ قلبه حنق وفاض ثم أنه استلب من تحت فخذه حربة من تلك الحراب الفلاذ وزوجها إلى عنتر بعد إن صاح صوت يفلق الحجر ناديه بالمسيح أنا قاتل اليوم عنتر (قال) فعند ذلك احترز عنتر عن حربته وسحبها على ظهر درقته وكسر حدتها بخبرته وحسن صنعته ومعرفته فلما رأى جنطيائيل إلى ذلك غضب ولطم قمته حيث ما صابت لعنتر طعنته ثم أنه زج إليه حربة ثانية وقال فى نفسه لعل أن تكون لمنيته قاضية ورماها إليه بحيلة وقوته نقل الناقل عن أخيه شيبوب أنه قال رأيته بعينى وقد خطفها من الهواء وضرب بها جنطيائيل فجاءت بالتحرير والانثنوى فى وسط زلومة الفيل فلم يكن له منها سلامه ولا أدرى إلا أنها دخلت فى جبهته وخرجت تلمع من خاصرته قال فوقع الفيل وقد اختبط فى بعضه البعض فلما رأى الملك جنطيائيل إلى ذلك غاب عن الدنيا ولم يبق يعرف السماء من الأرض ولا الطول من العرض فلما وقع عليه فيله خطف عموده ووضعه على عاتقه وجرى على

فقدمه حين قارب عنتر وحقق به أنه يقتله ويعدمه مهجته فانحرف عنها عنتر بخفته ورشاقته فوقع العمود إلى الأرض غاب نصفها إلى نصفه وقد سلم منها عنتر وتعجب عجب عظيم من شدة حيل هذا الجبار الجسيم وفى عاجل الحال همز عنتر وهز فى يمينه حسامه الضامى الابتر وصاح فيه فتخبل وارتعد من زعقته وانذهل وكان بزعقته قد استغاث واستنجد ونادى بأعلى صوته يا آل محمد سيد الانام ومصباح الظلام ورسول الملك العلام وضربه بالضامى بهمته وشدته فجاءت الضربة فى سرته فقسمته نصفين ووقع إلى الأرض دلوين فعندها زعقت عشائر الروم من الرهبان والقساوسة لاشلت يداك ياأبا الفوارس وقد علت منهم الضجات وكثر منهم الفرح والمسرات وصاحوا يا المسيح والانجيل من هذا الفارس النبيل وأما عشائر الاندلس فانها لما رأت ما حل بملكها تخلبت وانذهلت وبربرت عند ذلك بلغاتها وحملت تريد الخلاص لانفسها مما نظرت فتلقاها عنتر بمن معه من عشائر الروم والاجناد وأعانه على ذلك كوبرت والملك هرقل بحث الفرسان على الحرب والطراد وحملت تلك الخلائق كأنها الجراد ورفعت أصواتها هذا وقد صاحت عشائر الافرنج وتدافقت مثل موجات البحار فتلقتها عشائر الروم مثل شعل النار فاهتزت الاطلال والدمن وعظمت المصائب والمحن وفارقت الرؤوس البدن وتكسرت الطوائف على بعضها بعض وارتجت من تحتهم جنبات الأرض هذا والغبار قد خيمت والجهات قد أظلمت والرجال تصادمت والجماجم انتثرت والبطون تفجرت والقنطاريات تحطمت والسيوف تكسرها والدماء انسكبت والارواح سلبت والروم والافرنج باختلاف لغاتها تجاوبت والمواكب من جميع الجهات قد تفرقت والقتلى قد صارت أكداس أكداس وضاقت فى ذلك اليوم الانفاس وزاد الامر عن حد القياس وكثر الخطب والبأس وزاد عليهم الوسواس وعاد من كثرة الغبار كالاغلاس وبطلت من الرجال الحواس ولمع السيف فى العجاج كالمقباس واشتعلت نار الحرب واشتد بالناس الخطب وزاد البلاء والكرب وكان ذلك اليوم يوم صعب على الناس فيه الطعن والضرب من الشرق إلى الغرب وغنت السيوف فى الرقاب ووقع الضرب خطا وصواب وقطعت الاعصاب ونزل على الطائفتين فى ذلك اليوم العذاب وسكروا من غير شرب شراب وما ولى النهار وأقبل الغلس وما فى أحد من الفريقين نفس بل ضاع رسم الشجاع والفرس ونظر ملك الموت فى وجوههم وعبس وما أشقى ذلك اليوم العابل إلا فارس عبس الادهم بطرازها المعلم ولما رأت عشائر الاندلس منه ما حل بها من النقم صاحوا بالمسيح من قوة هذا الجبار الذى قتل ملكها وتركه ممدود فى القفار ثم قالوا لبعضهم وحق المسيح إلى هذا ما هو إنسان وإنما هو شيطان أو عفريت من عفاريت الجان فيا ويلكم اهربوا وإلا يفنيكم بسيفه والسنان ويلحقكم بملككم الكبير وبولده بنيان وقد رأيتم ما فعل بالملك بن العبرو وما هذه فعال بشر وحق المسيح ومزمار داود إذا لم تهربوا بين يديه فى القفار

وإلا ما يبقى منكم ديار ولا نافخ نار ثم أنهم نادوا على بعضهم بالهرب قبل أن يجد خلفكم في الطلب لأنه إذ تبعكم لا يخلى منهم لا رأس ولا ذنب فعند ذلك ولوا الادبار وركنوا إلى الفرار فتبعهم عشائر الروم إلى آخر النهار ورجعوا من خلفهم وأخذوا المال والخيام والأنعام وجمعوا الخيل الشاردة من تلك البرور والاكام ولما رجعوا واجتمعوا بعضهم البعض وترجلوا كلهم إلى وجه الأرض وقبلوا يدين أبا الفوارس عنتر فقبل صدورهم وبين أعينهم وقد فرحوا ودقوا الناقوس وتباشرت بذلك الرهبان والقسوس وبعد ذلك تشاوروا أهل ترجعون إلى ديارهم والديار وإلا يسيروا إلى مدينة الاندلس وتلك الجزائر والبحار ويملكوا ما حولها من البلاد والامصار فاتفق رأيهم على المسير إلى مدينة الاندلس يملكوها وكل العشائر التي تحتمى عليهم يملكوها فعند ذلك استراحوا في ذلك المقام عشرة أيام وبعدها ساروا في تلك القفار طالبين جزائر الاندلس وتلك الديار قال الراوى هذا ما جرى لهؤلاء وما صاروا (وأما) ما كان من المنهزمين فانهم لما وصلوا إلى الديار وهم مشققين الثياب متقطعين حايرين يبكون بذلة وانتحاب وهم في البرارى متفرقين عشرة وعشرين فلما وصلوا إلى بلادهم أعلنوا بالويل والثبور وعظائم الامور فلما سمع أهل المدينة ذلك النداء وشاع بينهم ذلك الغيل والقال فاجتمعوا إليهم وسألوهم عن سبب ذلك التنكيل وأين ملككم جنطيائيل فقالوا نحن نخبركم بالحال فقد فنيت الرجال وقتلت الابطال ولا بقى حال من الأحوال فقالوا لهم من فعل بكم هذه الفعال فقالوا فارس يسمى عنتر وهو لون القطران وهو شيطان في صورة إنسان وشجيع ما يلتقى مثله في هذا الزمان فانه أول ما لقى ملكنا جنطيائيل فقتل من تحته الفيل وتركه مجندل على الأرض عفير وقتل بعده ثانيا الملك جنطيائيل وضربه على وسطه بسيفه الصقيل جعله على الأرض شطرين وأرماه في وسط القفار دلوين قال فلما سمع المقيمون من المنهزمين ذلك الكلام قالوا لهم كيف جرت عليكم هذه الاحكام لانكم رحلتم بعدد ورق الأشجار ومعكم الملك جنطيائيل الذى هو سلطان الاقطار ورجعتم وهذا الحال حالكم وقد حل بكم الدمار فحكوا لهم كيف جرت هذه الأحكام ولم يزالوا حتى وصلوا إلى الملك عبد المسيح ولد جنطيائيل وأعلموه بالخبر فقلق لذلك وتحير ثم سألهم عما جرى لهم وما حل بهم ونالهم وذكروا له كيف قتل أباه عنتر وكيف أفنى من كان معه من تلك العشائر فقال لهم البطريق من الذى فعل بكم هذه الفعال وأحل بكم الهوان هل معه سحر أو معه مردة الجان فقالوا له وحق المسيح ما قاتلنا بسحر ولا معه مردة ولا أهلكنا إلا بسيفه والسنان ورأينا معه فوركابه اثنان كأنهما الجان يضربا بالسهام فيخرق الصدور ويقطعان بها النحور ويقلعان وهما دائرين من حواليه بجانب جواده في الميدان فلما سمع الملك ومن حوله من أهل الاندلس ذلك القول تقطعت ظهورهم وحاروا في

هورهم وبعد ذلك استشوروا فى شىء يفعلوه هل يقيموا حتى يأتى اليهم أو يمضوا اليه ويقاتلوه ثم قالوا لهم وهذا الأسود ما سمعتم أى شىء فى نيته هو يرجع إلى دياره أو الينا يرجل فقالوا سمعنا أنه قاصد إلى ديارنا وبلادنا لانه قد أخذه الطمع فى عشائرنا واجنادنا هو ومن معه من العشائر والاجناد والرهبان والقسوس وكوبرت وهرقل فى أثرنا راحلين وقد حلف هذا الاسود بدينه والهه الذى يعبده لابد له من أخذ هذه البلاد ولو اقام عليها عشرة أعوام وبعد ذلك يسير إلى البلاد القريبة ويفتحها ويسير بعدها إلى الديار المصرية ويملك سائر البلاد وهذه الديار إلى أقصى الصعيد وتلك الامصار فقال لهم الملك وهذا الأسود يعبد المسيح ويقول بالدين الصحيح فقالوا له أيها الملك إنما هو رجل بدوى من سكان الصحرا والفدافد وما يعبد الا الاله الواحد ويزعم أن ليس له ولد ولا والد فقال لهم وأى شىء حمل هذا الأسود على هذا الشأن هو يريد يعمل ملك وسلطان حتى انه يملك سائر البلدان واى شىء يكون للملك قيصر وليس هو من أهل ملته ولا يسجد للصلبان ولا يعبد الصور ولا يزور الكنائس ولا يعتقد فى المعبد ولا الديورة ولا الراهب الاكبر فقالوا له وحق المسيح لولا هذا البطل الأسود ما قدر هرقل بن الملك قيصر ولا كوبرت الآخر يفتحوا الاقلعة ولا بلد كانوا ملكوا جزيرة من هذه الجزائر ولا قدروا على ملك من هذه الملوك إلا كابر وما كانوا اقتدروا على هذه الأمور ولو اقاموا عليها أعمار النسور وحق الانجيل والسيدة أم النور والراهب صافور وكنيسة الزرزور لو أن هذا الأسود عندنا وفعل معنا هذه الاشياء لكنا نملك ثمه سائر الدنيا ثم أنهم قالوا والآن خذوا حذركم والا تراه قريبا عندكم يبيد افصاكم وادناكم ويقتل رجالكم ويعجل فناكم (قال الراوى) فلما سمع الملك عبد المسيح ذلك الكلام ضاق صدره وحار فى أمره وزاد فكره وفى عاجل الحال أمر باحضار أكابر دولته ورؤوس مملكته وسائر وزرائه ورهبانه وقساوسته وقال لهم ان أبى قد ولانى عليكم برضاكم وأنتم تعرفوا ان لا أتولى عليكم الا بما يكون من أمركم وقضاكم وانتم الان لأمرى سامعين وعلى ما آمركم به القولى طائعين فماذا تكونوا به على مشيرين (قال الراوى) فعند ذلك هاجوا فى بعضهم البعض وطاقوا رؤسهم ساعة إلى الأرض وقالوا كلهم على لسان واحد ها نحن بين يديك بجمعنا وأنت ملكنا وابن ملكنا ومهما أمرتنا به امتثلناه ولو امرتنا نخوض البحار لخضناها فقال لهم أنتم تعلموا أن هذا الأسود قتل الملك الليلبان وابنه سرجوان وكيف انفقت له هذه الأمور وفتح جزيرة البلور وكيف ملك جزيرة الواحات وقتل الملك صافات وقتل ابن الدبر والشاهد وكان ربه على ذلك كله مساعد وبعد ذلك ارسل إلى ذلك الجيش مع أخى عنان فالتقاه هذا الأسود فى الميدان وافنى جيوشه ومن معه من الفرسان وبعد ذلك سار اليه أبى

جنطيا ئيل فقتله قبله وأحل بهم العذاب الوبيل وأخبرونا الذين كانوا حاضرين أنه من فرط ضربته جعله على الأرض قطعتين وسار في ناجل الحل دلوين لولا عناية المسيح مع هذا الفارس الأسود ما كان قتل كل هذه الملوك وختم بابي المسدد ولا كان فتح لا قلعة ولا بلد واني قد عولت أن أقل أمرا فلا تهملوه وشاوروا أنفسكم إن رأيتموه صوابا فعلوه وإن كنتم ماتروه لائق لا تفعلوه فقالوا أخبرنا أيها الملك ماهو فقال لهم قد عولت على مصالحته وأترك قتاله ومعالجته ونرد بالحسنى عن بلادنا لايهلك عشائرنا وأجنادنا ويحاصرنا ويملك بلادنا فقالوا له أيها الملك لقد قلت الصواب وأتيت بأمر لا يعاب فانه وحق المسيح وما مسح الذبيح كنا خائفين من هذا الأسود وشره لايدوس بلادنا فقالوا له أيها الملك هذا رأى سديد قال ولما دار بينهم الكلام بهذه العبارة فرحت سائر الرهبان وفي ساعة الحال دقت الكؤسات وجهزوا الاقامات والعلوفات وأقاموا على هذه الحالات ينظرون ما يأتي من تلك الاشارات إلى ان كان يوم من بعض الأيام وهم على ماهم عليه من الاتفاق وإذا بغبار قد ثار حتى سد الأقطار وبعد ساعة انكشف وبان للناظرين وإذا ببريق زرد ولمعان خود وعشائر ما أكثر تهاعدد ولم يزالوا في سيرهم الى ان اشرفوا على البلاد وقد اقبلت تلك العشائر كأنها الجراد يقدمها فارس عبس عنتر بن شداد وتلك الفرارس سائر كأنها العرائس المحليه وعلى رؤسهم البيارق والصناحق القسطنطونية فعند ذلك دقت الطبول الرمانية ونعرت البوقات النصرانية ولمعت الأسنة على رؤس القنطاريات وخفقت البنود والرايات واضاءت الطوارق ولعبت الأرباح في الأعلام والبيارق (قال الراوى) واقبل الأمير عنتر ابن شداد في مقدمة تلك العشائر كأنه برج مشيد اوجبل قد تسربل بالحديد غائص في ثياب الزرد النضيد وهو مقلد بالصامي الابتر معتقل برمحه الكعوب الأسمر راكب على ظهر حصانه الأبجر وشيبوب وولده الغذروف في ركابه كانهما ذكر نعام وكل واحد منهما كأنه أسد ضرغام وإلى جانبه اليمين هرقل بن قيصر والملك كوبرت الى جانبه الأيسر ولما رات اهل مدينة الاندلس الى ذلك الحال قالوا لملكهم عبد المسيح الصلح هو غاية الآمال فقد زال عن قلوبنا الهم والوبال فعند ذلك خرج الملك من المدينة الى ملاقاتهم هو وارباب دولته وبين يديه رهبانه وقساوسته وفتح باب البلد من وقته وساعته وخرج لاستقبالهم البترك والكبير والراهب الذى يسمونه صنافير ولا بقى شماس ولا مطران إلا وخرج ذلك اليوم من اجل ذلك الشان قال فهناك دقت كاسات الفرح والمسرات بالصلح والبشارات ونعرت البوقات ورفرت على راس الأعلام والرايات وفتحت سائر ابواب البلد وقد امنوا على انفسهم واخرجوا العلوفات والزاد والشئ الفاخر من اطعمة تلك البلاد قال الراوى هذا وقد ترحل الملك عبد المسيح من وقته وساعته وترجلت بين يديه اكابر دولته ورهبانه

وقساقسته وسعى على قدميه نحو ابن الملك قيصر فعند ذلك ترجل هرقل وكذلك أبو الفوارس عنتر وترجل معهم كوبرت الآخر فعند ذلك تقدم الملك عبد المسيح الى الأمير عنتر وقبل يديه فقبل عنتر صدره وبين عينيه وكانت قد نصبت لهم الخيام فنزلوا فيها واستقر بهم المقام وأكلوا ما راج من الطعام ولم يزالوا الى أن فرغوا من ذلك الاهتمام فاستأذنهم الملك عبد المسيح فى دخولهم البلد وكان ذلك طلبا للراحة من الهم والنكد ففرح هرقل وانشرح وزالت عن قلبه الهموم والترح وكذلك كوبرت الآخر فرح فرحا شديد وقالوا كلنا نحن فيه من سعادة عنتر الفارس الصنديد وكان فرحهم الذى أطاعهم ملك الاندلس من غير قتال ولا حرب ولا نزال هذا وقد أدخلهم الملك إلى البلد على حسب الطاعات وأنزلهم فى القصور والقاعات وقد مد لهم السماطات وعليها من أفخر الطعامات وزادت بينهم الافراح والمسرات وقد أتت الخدام بالمأكول والمشروب فى أوانى الذهب والفضة والجواهر والمعادن التى نورها قد أضاء وفيها من سائر ألوان الطعام فأكل منه الخاص والعام وبعد ذلك قدموا آنية المدام ودارت عليهم بالكاس والجام وكانوا قبل ذلك قد أحلوا العنتر وكوبرت وهرقل ابن الملك قيصر ومن معهم من أكابر العشائر دارا عظيمة واسعة البناء شاهقة فى الهواء هذا وقد أقام لهم الملك من عنده رجال يحفظون لهم خيامهم وما فيها من الأثاث والأثقال والملك أخلا لهم الملك تلك الدار وكان السعد بها قد دار فامر الخدام أن ينقلوا إليها من الفرش شىء ما عليه من الزينة والديباج والستور الحرير والتخوت والكراسى والأسرة والاوانى وغيرها مما يقوم عليه عشرين ألف دينار وأكثر من ذلك المقدار وبعد ذلك لما استقر بهم المقام وقد أكثر لهم من جزيل الانعام وبقى الملك كل يوم يركب ويركبوا معه تلك الجماعة ويفرجهم على مدينة اندلس وما حولها من بساتينها وأشجارها وأثمارها وجريان أنهارها ولم يزالوا يخرجوا من مكان ويدخلوا إلى مكان إلى ان أدخلهم إلى بستان عظيم القدر والشان ما مثل فى سائر الاقاليم كأنه جنة النعيم فيها أنهار جاريات وأشجار باسقات وأطيار زاعقات تسبح رب الأرض والسموات وقد اجتمع فى ذلك البستان من غرائب الصفات ولو شرحنا وصف ذلك البستان لطال الأمر وكل اللسان ومن التطويل كلت الهمم (قال الراوى) فتعجب الملك هرقل وعنتر وكوبرت ومن معهم فى ذلك المقام حضر من ذلك القصر والبستان الذى ما يجتمع فيه الا كل حبيب لانهم ما شاهدوا مثله هذا وقد أجلسهم الملك عبد المسيح فى مكان عال فيه لواوين وشاذروان وهو قصر عظيم ما يوجد مثله فى ذلك الزمان منظم بانواع الفصوص الملونة الغالية الاثمان وهو ما بين فروشات مطرزات ومساند محشوة بريش النعام وأجلس هرقل فى الصدر كأنه بينهم عظيم المقدار وجلس عنتر بجانبه اليمين وجلس كوبرت بجانبه اليسار هذا وقد أمر الملك بمد السماط ووضعوا فيه من سائر الطعامات المفتخرات ومن

سائر أصناف الحلويات وتقدم الأمير عنتر وأكل من ذلك الطعام الذى ما رأى مثله إلا عند كسرى وقيصر وبعد أن فرغوا من أكل الطعام قدم إليهم آنية المدام ودارت عليهم الكاسات والطاسات وطالت لهم الأوقات وانبسطت السادات . ما بقوا يعلمون هم فى أرض أم فى سموات وغابت عيونهم عن إدراك الموجودات ولم يزالوا على تلك الحالات مدة ستة أيام مواليات وبعد ذلك قام ملك الأندلس وخدم ودعا لابن الملك قيصر بدوام دولته والنعم وسأله أن عليه خراج فى كل عام يحملوا إليه بالرضا والإكرام ولم يزالوا على ذلك مدة شهر بن تمام وبعد ذلك أحضر لهم الهدايا والأنعام من تحف تلك البلاد العظام وأعطاهم أموال ما تأكلها النيران فشكروه على فعاله وزادوا له من الثناء والإحسان وأرادوا أن يعودوا إلى ديارهم والأوطان فقد طالت غيبتهم عن الأهل والخلان فقال لهم الملك عبد المسيح أيها الملك الجليل أريد من إحسانك أن تصبروا على قليل حتى أنى أكاتب ملوك البلاد التى تحت طاعتنا وقيصر من يطيعنا ومن هو الذى يعصى علينا فمن أطاع فله ما لنا وعليه ما علينا ومن عصى أعلمنا كم فافعلوا فيه ما أردتم حتى يحمل الخراج إلينا قال فلما سمعوا منه هذا الكلام أطاعوه وسمعوا لقوله وأقاموا الليالى والأيام وقد فرح هرقل بما ملك من تلك البلاد والجزائر وعلم أن هذا كله بسعادة عنتر الأسد الكاسر هذا وقد كتب الملك عبد المسيح إلى سائر الجزائر والبلاد الغربية والأقاليم البحرية القصية عنها والدنيا وهو يعلمهم بما جرى من الخبر وأنهم دخلوا تحت طاعة الملك قيصر وسارت بالكتب القساقسة والرهبان لأنهم عند الافرنج عظماء الشأن فلم تكن إلا مدة ليلة من الزمان حتى أطاع وأجاب صاحب برقا وصاحب تونس والقيروان وكذلك هرمس صاحب اسكندرية وحاكم الديار المصرية وكان أول من أقبل صاحب برقا ميخائيل بالطبول والأعلام والصناجق والصلبان فتلقوه وبجلوه وأنزلوه وأكرموه غاية الإكرام ثم أتى بعده الملكين صاحب تونس وصاحب القيروان بالطبول والزمور والكؤسات والبوقات فأنزلهم صاحب الأندلس بأحسن مكان وقد فرحوا جميعهم بهذا الشأن وكان صاحب تونس مطروس واسم صاحب القيروان كردوس ولم يلبثوا إلا قليل حتى أقبل صاحب اسكندرية وكان يحكم على الديار المصرية وكان اسمه هرمس بن العرنوس وكان له ولد يسمى المقوقس وقد أتى طائعا لعبد المسيح بن جنطيائيل وأيضا إلى هرقل الملك النبيل وكان سبب إطاعتهم لما سمعوا ما فعل عنتر بالملك جنطيائيل وكيف قتله وقتل قبيله وكسر عساكره وفعل بهم ذلك الفعل الوبيل (قال الراوى) وهؤلاء الملوك الذين ذكرناهم هم الذين أجابوا إلى طاعتهم والباقى عصوا عليه وعولوا على مخالفته وقد طمعوا فى مملكته هذا وقد فرحت الملوك باجابتهم إلى بعضهم البعض وماجت العشائر التى أتت معهم حتى ملأوا تلك الأرض ودقوا الطبول الكؤسات ونعرت البوقات والزمور وفرحوا بهذا الأمر الملوك

والسادات وقد ذكرنا أن هؤلاء ما أتوا إلا خوفا من عنتر بن شداد الذى اشتهرت شجاعته فى سائر البلاد وكيف علا على الشجعان وساد وسمعوا ما فعل بالملك جنطيانيل وقالوا لولا أن هذا الشيطان عظيم وشجاع جسيم ما كان قدر على هذه الأقاليم وخافوا منه على بلادهم وأن يسبى نساءهم ويأخذ أموالهم وأولادهم وتعجبوا أيضا كيف ملك جرائر الواحات وقتل الملك صافات فأتوا إليه خوفا من هذه النكبات ودفعوا عنهم بالصلح هذه النائبات واتفقوا على على وزن المال وجد ذلك قدموا الطعامات المفتخرات وجلت الملوك والسادات وبعد المدام والاباريق والطاسات وهم فى فرح ومسرات والأمير عنتر طالت به الغيبات فصار يتحسر حسرات متتابعات ويتمنى الرجوع إلى بلاد الشام هذا وهم فى غاية الاكرام مدة من عشرين يوم على التمام وكانوا هؤلاء قد أتوا ومعهم الأموال والانعام شىء ما تأكله النيران من قماش إسكندرانى وتفاصيل مصرى وأيضا أتى من تحف القيروان وبرقا وتونس وسائر البلدان وبعد ذلك حلف عليهم صاحب برقا الملك ميخائيل بن مكحول أن يأخذهم معه إلى دياره ويتشرف بخدمتهم بنفسه فأجابوه الجميع بالسمع والطاعة ولم يتأخر أحد من الجماعة وساروا معه من تلك الساعة وفى مقدمتهم الأمير عنتر على ظهر جواده الابجر وقد ضاق لطول غيبته صدره وحار فى أمره وشيبوب والحذروف بين يديه وإلى جانبه الملك عبد المسيح وقد أحبه حبا شديد وصار ينادمه ويسأله عن أهله وبلاده وهو يحكى له على ما جرى له وهو يتعجب من أحواله وإلى جانبه الملك هرقل بن قيصر وإلى جانبه الملك كوبرت وهو كأنه الأسد القسور وهو يقول وحق خالق العباد كل ما فتح لنا من البلاد بسعادة أبى الفوارس الأمير عنتر بن شداد الذى كأنه نار خرجت من زناد

(قال الراوى) ولم يزالوا سائرين إلى أن قربوا من مدينة برقا فلاقتهم أهل المدينة بالفرح والمسرات ودقت الطبول بالفرح والبشارات وانتشرت على رؤسهم الاعلام والرايات وكان لدخولهم يوم ما رأوا مثله فى هذا الزمان وطلعت اهل المدينة ومن حولها من البلاد إلى ملتقاهم والفرجة عليهم وقد تجمعوا من سائر الجزائر والوهاد واخلوه فى زينة ما فرح بها ابن شداد عاد وزينت المدينة بالزينة الفاخرة وقد ترحل ملك المدينة ميخائيل وسار ماشى فى ركاب عنتر واراد ان يقبل فى الركاب قدميه فاستحى عنتر ورمى روحه عليه وكذلك فعل هرقل وكربرت وترجلوا كلهم إليه ومشوا الجميع حواليه حتى وصلوا الى مرج فائح الزهر فى جنباته قد فتح وزاد فيه انحدار الانهار وتزاعقت الأطيار على سائر الاشجار وهذا ما كأنه الا روضة من رياض الجنان وجلس عنتر وهرقل وكبرت فى صدر المجلس وجلسوا الملوك عن أيمانهم وشمالهم وهم ينظروا ويتأملون عنتر بن شداد ويتعايدوا حسن اوصافه ويتعجبون من خلقته وغلطسوا يده وكبر اطرافه ويتميزوا

إلى أعطافه ويناد موه ويستحكوا منه ما جرى له . هو يحكى لهم ما كان من مبتداه وما اتفق له فى منشاه (قال) وقد أمر الملك ميخائيل بعد السماعات فمدوها وأتوا بالطعامات ووضعوها عليها وكان لحومها من سائر الوحش والاطيار مما يحير النظار وقد وضعوا فيها من جميع الألوان وهى فى أوانى الفضة والذهب فتقدموا وأكلوا هذا وعنتر قد أكل من ذلك الطعام وتلك الألوان التى هى الذمن العالية فى الأبدان وهو قد برك على ركبتيه وأطرق إلى الأرض بعينيه وصار يكش بالخمسة ويدفع بالراحة ولا يحرك فيه وقد أكلت الملوك والوزراء وسائر الأكابر والأمراء وقد أكل من ذلك الطعام الخاص والعام وبعد أن اكتفوا من ذلك رفعوا أيديهم من الموائد بعد ما اكل منهم القائم والقاعد وبعد ذلك دخلوا اولاد البطارقة بآنية المدام فى طشوت الذهب واوانى الفضه واقداح البلور العظام واباريق المعادن المدمكة التى ما توجد عند احد غيرهم من الأنام وصب الخمر فى الكؤس كانه اللهيب يحاكى وجنات الحبيب وتجاذبت الملاهى من سائر الجنبات ودارت اقداح الشراب والكاسات حتى خامرت الخمر العقول ووجد سرور وليس له محصول إلا عنتر فانه كان فى ذلك الحال وهو ما ينظر ذلك النعيم الاخيال لأن جسمه حاضر وقلبه غائب فى الديار والاطلال وروحه إلى عبلة قد طال هذا والملوك تباسطه وتمازحه وتحسن وداده ولم يزالوا فى بسط وانشراح مدة عشرة ايام على التمام والملك ميخائيل يزيدهم فى الاكرام فعند ذلك قامت الملوك على الاقدام وشكر والملك ميخائيل على هذا الاكرام وقام من بينهم صاحب تونس الملك المطوس وقال اشتهى ان تشرفوا اراضى بوطء اقدامكم وان تجبروا خاطرى تاكلوا ضيافتى فيسير وامعه إلى تونس ويقيموا عنده عشرة ايام وهم فى اعظم ما يكون من الانعام والاكرام وصاحب تونس افراح الخلق بالامير عنتر وبمن صحبه من الملوك (قال الراوى) ولما كان فى اليوم الحادى عشر قام ملك القيروان على الاقدام ووقف قدام الملوك وترجم وتكلم وقرر عليه حمل فى كل عام بعد ان يمضوا الى دياره ويأكلوا ضيافته ويجبروا بخاطره كما عملوا مع أخوته (قال الراوى) فلما سمعت الملوك الكلام قاموا الكل على الاقدام وأجابوه إلى ما أراد فاقبل هرقل بن الملك قيصر على أبى الفوارس عنتر وقال له يا فارس عدنان قد بعدت عليك الاوطان وإن كنت أنت تحب عبلة وفى حبها ولهان فانا الاخر زائد الاشجان ومنطلق فى نار أشعة لنيران وقد زاد بى الغرام لاجل الملكة مريمان وإلى رؤية ديارها والاوطان ولكن يا أبا الفوارس لو أعطيناك كل ما نملك من مال ونوال ما جازيناك على بعض ما فعلته معنا من الفعال وكل طاعة هذه الملوك لنا من جملة سعادتك والاقبال وأن من تمام جميلك والاحسان دعنا نمضى مع هذا الملك إلى مدينة القيروان ونرجع بعد ذلك نسير الى ديارنا والاوطان فقال عنتر مهما تقوله يا ملك كان (قال الراوى) ولما فرغوا مما كانوا

فيه من ذلك لأمر والشأن ركبوا وساروا في صحبة الملك كردوس صاحب القيروان ولما تكامل سيرهم سبعة أيام وصلوا إلى القيروان ودخلوا المدينة وأجلسهم الملك بقصر دار المملكة وأقاموا عنده أياما وهم في أعظم ما يكون من الإكرام ولو شرحنا ذلك لطال الكلام وبعد ذلك أقام هرمس ملك اسكندرية والحاكم على الديار المصرية وقال لهم يا معاشر الملوك وسائر الأكابر والأصاغر ما بقي إلا أخاكم هرمس يريد من إحسان الكرام أنعامكم أن تشرفوا بلاده بوطئ أقدامكم لأولى أحظى بخدمتكم ويكون ذلك من تفضلاتكم ونعمكم وأفرح فارس عبس وعدنان على مدينة اسكندرية وما حولها من البلدان فأجابوه الجميع إلى ذلك ثم أنهم جهزوا المراكب وزينوها بالبيارق والصناجق والبنود هذا وعنتر قد كره الحياة وبغض دنياه حيث أبعده هذا البعد عن محاويته عبلة وصار في قلبه من ذلك دبلة هذا وهرقل وكوبرت وسائر الملوك يشكرونه ويثنوا عليه وشيبوب والخذروف واقفين بين يديه وانزلوا بتلك المراكب ولم يتأخر من أجناد الملوك لاقسيس ولا راهب ولم يزالوا سائرين بهم الرؤساء حتى أشرفوا على مدينة اسكندرية هذا وقد عم بهم نائب المدينة فخرج إلى لقائهم وخرجت البنات من خباها وماجت المدينة بأسرها وكان لقدومهم يوم مشهود وزينت البلد بالإعلام والبنود ونعرت البوقات ودقت الكؤسات وخفقت على رؤسهم الصناجق والرايات وقد طلعت الملوك من المراكب وهم كتائب ومواكب يقدمهم أبو الفوارس عنتر وعن يمينه هرقل بن الملك قيصر بوجه مثل دائرة القمر وصارت أهل الاسكندرية وتلك البلاد يتعجبون من هيبة عنتر وغلظه وطول قامته وانزعاج عينيه وهول منظره وكبر هامته وقد مسك صاحب أسكندرية يد أبي الفوارس عنتر وجعل يده الأخرى في يد ابن الملك قيصر ثم تقدم الملك هرمس بين أبطاله ورجاله وعنتر من يمينه وهرقل عن شماله وعبد المسيح أمامه وبقية الملوك ماشيين وراءه وقدامه وهم يشقون الأسواق والحارات وأهل البلد قد علت منهم الزعقات وأكثروا من الصياح والضجات والناس قد صاروا من أعالي الأسوار والأسطحة والحيطان يتفرجون على شجيع عبس وعدنان وفارس العصر والأوان هذا وعنتر يدور بعينه في مدينة اسكندرية فرآها كأنها النجمة المضيئة بحيطان وقصور وأبراج ولم يزل الملك هرمس حتى وصل إلى قصر المملكة فرأوه قصر عظيم ما مثله في سائر الأقاليم وهو يشرف على البحر والجزيرة ولما رأوه لحقهم من رؤيته الانبهار والحيرة لأنهم نظروا إلى قصر من عرعز مصفحة بالذهب الأحمر مطعمة بسائر المعادن من الزمرد والياقوت وقضبان المرجان وفصوص الجوهر ومناظر وافية إلى أربع قاعات عظيمة مرخمة في كل قاعة ستة عشر أبواب متقابلة ببعضها وقناطرها معقودة مقسومة وبين الكل فساقي وشاذروانات ينحدر منها الماء كأنه الغدران وبدائرهم سباحات من رخام مطعم من سائر الألوان شيء قائم وشيء نائم وقد

أو صلوه إلى نصف البنيان والوانه مختلفة شيء أخضر مسنى وشيء أحمر عندمى وشيء أسود سبحى وشيء أبيض دلجى ما مثله فى سائر الوديان ودائر على تلك البركة عشر مناطق طيور مسموعة وانقلب إلى نماءها رتاح وهى زاعقة متجاوبه بأعظم الصياح قال ولما رأى عنتر إلى ذلك تعجب ومن منادمة الطيور أخذه الفرح والطرب هذا والملك هرمس قد أجلسهم على تلك الأسرة العالية والمقاعد المرتفعات بعد ما خلع عليهم الخلع الغاليات من القرش الاسكندرى والشقق المذهبات وقد أجلس عنتر وهرقل وكوبرت فى صدر تلك السادات والملوك عن أيمانهم وشمائلهم فى تلك الحضرات ثم أمر بمد السماطات فوضعت بين يدى تلك الملوك والسادات وعليه ما يكون من أفخر الطعامات وهى من سائر الطيور والماكولات من الدجاج المسمن والأوز الملاح العظيمات ومن سائر لحوم الوحوش التربيات والغزلان وأكلت الناس من تلك الأطعمة الفاخرات هذا وعنتر لما نظر إلى تلك الأطعمة الشهيات جعل يأكل لقم كبارها ئلات وقد طاب له ذلك الطعام لأنه ما أكل مثله إلا عند كسرى وقيصر ملك الأروام ولم يزالوا الناس على ذلك الحال حتى اكتفوا واشتال الطعام وبعد ذلك أتوا بآنية المدام فى السلاحيات العظام وصارت الكاسات عليهم دائرات وغنت المطربات ورقصت الجنيكيات من عظم الفرح والمسرات ولم يزالوا على تلك الحالات أربعة وعشرين يوم متواليات وهم فى كرامات زائدات قال ثم بعد ذلك طلبوا الأذن فى الرواح والعودة إلى البلاد بعد أن رتب عليهم الأمير عنتر الخروج والعداد وذلك برضاه كما اشتهى وأراد فعند ذلك قدم الملك هرمس لعنتر مائة رأس من الخيول الجنائب ما تقدر ترفع روسها مما عليها من الآلات والمواكب والدروع والقباب والقنطاريات والقواضب وعشرين من الجمال على كل بغل صندوقين مال والبعض منها قماش مصرى وتحف اسكندرى غوال وقال هذه هديه منى لأبى الفوارس عنتر وأما حمل الخراج يكون لملك قيصر خلف هرقل أنه لا يأخذ منه مال ذلك العام إلا يكون كله لعنتر على التمام فقال الملك هرمس سمعا وطاعه ولكن لا بد أن تأخذ الملك الكبير شيء يسر به الفؤاد وهذا يكون خارجا من الخراج والعداد الذى رسم به الأمير عنتر بن شداد هذا وسائر الملوك يهدوا إلى عنتر كما أنهم يهدوا إلى هرقل بن الملك قيصر ومنهم من أهدى له شيء كثير وبعد ذلك أقبل هرمس ملك اسكندرية وقال لعنتر يا فارس العرب القصية والدنية ما تقيم عندنا فى هذه الديار المصرية وأنا أرسل رجال يأتون بزوجتك وسائر بنى عمك وتسكن فى بلدنا وإن أردت زوجتك أخت المقوقس ابنتى وأقاسمك فى ملكى وأسلمك جميع نعمتى فقال له عنتر أيها الملك دامت نعمتك ويسلم لك المقوقس وابنتك وأننا ما نعود نحن على سكن بلدان ولا ناوى جدران ولا حيطان ولا نسكن إلا فى البرارى والقيعان وتعيش أنت وتدوم يا ملك الزمان قال فبينما هم فى ذلك الكلام وإذا برسول قد دخل عليهم

وقبل الأرض وأبدى السلام وقال له أيها الملك المفضال اعتد للحرب والقتال وأجمع ما عندك مع العشائر والرجال فقال يالك أخبرنا من قد طلبنا من الملوك الثقال وعندنا فارس عبس الأسد الرئبال الذى ما تقدر تقابله أسود الدحال وكان هذا البطريق من خواص الملك هرمس فقال له أعلم أنه قصد إليك الملك كندر بوس صاحب البهنسا ابن كرماس قال وكان السبب فى ذلك أننا كنا قدمنا فى هذا الديوان بأن هذا كندريوس بن كرماس صاحب البهنسا والملك سندارس صاحب اهناس كانا الاثنان أولاد عم الملك جنطيائيل صاحب الفيل وذكرنا أنه أرسل بن عمه عنان وبأن غباره لعنتر وهرقل فى الميدان وأخبر هرقل لعنتر فارس عدنان بأن ابن عمه كندريوس كرماس صاحب البهنسا وإهناس وقال عنتر لهرقل إست أمه واست أولاد عمه وبعد ذلك طيب قلوبهم عنتر وأوعدهم بكسر ذلك الجيش ثم إنه بعد كسرها وأحل بهم الهوان بعد أن قتل ابن الملك جنطيائيل فى ذلك الجيش الثقيل وهو المسمى بعنان وبعد ذلك سار إليه أبوه الملك جنطيائيل فى ذلك الجيش الثقيل فقتله وقتل فيله وانهزمت عشائره فى ذلك البر الفسيح وأتوا إلى ابن ملكهم هذا عبد المسيح وأخبروه بما كان من ذلك الأمر الصحيح وبعد ذلك صالح عبد المسيح لعنتر واستقال من قتاله واستعذر وكذلك كوبرت وهرقل بن الملك قيصر وأرادوا الرجوع هم وعنتر بن شداد فأعاقهم عبد المسيح وقال حتى أعلم أمر ما تحت يدى من البلاد وكان مراده أن يثبت قواعد ملكه ومن لا يطيعه يسير إليه عنتر ويهلكه فأجابوه هؤلاء الملوك الكبار الذين يحكمون وعلى تلك الأقاليم الأمصار ففرح عبد المسيح فرح عظيم بأجابه ملوك تلك الأقاليم والأمصار وكانوا كلهم بواسطة عنتر قد أجابوه ودخلوا تحت طاعته وصاروا يسيرون إليك ملك بعد ملك ويأكلون ضيافته فلما سمع هذا كندربوس صاحب البهنسا صعب عليه وقامت فى أم راسه مقل عينيه وقام وقعد وارغى وأزبد وكفر الملعون وجحد والصور المصورة فى الحيطان سجد وكان فى نفسه شيطان مريد وجبار عنيد وكان يحكم على بلاد كثيرة من أرض الصعيد وما كان يبارز فارسا قط فى ميدانه إلا ويخطفه من على ظهر حصانه لأنه عابج عظيم وفارس جحجاح وكان يقاتل بسائر السلاح وما قهر قط فى زمانه ولا أخذه أحد فى ميدانه لأنه كان من نسل العمالقة الطوال وكان أشجع من جنطائيل فى القتال وأثبت عند الطعن والنزال وكان عارفا أيضا برمى السهام وأثبت أهل ذلك الزمن فى ضرب الحسام وكانت تخافه سائر ملوك الصعيد ويخشاه القريب منهم والبعيد وكان يحكم على حد أخميم وأسوان وإلى النوبة والبجار وتلك الفلاة والبيد (قال الراوى) وإنه لما سمع بما فعله ابن عمه عبد المسيح وبوعمه رأى أن تلك الفعال أمر قبيح فجمع وزراءه وبطارقته وامراءه كابر دولته وقال لهم إلا ترون ما فعل ابن عمى عبد المسيح وكيف صالح هذا

الأسود الذى يسمى عنتر وبأنه من قتاله يستريح وما كفاه ما لحقه من العار فى سائر البلاد حتى أرسل إلى يطلب منى الخراج والعداد وأن بامما كانت الملوك تطيعه وتون إليه المال إلا أنهم كانوا يخافون من سطوتى فى الحرب والقتال ولما سمعوا أنه قتل وانحلت به الرزية وكان أرسل إلى يستنجد بى وكنت أسير إليه وآخذ روحه من بين جنبيه فوا أسفاه على ابن عمى جنطيانيل حيث طلع ابنه هداه لدين المسيح جبان ذليل والا لو كان عنده تدبير الملوك وما يفعلوه من الأمر المتروك كان أرسل أعلمنى بما جرى عليه حتى كنت أسير إلى هذا الفارس الأسود وانجرد لقتاله وقتاله وأفعل به كما فعلت بأمثاله فقالوا له كابر دولته أيها الملك إن ابن عمك من جبانته ومهانته ومن خوفه من هذا الأسود لا يقتله وبعدمه مهجته فاحتاج أن يدارى عن نفسه بوزن المال والخراج عن مملكته فقال لهم إنى قد عولت أن أكاتب أهل البر الطويل وأعلم الملوك الذى كانت تحت طاعة عمى جنطيانيل وتجمع لنا جيش كثير ونسير إلى عنتر فى جحفل كثير ونقتله ونقتل أيضا هرقل وكوبرت الحقير ونفنى عشائرهم وأجنادهم وبعد ذلك نسير ونملك بلادهم وتأخذ مدائن الواحات ونخلص ثار الملك صافات وإذا قتلنا عنتر سرنا وملكنا قلعة البلور فقالوا له أيها الملك لقد قلت الصواب ونظر ما يردون الملوك من الجواب قال فعند ذلك كتب كتب كثيرة وأرسلها إلى من تحت يده من البلاد وأرسل يطلب منهم العشائر والاجناد قال وكان من جملة ما كاتب ترس صاحب دهشور وكان بطريقا عظيما وأرسل أيضا إلى سوحال صاحب الاشمونين الشيطان الرجيم كتب أيضا إلى قراقيش وإلى صاحب أخميم وكتب إلى كردوس صاحب أسوان وكتب إلى ملك النوبه ومن تحت يده من السودان هذا وقد سمعت اهل الصعيد بقتل جنطانيل وتولية ابنه المسيح الذين يزعمون انه ذليل جبان فاجت بهذا الأمر تلك الأرض وكاتبوا بعضهم البعض وقد انى الملك مكشوح ملك البجاو والملك عفلق ملك النوبة وتلك الفلاه هذا وقد التمت العشائر من سائر البلدان وامدوا جميعهم بالعدد الكاملة وكان اجتماعهم على اسوان ولما قدمت عشائر النوبة وتلك البلاد على رؤسهم الخود العادية وبايديهم الدرق والسيوف المجلية الصقال وقدامهم القساقسة والرهبان قد رفعوا الصلبان هذا والملك كندر يوس قد ركب بينهم كانه برج مشيد وقد تسربل بالزرد النضيد وقدا كثروا من الزمر والطبول حتى ارتجت بهم الأرض عرضا وطولا ولما تقابلت الملوك فى تلك الأرض سلموا على بعضهم البعض واقبلوا على الملك كندر يوس وقالوا له وحق المسيح الجليل من يوم ملك الملك جنطيانيل دخل على قلوبنا حزن طويل وما العجب إلا كيف تصادق عبد المسيح هو وعبد سود وهرقل بن الملك قيصر ووفقهم ان يوزن لهم الخراج والعداد ويصانعهم عما يملك من البلاد فقال لهم خلوا عنكم انتم وابن عمى عبد المسيح وما فعله من

هذا الأمر الذى هو غير صليح فقد صالحوه ملوك الغرب والشرق والجزائر البحرية وكان سبب ذلك ميخائيل صاحب برقا وأيضا صاحب تونس وهرمس ملك اسكندرية والحاكم على الديار المصرية القصية والدنية ومن العجب كيف أطاعه هؤلاء الملوك الثقال بلا حرب ولا قتال وحملوا له الخراج ولم يقع بينهم وبينه احتجاج وقد أرسل أيضا يطلب منى أنا الاخر طاعته وأنا ملوك الأرض تتعلم منى الشجاعة وأظن أن مثله ذليل جبان ولا أثبت للحرب فى الميدان فلما سمعت ذلك كاتبتكم وجمعتكم لأجل تسيرون معى إليه كلكم وتقتلوه وتقتلون هذا الأسود معه وتنهبون من الاموال كل ما جمعه وأنتم معكم هؤلاء الاقيال وعليها هؤلاء الرجال الأقيال فاستعدوا وسيروا اليوم بجمعكم حتى أجمع بقية من عندى من العشائر وأتبعكم لانه قيل لى عن هذا الأسود أنه ما يفزع من أحد ولا يهوله من العشائر وكثرة العدد وإذا لم تجمع على هذا الشيطان المريد كل من فى أرض النوبة وبلاد الصعيد وإلا ما تنال ما نريد قال فلما سمع الملوك من كندريوس ذلك المقال صغوا اليه وشكروه وأيقنوا ببلوغ المرام ثم أنه أمر بعد ذلك لوقت أن ينتدب عشرين بطريق كل واحد منهم مثل الفتيق وقدم كل واحد منهم آعلى عشرة آلاف ما فيهم من يفزع من الموت ولا يخاف وقدم على الجميع بطريق جبار ما يقع على فروسيته عيار يقال له برلص وكان طاغيا كفور ورفع له صليب من الذهب الأحمر وهو مرصع بالياقوت والجوهر ورفع على رأسه علم من الحر الأصفر مرفوع فيه صفة الشمس والقمر هذا وقد جمله بالخيام والسرادقات وخففت على رأسه الأعلام والرايات ودقت الكوسات ونعرت البوقات وأوصاهم أن لا يكونوا فاترين العزمات فاجابوا بالسمع والطاعة وسارت العشائر من تلك الأرض وهى يتلوا بعضها بعض حتى قربوا من الباب الكبير فخرجت اليهم البطارقة والأمراء وفى أوائلهم بطريقها وكان اسمه فقريطوش فتلقاهم بالاكرام والانعام وكان قد خرجت اليهم فى جمع كثير من العشائر والجيوش وتحملوا كلهم بالسرادقات والخيام ورفعوا على رؤسهم الأعلام والرايات وساروا الكل حتى وصلوا إلى برنش وأعمالها فخرجت اليهم بطارقتها ورجالها وفى مقدمتها بطريقها الكبير وقد تحمل بالسرادقات والخيام الحرير وسار معهم فى عشرة آلاف فارس ما منهم الا كل مدرع ولابس والكل قد استعدوا للقتال والحرب والنزال وقد ملاوا الدنيا شرقها والغرب ورآهم ذلك البطريق الذى قدمنا ذكره فى تلك الضجة القوية وأتى وأعلم هرمس ملك أسكندرية قال فلما تكلم ذلك البطريق بذلك الكلام وسمعوه الخاص والعام فرحت الملوك والعشائر فى بعضهم البعض واضطربت طولا وعرض وقالوا وحق المسيح ابن مريم والصليب المفخم ما هذا إلا أمر عظيم وخطب جسيم حيث جمع كندريوس هذه العشائر واتى الينا بهذه الدساكر وقد غفلنا عنهم حتى تسببت هذه

الأسباب وعملوا شيئاً ما كان لنا فى حساب و.. كان الصواب إهمال أمرهم حتى وصل إلينا شرهم ولكن ما بقى إلا مسيرنا إليهم بجمعنا وجيشنا وأجنادنا وتتبعهم ولا ندعهم يدوسوا أرضنا ومواضعنا قال فلما سمع عنتر ذلك الكلام حلف بمن أرسى الجبال ويعلم كم وزنها مثقال لاسار إليهم أحد من الملوك الثقال ولاسار إليهم إلا هو فى بعض العشائر والابطال (قال الاصمعى) إلا أن القسيس لما ذكر الملوك ذلك الكلام وحلف عنتر بتلك الاقسام أنه لا سار إليهم إلا وحده والتقى تلك العشائر ويشتتهم فى سائر الأراضى والجزائر ويبيد الكل فى الميدان فلما سمعوا منه ذلك تعوذوا بالكنائس والصلبان فعند ذلك أقبل عليهم هرمس وقال لعنتر يا أبا الفوارس إن كلامك زاد بنا الوسواس ولابد ما يسير معك مائة ألف فارس وأول ما يسير أنا بجيشى وأبطالى وعشائرى وأرسل إلى مصر أخبر ولدى المقوقس بهذا الخبر وأدعه يرسل لنا جيش ونسير كلنا إلى هذا المعجب بنفسه وندعك تقتله وتريحنا من غمه وتفعل به كما فعلت بابن عمه (قال الراوى) وكذلك قال الملكين أصحاب تونس والقيروان وملوك بلاد الغرب وتلك البلدان ووافقهم على ذلك القول ميخائيل صاحب بنا وكان قد ازداد غيظاً وحنقاً واتفقت الملوك أن ترسل الرسل إلى بلادها وتجمع رجالها وأجنادها فقال فعند ذلك وثب عنتر من بين ذلك الجمع الكثير وقال لهم أى شىء هذا التفسير لا يسيرون وأنا أسير إليهم ولو أنهم بعدد ورق الشجر وقطر المطر والقاهم بحد هذا الحسام الذكر وادعهم عبرة لمن اعتبر وتنظروا من عبدكم عنتر ما يؤرخ منه وتذكر وتتحدث به الناس وإذا لم أفرق هذه العشائر القادمة عليكم فى البر والفدفد وإلا فالعنوا العرب الذين انى منهم عنتر على طول الأبد ثم أنه لما فرغ من ذلك الكلام حلف وشدد فى الاقسام بمن له البقاء والدوام وخلق سائر الانام لا أقام غير ذلك اليوم تمام ومن الغد يسير إلى اليهم فساو اهناس ومعهم هذا الجيش وملكهم الذى يسمى كندروس بن كرماس ويقتله ويقتل بطارقته ورهبانه ويفنى عشائره وسائره أعوانه ويقتل أيضاً ملوك النوبة والبجاة ويشتت شملهم فى الفلاة فى كل أرض لأنى ذكرت لكم قبل هذا الوقت أنى معتاد بقتل الأفيال وأرى أمرنا وسفرنا قد طال ومرادى العودة إلى الديار والاطلال (قال الراوى) لهذا المقال وكذلك قال كوبرت وهرقل بن قيصر أنهم يسيروا الاخرين فى غداة غد فيمن معهم من الجيش وكانت عشائر كوبرت وهرقل معهم وهم لم يفارقوهم فلما حلف عنتر وأجابه كوبرت وابن الملك قيصر فقال عبد المسيح وأنا الاخر أسير فيمن معى من الرجال وأقاتل ابن عمى وأعاون ملوكنا على هذه الأحوال (قال الراوى) وأنهم لم يزالوا فى قيل وقال إلى أن مضى الليل وأتى النهار وأرسلوا الملوك إلى بلادهم يأتوا منها بالعشائر والابطال ولما أنهم فرغوا مما دار بينهم من الكلام والمقال افتقدت الجيوش عددهم وسلاحهم وأصلحوا

سيوفهم ورماحهم وركب قدامهم أبو الفوارس عنتر على سهولة جواده الابجر وتقلد بسيفه الضامى الابتر وأعرضوا عليه جميع الجيش فكانوا مائة ألف وأكثر وأرسل معهم الملك هرمس أيضا عشرين ألف من الأبطال المسمية من أهل مصر واسكندرية وقد نشرت على رؤسهم الصناجق والأعلام والرايات والقيصريات والصلبان والأنداسيات وعقد على رأس عنتر صنجق كبير مطرز بالذهب والحرير وسار فى همة قوية كأنهم الليوث العوابس وعليهم الدروع الداودية والبيض العادية متقلدين بالسيوف الهندية وخرجوا من مدينة اسكندرية وصارت ملوك العرب لوداعهم وقعدوا ينظروا عشائرهم تأتى من بلادهم ويسيرون اليهم ويكون فى أرض الصعيد اجتماعهم ولما خرجوا من اسكندرية واتسعوا فى تلك الأرض والملوك والكتائب يأتون بعضها بعض وعنتر بينهم كأنه قلة من القلل أو قطعة فصلت من جبل أو بلاء الله إذ انحدر ونزل وهو بالحديد مسربل وشيبوب والخذروف بين يديه يدمدمان كأنهما ذكر النعام ولم يزالوا يجدوا المسير إلى أن وصلوا إلى دير هناك فى سفح الجبل الاخر يسمى دير المسيح بينما هم سائرون وإذا بغبار وقد ثار حتى سد الأقطار وأظلم منه ضوء النهار وبعد ساعة انكشف وانقطع وبان من تحته بريق زرد ولمعان خود وقوم من كثرتهم ما يحصى لهم عدد وفى الحصر والعيار يزيدون عن الفيز فارس قهار يقدمهم علج غضنفر فى عنقه صليب من الذهب الأحمر فلما أشرفوا عليهم طمطموا بالرومية وشتموهم بالافرنجية قال وكانوا هؤلاء طليعة جيش الروم وكانوا قد أرسلوهم قدامهم من أرض الفيوم ملما رأوهم لم يمهلوهم دون أن حملوا عليهم فتلقاهم عنتر وكان قد خرج اليوم يكشف الخبر وهو على ظهر جواده كوكب بن الابجر وتبرجا جهم بسيمة الضامى الابتر وكذلك فعل كوبرت الفارس الغضنفر وخلفوا هؤلاء الاثنين لأحد من الجيش فبرز اليهم فلم دونهم الا ساعة مثل لمح البصر حتى تركوا الألفين فارس عبر لمن اعتبر وخلوا اجاجهم مثل الاكر فلله در عنتر وما فعل وكم أهلك فى ذلك اليوم من علج وبطل وكذلك كوبرت هجم عليهم وتشبه بعنتر وفعل مثل ما فعل وفتكوا هؤلاء الاثنين فى الألفين وحان عليهم الحين وناح عليهم غراب البين وجعل عنتر كل رجل اثنين وعنتر قد التقى ببطريقهم الكبير وهو يصول ويجول وله وجه مثل الغول ومن شدة ما حصل عليه بقى لا يسمع ولا يرى لحمل عليه عنتر وصبر إلى أن حاذاه وحك الركاب بالركاب وضربه بالسيف على عاتقه طلعه يلمع من علائقه فوقع إلى الأرض يخور فى دمه ويضطرب فى عندمه قال ولما نظرت النصارى إلى بطريقها قتيل وعلى وجه الأرض جديل ولت الادبار وركنت إلى الفرار لأنهم لم يجدوا الهم على حرب عنتر طاقة ولا لملاقاته استطاقة فاوسعوا فى البرارى القيعان وهم يتعوذوا بالكنائس والصلبان ورجع عنتر وكوبرت بعد كسرهم لذلك الجيش وقد ملوا أسلاب القتلا

(تم الجزء الخمسون ويليه الحادى والخمسون)

الجزء الحادى والخمسون

من سيرة عنترة بن شداد

(قال الراوى) وعاد عنتر إلى جيشه وهو مثل شقيقة الأرجوان مما سال عليه من أدمية الفرسان فتلقاهما هرقل بن الملك قيصر وأثنى عليهما ورحب بأبى الفوارس عنتر وكذلك فعل عبد المسيح هو وكل من فى ذلك المكان حضر وشكره على ذلك الفعل المليح وجميع الجيش (قال الراوى) لهذا الخبر هذا ما كان من هؤلاء وما سار لهم من ذلك الأمر والخبر المبين وأما ما كان من المنهزمين فإنهم ولوا منكسرين وفى البر مشتتين حتى وصلوا إلى ملوكهم ومقدمتهم من عشرة وعشرين وأعلموهم بكسرهم وما حل بهم من هذا البلاء العظيم وقتل بطريقهم وقالوا لهم ما تلقانا إلا عبد أسود وهو جبار جسيم وما كسرنا وقتل بطريقنا إلا هو وحده وما كان معه من جنده إلا نفر واحد فلا رحم المسيح لا أباه ولا جده لأن هذا وحق المسيح لضربات تهد الجبال وصرخات تزلزل الأرض والتلال قال فلما سمعوا ذلك المقال صعب عليهم وكبر لديهم وحلفوا بالصليب والانجيل وما فيه من التحريم والتحليل أن لا بد لهم أن يقتلوا هذا الأسود ويسقره كأس الحمام هذا وقد كبت العشائر على خيولهم واعتدوا القبالة على أفيالهم وجعلوا يجدوا السير فى تلك الربوات ودقت الكوسات ونعرت البوقات وبقيت الأرض تموج كأنها يأجوج ومأجوج وهم فى ذلك العدد الذى ذكرناه فهذا ما كان من هؤلاء وقصتهم قال وأما ما كان من الأمير عنتر وهرقل بن قيصر ومن يصحبهم فانهم بعد كسر الطليعة قدامهم فى تلك البرارى والقيعان جعلوا يستعدوا للحرب والقتال وأنهم ما أقاموا غير يومين على هذا الحال وفى اليوم الثالث رحلوا أول النهار وإذ قد طلع عليهم غبار حتى سد الأقطار وانكشف بعد ذلك عن عشائر البهنسا والفيوم وركض خيلهم قد أزعج الأرض وهم بعد الكواكب والنجوم والعشائر كأنهم الجراد المنتشر أو السيل المنحدر وقد أبرقت الدنيا من المشارق والمغارب من كثرة الرماح والطوارق ولمعان السيوف والقواضب والرايات مثل الكواكب فلما رأوا عشائر هرقل إلى غبارهم ففى عاجل الحال ركبوا خيولهم واعتدوا لقتالهم واعتقلوا برماحهم وتقلدوا بصفاحهم وركب عنتر فى ذلك اليوم جواده الأبجر وتقلد بسيفه الأبتر واعتقل برمحه المكعوب الأسمر وركب فى جانبه هرقل بن الملك قيصر وجعل يرتب الجنود والعشائر ميامن ومياسر لأنه بهذا الأمر عارف وخابر وأوقفهم قلبا وجناحين وأمرهم أن يكونوا عند حملتهم صفين وأن يعتدوا لملاقات الطعن والضرب ووقف

الملك عبد المسيح والملك هرقل تحت الاعلام والرايات ودقت من خلفهم الطبول والكوسات وما فرغ عنتر من هذا الحال وترتيب الجنود والعشائر للقتال حتى أن جيش الاعداء قد أقبل وراياتها قد انتشرت أعلامهم ظهرت وصلبانهم على رؤسهم قد ارتفعت ولغاتهم بلسان الروم قد طمطمت والجنود بعضها ببعض قد تقاربت ولم يزالوا كذلك حتى وقعت العين على العين وحان الحين وزعق على رؤس الطائفتين غراب البين وتقدم عنتر إلى بين الصفين واشتهر بين الفريقين فلما نظرت الاعداء إلى طوله وكبر هامته وانزعاج عينيه وغلظ أطرافه وهول خلقته أوقع الله الرعب فى قلوبهم من هيبته وأطلقوا أعنة خيلهم وقد أيقنوا بذلهم وبالهم ولكن عزموا على هزيمتهم وقد ألقى الله تعالى فى قلوبهم الخوف فخرج من بينهم بطريق كأنه الفنيق وكان على جواد عتيق وهو مسربل بالحديد ذا الزرد النضيد وعليه درع مذهب يكاد من ضياء الشمس أن يتلهب وهو لا يبان منه غير تدابر الحدق وهو يطمطم بالافرنجية ويتكلم بعد ذلك بلسان الطائفة الرومية وقال ارسلوا واحداً منكم إلى ملكنا يكلمه فى أمركم وشأنكم حتى ينظر ما أنتم عليه وما مرادكم وما هو الذى أزعجكم وأخرجكم من بلادكم فقال عنتر لكوبرت أظن أن هذا القرنان ينادى لنا بطلب الحرب والطعان فقال كوبرت يا أبا الفوارس ما هو إلا قد أتى بطلب رسولا يمضى إلى ملككم ويعرف ما يقول فقال عنتر ابعث أنت إليه وقل لهم يقول لكم عنتر بن شداد الذى قد أتى لا يرجع يفنى كل من فى هذه البلاد ولو أن خالق العباد ومن كسا الليل حلة السواد ما أرجع عنهم ومتى أملككم هذه البلاد ولو أن معهم جنود ثمود وعاد وأهلك هذه العشائر الجميع ولا أخلى منها رفيع ولا وضيع أو يعطوا الطاعة ويزنوا الخراج والمعداد وإلا ما أكون حامية عبس عنتر بن شداد فقال كوبرت لعنتر السمع والطاعة وسار حتى وقف بالبعد عنه فلما رآه احترز على نفسه منه وخاف أن يخزمه وما يعلم أنه يخيب ظنه ولا علم ما خفى عليه أنه فارس شديد وكان كوبرت كما قدمنا بطل صنديد قال وكان هذا البطريق يسمى بولص بن مارث وقد أرسله البطريق الكبير الذى قدمه على جيشه صاحب البهنسا الملك كندريوس إلا أن كوبرت لما صار مقابل ذلك البطريق وله جنان أشد من نار الحريق فقال له ما الذى أرسلكم إلينا وأقدمكم علينا حتى قتلتم فرساننا وأجنادنا وطمعتم فى أرضنا وبلادنا فما الذى تطلبونه منا فافيقوا لانفسكم وارجعوا بجيوشكم عنا فقال له كوبرت أننا ما دخلنا إلى هذه البلاد إلا حتى نهلك عشائركم والاجناد لما علمنا أنكم عصيتم عن حمل الخراج والمعداد دون غيركم من الاراضى والبلاد وأن مقدم جيشنا الامير عنتر بن شداد حلف بمن جعل الجبال أوتاد إذا لم تفعلوا مثل ما فعل غيركم من الملوك وإلا يهلككم بأجمعكم ولا يدع منكم لا غنى ولا صعلوك ويشتت شملكم ويهدم أوطانكم ويخرب كنائسكم ويقتل رهبانكم فقال له مبطريق هو مسيحى أو من أى البلاد فقال له

كوبوت هذا فارس الحجاز الذى يسمى عنتر بن شداد هذا الذى قتل الملك جنظيائيل هذا فارس الآفاق هذا الذى قهر فرسان الهند والسند واليمن والعراق قال فلما سمع بولص ذلك الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وحلف وشدد فى الأقسام أن هذا الفارس أعجوبة بين الأنام ولكن ارجع إليه وقل له لا يطمع فى بلادنا كما طمع فى بلاد غيرنا فاغتاظ كوبوت ولما سمع ذلك الكلام قال له يا ابن اللئام لمثلنا يقال هذا الكلام ونحن فرسان الصدام فلما سمع بولص من كوبرت ذلك الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وفى عاجل الحال جرد سيفه من غمده وهزه حتى لمع الموت من أفرنده وضرب به كوبرت كاد يقسمه نصفين ويرمية على الأرض قطعتين فراغ عنها كوبوت بعد فته وشدته فنزلت على جواده فبرت عنقه وحمل عليه أيضا أنه يضربه ثانيا يقتله فزعق عليه الأمير عنتر بن شداد ولم يتركه يتم له هذا الأمر وصاح فى كوكب بن الأبجر الذى كان يطير بلا أجنحة فخرج من تحته مثل البرق الخاطف إلى أن وصل إليهم وفى عاجل الحال قدم عليهم وطعن بولص فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره وخلص كوبرت مما كان فيه من شدته وأركبه على جواد بولص بهمته لحماه من الروم حتى صار على صهوته ثم جال فى تلك المواكب وزعق فافتر قوا قدامه كتائب وفرق ولما رأت الجنود إلى عنتر وقد قتل بولص بقوه جربه وجلاده وأركب صاحبه على جواده ونظروا إلى ما فعل من تلك الأوصاف لحمل عليه موكب قدره عشرة آلاف فعند ذلك القاهم كوبرت وعنتر بلا مخاوف وهو على ظهر جواده كوكب بن الأبجر وزعق فيهم زعقات عاليات أودت تلك الأرض والفلوات وضرب فيهم ضربات قاطعات وأخوه شيبوب وولده الخذروف بين يديه يرموا بالسهام فى اللباب هذا وقد حمل معه فرقة من الروم وأحلوا بالافرنج البلاء والهموم وطعنوا فيهم بالقنطاريات وبذلوا فيهم السيوف المشرفيات وكان لهم ساعة لا تقاس بالساعات هذا وعنتر يحمل فيهم حملات عظيمات ويضرب فيهم بسيفه الضامى الابتر فاندهلت الافرنج لما رأت إلى تلك المصائب الهائلات أبصروا إلى إنسان ما كأنه إلا من الجن الطيارات فصابت على وجوهها وانسانت قدامه كأنها الغنم الجافلات (قال الراوى) فلما رأت بقية الجيوش ما حل بأصحابه حملوا بأجمعهم يعينوهم على ما نابهم وتقدمت أصحاب الأفيلة بما تحتها من الأفيال وعلى ظهورها ما ذكرنا من تلك الرجال وفى أيديهم المزاريق والقوس والحراب والنشاب (قال الراوى) فلما نظر الملك هرقل وعبد المسيح إلى ذلك الحال حملوا على الجميع بالجيوش ومن معهم من الأبطال فاشتدت الأهوال وعظم الزلزال وقل القيل والقال وجال الفارس الريبال وجاء الحق وذهب المحال والتقى الجمعان وأطلقت الفريقان وزاد القتال وازدحمت الألوف وقطعت الانوف وزهقت النفوس وكان يوم عبوس وثار الغبار وأظلم ضوء النهار وقل الاصطبار وقدمت

حوافر الخيل شرار النار وقد طمطمت السودان بلغاتها وقسقست القساقسة والرهبان ودمدمت أشوذ الحرب وزادت هيات ونقط الدم من الابدان وبقيت الارض كحلة الاجوان لما سال عليها من أدمية الفرسان وظهرت الشجعان واختلف الطعن بالرمح والسنان وقاتلت أصحاب الافيلة قتال شديد ما عليه غبار وكانوا قد فرقوهم أربع فرق وصار لهم ميمنة وميسرة وجعلوهم فرقة فى الميمنة وفرقة فى الميسرة وجعلوا فرقة فى القلب وفرقة أمام العشائر وتصايحت النوبة والبجاه والبربر فلله در أبى الفوارس عنتر وما فعل فى ذلك اليوم الشديد الاغبر لانه هو الذى أوقد نار الحرب وقتل الافرنج والسودان وبقى تارة يقاتل بالميمنة وتارة يقاتل بالميسرة ولله در كوبرت الفارس الغضنفر وكذلك هرقل بن الملك قيصر فانه قاتل بنفسه وما قصر ورمى الفرسان على الارض مثل الأكر ولم يزالوا على ذلك المنوال ثلاثة أيام ليلا ونهار وهم قوم يقاتلون وقوم يتأخرون لاجل الراحة فى ذلك البر والقفار وبعد ذلك ظهر على هرقل وكوبرت وعشائرهم الانكسار ولولا عنتر الفارس الهمام كانت عشائرهم من أول يوم طلبت الفرار والانهزام لانه هو الذى يحمل عنهم الاثقال ويحميهم فى الحرب والقتال لان أكثر خيلهم عطبت عاير موهـ السودان بالحراب والنبال الذين هم على ظهور الافيال فلما كانت الليلة الرابعة شكوا إليهم هذا الحال وأن خيلهم ما بقت تنفع فى المجال فوعدهم عنتر أنه فى غداة غد يقاتل فى الافيال ويسقى الرجال الذين هم على ظهورها كاسات الخبال فعند ذلك اطمأنوا لما سمعوا منه هذا المقال وعلموا أنه يقدر على هذه الفعال وبعد ذلك نزلوا فى الخيام وأخذوا لهم راحة وأكلوا الطعام وأقاموا لهم حرسهم من الاعداء فى الظلام وكانت كما ذكرنا خيلهم قد قتلت من حراب السودان الذين هم راكبون على الافيال وبقى أكثرهم رجالة وهم على أرجلهم يقاتلون ومن شجاعة عنتر يثبتون إلى أن كان اليوم الخامس فتبادروا إلى القتال وابتدروا للحرب والنزال فبينما هم على ذلك الحال وإذا بغبار قد أقبل من خلفهم وثار حتى سد منافس الاقطار ساعة من النهار فرمق الجيشان إلى هذه الغبائر المرتفعات وإذا بها قد انكشف عن جيش جرار كأنه البحر الزخار والبرقد انزعج من دق الكوسات ونعير البوقات وخفقان الرايات وقد ارتفعت على رؤسهم الصلبان وإشاراتهم تدل على أنهم مائة ألف عنان وهم جيوش مصرية ويقدمهم الملكين ميخائيل صاحب مدينة تونس وهرمس صاحب مدينة اسكندرية (قال الراوى) وكان السبب فى قدوم هذه الجيوش المعمرة أن عنتر لما حلف وشدد فى الاقسام لا رحل بغير هذه الجيوش وصحبته عبد المسيح وكوبرت وهرقل بن الملك قيصر ومعه هرمس وعشائر اسكندرية فارسل بعد ذلك إلى ولده المقوقس ملك الديار المصرية يطلب منه جيوش وكذلك بعث ميخائيل الآخر فلم تكن إلا أيام قلايل حتى أتى من عند صاحب مصر ستين ألف فارس وراجل ما منهم إلا كل ليث مقاتل وبعد

ذلك بشيء قليل وإذا قد أتت أربعين ألف لصاحب برقا ميخائيل لأنهم سمعوا أن قد وصل من عند كندريوس صاحب البهنسا عسكر ثقيل وإنه قد بعث لسائر بلاده وإلى الصعيد يستنجد بالعشائر ويستحثهم على القدوم من قريب وبعيد فقالوا في أنفسهم نحن لنساعد عنتر بن شداد على كسر عشائر تلك البلاد أخير لنا فما نساعد ونطيع ملوك الصعيد وندوس بلادنا وتعمل فيها ما يريد ويطمعون في برقا واسكندرية ويغرهم الطمع في الديار المصرية فعند ذلك تجهزوا وساروا بهذا العشائر والأجناد حتى وصلوا إلى تلك البلاد والكل قد أتوا إلى نصرة عنتر بن شداد وتقربوا منهم وترجلوا عن وجه الأرض وسلموا وتعانقوا بعضهم البعض فقالوا لا عدمناهمتكم ونشر المسيح أعلام نصره عليكم ثم إنهم حكوا لهم على ما جرى عليهم من قتال السودان وكيف عطبت خيلهم مما برموهم به من السهام في الميدان ولو لا هذا الأمير عنتر الفارس الريبال كانوا أهلكوا جميع ما معنا من الرجال والأبطال وقد وعدنا في هذا اليوم إنه يقاتل في الأفيال ولو لا ما معهم من الأفيال كنا أكثرهم على الرمال فقالوا لهم لا تفزعوا من هذا الحال والمقال فقد أتت معنا خيل كثيرة خالية بلا رحال (قال الراوى) هذا المقال هذا وقد نزل على أعدائهم الذل والخبال لما نظروا إلى قدوم هذا العشائر والأبطال لكن شجعهم ملك البجاه وقال لا تفزعوا من هذا الحال ولا تخافوا ممن قدم عليكم من هذه العشائر والرجال ففي هذا اليوم ترونهم بين أنياب الأفيال وينزلوا بهم الذل والوبال لا نناقى هذا اليوم قدعولنا نقدمهم بين أيدينا للحرب والقتال ونصبر عليهم إلى أن يدرسوهم بأرجلهم وبعد ذلك نحمل بعشائرنا عليهم فلا ندع منهم إنسان ونقتل الأبطال والشجعان ونفنى من معهم من العشائر ولا نبقى على أحد من هؤلاء البيضان ونقتل حاميتهم هذا الذى يسمى عنتر فقالوا له وحق المسيح الذى ولدته أمه من غير ذكر أن المسيح يخاف منه وإن لم تفعل ما قلته وإلا ما يبقى منا من يخبر بخبر (قال الراوى) وفي ذلك الوقت اصطفت الصفوف وترتبت المئات والألوف وصفت عشائر البهنسا أقدامها كما قد مناذكره من تلك الافيال وعلى ظهورها لرجال ترمى الحراب والخشوت والنبال فلما نظرت عشائر هرقل إلى تلك الحال تغيرت منهم الأحوال وخافوا على أنفسهم من الأفيال لئلا يدوسهم ويحلوا بهم الوبال قال الراوى فعند ذلك ابتدر قدام تلك العشائر الأسد الأدرع والليث الصميدع الأمير شيبوب وهو كأنه البلاء المصبوب وجرى قدام تلك الجيوش على قدميه ومسك قوسه وكنانته بيديه ووقفت الإفيال من بعيد بمقدار رميه سهم وجرى عليه ورمى مقدم الافيال فلم تخطىء بالقضاء والقدر حتى دخلت مقل عينيه فعاد الفيل على عقبه راجعا من ساعته وعينه قد غارت وحلت به بليته والافيلة جميعا لما عاد راجعا تبعته ولو اجميعهم منهزمين وقد القوا إلى الأرض الرجال الذين على ظهورهم وكانوا رجالا كثيرة فداسوهم وحيروهم في أمورهم فاعترضنهم

ركاب الخيول فداستهم أيضاً الأفيال مع خيولهم وأحلوا بهم الوبال فعند ذلك قال عنتر لأصحابه دونكم وإياهم دمروهم وعجلوا فناهم واقطعوا خراطيمهم بما فى أيديكم من السيوف فإنها إذا قطعت مشافرها شربت كأس الحتوف فعندها حملت جيوش الروم وفى أوائلها ملكها هرقل وكذلك كوبرت وجيوشه ففعلوا مثل ما فعل وحملت أيضاً جيوش مصر واسكندرية وقاتلوا بقوة قلب وصفاء نية وجعلوا يقتلون فى الرجال وينتكون فى الأفيال وعظم القتال واشتد النزال وزادت الأهوال وقلت الرجال وفقدت الأبطال وقام الحرب على ساق وضربت الأعناق واشتد الخناق وظهر المحاق وكان ذلك اليوم كأنه يوم التلاق فجمعت فيه النفوس وبانت الفرسان وكل الجبان وذل العزيز وهان واختلطت بعضها بعض الطائفتين وزعق على رؤسهم غراب البين وحان الحين وقلعت العينين وطاب وفاء الدين وقطعت المعاصم وانتثرت الجماجم واشتد الزحام وكل الكلام وعظم المرام واشتهر البطل الهمام ورشقت الحراب السهام وسقطوا الأبطال كاسات الحمام وضاقت الصدور وعظمت الأمور وصار النهار من شدة الغبار كالليل البهيم وكل الاصطبار وتهتكت الأستار وعظمت الرزيات وصارت الأنفس فى النازعات ربربت السودان وعنت العيدان ورفعت جيوش هرقل وكبرت أصواتها وضربت طبولها وبوقاتها وطعنت بقنطارياتها وطعطعت بلغاتها وفارس عبس هو حامها وهو ينثر من جيوش البهنسا ملوكها وساداتها فحارت بما حل بهم فى ذلك اليوم الأفكار وعميت منهم الأبصار وزاد عليهم الغبار فولت جيوش البهنسا الأدبار وركنوا إلى الفرار وتبعهم عنتر وأجناده إلى آخر النهار وقتلوا شيء كثير من الأفيال وأهلكوا جماغير قليل من الرجال ورجع عنتر وأصحابه وسائر من معه والجيوش والملوك تتبعه وملوا الخيل والأسلاب والمال وسائر الدواب وجميع الملوك تثنى على شيبوب فيما فعل من ذلك الأمر المهوب وأيضاً على ولد الخذروف وعلى حاميتهم عنتر البطل الموصوف وبعد ذلك نزلوا واستقروا فى الخيام وأخذوا لهم راحة وأكلوا الطعام وانطرحت الناس لما أظلم الظلام بالليل للمنام ولما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح جلست الملوك فى خيامها وجمعت أكابرها وتقدمها ابن شداد همامها واستشاروا هل يرجعوا أو يرحلوا وراءهم فاتفق رأيهم بمشورة عنتر أن يسير وراءهم إلى بلادهم ويفتكوا فى بقية عشائرهم وأجنادهم وإن عصوا عليهم حاصروهم وأهلكوهم وإن أطاعوا يطلبوا منهم الخراج والعداد ويكون ذلك بهيبة عنتر بن شداد ثم أنهم ساروا وتبطنوا فى تلك البرارى والقفار وتبعوا منهم الآثار (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وما دار بينهم من الكلام (وأما) ما كان من القوم الذين حل بهم الانهزام فانهم ساروا أكثر من يومين ليلاً ونهاراً وإذا قد لاح لهم من بين أيديهم غبار وتزوبع حتى سد الاقطار وقد أظلمت منه الأقطار وبعد

ذلك انكشف عن جيش الصعيد والبهنسا وعلى رؤسهم الرايات وبين أيديهم دق الكوسات ونعير البوقات وقعقعة الصلبان يحملها القساسة والرهبان وفى مقدمتها كندريوس بن كرماس وأخوه صاحب مدينة أهناس (قال الراوى) وكان السبب فى قدوم هذين الملكين بمن معهم من تلك الجيوش لما أنهم أرسلوا بولص ومعه تلك الجيوش والتقوا عنتر وفعل بهم ما فعـــل من تلك الأمور الكبائر وبعد مضيهم من عنـــده فى ذلك البر والعجاج كانت هؤلاء البطارقة والأعلاج وصار يجمع الجيوش على عنتر ودساكره إلى أن التقى بالرجال المنهزمين وهم فى البر متقطعين من عشرة وعشرين وبعضهم فى البرارى تائهين فقال لهم يا ويلكم من هذا الحال وأين العشائر والأبطال فقالوا له أيها الملك يكون فى علمك أنهم داستهم الأفيال وأهلكهم هذا الذى يسمى عنتر بن شداد وأحل بهم الوبال وشيء هلكوا فى المعمعة بالحرب والقتال فقال لهم يا ويلكم أنتم كنتم فى خلائق بعدد الرمال تهلككم هذه الشرذمة الحقيرة وتهلك منكم الرجال والأبطال فقالوا له أيها الملك لا تقل شرذمة حقيرة فوحق المسيح ما هى إلا عصابة كبيرة ثم أنهم أخبروه على ما أصابهم من أمر الحرب والقتال وكيف قتلوا بعده الرجال والأبطال وكيف قلع شيبوب عين كبير الأفيال فولى وتبعته رفقته وأرموا ما على ظهورهم من الرجال وحمل عنتر ومن معه من العشائر بأسرها وضربوا فى الأفيال بالسيوف على خراطيمها ومشافيرها فلما رأوا إلى قتل الأفيال هجموا علينا فى عاجل الحال وداسوا خيلنا ومن عليها وأبادنا عنتر وعشائره فى ساحة المجال فهلك منا فى تلك الوقعة نصف العشائر ومنهم جماعة كثيرة تشتتوا فى البرارى والجزائر قال فلما سمع كندريوس بذلك ما هان عليه واسودت الدنيا فى عينيه وما بقى يعرف ما بين يديه وقال سوف ترون ما أفعل فى عنتر ورفقته وكيف أقتل هؤلاء الملوك الذين أتوا صحبته وآخذ بثأر عمى جنطيائيل وأقتل ابنه هذا عبد المسيح المهان الذليل وتركوا كيف أسحق منهم الأثر ولا أدع منهم من يخبر بخبر ثم أنه ضم الرجال إلى الرجال وزعق فى ساعة الحال وحلت العشائر على المسير والارتحال وتقدم قدام الدساكر يقطع البرارى والقفار وما سار غير يوم واحد كامل وثانى يوم إلى نصف النهار وإذا بغبار قد ثار حتى سد الأقطار وبعد ساعة انكشف ذلك الغبار وبان ما تحته وانجلا للابصار وإذا هو ببريق زرد ولامات خوذ وجيوش ما أكثرها عدد وكانت هذه العشائر المقبلة عشائر الأمير عنتر والملوك التى معهم وعدتهم مائتين ألف وأكثر وكان عشائر البهنسا ثلثمائة ألف عددها قد انحصر لأنه كان أول مسيرهم فى النوبة الأولى ثلثمائة فارس فجرى عليهم ما جرى من سيف عنتر وحلت بهم المناحس وأيضا كان معهم خمسمائة فيل الذين قدمنا ذكرهم وكانى كما قدمنا على شيبوب فناهم وقتل من العشائر مائة ألف وقد انمحت آثارهم وصاروا دوارس فلما تقابلوا بعضهم البعض عاد المنهزمون من

جنبات تلك الأرض واجتمعوا هؤلاء وهؤلاء فصار عدتهم أربعمائة ألف وساروا قاصدين عشائر الأمير عنتر وهرقل ابن الملك قيصر على هذا الوصف إلا أن لما انكشفت هذه الغبار وبان ما تحتها للنواظر ونظرت الجيوش إلى بعضها البعض فاجت واضطربت في تلك الأرض ودقت من الجيشين الكوسات حتى تزلزلت الأرض من سائر الجنبات ولم تجد الجيوش لها ثبات بما تقدم من سبب الحقد والكسرات بل حملت من سائر النواحي والجهات وكلهم يزعقون ويرفعون أصواتهم بقول حنا ومريم وتخضبت الوجوه بالدم وتبدلت بعد الوجود بالعدم وبرز الشجاع وهمهم وزعق البطل الشديد وتقدم وخاف الجبان الضعيف القلب وانهزم وكانت ساعة يالها من ساعة بانت فيها من الشجاع الشجاعة وصارت نفس الذليل مرتاعة وارتفعت الزعقات وعلت الضجات وعظمت الصرخات واختلف الاجناس والاصوات وقل خطاب المخاطب وتصادمت الكتائب بالكتائب ومالت المواكب على المواكب وأحاطت جيوش البهنسا بجيش الروم من كل جانب وهكذوا منهم القنا والقواضب وكثر فيهم الفزع والارتعاش وأخذهم القلق والاندهاش وانقطع القلب من شدة الفزع وطاش ودمدم عنتر بين الطائلتين وهاش ولولاه كان فتى من جيوش الروم أكثر من نصفهم وكان قد حل بهم حتفهم لأنهم تأخروا أكثر من شوط جواد إلى خلفهم وطمعت عساكر البهنسا فيهم وأحلوا بهم الهموم ودمدمت السودان وساعدتهم على ذلك أهل الفيوم وعظم بينهم الوسواس وقد قويت قلوب الجيوش بشجاعة الكندر يونس بن كرماس هذا وجيوش الملك كوبرت من عبدة الصلبان وأفرنج وروم وعرب وأهل الصعيد وسودان ومن يدعى الشجاعة من أهل تلك البلدان ولولا حاميتهم الأمير عنتر الفارس الكرار كانت تطلب الهزيمة والفرار وما ثبتها إلا هذا الفارس الادرع والبطل الصميدع بما فعل من الحرب في ذلك النهار (قال الراوى) الناقل لهذا الكلام فبينماهم على ذلك الحال وقد ملت نفوسهم من الحرب والقتال وإذا بغبار قد ثار وسد الاقطار وبعد ساعة انكشف وبان عن عسكر جرار مثل البحر الزخار وهو مقبل من ناحية الجبل الاخضر وتلك الديار وبعدها تقطع وبان من تحته حديد يلمع وأسنة تتشعشع وراية تونسية وصناجق قيروانية وهم كأنهم الاسود الدحالية وهم راكبين على الخيول العربية ومعتقلين برماح خطية ومتقلدين بسيوف هندية (قال الراوى) وكان المقدم على هذه العشائر التى أقبلت مع الملكين أصحاب تونس والقيروان وكان السبب في قدومهما هو أنه لما ساو عنتر بالعشائر والفرسان وقد حلف وشدد في الايمان لا سارا لا فيمن جمعه من تلك الشجعان وسار بهم كما ذكرنا وبعدها قد تتابعت من خلفه الفرسان الذين قد جمعهم هرمس صاحب أسكندرية وملك الديار المصرية وكانوا هؤلاء الملوك أرسلوا إلى مدينة

تونس وإلى مدينة القيروان فاتهم من الفرسان خمسون ألف عنان وساروا بهم خلف الامير عنتر حتى ينجدوه على من قدم عليه من الجيش وقد ساروا يقطعون تلك البرارى والتلال إلى أن لحقوهم على تلك الحال من أمر الحرب والقتال ولما أقبل تلك الرجال ما خفى عنهم ما هم فيه من الاحوال (قال الراوى) لهذا المقال فعند ذلك خففوا ملبوسهم وقد وطنوا على الموت نفوسهم وكشفوا عند ذلك رؤسهم ونادوا يا للمسيح بن مريم ولما رأت جيوش النمسا إلى ذلك الحال حل بهم الانذهال والذل والخبال وقد قالوا لكندريوس وحق المسيح والانجيل ما أنت بعد ذلك إلا ذليل وما أنت إلا من أعظم الجهال فقال يا فتيان وما معنى ذلك الشان فقالوا له اعلم أن لو كان فيك عقل الرجال ما كنت حاربت هؤلاء الملوك الثقال لاسيما هذا الفارس الذى كأنه الاسد الرئبال ولم يخطر الموت له عند بال وان لم تسمع منهم ما يقولون وتجيبهم إلى ما يريدون وإلا سرنا إليهم واتفقنا عليك واخذ روحك من بين جنبيك وتدخل تحت طاعة هؤلاء الملوك وتعيش كما يعيش الفقير الصعلوك (قال الراوى) فلما سمع الملك كندريوس منهم ذلك الكلام خاف على نفسه من شرب كاس الحمام فاجابهم على ذلك المرام وقد بطل الحرب الذى كان بينهم والخصام وفى عاجل الحال نزلوا عن الخيول وانيشر واعرضا وطول ودقت الطبول وقد زعقت جميع الفرسان ونادت عن فرد لسان يا حامية عبس وعدنان نريد منك الامان يا فارس الفرسان ويا حاوى قصب الرهان ويا مذل الملوك والاقران فى حومة الميدان ثم نادوا يا عنتر يا منصور يارب أدمه علينا بالهنا والسرور ثم أنهم تقربوا من بعضهم البعض وقد تعانقوا فى تلك الأرض وما بقى أحد من ملوك أرض الصعيد والنوبة والبجاه الامن عانق عنتر وقبل يداه وقد اختلطت الجيوش المصرية والسودان والافرنج والروم وسائر ملوك البلدان وبعد ذلك نزلوا فى الخيام واستقر بهم المقام وروجر لهم الخدام سائر الطعام وروقوا صافى المدام وزاد لهم كندريوس فى العز والاكرام مده من الأيام فلما أن عزموا على السفر والرواح قدم الملك هدية للامير عنتر من جميع الشيء المفتخر ومن المعادن والجواهر وأيضا من الخيول العربية وقد أعطاه أوفى عطية بعد ما قرر عليه الخراج والعداد فى كل عام فاجابه كندريوس على ذلك المرام وقام قائما على الاقدام وقد قبل الأرض بين يدى عنتر البطل الهمام (قال الراوى) ثم أن الامير عنتر بن شداد أرسل جميع ما أتى له هدية من تلك البلاد الذى قدموه له الملوك والسادات إلى جزيرة الواحات وقد أراد الرحيل الحد والتحويل فوعوه الملوك ومن معهم من الفرسان وكذلك فعلوا بسكوبرت والملك هرقل بن قيصر ومن معهم من ذلك الجيش وقد تفرقت الملوك إلى بلادها وكذلك من معها من أجنادها وقد نزلوا فى مراكبهم وقد خدمتهم الرياح باذن الكريم الفتاح وسخرها لهم رب الارضين والسموات وما زالوا فى تلك السفائن سائرين وهم فى عز وتمكين إلى أن وصلوا جزائر الواحات فعند ذلك طلع عنتر

إليهم جميع الرؤساء وهنئتهم بالسلامة والمسرات وقد طلبوا منهم البشارات كما جرت به العادات ثم أنهم أرسلوا من هناك بشيراً إلى ثلمة الكافور ومدينة البلور حتى يبشر بقدومهم ليزدادوا في حاو سرور (قال الراوى) لهذه الأمور ولم يزالوا على هذا المرام حتى أقبلوا على قصر الملكة بسلام ولما استقر بهم المقام صنع الملك كوبرت الطعام وروق لهم المدام وبعد ذلك اجتمع عنتر بالجازية مريم وسلمت عليه وقبلت يديه وأسافل قدميه وكذلك الملك هرقل ملك عبدة الصلبان وقد اجتمع بالملكة مريمان وقد أقاموا في هنى وأمان مدة عشرة أيام متواليات وهم على أكل طعام وشرب مدام بأفراح ومسرات هذا وقد كانت أخبارهم فى تلك المدة لم تنقطع عن الملك قيصر ثم أنهم جهزوا أموالهم وعبوا رحالهم وجعلوها فى الصناديق وقد جمعوا ما هناك من الأسلاب والأموال والهدايا والتحف وغير ذلك وما كانوا كسبوه من انائم فى تلك الرسوم والمعالم وقد تقدمت الجارية مريم إلى عند الأمير عنتر تودعه فلما ودعته وقبلت يديه قبلها الآخر ولثم خرطومها وقد زال عنها همها وغمها وما دعت له بطول العمر والبقاء وإزار الهم والشقاء وبعد ذلك تقدمت الملكة مريمان وأخذت فى وداع الجارية مريم وكانوا كما قال الشاعر تمثل هذه الأبيات:

يقولون دار الأحبة قد دنت ... وأنت كئيب إن ذا لعجيب
فقلت وما تغنى بدار كريمة ... إذا لم يكن بين القلوب قريب
فكن من بعيد الدار يقضى مرآده ... وآخر بجنب الدار مات غريب

(قال الراوى) ثم إن الجاريتين تودعا من بعضهما بعض ولما فرغ من ذلك الوداع افترقوا من تلك الوداع ورحلوا من ذلك المقام وطلبوا البر والآكام ولم يزالوا سائرين ليالى وأيام وهم سائرين فى تلك البرارى والآكام وقد انتشروا فى جنبات تلك الأرض خوفاً من الضيق والازدحام (قال الراوى) لهذا الكلام ثم أنهم لم يزالوا سائرين وفى السير مجدين إلى أن وصلوا إلى ساحل البحر وقد تقدمت الأكابر ومن معهم من المقدمين والعشائر فنظروا إلى المراكب وهى مثل العرايس وعليها من تلك الآلات النفائس فنزلوا على جانب البحر واستراحوا ثلاثة أيام وهم فى أكل طعام وشرب مدام ولما أن كان فى اليوم الرابع على التحقيق طلع جميع الأحمال والأموال والصناديق وجميع ما معهم من السرادقات والخيام وما أتى معهم من الخيرات والأنعام وأنزلوها إلى المراكب المقدم ذكرهم الذى صحبوها من القسطنطونية وأنزلوا الخيول والجمال ورفعوا القلوع وسارت المراكب وسخر الله لهم الرياح الطيبة من كل جانب ولم يزالوا سائرين ليلاً ونهار هذا وابتكار مدة عشرين نهار وبعد ذلك لاحت لهم كنائس البلد وقصورها العالية الأسوار ونزلت الرؤساء من القلوع إلى قدام الملك هرقل والأمير عنتر بن شداد وقبلوا الأرض بين أيديهم وهنوهم بالسلامة

وقالوا لهم فى غداة غد تكونوا فى مدينة القسطنطونية وتدخلوا البلدة ببركة المسيح ومريم التركية فخلع عليهم الملك هرقل الخلع السنية وأعطى الأمير عنتر كل واحد منهم ألف دينار وساروا وطول الليل على موجات البحار إلى أن أصبح الله بالصباح ورسوا على الساحل فزادت منهم الافراح ووصل الخبر إلى الملك قيصر بوصول ولده وعنتر ففرح ورسوا على الساحل ماعليه من مر بدو أمر بأن تزين البلد والاسواق والحارات وأكثر من المواهب والصدقات وخلع على الامراء والسادات وركب وقعت على رأسه الا لام والرايات وتجارت الفرسان والقادات وضربت الطبول والبوقات ومازال سائر بالجيوش والاجناد حتى التقى ولده هرقل وعنتر وكانوا قد خرجوا بالفرح والاستبشار فتلقاهم الملك قيصر بالخلع وأخذ ولده إلى صدره وقبله بين عينيه وكذلك ترجل عنتر اليه وقبل فى الركاب قدميه فانحنى الملك قيصر وقبل رأسه وأثنى عليه وأخذه إلى جانبه وسأله عن أحواله فحدثه بكل ماجرى له فى بلاد الغرب والصعيد من الحرب والطعان وكيف أنه قتل الملك الليدان وابنه سرجوان وملك جزائر الكافور وقلعة البلور وكيف أسر كوبرت وكيف أخذ عليه العهد والايمان وحكى له على ما جرى فى جزائر الواحات وقتل الملك صافات وابن الدر والشاهد وملك قلعة رومة المدائن ودير الصنم وما جرى له فى الاندلس مع الملك جنطيائيل وابنه عثمان وكيف أخذ ثار ولده الغضبان من قبائل الجان والكلام الذى تقدم ذكره من أوله إلى اخره هذا والملك قيصر يتعجب من قصته ومن سعادته وقال ما أسعد هذا بفتى من دون البشر لأنه صاحب عز وظفر وشجاعة وقد أعطاه الرب القديم الطاعة ومازالوا سائرين حتى وصلوا إلى البلد والخلائق على الجدران يدعون لهم بالنصر والامان ويشيرون إلى عنتر بالبنان وكان يوم دخولهم البلد يوم عظيم ما سمع بمثله فى سائر الاقاليم ونزل الملك قيصر فى قصره وهو زائد المسرات الافراح وأكرام عنتر غاية الاكرام ودام على لذاتهم إلى أن أظلم الظلام وسار عنتر إلى دار كانت قد أعدت برسمه فقام إلى الصباح وركب إلى خدمة الملك قيصر وهو متقلد بسيفه الابتر معتقل برمحه الاسمر راكب على جواده الابجر لما تقرب من الايوان وبقى قدام قيصر وهم أن يترجل فاقسم عليه لايفعل ثم أنه أجلسه بجانبه على التخت فى الايوان وقد أتتهم الخدام ووقفت بين أيديهم على الاقدام وكان للملك قيصر من حبه فى أبى الفوارس عنتر أحضر الصناع والدهانين وقال لهم اريد منكم أن تصوروا لى صورة هذا الفارس ولونه وكبر جثته وقدره وهيئته وجواده وعدته وتصوروا صورة شيبوب وولده الغضروف وحليته وما يصنع من صناعته فاجابوه بالسمع والطاعة ثم أنهم أخذوا من معادن الرصاص والقزدير والحديد والنحاس والفضة والذهب ماكفاهم وترتبوا لشغلهم واجتهدوا فى قليل من الايام حتى صوروا وصوّرة عنتر وأخيه وولده ولما

تمت دهنوه بالدهان الذى يعرفوه حتى صارت تلمع كالمرآة وبعد ذلك داروا وأصلحوا شأنهم بالمبارد حتى رتبوا الاصابع باظافرها والسواعد والمرافق والزنود والرجلين وأركبوا عنتر على ظهر جواده وجعلوا يده على قبضة حسامه والرمح على كتفه وشيبوب وولده من حواليه وجعلوا اعينهم من الياقوت الأحمر وشفايفهم من العقيق الاحمر وأسنانهم من اللؤلؤ الرطب . أضاف اليهم الدهان ثانيا وجعلهم كلهم سمر الألوان فلما تكاملت الصور ورآها الناس فأخذتهم البهتة والدهشة وظنوا أنه عنتر ورفقته وصنع الملك قيصر ديوان وصارت أعيان العشائر والوزراء يصعدون إلى الديوان يتفرجون ويرجعون على أعقابهم فقال لهم الملك قيصر ما بالكم فقالوا الله أعلم يا ملك الزمان أن عنتر وأخوته قد تغيروا من حالة الرجال وقد صار لكل واحد منهم تمثال (قال الراوى) فعند ذلك نهض الملك قيصر ومن كل عنده من الرجال ودخلوا على الصور فلما راها الملك قيصر تعجب غاية العجب هو وبطانته الحضار وخلع على الصناع وأعطاهم ألف دينار (قال الراوى) ثم أن الملك قيصر دعا باحضار أبى الفوارس عنتر فما كان الاقدر ساعة حتى حضر فاستقبله الملك قيصر أحسن استقبال وقال له يا فارس عبس وعدنان بحياتى عليك يا أوحد الزمان لا يحصل عندك غيظ مما ترى من الأشغال ثم أنه أخذه وسار حتى دخلوا على هذا التمثال (قال الراوى) فلما رأى عنتر إلى صورته وصورة أخيه شيبوب الخذروف وولده اندهش من ذلك وتحير وأخذه الوهم الفكر والتفت إلى الملك قيصر وقال له يا ملك أنتم عندكم من يصور هذه الصور الآدمية ويتعدى على القدرة الربانية ولا يخاف من الاثم ولا من الخطيئة فقال له الملك قيصر يا أبا الفوارس أعلم أن الصور فى ديننا حلال ونحن لا نصور الاصورة من نحبه ومن شده محبتك عندى صورت صورتك حتى أبقى انظرك كلما يجىء على بالى تذكارك لأنى ما أقدر أمنعك عن أهلك ودارك وأعيقك بغير أختيارك فقال عنتر على بالحكم الذى صور هذه الصور حتى أرمى عنقه وأقابله بما يستحقه فأخذ الملك بخاطره وهذا روعه وسكن غيظه وغضبه وبعدها جلسوا الاكل الطعام وقدمتهم الخدم فأكلوا ولما اكتفوا أتوهم بالمدام وجلسوا يتمايدا فى الحديث والكلام فعندها تقدم عنتر إلى عند الملك قيصر وقبل يديه وأثنى عليه وله شكر وطلب منه الاذن فى السفر فاذن له فى ذلك بعد ما خلع عليه وأعطاه مناه وأكرمه وأرضاه وكذلك شيبوب والخذروف وايضا لى عمرو بن الحارث وأعطاه التشاويف والاحكام بولاية أرض الشام ودقت له الكوسات واشهرت البيارق والأعلام وسار معهم قيصر مرحله كبيرة وقلبه مع عنتر بن شداد وبعدها حلف عليه عنتر ورده وأحسن له الوداد وسار ويقطعون البرارى والقفار وفوقت عنتر على عبله لهيب النار وشم روائح القرب من الديار ولم يزالوا فى سيرهم مجدين حتى أشرفوا على دمشق الشام وطلعوا أهل البلد إلى استقبالهم

الشيخ والغلام وقد فرحوا بالملك عمرو واندهشوا بما أتوا معهم من الأموال الذى تدهش النظار وهبت عليهم نسمات الأشجار وشافوا المنازل والديار وزينت البلد لقدومهم بالأقمشة الغالية الأسعار ودخل عنتر على عبلة ففرحت به الفرح الشديد الذى ما عليه من مزيد وقالت له يا ابن العم أخبرنى بشرح حالك وما تم عليك وما جرى لك الملك قيصر وما أعطاك من الأموال والبدر وكيف أخذت لعمرو مملكة الشام كأن أباه على بنى غسان فأخبرها بجميع ما جرى له من أوله إلى آخره وأطلعها على ظاهره وباطنه ففرحت عبلة بعلو منزلته واستقر الملك عمرو فى دولته وفرحت به عشيرته وشكروا عنتر على ما فعل ودبر وأقام عنتر بدمشق الشام أيام قلائل وهو فى خيرات وأنعام وهو كل يوم فى صيد وقنص واغتنام اللهو مع الفرص وهو على ما هو عليه من هذه الأحكام وإذا بغبار ثار حتى حجب الشمس عن الأبصار وبعد ساعة انكشف النظار وظهر من تحته مائة فارس قرار والمقدم عليهم ورقة بن الملك زهير فلما تحقق كل منهما صاحبه رمى نفسه من على ظهر جواده إلى الأرض واعتنقوا بعضهم البعض وبكيا عند الملتقى وفرحا بالملتقى وقال ورقة يا ابن العم ندم أخى على فراقك وقد أنفذنى إلى خدمتك وأمرنى أن أسألك فى الرجوع إلى حلتك قال فلما سمع عنتر من ورقة هذا الكلام وفرح واستبشر وقال له يا ابن العم ما كنت إلا سائر إليكم فى هذه الأيام ثم أنهم عادوا جميعهم إلى مدينة دمشق الشام ونزلوا فى الخيام وأكرمهم غاية الإكرام مدة ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع برز عنتر الخيام والسرادقات واستأذن عمرو بن الحارث فى العوده إلى أهله فقال له الملك عمرو يا أبا الفوارس وحق المسيح أن فراقك لا يسهل ولكنى ما أقدر أمنعك عن أهلك ثم سار معه للوداع ثلاثة أيام وودعه عنتر وأقسم عليه أن يزوره فى كل عام وسار عنتر طالب أرض الشربة العلم والسعدى ولم يزل سائراً إلى أن أشرف على الديار فوجد الحى يموج بسكانه ويرتج بأطنابه والخيول مهلبة والسروج مقلبة والنساء متهتكة والرجال فى البلية رهم ينادون واسيداه واملكاه فانزعج عنتر لذلك وطاش عقله وتحير وتقدم إلى الملك قيس وسلم عليه وعانقه وبعد ذلك سأله عن الخبر فنعى إليه أخوه الحارث وزوجته لبنى فناله عنتر من ذلك منال عظيم لأن الحارث كان عنده بمنزلة أخيه مالك فسأله من الذى قتله فقال قيس يا ابن العم قتله رجل يقال له الميقفور بن عرعر أخو الخيشعور الذى قتلته أنت من قديم الزمان وكان السبب فى قتلة الحارث أن زوجته لبنى قالت له فى بعض الأيام يا ابن العم أنى قد اشتقت إلى أهلى وأريد منك أن تنعم بزيارتهم حتى أبل شوقى إليهم فأجابها إلى ما طلبت وأركبها فى هودج مجلل بالحرير وفى أعلاه نبة من الذهب الأحمر وزمام من الإبريسم الأخضر وسلمه إلى عبد من عبيده وركب الحارث على ظهر جواده واعتد بعدة جلادة وسار معه خمسين فارس من الفرسان أهل وفين بالحرب والجلاد ولم يزالوا سائرين يقطعون البر والوهاد إلى أن وصلوا إلى أرض بنى زهران

وسمع بهم شامة بن يقظان ففرح اليهم واستقبلهم أحسن استقبال وفرح بابنته وضمها إلى صدره وشكر الحارث على فعله التي أتى بها اليهم ليبلوا منها شوقهم وأقام عندهم ثلاثة أيام وعادوا راجعين طالبين ديار بني عبس وعدنان وسار أبوها لوداع الحارث يوم كامل.

وحلف عليه ورده قال ولما نظر العيقفور وأصحابه إلى الحارث وقدومه إلى صهره وما فعل في حقه ونظر إلى هودج لبنى هند المسير وذكر محبة أخيه لها وكيف قتل عنتر أخيه من أجلها فصعب ذلك عليه وكبر لديه وطاشت في رأسه رياح النخوة لأخذ الثار وكشف العار فقال لقومه يا بني عمي اعلموا أني قد تجددت على مصيبتي وعظمت رزيتي عند قدوم الحارث علينا وأنتم تعلموا أن الحارث هو كان السبب في قتل عنتر لأخي الخيشمور وأخذ زوجته على رغم أنفه وجلب لنا العار والآن قد وجدفرصه لأجل أخذ الثار فالحقوا بني الحارث بن زهير نقطع عليه طريقه ونحرمه توفيقه فأجابوه بني زهران وبني كهلان وجدوا خلفه في البرارى والقيعان فبينما الحارث سائر بزوجته وهو فرحان بعودته وما عنده علم أن أحد أتى اليه ولا يقدم عليه فهو كذلك وإذا بنواصي الخيل قد طلعت وفرسانها قد بدرت وهي تنادى الثار الثار البدار البدار أين تنجو من هذه القفار وقد آن لنا أن نستوفى دبو تنا فلما سمع الحارث منهم ذلك لمن حوله يا بني عمى هذه خيل بني زهران قد أتوا يطالبوني بالثار الذى لهم على من قديم الزمان وقد طمعوا فينا القلة وبعدنا عن الديار والأوطان فموتوا كراما ولا تعيشوا لئاما عندها حملت بنو عبس بالصوارم والقنا وودع الحارث زوجته لبنى وقال هذا يوم الفراق الذى ما بعده تلاق عندها أخذت في يدها الخنجر الذى يسبق القضا والقدر وقالت ها هو في يدى فإن غادر تك الزمان أسقيت نفسي كأس الهوان ولا أدع بعدك يملكني إنسان عندها عاد الحارث وقد أدركه العيقفور فقال له الحارث وتلك يا وغد قومه وألئم عشيرته لحقتني هذه الديار لأخذ مني بثارك وتكشف عنك عارك فلم يجاوبه العيقفور بجواب بل أنه حمل عليه وسدد السنان اليه هذا ولبنى قد شرعت سجاف الهودج وقد أجرت الدمع وفي قلبها لهيب النار وإذا بصرخة من تحت الغبار وإذا بها من العيقفور وهو كأنه الأسد الغيور واستجاد الحارث بطعنة في صدره وطلع السنان يلمع من ظهره فمال في الفلاه وتخضب بدماه وبعدها مالت الفرسان على بني عبس فقتلت منها اثنى عشر فارس وهجم را الباقين في الفلوات وهم يدعون بالويل والثبور وعظائم الأمور بعد ما قتلوا ثلاثين من أصحاب العيقفور ونظرت لبنى إلى ابن عمها فرمت نفسها عليه وتلطخت بدماه ونادت وأسيداه وابن عماه والتفتت إلى العيقفور وهو واقف على رأسها يريد أخذها فقالت له شلت أناملك وقطعت حقا يداك فلقد قتلت سيد قومه ومالك عشيرته ورئيس قبيلته ثم أنشدت تقول :

يا ليتني من قبل ما أنظره الثرى   أساوى من دارت عليه الدوائر

لعمرى ما بالموت عار على الفتى ... وقد شهدت له فى الحروب الاكابر
ومن كان ممن يحدث الدهر جازعا ... فلا بد من يوم يرى وهو صابر
وليس لمخلوق من الموت مهرب ... وليس على الايام والدهر غابر
وكل مخلوق أو جديد إلى البلا ... وكل امرىء حقا إلى الله سائر
فانعيك يامولاى حيا وميتا ... أخا الحرب إذا دارت عليه الدوائر
عليك بنى عبس فوالحق له ... لقد ناله ما كنت منه أحاذر

(قال الراوى) هذا وبنو زهران لما أن سمعوا من لبنى هذا الشعر والاوزان وذلك الكلام حارت منهم الافهام وصاروا يتعجبون مما قالت لبنى من هذا اللفظ والكلام وما حصل لها على الحارث من الآلام ونظروا ماقدجرى لها من الاحتراق فرفعوها على هودجها على أن يسيروا بها إلى أهلها فضربت روحها بذلك الخنجر فى صدرها أطلعوها يلمع من ظهرها فلما رأوها بنو عمها وقد فعلت هذه الفعال بنفسها علا صياحهم وارتفع نواحهم وواروها مع الحارث فى قبر واحد وعادوا إلى أبيها وأخبروه بفعلها فقال لله درها ثم حزن عليها هو وامها فهذا ما كان من هؤلاء (وأما) ما كان من المنهزمين من بنى عبس فانهم بعد قتل الحارث مازالوا سائرين حتى وصلوا إلى الحلة وأقاموا الصياح واخبروا الملك قيس وبنى عبس بالجملة فشقوا الجيوب وقطعوا الشعور ولطموا الخدود وهدم الملك قيس القباب وقطعوا المضارب والاطناب وفى ذلك الوقت قدم عنتر بن شداد كما ذكرنا وسأله عن الخبر كما قدمنا فاخبروه بتلك القصة فدخل على قلبه الف غصة مما لحقه من الوجد والزفير ولم يجد له بدا من المسير لاخذ الثار وكشف العار فركب من وقته وساعته فى فرسان عشيرته وأخذ معه زيد بن عروة فى رجال أبيه وأخذ ورقة بن زهير ونوفل أخيه وترك الملك قيس فى الحلة وحلف عليه وسار عنتر فى ستمائة فارس من كل مدرع ولابس بالدروع والجواشن والخيول الصوافن ومعه جماعة من أصحاب الحارث بن زهير ليدلوه على قبره وساروا مجدين وهم يكثرون من البكاء والانين إلى أن وصلوا إلى قبر الحارث فلما راه عنتر بكى وأنشد يقول :

يادهر سيفك فى الاحبة يقطع ... رفقا بمهجة مدنف تولى بمضجع
قد هده طول البعاد ومسه ... الم الفراق وقلبه يتوجع
يادهر ماانصفت فى حكم الهوى ... سهران ويحك والاحبة هجع
رحلوا وماتوا واستقل ركابهم ... سحروا قلبى نحوهم يتقطع
ساروا ولم ادر متى يكون اللقا ... شما بهم لاقمت حتى يرجع
هذا منازلهم بقاع بعدهم ... ينح الحمام عليهموا ويفجعوا

يا دار أين القاطنين وأهلهم ... أتراهم بالقبرين تجمعوا
يا عين سحى بالبكاء من أجلهم ... يا عين جودى بالعقائق أدمعوا
أين العمالقة الجبابرة التى ... خلوا قصورهما خلاة بلقعوا
أين الأكاسرة الأول وآثارهم ... ذهبوا ودارهموا بقاع تفزعوا
هذا قضاء الهنا فى خلقه ... والناس كلهموا عليهم أجمعوا
هذا هو السر الذى غمر الورى ... والله يفعل ما يشاء ويصنع

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الأبيات أبكى العيون وأثار الشجون وأقام على قبره ثلاثه أيام وهو على قبره مائة ناقة ما ثلات الأصنام وفى اليوم الرابع رحلوا طالبين أرض بنى زهران فهذا ماجرى لبنى عبس من الأمور العظام (قال الراوى) وأما بنو زهران فان كبراءهم اجتمعوا على العيقفور وقالوا له والله لقد اضرمت علينا نار تحرق الكبار منا والصغار وجلبت لنا بقتل الحارث البوار لأن بنى عبس ماتقعد عن أخذ ثارها فقال لهم يا بنى عمى أنا حاسب هذا الحساب وأنهم يأتوا الينا بالسيوف والحرب وها أنا سائر إلى بنى عمى بنى نبهان وفارسها المهلهل حتى يعينونى على بنى عبس وعدنان وترميهم بالحس والنكس وإن كانوا ما يأتون الينا سرنا نحن اليهم فلما سمعوا بنو زهران ذكر المهلهل طابت قلوبهم وانكشفت كروبهم وعلموا أن مافى الفرسان ولا العربان من يقاومه فى الحرب والقتال لأنه لاذت له بنى قحطان ثم أن العيقفور ركب ومعه جماعة من رؤساء عشيرته وسار بجد السير إلى أن قدم على المهلهل ودخل عليه فعندها فرح بقدومه وأكرمه غاية الإكرام وأقام عنده ثلاثه أيام وبعدها تقدم اليه العيقفور وشكا اليه قصته وكيف قتل الحارث ابن زهير وقد أتيت اليك مستجيرا بك أيها الأمير فقال له طب نفسا وقر عينا ثم أنه صاح من وقته وساعته فى كبراء عشيرته وأمرهم بالسير فى صحبته فأجابوه إلى طلبته وركبت معه فرسانه والشجعان وهم كأنهم العقبان وركب المهلهل بن مسروق على جواد أدهم مهند ململم بغرة كالدرهم إذا صهل كاد أن يتكلم وهو فى عدة كاملة وساروا جادين وهم يقطعون فى الروابى والمناهل إلى أن أشرفوا على أرض بنى زهران فاستقبلوهم من أبعد مكان وأكرموهم وزادوا لهم فى الإحسان وأنزلوا الملك المهلهل فى أعز مكان (قال الراوى) لهذا الديوان ثم أنهم نحروا لهم النحور ودارت بينهم الخمور ودام عليهم الفرح والسرور والكاسات عليهم تدور ثم أقاموا على ذلك المرام ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع قال لهم المهلهل يا بنى عمى نحن ما أتينا لأجل ضيافة على هذا الحال بل أتينا نطلب الحرب والقتال وشرب دماء الأبطال ونسير إلى بنى عبس الأقيال قبل مسير هم الينا فى الأطلال فنقدم عليهم قبل ما يقدمون علينا ونذيقهم الوبال ففرحوا قومه بذلك المقال وساروا وهم فى عشرين ألف عنان وكانوا أربع قبائل وهم بجيلة وكهلان وبنى

الرهاط وزهران وسار الملك المهلهل يقدم الفرسان وهو مدل بشجاعته ويقول فى نفسه إن جميع الفرسان دونه وكلها فى قبضته ولما تمادى به المسير أنشد وجعل يقول :

انى أنا الموصوف فى قومه تعرفنى الأبطال عند النزال
أجندل الابطال من هيبتى وأردى الشجعان وسط المجال
وكم بطل جندلته فى الثرى معفر الخدين دامى العوال

(قال الراوى) ولما فرغ الملك المهلهل من هذه الابيات شكرته وأثنت عليه سائر السادات. انهم ساروا يجدون المسير وهم قاصدون بنى عبس المشاهير فى الجد والتشمير وكذلك بنى عبس المشاهير حتى التقوا ببعض وانفرشت من الطائفتين الابطال وقد ملأت تلك الأرض فعندها حملت العشائر والتمت الدساكر وكانت بنو عبس تنادى بالثارات. ابن زهير هذا وقد عمل بين الطائفتين القتال واشتد الحرب والنزال وتكسرت فى ايديهم النصال وعظم الزلزال ولم يزالوا كذلك إلى أن اقبل الليل بالاسدال وولى النهار بالارتحال افترقوا الطائفتين عن القتال واوقدت النيران وتحارسا الفريقان فلما كان عند الصباح واثبوا إلى الحرب والكفاح وقد ركبوا الجزد القداح واشهروا فى ايديهم البيض الصفاح واعتقلوا بصدر الرماح فهم على ذلك الشأن وإذا بالعيقفور بن عراعر قد برز إلى الميدان ومحل الضرب والطعان ونادى وبلكم يا بنى عبس اظننتم أن الايام لكم تدوم ابشروا بهذا اليوم المذموم فانا العيقفور أخو الخيشمور وأنا الذى قتلت الحارث بن زهير وتركت لحمه رزقا للوحوش والطير وفى هذا اليوم ابيد خياركم واهلك كباركم وصغاركم فاتم العيقفور كلامه حتى سار ميسرة بن عنتر قدامه وصار يجول ويصول وبأخذ الميدا وعرضا وطولا وأنشد يقول :

أنا الاسد المعروف عند الجحافل وكلهموا بى عارف غير جاهل
إذا طاردت الخيل الفوارس فى الوغا أبيدهموا بالمرهفات القواصل
وكل ردينى نحال سنانه سنانيس فى مرتب غير آفل
ولابد ما أفنى جمعكم بمهند والقيكموا بين الحصا والجنادل

(قال الراوى) ثم أنه بعد شعره حمل على العيقفور بشدة مرامه واطبق اليه بحسن اهتمامه. وجالا حتى علا عليهما الغبار بقتامه وسار فوق رؤسهما مثل السحاب وغمامه وعدلا فى الحرب عن طريق السلامة واعتمد كل واحد منهما على ضرب حسامه وكانت لهما ساعة اشبه الساعات بيوم القيامة هذا وعنتر متطاول إلى الغبار وقلبه إلى ولده قد طار وهو يترجى أن ينصر على خصمه فى لقاه لأنه مابقى له ولد سواه فهو كذلك على ذلك الحال وعينه محدقة إلى محل

الحرب والقتال وإذا بزعقة عظيمة وقائل يقول يا العبس وعدنان فنبين عنترمن هو ذلك القائل وإذا هو ميسره وقد ضرب الميقفور على صدره اطلع السنان من خرزة ظهره ثم أنه جال فى الميدان ومحل الضرب والطعان وطلب براز الشجعان وقتال الفرسان وانشد بفصاحة لسانه يقول :

كم من فتى ذو سلاح رامح متقدم يوم الوغا ومكافح
يمشى كمشى القوم فى الصحاصح غادرته بشرب دم ناصح
ورفقته يوم بيض رواجح وقومه باوجه كوالح
سمر القنا بيض الصفائح يبيد بها مثن الشوارح

(قال الراوى) ثم أن ميسرة لما فرغ من ذلك الشعر والنظام طلب القتال والصدام فخرج إليه المهلهل بن مسروق وهو بفؤاد محروق ودمع على الميقفور مدفوق وهو ينشد ويقول

ابكوا على الارواح قبل هلا كها برجوعكم جمعا إلى الاوطان
فقد قتلتم سيدا فى قومه حلو الشمايل من بنى زهران
من كان يسمى بالفخار على الورى وبصنعة المعروف والاحسان
وإذا التقت حلق البطان رايته شديد العزيمة ثابت الاركان
حتى رماه الدهر منه بصرفه فثوى صريعا فى محل طعان .
لهفى عليه وليتنى من يومه مالم ارى طارق الحدثان

(قال الراوى) ثم أن المهلهل بن مسروق لما فرغ من ذلك الانشاد حمل على ميسرة بن عنتر بن شداد وطلع على الاثنين الغبرة فى تلك الوهاد وبقيت الاقطار مكدرة وكانت لهم ساعة عسرة ضيقة منحصرة ثم أن المهلهل جال على ميسرة واستجاد بطعنة فى صدره طلع السنان يلمع من ظهره فمال عن الجواد إلى وجه الارض وقد تناثرت دماه طولا وعرضا فلما رأى عنتر إلى ذلك احترق قلبه وفؤاده وغاب عنه رشاده وغشى عليه وهو على ظهر جواده وأما المهلهل فإنه صار وجال وانشد وقال :

لئن قتلوا منا همام عشيرة فانى ابوث الحرب عند الكتائب
وعادتنا ضرب الجماجم والطلا إذا اسودت الاقطار من كل جانب
ولولا سحاب الحرب خاضوا غمامها جميعا وقادوا كل اشوس غالب
سيعلم وغد القوم إنى اذيقه حسام بحد السيف بين المواكب
وما الفخر فى جر الجيوش وإنما يزين الفتى الاقدام يوم النوائب
فكم فيكموا ذو منعة غير ناكل يبادر نحوى سرعا غير هائب
فانى اجندل العداة بمرهف ضربه تبرى عظام الترائب

(قال الراوى) فما أتم المهلهل هذا المقال حتى برز اليه ابن أخت عنتر الحطل ولما صار فى وسط المجال نزل الى ميسرة فرآه ملقى على ظهره فقبله وضمه إلى صدره وأشار يرثيه بهذه الابيات يقول :

لقد صار قلبى معدن الاسا — وعبرة عينى تستهل على نحرى
وكم سامنى دهرى بشرط أحبتى — فلما تقضى شطره عاد على شطره
ألا ليت أمى لم تلدنى وليتنى — سبقتك إذ كنا لحدنا نسرى
لقد كنت لك ذخراً أعيش بظله — فلما دنى فاضت دموعى ولم أدرى
أرى كل حزن سوف يبلى جريه — وحزنى عليك اليوم باق مدا الدهرى
فإن كنت مقتولا فسوف أبيدهم — وأشفى غليلا قد تمكن من صدرى
فما الدمع أشفى الصدور من القنا — وإن كان ماء العين أنهر أو أبحرى

(قال الراوى) ولما أن الحطل فرغ من ذلك الإنشاد عاد إلى ظهر الجواد وطلب قاتل ميسرة وحمل عليه حملة منكرة فلما رآه المهلهل طالبه وقد حمل عليه ولكن تبين له منه بعين الفراسة أنه ما بقى يعرف ما بين يديه وكان قد سمع ما أنشد من شعره فضاق لذلك صدره وأجابه يقول

ستعلم أنى سوف ألقيك بعده — يخطفك العقبان فى مهمة قفرى
كأنى همام فى الحروب مبادر — أصول على الاعداء بالبيض والسمر
وأنا ابن مسروق برمحى وصارمى — أبدد شمل القوم فى السهل والوعر

(قال الراوى) ثم أنهم فرغوا من ذلك الشعر والنظام حمل كل واحد منهما على صاحبه وأخذ بطاعنه ويضاربه وجالا طويلا واعتركا ميلا هذا كله وعنتر مغشى عليه وهو راكب ما يعرف ما بين يديه وكان فى ذلك الوقت قد أفاق من غشوته وقد انقلبت من أجل قتل ولده حالته وقال من والدى قاتل ولدى وأخذ معه فى المجال فقال له ابن أختك الحطل فاستقبل لذلك باله وما بقى يعرف يمينه من شماله وجعل يحدق بعينيه نحو العيار ودموعه على خده غزار وبنو زهران قد فرحوا بالمهلهل وأبدوا الاستبشار وامتدب الى الفارسين الاعناق وشخصوا نحوهم بالاحداق وقام الحرب بينهم على قدم وساق عندها أطبق المهلهل على الحطال وأكر به فى مقام المجال وطعنه فى جانبه اليمين أخرج سنان الرمح من الجانب الشمال ونفضه فقحه على الرمال قال فعلت الضجة من بنى زهران وأيقنوا بالنصر والآمال ونظر عنتر الى مصرع ميسرة والحطال وما قد حل بهم من الوبال فعلم أن منية اخوته قد دانت ومنيته قد دانت فمز فى عاجل الحال الحصان الى أن صار فى الميدان ووقف على مصرع الاثنان وقد كره الحياة واشتاق الى الوفاه وتناطلت عبراته وتمنى الوفاه عند حمزة بالجواد وقد صار بهتان من فعل هذا الشيطان وبكى من فؤاد ملول بدمع مهطول وأنشد يقول :

أرقد وقد نام الاخلا وهاجنى ... من الليل هم فى الفؤاد وجيع
وفارقت أحبابا وذخر الشدتى ... فسرت حزينا والفؤاد مروع
وكم عبرة كفكفتها بعد عبرة ... أتت واستهلت عبرة ودموع
فيا فاض عذب من شروق مدامعى ... على فارس مما أحب بروع
كأن لم يحاربنى ولم يمس لبنه ... أراموا لم يصبح ونحن جميع
سأبكى على القيل الغضنفر ميسرة ... كما لاح ورق فى الغصون وقوع
غدرت هزيلا فابتدونى بحارث ... وفى الصدر منى علة وقطوع
ودمعى على الهطال ينهل لجمة ... وقلبى فيه حسرة وولوع
ومن مقتل الغضبان ولت سعادتى ... وفقد غصوب سرت منه وجيع
ومن مازن أصبح فؤادى مصدوع ... وسارت أجفانى تفيض دموع
فمن ذا يعيش يوما لذيذاً إذا رأى ... أحباه منه مسبقين ضجوع

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره وزعق على المهلهل وقال ويلك يا لئيم ويا أخس عشيرته والله لآخذن بثار هذين الفارسين من سائر قومك الجميع الرفيع منهم والوضيع فلما سمع المهلهل كلامه ونظر إلى حسرته استهول خلقته وكبر جثته فزعق عليه يا أسود باز نم أما جل لزمانك أن يزول ولمدتك أن تحول أتحسب أن الزمان كله لك أما تعلم أنه كما أضحكك يبكيك وكما يسرك يضرك وكما حل لك غرك وكما شدك بأولادك أجرق بهم عند الكبر فؤدك واليوم هذا آخر أيامك وسوف آخذ للعرب منك بالثار وأكشف عنهم العار فلما سمع عنتر منه هذا المقال قال الويل لك ولا بيك ولعن الله قومك وذويك أتظن إن قتلك لولدى ولابن أختى يكون لك من يدى خلاص أو بقيت منى مناص ثم إنه حمل عليه وهو ينشد ويقول .

طاب الحمام لفقد السيد البطل ... خير الفوارس من خاض بالأسل
أعنى لميسرة الندب الهمام إذا ... طارت قساطل نار الحرب تشتعل
كم قد أباد لدى الهيجاء من بطل ... يوم الكريهة والأبطال فى وجل
وبعده الفارس الهطال خير فتى ... مردى الكماة عداة الروع بالأمل

(قال الراوى) فلما سمع المهلهل شعره أجابه وهو يقول :

اليوم أسقيك كاس الموت والوجل ... بأبيض الحد ماضى الشفر كالشعل
أرديك فى حومة الميدان مجندلا ... بين اختلاف القنا والطعن بالأسل
أنا ابن مسروق والمعروف شيمته ... ما عدت يوم الوغا من فارس بطل

(قال الراوى) ثم انطبق كل واحد منهما على صاحبه وتلقى طعنه ومضاربه وأظهر فى الحرب

بجانبه وتراهقا وتهاجما وتلاطما وتصادما ، هاج كما تهيج الجمال ورأى عنتر خصمه شديد وجبار عنيد وكلما اشتد فى قتاله قويت أرصانه فطاول له فى الميدان وشرع معه فى الضرب والطعان وفاجه من الهم ملان ثم إنه صرخ فيا ارعشه وقاربه حتى حك الركاب بالركاب وضربه بالصارم القرضاب على قمته نزل السيف إلى نصف قامته فانقلب من ذلى ظهر الجواد كأنه طود من الأطواد فبرد غليل عنتر بن شداد داس عليه بحوافر الجواد عند ذلك حملت عليه بنو هوازن وهم ينادون يا أسود يا زنيم يا نغل يا لئيم أذاقك العذاب الأليم ثم حملوا فى عشرين ألف وهم مثل الليوث العوابس فصرخ عنتر فى وجوههم ونادى يا أولاد الزوانى اليوم ملأ منكم الميدا وأشفى غليل قلبى من الرداثم إنه حمل وحملت خلفه بنو عبس الأجواد والتحم بين الطائفتين القتال والطوائل وانطبقت الجيوش على بعضها البعض حتى زلزلت أقطار الأرض هنالك زادت الدوائر وبان الربح من الخسائر وثبتت بنو زهران فتلقتها بنو عبس وعدنان وكان لهم يوم تشيب فيه الولدان هذا وعنتر ما وقع بفارس إلا حطمه ولا بطل إلا قتله ولم يزالوا على ذلك المرام إلى أن أقبل عليهم الظلام وافترقا عن ضرب الحسام وعادت بنو عبس مددها القليل وقد فعلت الفعل الجميل وقتلت من أعدائها أوفى من ألفين قتيل وعاد عنتر وهو مثل شقيقة الإرجوان مما سال عليه من أدمية الفرسان وهو يهتز مثل الأسد الغضبان وعادت بنو زهران وبنى قحطان وقد بان فيهم النقصان وعلموا أنهم مع بنى عبس فى خسران فاجتمع المشايخ منهم يتشاورون فيما يفعلون فقال بعضهم الرأى عندما أن نحمل دروعنا قبور نا ونقابل عن حريمنا حتى نفنى جميعنا أو إلا أن انهزمنا منهم وطالبنا الفرار ما يبقى منا ديار ولا نافخ نار ثم يشجعون أنفسهم حتى أصبح الصباح فركبوا الجرد القداح واعتدوا للحرب والكفاح فحمل عليهم عنتر ليث البطاح وتبعته بنو عبس الأوقاح ففرقوا مددهم وأبادوا عددهم وحمل عنتر على الأعلام فكسرها وطعن فى القوم وهبرها ولم يزل يقتل من كل فارس نبيل وقتل جليل وتدأشجعهم ضرباً وطعناً وطحن العشائر طحناً وقد أبادهم بالصارم البتار ورجع عنتر ومن معهم من الرجال ستمائة أسير من بنى زهران فضرب ركابهم من بكرة أبيهم إلى أن أحيا بنى أسد ونزلوا عليهم نزول البرد فهجوا من بين أيديهم وتركوا لهم المال والنوال فقال لهم عنتر يا قوم هكذا حال الغنم إذا شمت رائحة الأسد شردت فى البر والفدفد ثم أنهم أقاموا على أمياتهم ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع قد حمل هو ومن معه على أبياتهم فقتلوا منها خلق لا تحصى وقاموا الأحياء وسبوا النساء والولدان وصاروا رزقاً منها للشجعان وتركوا ديارهم بلاقع لا فيها ناظر ولا سامع ثم أنهم رجعوا إلى الموضع المعممة وأخذوا ميسرة والمطال ودروها فى الأكفان وحملوها على ظهور الجمال وعادوا طالبين أرض الشربة والعلم السعدى وعينين عنتر تفيض بالدموع ولما تمادى به المسير أنشد يقول صلوا على طه الرسول

فعما قليل فـــولوا وقد قتلت الهمام الفـــتى المعلما
وجرت أبيض ماضى الحديد يلين لهزته مخذما
تركت مهلهل تحت العجاج ومن بعده الفارس الأشيما
وقرت عيونى بثاراتهـــم وسارت نساهم لنا مغنما
جلبت بنى عبس فى حربها إلى حرب جهانها علقما
فصبحت هوازن فى دارهم خوارج من كواثر أفنما
فناديهم باختلاف الطعان إذا حملنا ساعة أضرما
أقمت سناء النار وسط الديار وأسقيتهم صرفها محتما
فيا آل عبس فمن فعالكم من الناس من سمى أكرما

(قال الراوى) فلما سمع القوم هذا النظام تعجبوا من فصاحته وقوة قلبه وو قاحته فعندها تقدم اليه ورقه بن زهير وقبله بين عينيه وقال له لا فض الله فاك ولا كان من يشناك يا أبا الفوارس ثم إنهم ساروا ورحل يطلب ديار قومه ومنازل عشيرته وأهله وقبيلته فبينما الأمير عنتر سائر وإذا بغبرة قد أقبلت وعجاجة ارتفعت والى الجو تعلقت وبعد ساعة تمزقت وبان من بريق الصفاح ولمعان أسنة الرماح وصلصلة الحديد والزرد النضيد وقدامهم فارس شديد كأنه مارد من العواميد وهو طويل القامة عظيم الهامة إلى جانبه فارس يشابهه فى الزى والمنظر إلا أنه أوطى قامة وأكثر هامة ولما نظر إلى عنتر والى كثرة الأموال الذى معه وذلك الشيء الكثير الذى طمعوا فيه وتوقفوا عن المسير ونظار عنتر إلى حسن خيولهم وعددهم فطمع فيهم وفى قلة عددهم فوقف دونهم وقال يا بنى الأعمام مرادى من يكشف لنا خبر هؤلاء القوم اللئام ومن أى العرب هم حتى نبقى على يقين وتزداد عندنا معرفتهم البراهين فإن الإنسان لا يخلو من عدو ولا صديق ولاسيما فى مثل هذا البر والطريق فبينما هم فى الكلام والجدال وإذا بفارس من بين تلك الأبطال وأطلق نحوهم حصانه وقوم بين آذانه سنانه ولم يزل حتى تقرب منهم ووقف ونادى يا وجوه العرب أخبرونا بأنسابكم فان كنتم من أعدائنا فأبشروا بالندامة وإن كنتم أصدقائنا فأبشروا بالسلامة فهذه الخيل التى ترونها من بنى قضاعة أهل القوة والشجاعة والمقدم عليها الأمير عمرو وذو الكلاب الفارس الندب وأخته الهيفا قناصة الرجال فأنتم من تكونوا من الأبطال فعجبوا فى المقال واكشفوا لنا عن حقيقة الحال قبل أن يحل بكم الوبال فاتم هذا المقال حتى برز اليه من عبس فارس يقال أسيد بن ماجه فانقض عليه مثل العقاب الشارد وكان عنتر قد أخرجه اليه فلما تقرب منه وحاذاه فأطلق لسانه وبناة وقال له يا فتى ميز أمامك وانظر من قدامك فنحن فرسان بنى عبس

وعدنان ومقدمنا فارس العصر والاوان لفارس الاسمر والبطل القسور فارس الجلاد وحية بطن الواد ابو الفوارس عنتر بن شداد (قال الراوى) فلما سمع الفارس هذا الكلام صار كأنه التجم بلجام وعاد راجعا إلى صاحبه وأعاد عليه هذا الخطاب وقال له أيها البطل الهمام هؤلاء بنو عبس الكرام فرسان المنايا والموت الزؤام والمقدم عليهم عنتر ابن شداد فارس الحرب والجلاد قال لما سمع عمرو ذو الكلب هذا المقال اهتز على سرجه ومال ونادى يا العرب يا لهامن غزوة بها تقر العين وأوفى مالى لى هذا الفارس من الدين هذا قاتل ابن عمى المتمنجزين فارس القضاعى وهو الذى قبض عليه وسلمه إلى خفاف بن ندبة وأوصل الأذية اليه وكان هذا عمرو ذو الكلب له حديث عجيب لأنه كان قد فعل فى العرب شىء كثير غريب ما فعله أحد من قبله ولا من بعده وذلك من شدة تجبره وجهله وله اخ يسمى عنان وكان جبارا من جبابرة الفرسان وكان امتحنه الله بأكل لحوم السباع وكان يهجم عليها فى الغابات ويقبضهم بيديه ويقرض حلوقهما بأسنانه ويشرب دماءهما وكان قد أفنى منهم شىء كثيرا وما زالت هذه الصفة صفته حتى انتهت مدته فاعطوه خبر أسد قد تقرب فى البرارى واعتاد على لحوم الإنسان فسار إليه وهجم عليه ولطمه بيديه وجذبه الاسد بين مخالبه وقرض حلقه فى عاجل الحال ومات وقضى عليه فلما نظر أخيه إلى جواده وقد عاد خالى منه علم ان السبع أكله فركب جواده وسار حتى دخل على الاسد فى أجمته ونظر وإذا بأخيه تحت الاسد وهو يرتع فى جثته عندها تقدم إلى الاسد وزعق عليه وضربه بالسيف بين عينيه أخرجه يلمع من بين فخذيه ثم إنه أخذ ما بقى من لحم أخيه وواراه فى التراب وحلف أنه يقتل فى ثار أخيه مائة سبع وصار يهجم الغابات ويقتنص اسود المناق ويذبحها على قبر أخيه حتى هابته سادات العرب من ذوى المناهى والرتب وحملت اليه الاموال تدارى بها وتتقى منه الأهوال ثم أنه أخذ كلب من كلاب الصيد وعمل فى رقبته طوق من الذهب الأحمر وقلادة من الجواهر وقد حلاه بحلل من الديباج مرقدم بالذهب الوهاج ووكل به مائة عبد من العبيد الانجاب وأمرهم أن يطوفوا به على قبائل العرب ويقولوا هذا كلب الامير عمرو بن جابمة القضاعى وقد جعله خفيرا على سائر قبائل الشام إلى أرض الحجاز واليمن وأرض العرق فلا أحد منكم يخاف على مال ولا عيال ما دام غفيركم على هذا الحال (قال الراوى) فلما سمعت العرب هذا النداء وتلك الاشاره حملت اليه الغارة وما منهم الا من يقبل عليه ويقبل الأرض بين يديه فلما طال الزمان عليه سمته العرب عمرو ذو الكلب وسمى بين قبائل العرب بهذا الاسم الصعب وقد كانت له أخت تسمى الهيفا وقد اشتدت بين أقرانها وكانت أحسن أهل زمانها وانه قد تهنى بها لما رأى شدة أعصابها فعلمها الفروسية والكر والفر والهزل والجد وفرسها فى أبواب الحرب وخدائع الطعن والضرب فصارت وحدها تكبس الحلل وتنهب الاموال وتقتل الشجعان والابطال

واتفق انه كان لها ابن عم يسمى قتادة وهو بطل من الابطال وكان مع ذلك صاحب حسن وجمال فنظرها فى بعض الأيام فارمته من قسى حواجبها بسهام فانشد يقول :

دعنى امتع طرفى منك بالنظر فنور وجهك يجلى ظلمة البصر
قد كنت عنها غنيا عند رؤيتها واليوم ليس عيان الشىء كالخبر
أما السماء فما فيها سوى قمر فرد ويارب كم فى الأرض من قمر

(قال الراوى) فلما سمعت الهيفا شعره زعقت زعقة وبادرته فى عاجل الحال وقالت له ويلك لمن معنى بهذا الكلام ياوغد العرب ويا كثير الجهل وقليل الادب فقال أعنيت اليك ياحبيبة القلب والفؤاد فهل لك أن تجعلى بينى وبينك ميعاد فلما سمعت كلامه فهمت مرامه عظم عليها وكبر لديها عندها هجمت عليه وأدخلت يدها تحت عنقه والأخرى مسكت بها رجليه ثم شالته إلى حدر أضها وضربت به الأرض فأدخلت عظامه بعضها ببعض وطرطاش دهن مخه طولا وعرض وهى تنشد وتقول :

اظننت أنى أعد من النساء وذوى الخدور استر بحجال
كلا وحق المرتين وزمزم إن كنت الا لبوة الرئبال
بأفرى الجماجم يوم مشتجر القنا وأجنــدل الابطال بالفصال
دق كأس حتق عاجلا من هيفاء تلقى الرجال باسمر عسال

(قال الراوى) ثم انها ولت تهتز غضبا وتسيط ضجا فعند ذلك وقعت الصرخة فى الحى بقتلته وان الهيفاء قتلت ابن عمها وأسقته كأس منيته فركضت الناس لينظروا ما الخبر ويقفوا على جلية الاثر فنظروا ما فعلت به من ذلك الامر وخرج أيضا اخوها الامير عمرو فرآها مدمدم وتزمجر فسألها عن الخبر فأخبرته بقصتها فتعجب من تلك الفعلة التى فعلتها ومن ذلك اليوم هابتها الرجال واحتشمت حرمتها الابطال وكانت تركب هى وأخوها إلى القبائل وغيروا على سكان المياه والمناهل حتى دخل اكثرهم تحت طاعتها واستهابوا حرمها (قال الروى) فبينما هم فى بعض الايام وإذا قد قدم عليهم جماعة من العبيد الموكلين بالكلب وايديهم على رؤسهم وجدوا عليه الندب ويدعوا بالويل والثبور وعظائم الامور فقال لهم ما بالكم وماالذى دهاكم وما لكم فقالوا ايها السيد كنا كما امرتنا نحن وجميع العبيد والعرب نحمل الينا الخفارة المقيمين والسفارة وإذا طلع علينا خمسمائة فارس فى الحديد غواطس يقدمهم فارس طويل فى تقاطيع الفيل ومعهم أموال جسيمة ونعم ضخمة فلما رأينا تلك الأموال ورأينا خلقهم الابطال فقدمنا اليها بروم خطابهم حتى يردوا جوابهم وقد تبيناهم وعن احسانهم وانسابهم سألناهم وإذاهم من بنى سليم الذين لم يرفعوا اذية ولم يشكوا قط ضيم والمقدم عليهم عمرو بن لاحليه السلمى فطلبنا منهم الخفارة بعد أن بجلناهم وخاطبناهم بالامارة وإذا بمقدمهم قد صاح

فبينما زعق علينا وقال يا أوباش أنحن عن بعطى غفارة ونحن فرسان المنايا وأسود الغابات ولو أنه عار على أنني أعوض سبقي بدم كلب كنت قتلته وقتلتكم معه وأنزلت بكم الكرب ولكن أنا أعمل فيه علامة وأرقم بكم المذلة والندامة حتى إذا وصلوا إلى صاحبه علم أن الهوان به لا بكلبه ثم إنه يامولاى نزل إلى الكلب وقطع آذانه وعلقها فى عنقه وشرم مناخيره ونزع ماعليه من جميع لباسه بعد إن كاد يهد أساسه ويقطع رأسه (قال الراوى) فلما سمع عمرو من العبيد ذلك الكلام ورأى كلبه مقطع الآذان مشوه الأحوال زعق بالقضاعة بالقحطان فاجابته جماعة من الأبطال والشجعان فقال لابدلى أن أقطع رأس عمرو وأقتله وأفعل به كل أمر صعب أدوروبه فى قبائل العرب ولا أترك من بنى سليم من يمشى على قتب ثم إنه صرخ فى بنى عمه وسادات قبيلته وركب من وقته وساعته فى سبعمائة فارس أسوس عوابس مامنهم إلا كل مدرع ولابس وهو فى أوائلهم وأخته الهيفا إلى جانبه وكذلك سادات قومه وأهله وأقاربه ولم يزالوا سائرين حتى أشرفوا على ديار بنى سليم وما كان عمرو بن لاطية يظن أن عمرو ذو الكلب يسير إليه ولا يقدم عليه فبينما هو فى دياره وإذا قد وقعت فى العبيد وهم قد هربوا من المراعى وتلك البيد وهم يصيحوا ياأمير النجدة فقد حل بنا الويل والتدمير وقد أقبلت علينا الخيل ونحن فى المراعى فما ثبت قدامها الأمير ولا الراعى فعند ها فرت الرجال وسمع عمرو بن لاطية ذلك فسأل عن الحال فقالوا له إن عمرو ذو الكلب وأخته الهيفا قناصة الرجال قد عزونا فى جماعة من أبطالهم وقد قتلوا جماعة من رجالنا وأبادوا عبيدنا وموالينا (قال الراوى) فلما سمع عمرو بن لاطية بذكرى عمرو ذو الكلب زادت نيرانه اشتعال وزاد به الكرب والبلبال فركب وقد غاص فى عدته وخرجت رجاله إلى نجدته وأطلق لجواده عنانه وقوم بين أذنيه سنانه ولحق القوم وهم فيما هم فيه من الحرب وقد أبادهم بضرباته وطعناته وعمرو ذو الكلب وهو ينادى باأوغاد غير أمجاد ياقليلين الأدب أنتم تقطعوا آذان غفير العرب فلما سمع عمرو بن لاطية مقاله فتعين عليه قتاله ونادى يالسليم الكاشفين الضيم أى شىء هذا الفشر ثم أنه صاح فى قومه وحمل وفعلت سادات قومه مثل مافعل وحملت الرجال بالأبطال والتقاهم عمرو وذو الكلب وأخته قناصة الرجال فكان لهم يوم عظيم ما جرى مثله فى تلك الأقاليم ولم يزل القتال يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن أقبل الليل بظلامه الحالك وولى النهار بضيائه الضاحك وافترقت الطائفتان انفصلوا من بعضهم البعض الجمعان ولا إقبال الليل كان قد حل ببنى سليم الويل إلا أن عددهم كثير وبنى قضاعة فى خلق يسير فتحار سوا إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فكان أول من فتح باب الحرب والكفاح عمرو بن لاطية فقفز إلى مقام الطراد وميدان الحرب والجلاد ونادى يا آل قضاعة يامعدن الجهل والرقاعة أنا عمرو بن لاطية الذى منعت عمرو

ذو الكلاب واليوم أقطع من الدنيا عمرو ورزقه فدعه يبرز إلى الميدان ومحل الضرب والطعان حتى يبان الشجاع من الجبان (قال الراوى) فلما سمع عمرو ذو الكلب من عمرو بن لاطية ذلك الكلام عرف ما يريده من المرام فبرز إليه وصار هو وإياه فى مقام الصدام ومحل الضرب والخصام وصارا يأخذان فى المقاربة والالتزام فنادى عمرو بن لاطية إلى عمرو ذو الكلب ويلك يا لئيم غير كريم أى شىء هذا الفشار العظيم على أمراء بنى سليم أما تعلم أنى أمير هذه القبيلة ولى فيهم المكرمة والوسيلة ثم نادى يا بنى عمى خذوه على أطراف الرماح وقطعوه بشفار الصفاح ثم حمل فى بنى عمه وأراد ان يظهر على بنى قضاعة رجحه هذا وعمرو ذو الكلب قد التقاهم فى بنى قضاعة الذين هم أهل القوة والشجاعة فكان لهم ساعة وأى ساعة وقد بلى كلا منهم بما لا يطيق دفاعة فعند ذلك تحزبوا وتضاربوا بعد أن تقاربوا فلم تر إلا رأس طائر وحصان غائر ودم فائر وبلوا بنى سليم من بنى قضاعة بحرب لا يستطيعون دفاعه ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ولى النهار بضيائه وأقبل الليل بظلامه وقد سالت الدماء على الأرض مثل السيل وقد حل ببنى سليم الحرب والويل وأتتهم كل بلية عربية مما حل بهم من تلك المصيبة هذا وقد رجعت الطائفتين كل منهم إلى مقامه واستقر فى مقامه وأكل ماقدر عليه من طعامه وحارس الفريقان إلى أن أصبح الله بالصباح وطلع النهار بنوره الوضاح وكان أول من فتح بالحرب عمرو بن لاطية وقفز إلى الميدان ومحل الضرب والطعان ونادى يا بنى قضاعة يا أهل التعدى والوقاحة أنا عمرو بن لاطية السلمى أنا الذى منعت عنكم كلبكم وقطعت آذانه وشققت مناخيره وقطعت من الدنيا رزقه وذلك استحتارا بصاحبه وسببا لقطع مآربه وسوف أرغم أنفه وأعجل حتفه فلما سمع عمرو ذو الكلب نداءه زاد غيظه وهز بجواده غضبا وقد زاد غيظا وتلهبا وانطبق عليه انطباق الغمام وسار هو وإياه فى فرد مقام وهو محل الحرب والصدام وجاء الجد ومضى العتب والملام فتجاولا حتى أذهلا سائر الانام وسار النهار عليهم ظلام فعند ذلك أطبق عمرو ذو الكلب على عمرو بن لاطية انطباق الاسد الادرع والليث الصميدع والهبه وأكربه وجاوله حتى أتعبه وطعنه فى جانبه أقلبه عن مركبه يخور فى دمه ويضطرب فى عقدمه وحمل بعد ذلك على بنى سليم وتبعه بنى قضاعة وأنزلوا عليهم البلاء والضيم فقاتلوهم ساعة من النهار فلم يجدوا لهم قدامهم اصطبارا فولوا الادبار وركنوا إلى الفرار ولما انسعوا اقدامهم فى القفار عادوا إلى حلتهم والديار ونهب أموالهم وأخذ نوقهم وجمالهم وعفى عن حريمهم وعيالهم وعاد طالبا بنى قضاعة وقد تبين العرب ما هو عليه من الشجاعة ورحت بما عمل أقاربه وهو سائر وأخته قناصة الرجال إلى جانبه حتى التقى بمتنشر بن عدو وجرى بينهما من ذلك الايراد وعاد إليه الفارس الذى أرسله يبصر

الخبر وعاد إليه وأخبره أن هذا الفارس ابن شداد عنتر وعلم عمرو ذو الكلب أن هؤلاء القوم من بني عبس فقال لمن معه من الرجال الأخيار أبشروا يا بني عمي بأخذ الثار وكشف العار فان عنتر الذي قتل ابن عمي المتمنجز بن فاثر وأنا اليوم آخذ بثاري وأكشف عني عاري فكونوا على أهبة الحرب والقتال فاني سمعت أنه فارس ليس له مثال وليس يقاس به أحد من الرجال وأعلمكم يا بني عمي أن القبيلة تسميها العرب الموت الزؤام ولنا عندهم ثار وقتلنا لنا لهم غاية الشرف والفخار لأنهم قد أذلوا الرقاب وخاضوا الامور الصعاب فان نحن نصرنا عليهم كما نصرنا على غيرهم كان لنا الشرف الأكبر والعز الأفخر ولا يبقى أحد في العرب يضاهينا في الفجار ولا يساوينا في علو المقدار (قال الراوي) فلما تم عمرو ذو الكلب كلامه حتى زحف إليه عنتر في بني أعمامه إلى أن بقي بينه وبينه رمية سهم النشاب فعندها زعق عنتر وأعلن في الخطاب ونادى يا بني قضاعة من عرفني فقد اكتفى ومن لم يعرفني فانا أعرفه بنفسي فانا مابي خفا أنا عنتر بن شداد الذي تهاب مطاوقى الملوك الشداد فخلوا ما معكم من الأموال وجدوا بانفسكم سالمين من قبل أن يحل بكم الوبال ويذيقكم العذاب المبين ويدكم عن آخركم أجمعين وتصبحوا نادمين وإن أردتم القتال والحرب والنزال فلم يبرز إلا فارسكم الأوحد وبطلكم الامجد عمرو ذو الكلب الذي طغى على الرب وتمرد وبغى على السادات وأهل الرتب وقد استسن سيأ مافعله قبله أحد من العرب إلا إن كان وزر بن جابر المكنى بالأسد الرهيص وكان قد صنع كذلك واتخذ له كبش وأخذ له عفاره العرب فلما سمعت به سرت إليه وذبحت الكبش في داره وأكلت لحمه بغير اختياره وبعد ذلك أخذته برقبته ولا التفت إليه وأسرته أول وثاني والثالث وبالنار كحلته وأطلقته لسؤال عمرو بن معديكرب وأخته ريحانه وكذلك بلغني أن عمرو فعل مثل فعاله فلما سمع بفالي ولا ذاق حربي وقتالي وها أنا قد نصحته ان قبل النصيحه وإلا تركته بين العرب فضاحة وله الامر في ذلك إن أراد السلامه من شرب كاس المهالك (قال الراوي) فلم يتم عنتر كلامه حتى قفز عمرو ذو الكلب وصار قدامه وكان قد ركب جواداً وراعتد بعده جلاده وطلب الجولان في حومه الميدان ثم إنه جال وصال ولعب برمحه العسال وكان غليظاً طويلاً من الرماح فهزه في يده فصفه ولحقه في تلك البطاح ثم أخرج مزوداً كان معه على كفل الجواد وأخرج منه أنابيب حديد فركبها بعضها في بعض في تركيب شديد حتى صارت رمحاً من ثمانية عشر أنبوب وأخرج منى قربوص سرجه سنان أزرق له لمعان ورونق وركبه على رأس الرمح وصرخ بعنتر صرخة تكاد القلوب لها أن تنفطر وارتج لها البر ثم انه صار معه في مقام الكر والفر ونادى يا عبد السوء لقد افتخرت بغير فخر فكم رجال ذللتها وفرسان في الحرب قهرتها يا لك يا وغد قومه ولئيم عشيرته أتعايرني يا سرك الأسد الرهيص الذي كنت على ذبح

كبشه حريص وكنت قدرت عليه وأسرته وبما كان عليه من التقدير فملته وأما أنا فقد أخذت جزيه الملوك وعفوت عن كل غى وصعلوك ولا بد لى فى اليوم إلى آخذ منك بالثار وأجلك بلباس العار وأقضى منك دينى ويقر بقتلك عينى وآخذ بثار ابن عمى فايز القضاعى الذى أسرته لما دخلت إلى بلاد اليمن فى تلك النوبة وسلمته إلى خفاف بن ندبة فضرب عنقه وعدت إلى خساسة أصلك وقبح فعلك لانك أخذت سيداً من سادات العرب سلمته إلى عبد مثلك ما له حسب ولا نسب فاليوم أعجل حمامك وأسقيك كأس انتقامك ثم أنه أنشد يقول :

ذكرت سعاد عند يوم فراقنا ... وقلت لها كفى عن التعس والنكس
دعينى ففى قلبى من الهجر لوعة ... لجودى بوصل منك تحيى النفس
ولا تبعدى بالصدود والجفا ... ولا تلزمينى من حبك غير جلس
فقالت أما والله والركن والصفا ... وبالله واللوح المعظم والكرسى
ألم تشفنى من أسود تقتلنه ... تسميه أبطال الوغا حامية عبس
وتأخذه فى الحرب والذل والأسى ... وتتركه بين الدكادك والرمس
وإلا فما منك نيل ومقصد ... وحال منك أبداً بالنكس والتعس
فقلت لها كفى سارك عنترا ... رهين بقاع الأرض تهوى به الرمس
واسألى الفرسان عنى إذا التقت ... وجلت ومالت بالدروع وباللبس
أجول على مهر من الخيل سابقاً ... تراه كلمع البرق والطير الملس
فلا تفتخر يا وغد عبس على الوغا ... بباسك لما إن لقيت بنى الفرس
فقحطان لا ينسون فعلى وموقفى ... وكل بنى الدنيا من الجن والإنس
ستترك عبلة من الآن دائماً ... عليك وتبكى مع نساء بنى عبس
أنا عمر وقد شاع فى الناس ذكره ... واسألوا عنى حسامى مع الترس

(قال الراوى) ثم إنه لما فرغ من ذلك الشعر والنظام انطبقا على بعضهما البعض كأنهما قطعتا غمام واعتركا فى ذلك المقام حتى صار الضياء فى أعينهما ظلاما وبعد ذلك افترقا للراحة والكلام فأجابه وهو يقول :

فدع يا عمرو ذكرك بافتخار ... فأنت تعد من سقط المتاع
وإنى مقسم قسماً عظيماً ... وإحلاف ما دعى لله داع
لعينين عبلة أسقى حسامى ... نجيعاً منك فى يوم الفزاع
ألا يا عبلة لو عاينت فعلى ... إذا جال الشجاع على الشجاع
لشاهدت العداء اليوم ضربى ... وطعنى للدحال بلا خداع

قضاعة سوف أتركها حيارى — بناع الارض تاكلها السباع
عمرو الكلب فيها كاب ملق — عليه الطير مع وحش الضباع
أبى شداد والحسب المضاهى — ومن هو كان عالى الارتفاع
فهذا السيف من تلك المواضى — وهذا النور ذاك الشجاع

(قال الراوى) فلما فرغا من الشعر والنظام عاد إلى ما كان عليه من الكر والفر ومثبات والفرار والمستقر والرد والصد والهزل والجد والمطابقة والحرب والصدام والماسكة والالتزام وشرب كاسات الحمام وتجرع الموت الزؤام وتقاطعنا طعن الحذق ويلمع على رؤسهما صارم المنايا وبرق وصارت الاعين مثل العلق وتعبت السواعد وزادت الاابد وعظمت الشدائد وهما وضرب بهدو طعن بقد إلى أن أظلم الظلام وأقبل الليل با غسق وغابت الشمس تحت الشفق وعاد كل واحد منهما عن صاحبه و فترق وطلب لراحة والانفصال فقال عنتر لا بحق الملك المتعال لاتطمع نفسك فى راحة فاهى لك مباحة وإن كان ولا بد من ذلك فأنزل قبالى وأنا أنزل قبالك فا بقى بيننا انفصال حتى يبلغ أحدنا الامال فا ماجرى لى بهذا عادة أن أفارق خصمى إلا بانفصال ثم انه أثنى رجله ونزل وفعل عمرو ذو الكلب مثل مافعل فأتوهم الفرسان من قومهم بطعام وشراب فاكلا وأخذاهم راحة على تلك الارض والتراب حتى أصبح الصباح وأضاء بكركبه ولاح وكب الاثنان وقاموا الاستوفاء الدين وفتحا باب الحرب وأخذ فى معاناة الطعن والضرب وانطبقا على بعضهما البعض وجالا طولا وعرضا حتى تدكدكت من ركض خيولها الارض حتى قلت منهما العزائم وضعفت الايادى عن قبض الشكائم ثم قوى الحر ونفح عليهما البر فوقفا للراحة والكلام حتى ينشد كل منهما شعرا ونظام فعندها أنشد عنتر يقول :

يا جاهلا بمكانه الشجعان — مهلا ستبقى رهين القيعان
يا ابن الزنا أما سمعت بهمتى — وصوتى وبجلتى ومكان
من أى قوم أنت لاسقوا الندا — فتال كاس الموت عند طعان
اليوم آوزر عمرك إن فى — كفى كعوب أمله بستان
أو ما علمت بأننى أشد الوغا — لما عدت كل الوغا تخشان
أو ما عمت بان دهرى صارم — فى راحة والعالمين بنان
أو ما علمت بأن مجدى باذخ — حتى علا شرفا على كيوان
والاسد تخشانى وتعرف همتى — وأنا الصبور وإذا الزمان غشانى

(قال الراوى) لهذا الكلام لما سمع عمرو ذو الكلب من منشر ذلك الشعر والنظام صاح عليه يا ولد الحرام مثلى تقول هذا الكلام وأنا الليث الهمام والاسد الدرغام شجاع المعامع يوم

الوحام ثم أنه أجابه على شعره وجعل يقول :

ألا يا وغد عبس سوف تلقى ... هما ما لا يخـــاف من القراع
وتشرب شربة فيها حمـــام ... إذا لاقت ذراعك فى ذراع
لأنى فارس بطـــل مكر ... تقر لى الفوارس فى القراع
سألت الرب يجمعنا قريبـــا ... وقد وافى بقرب الاجتماع
وفى كفى ثقيـــل المتن عضب ... يداوى الرأس من ألم الصداع
سأشفى منك نفسى يا لئيـــم ... وأكشف ما سيبقى من قناع

(قال الراوى) فلما سمع من بعضهما بعض ذلك الشعر النظام وتفاوضا فى القول والكلام حملا على بعضهما بعض وأوسعا فى المجال طولا وعرض ولاقى كل منهما صاحبه وتلقى طعناته ومضاربه ثم أنهما انطبقا الاثنان كأنهما بحران وافترقا كأنهما جبلان وحان عليهما الحين وزعق على رؤوس الاثنين غراب البين وكان لها ساعة يالها من ساعة تعلمت منها الفرسان الشجاعة والبراعة (قال الراوى) ثم هدر كل واحد منهما كأنه أسد هدار أو بحر زخار وعلم عمرو ذو الكلب أن عنتر فارس مغوار وبطل كرار ويريد الدرهم قنطار ولم يزالا على هذا العيار إلى أن مضى النهار بالأنوار وغابت الشمس بالاصفرار وأقبل الليل بالاعتكار فافترقا عن القتال والنزال ونزل للراحة كما تقدم ولم يزالا على ذلك الحال مدة ثلاثة أيام ولم يبلغ أحد من صاحبه مرام إلى إن كان اليوم الرابع عند الصباح وقد بقيا أشباحا بلا أرواح عندها قال عمرو ذو الكلب بالله يا أبا الفوارس تمهل على وتصبر فى هذا المقام المنكر فأنت والله أوحد البدر والحضر ومالك فى زمانك مصير يا ذا البطل الجليل وقد شاهدت منك الغرض الذى ماله عوض وأنت والله فارس الزمان وأعجوبة العصر والأوان مع ما شاهدت فى بنى قحطان من الفروسية والاقتدار على الشجعان ها أنا مقر لك بالفروسية وعلو الشأن يا فارس عبس وعدنان وحق ذمة العرب الكرام وزمزم والمقام والبيت الحرام قد تعبت ووقعت فى مناكب التعب وقد عاينت منك العطب ثم أنه من تعبه وقع على الأرض وترجل عن جواده ورمى حسامه وعده جلاده وسعى إلى عنتر وقبل ركابه وسأله من فضله أن يتخذه من بعض أصحابه فترجل عنتر عن جواده وقد زال ما كان من التهابه واعتنقا بعضهما البعض وأعطى له الزمان والأمان وصار عمرو من جملة أصحابه والخلان فقال له يا حمية عبس رضيت أن يكون ذهاب ما بقى من عمرى بين يديك ولا بخل بدروحى عليك فأنت والله فارس الزمان وتاج بنى عدنان فوالله لقد قاتلت بنى عدنان الفرسان وبنى قحطان وخولان وبنى فزارة وذبيان وبنى الريان والأعجام والعربان ما رأيت أعصب منك ولا أشد عصب وحق ذمة العرب قد وقع فى مناكبى التعب ودب فى زنودى العيا والضنا (قال الراوى) ففرح عنتر فرحا شديدا ما عليه من مزيد ووعده أن يكون له بمنزلة

الأخ الحبيب والصديق والنسيب وقالوا له ياوجه العرب أنا قد اغتال الدهر أولادى وفزع عليهم فؤادى فلعل أن يكون عليك اعتمادى وتكون عوضا عما مضى ثم عاد كل منهما على ظهر جواده ثم عاد عمرو إلى قومه وهو يكثر من شكر عنتر وحسن وداده وقال لأخته قاصمة الرجال يا أختاه اليوم أنا عبسى ما أنا قضاعي ولا قحطانى وإنى أريد أن أقضى بقية عمرى مع هذا الفتى الكريم الفارس العظيم فقالت له أخته وأنا أيضا معك وأوافقك ولا أفارقك وكذلك قالت الفرسان من بنى قضاعة الذين معهم فى ذلك المكان وأجابوا بالسمع والطاعة لأجل علو الشأن ودخلوا بنو عبس وصحبتهم بنى قضاعة فى ذلك المكان قاصدين ديارهم والأوطان إلى إن وصلوا إلى أرض الشربة والعلم السعدى فالتقوهم بنو عبس بالإجلال والإكرام وخرجوا إلى لقائهم أهل الحلة النساء والرجال وعنتر لا تنشف دمعته على ولده ميسرة وابن أخته الهطال وما بقى فى الحى إلا من بكى ابكائه وأتى إليه وعزاه إلا الربيع ابن زياده وأخوه عمارة القواد الكثير الكياد فانهما ما كان تسعهما الدنيا لكثرة الفرح لأنهما كان أعداوه هذا والربيع يقول لأخيه ابيع المقيمين بالماضين لأن سعادة عنتر ولت أيامه قد اضمحلت ولبس الزمان له وحده وما كان أعطاه له قد استرده وأنا أعرف بأن أجله قد اقترب وموته قد وجب هذا وعنتر قد دفن قتلاه فى جانب العلم السعدى وجعلهم فى قبر واحد وذبح على قبرهما مائة ناقة وجعل لحمهما مباح للفقراء وأهل الفاقة وقد يحمل على قلبه من حزنه عليهما ما ليس به طاقة لكن جعل يتسلى مع عمرو وذو الكلب وزيد بن عروة وقد أنزل بنى قضاعة فى أبياته وقد صار يقضى أوقاته وقد جعلت عبلة تسليه وتحسن مداراته وتشغله عما هو فيه من الهموم وتزيل ما بقلبه من الغموم وتقول له أن الله العظيم أخذ ما أعطى وهو أحق بالأخذ والعطاء ومادمت أنت تعيش لنا وتبقى فما يدخل على بنى عبس لا باس ولا شقا (قال الراوى) ولما كان يوم من بعض الأيام ركب عنتر وركب فى صحبته عمرو وذو الكلب وأخته الهيفا وزيد بن عروة ورجالهم الكرام وطلبوا الصيد والقنص وغابوا فى البر ثلاثة أيام عادوا إلى الأحياء ومعهم من الوحش شيء كثير وهم فرحين لقتلا عنتر وما قرب بهم من الأيام حتى أنهم وصلوا إلى الأحياء وقربوا بالخيام وإذا بالدنيا منقلبة وقد علت الضجة من النساء والإماء والخدام وذلك النواح والعياط فى أبيات بنى قراد فسال عنتر من ذلك الحال عن لقيه من من العبيد فقالوا يا مولانا قد قتل أخوك شيبوب وأنزلت به الكروب فاندهش عنتر وحار ولحقه الانبهار وإذا بالحذروف قد أقبل وهو مشقوق الشياب بادى الانتحاب وقد حث التراب على رأسه وقد انزعجت سائر حواسه ودموعه تجرى على خديه كأنها الأمطار وقد أهلك نفسه مما يدق على صدره من الأحجار فلما رآه عنتر لم يتمالك عقله دون أن رمى روحه ولطم على وجهه إلى أن برز الدم من منخريه وقعد ساعة كبيرة مغشى عليه وهو لم يحرك يديه

ولا رجليه لأن أخاه شيبوب كان عدته وعمدته فى الشدائد ومساعده على الأوابد ثم ترجل عمرو ذو الكلب وبكى وأن واشتكى وكذلك فرسانه ولما أفاق عنتر من غشوته قام ودخل إلى مضربه والخذروف فى صحبته فرأى شيبوب مذبوح وهو جسد بلا روح فلما رآه عنتر صاح وقع مغشيا عليه وكذلك جرى على ولده الخذروف مثل ذلك واجتمع مشايخ بنى قراد وعملوا على شيبوب ما تم عظيم وأكثروا من النوح والتعداد ولما أفاق عنتر من سكرته قال ائتونى بعبيد أخى شيبوب وكل من كان عنده فى البيت فأتوا بالجميع إلى حضرته فسأله عما كان من أمره وقصته فقالوا له يا مولاى اعلم أنك لما مضيت إلى الصيد والقنص وتخلف شيبوب خلفك فى الأحياء قدم عليه عبد من العرب واستجار به فأجاره وسأله عن حاله فقال إنى عبد من عبيد بنى محارب وكنت أعشق أمة وهى تعشق غيرى فغرت من ذلك ودخلت عليها ليلا وهما نيام فذبحتهما مثل الأغنام ولم أجد من التجىء إليه من الأيام يجيرنى على طول الأيام إلا أخوك عنتر البطل الهمام والأسد القمقام ثم أنه بكى وانتحب غاية الإنتحاب فرحه شيبوب ورق له وأجاره لما رآه بتلك الذلة والاكتئاب ولما كان عند الصباح رأيناه مذبوحا ورأسه مرمى عن بدنه وقد فارقته الروح والعبد الذى استجار به ما وجدناه ولا علمنا له خبر ولا وقطعنا له على أثر (قال الراوى) فلما سمع عنتر هذا الخبر بكى وتحسر وقد لحقه الأسا والضجر أشار يرثيه بهذا الابيات :

أبكى عليه وأتعـــدد والدمع من جفنى نهران
فـلا حضــرت لأجهم سيــفى ورمحى وحصـــانا
وأنا الهمام لدى الوغا أخو الشجاعة والطعان
ولــكم أبيـــد فوارسـا فى الحروب بالعضب اليمــانى
وعزيمتى فوق السهــا وفى عــلو الفرقدان
لى فى مقامات الحروب قصـــائد مثـــل الجمان
أسمى بعنـــتره الفـــتى ليث الوغا بطـــل الزمان
دهرى مضى مع سعادتى والعمر منى عاد وفات

(قال الراوى) ولما فرغ عنتر من هذا الشعر والنظام دفن أخاه شيبوب فى قبر ولده ميسره وابن أخته الغطال ونحر على قبره شىء كثير من النوق والجمال وحزن عليه حزنا شديدا ما عليه من مزيد حتى أنه بقى لا يرد جواب ولا يعطى أحد خطاب وامتنع عن الطعام والشراب مدة أيام وليالى تمام ولا يعلم من هو قاتل أخيه حتى أنه يمضى إليه ويأخذ روحه من بين جنبيه وهو لا يدرى من فعل هذه الفعال ويأخذ ثأره منه ويطفى ما بقلبه من الا يقاد لأنه ذائب القلب

عنتر فى الفؤاد (قال الراوى) وكان السبب فى هذه الامور العجيبة والاحاديث الغريبة وهو أن عنتر لما جرى له عن أيام صباه ما جرى من سرقه الابجر لما سرقه ابن المخلس ناهب السلال وبوصله إلى القيط بن زرارة ومضى إليه شيبوب وكشف خبرة التقى بالسلال عائد فى الطريق وعاد خلفه واعلم به أخوه فقتله ودمره وساروا إلى القيط بن زرارة وخلصوا من عنده الابجر والجحرة سكاب وقد ذكرنا هذا الكلام فيما تقدم فى هذا الكتاب وكان ذلك فى أيام نزولهم على بنى عامر وكان هذا السلال الذى هو المخلس يقال له جابر وبعد موته وسكنته المقابر كان له أخ يقال له سارح وكان داهية من الدواهى من أصحاب الفضائح وكان سلال خيل خواض النهار والليل وأنه فى بعض الايام فيينما هو دائر بين اطناب الخيام وإذا قد وقعت عينه على جارية من بنات العرب الحرائر يقال لها زبيده بنت مبادر وكانت من نساء السادات الاكابر ولما رآها أحبها ولم يجد بدا من خطبتها فجمع أكابر عشيرته وقصد أباها وهو جالس فى خيمته فقام إليهم وتلقاهم ورحب بهم وأكرم مثواهم فكلموه فى أمر الزواج فأطاعهم ولم يدع عليهم احتجاج وقال ياولدى أنت أكرم من خطب وأجل من فيك رغب ولكن ياولدى ماسور وخطبة البنات العربيت لم يكن تصفها مثل هذه الامور فاذا أنت اجتهدت فى أخذ ثارك كانت لك أمه وجارية من جملة الخدمة فقال سارح ياترى ياعم عند مين من الرجال اعلمنى به وأنا أمضى إليه وأقضى منه الاشغال فقال ياراخيك جابر الذى قتله عنتر لما مضى إليه وسل حصانه الابجر فقال يامولاى أعطنى يدك وعاهدنى إننى متى مضيت وقتلت شيبوب أو عنتر تزوجنى ابنتك فاجابه إلى ذلك وأعطاه يده وعقد وعاهده ثم اتفق الامر بينهما على ازواج ولا بقى لاحد منهما احتجاج وبعد ذلك لما اتفق بينهما الكلام لم أفاق سارح فى الحى غير ثلاثة أيام ثم أنه أخذ اهبته فى السير والجد والتشمير ولبس جبة صوف مهلهلة الاذيال وشد وسطه بمنطقة من الاديم الطايفى وتعمم بعمامة خام وشد خنجره من تحت ثيابه على وسطه وسار من أحياء بنى قحطان حتى وصل احياء بنى عدنان وقصد ديار بنى عبس وكان دخوره إليهم عند غروب الشمس وسأل عن أبيات عنتر فدلوه فسار حتى وصل إليهم وتقدم إلى أبيات عنتر وسأل عليه من بعض العبيد فقالوا له غائب فى الصيد فقال وأين أخوه شيبوب فقالوا له حاضر ثم أنهم أرشدوه إليه فتقدم إليه وكان شيبوب وأمه زبيبة وولده الغضروف وأخوه جرير فى مكان واحد ولهم مضارب وخيول وجنائب وهم على رابة عالية فقصد سارح إلى أبيات شيبوب وشد وسطه ببعض أطناب البيت واستجار بصاحب البيت فطلع شيبوب إليه وسلم عليه وقال له يافتى قد أجرتك من كل قبيلة فما بقى من وليوم لاحد عليك سبيل ثم ادخله بيت الضيافة وقال له قد أمنت مما تخافه ثم سأله عن حاله وما صار

له وما جرى عليه فقال يامولاى أنا عبد من عبيد بنى محارب ثم أعاد عليه الحيلة الى دبرها وأنه قصدهم يستجير بهم لكن أنهم أمنع العرب جار واحامم ذمام فقال له شيبوب ابشر ياعلام عليك الذمام من كل من أكل الخبز وشرب الماء ولما كان ثالث يوم من الضيافة أمسى المسا . وجلس شيبوب لاجل المحادثة والكلام إلى أن اقترب نصف الليل وطلع نجم سهيل وطاب لشيبوب السهر لاجل القضاء والقدر إلى أن غلب عليه سلطان الكرى ونام وكان عنده سارح ابن اللئام فلما راه قد غرق فى النوم وثب إليه وركب على صدره وذبحه وقطع أذنيه وأخذهم معه علامة كما وقع الاتفاق وخرج من المضرب وجعل يمشى على يديه ورجليه إلى أن خرج من الخيام وأخفاه الظلام وستر عليه الملك العلام ولما كان من الغد دخل الخذروف على أبيه فوجده مذبوح فزعق وصاح وقلب الحى بالصباح وفى ذلك الوقت الاغبر وصل أبو الفوارس عنتر وجرى من القصه ما ذكرنا ودفن أخوه كما قدمنا وأشار يقول صلوا على طه الرسول .

لقد صار قلبي معدن الهم والاسا	وعبره عيني تستهل دما يجرى
وفاجعنى دهرى كشطل بن فى ولبتنى	فلما تقضى شطره عادلى شطرى
فياليت أمى لم تلدنى وليتنى	سبقتك اعجالا إلى ظلمة القبر
لقد كنت لى ركنا أعيش بظله	فلما هوى اضحت دموعى على نحر
ولقد كنت لى سيفا على سائر العدا	فعدت رهين القاع ملقى على الصدر
أرى كل حزن سوف يبلى حزينه	وحزنى عليك اليوم باقى مدى الدهر

(قال الراوى) ثم أنه حرم على نفسه اللذات وتمنى أخوه عنتر الممات وأقام يتجسس الاخبار حتى يعرف من هو قاتل أخيه من القوم الاشرار ويأخذ منه بالثار وهو من أجل ذلك على هيب النار (قال الراوى) فهذا ما كان من عنتر وما صار له من الأقوال واما ما كان من أمر سارح السلال فانه لما فعل هذه الفعال لم يزل سائرا وهو يقطع البرارى والتلال حتى وصل إلى حلته واحكى لهم ما جرى له من قصته وكيف قتل شيبوب ولم يجد عنتر ولو كان حاضرا كنت قتلته الاخر ففرحت قومه بهذا الخبر وعملوا الولائم ونحروا النحور وسكبوا الخمور وداموا على الفرح والسرور ثم بعد ذلك طلب سارح زوجته من أبيها فانعم له بها فعملوا له الولائم ورقت زوجته عليه ودخل بها وطلب له المقام فهذا ما كان مقه واما ما كان من عنتر فانه لما زادت به الاحزان والالام نظر إلى جرير والخذروف وقال لهما القصد إلا أن تكشفا ما بقلبى من الكروب واحسرتاه على أخى شيبوب وما كانت جسارته على كل أمر مهوب فتنهد وتحسر وكان قلبه أن ينفطر وقال لهما اذهبا واكشفا لى الخبر عن قاتل أخى وطوفا الحلل والقبائل ولا تعودا إلا بالخبر ولو درتما عام كامل فى البر الاقفر فقالا لاسمعا وطاعة ثم انهما حرجا فى تلك

الساعة وقد أخذا مريحمتاجا وإليه من آلة الحيل وخرجا يطالبان المنازل والحلل فلما كان في بعض الأيام والحذروف سائر في البرارى والآكام فجاءت طريقة على بنى ضهبة فوجدهم في مهرجان والجوار يغنين بالدفوف والعبيد يلعبوا بالسيوف وهم فى فرح وسرور وقد مدوا السماطات والكاسات عليهم تدور فتقدم وسأل بعض الرعيان عماهم فيه من الأمور وقال له يا ابن الخالة أراكم فى هذا المهرجان أعندكم عرس لأحد من الشجعان فقال له الراعى نعم يا ابن الخالة وهو لرجل شجاع وقرم مناع يقال له سارح اخو المختلس السلال وقد أخذ ثاره وكشف عاره وقتل شيبوب اخا عنتر عوضا عن قتل أخيه وازل به العبر وهذا العرس امن شأنه وهذه النوبة نوبته وليلة غد يدخل على زوجته (قال الراوى) فلما سمع الخذروف لم يكذب خبر رجع على الأثر إلى عمه عنتر وأعلمه بالخبر ففرح واستبشر ثم انه نبه رجاله وايقظ أبطاله ونادى لعمرو ذو الكلب وزيد بن عروة وعمه مالك وولده عمرو وامراهم بالمسير لأخذ الثار وكشف العار واعلمهم عنتر كيف طلع خبر قاتل أخيه وانه بنى ضهبة والذى قتله سارح بن ناهب اخو المختلس الذى كان قد قتله عنتر فركبوا وساروا ولو كان لهم اجنحة لطاروا حتى اشرفوا على ديار بنى ضهبة وشنوا الغارة على مراعيهم وساقوا اموالهم ونوقهم وبهائمهم فوصل الخبر من الرعيان إلى الحلة فركبت رجالها واعتدت ابطالها وكانوا قد بعثوا إلى حلفائهم فجاءوا ليحضروا العرس عندهم فركبوا جميعهم وخرجوا على أثرهم يردوا الغارة عن أموالهم وحريمهم ولم يزالوا حتى لحقوا عنترو رجاله فلما نظر عنتر إلى الغبار وهو من خلفه قد ثار فقدم الغنيمة بين يديه واستقبل الأعداء بصدره وصار ينادى بالثارات الأمير شيبوب البطل الموهوب وحملت معه الرجال وزادت الأهوال وحمل عنتر ذات اليمين وذات الشمال يجندل الرجال فى ساحة المجال وجال وصال وأظهر العجائب فى ساحة القتال ولا زال فى قتال ونزال يهد المناكب والاوصال حتى مضى خيال النهار بالارتحال وأتى الليل بالانسدال ولم يبلغ أحد من رفيقه آمال وافترق الناس بعضهم بعض وقد امتلأت بالقتلا جنبات الأرض واوقدوا النيران وتحارس الفريقان إلى أن اصبح الله بالصباح واضاء بكوكبه ولاح ركبوا القوم للحرب والكفاح وتعدلت الصفوف وابرقت السيوف فتقدمت الفرسان والسادات إلى بشر بن عبد اللات الدهى والمرقال بن جندلة الصهوى يشكوا لهما حرب بنى عبس وما لاقوا منهم من الصدام الذى يسموهم العرب فرسان المنايا والموت الزؤام لاسيما فيهم الاسد الضرغام الذى خضعت له الأسود الدحال وخافته جبابرة الرجال وأذل ركاب الشجعان الابطال وشهدت بفرسيته الافيال ونحن فافينا من هو كفؤ له غير كما فليخرج إليه واحد منكما ويقتله ويزل به العطب ويفتخر بذلك بين قبائل العرب والسادات من ذوى الرتب فان كنتم عجزتم عن قتاله وحربه وتزاله فاعلمونا بهذا الأمر حتى إننا نطلب

الهزيمة والفرار وتخلى له الاموال والديار (قال الراوى) فلما سمع بشر بن اللات هذا الكلام وهم فى نفسه أن يبلغهم المرام فسبقه المرقال بن جندلة فارس العشيرة وحامى القبيلة من كل أمور خطيرة وقال يابنى عمى طيبوا انفسكم وقروا عيونكم فانا انزل إليه واقدم بكليتى عليه واخذ روحه من بين جنبيه واخرج إليه فى المجال وأدعوه إلى مقام الحرب والقتال فاذا اجاب وخرج إلى القتال قدته إليكم قود الذلول من الجمال فلما سمع بنو عمه كلامه طابت قلوبهم بقوله ومرامه ثم أن المرقال بن جندلة الصبوى لبس درع ضيق الزرد كثير العدد مذهب الأحكام مليح النظام قوى المحام يرد عن لابسه اسباب الحمام فلبسه وترك على رأسه بيضة عادية مكوكبة جلية ترد أسباب المنية وتقلد بسيف بتار قاطع الاجسام والأعمار واعتقل برمح خطار وركب جواد كرار كأنه الطير إذا طار سبقته الرياح تركها وسار ما يلحق البرق له غبار كأنه الفلك الدوار والنجم السيار صنعة لواحد القهار ثم أنه قفز إلى بين الصفين واشهر بين الفريقين ونادى العبس يا لعدنان أنا المرقال بن جندلة الصبوى الفارس القوى الليث الوفى قاتل الابطال ومجندل الاقيال وحامى الجار وكاشف العار فلا يبرز إلى الا فارسكم الغدار ولبثكم النكرار حتى أطير رأسه بهذا الحسام البتار ثم انه جال وصال ولعب برمحه العسال ثم أنشد وقال

سلوا الخيل عنى حين اعلو متونها ... وامرى بها نحو الأعادى مسرعا
أليس أنا الموت المحيط على العدا ... إذا اشتبكت زرق الأسنة مشرعا
ابيد كماة الحرب فى موقف الردا ... وامنحهم فى السلم افضل موضعا

(قال الراوى) فما اتم المرقال كلامه وما من ابداه شعره ونظامه الا وعنتر بن شداد قد صار قدامه ونادى ياويلكم يابنى اضبية اما كفاكم ما مضى من فعالكم ومن هجومكم أول مرة على فرس الابجر وما أخذتكم بما فعلتم فى حق من الامر المنكر حتى قتلتم من كان عدانى واراكم قد استنجدتم على جمعتم القبائل إلى قتالى وظننتم أنى أخاف من كثرة عددكم واجتمع منكم أنا الذى أبدت الامم وأذلت العرب والعجم ثم أنه اجابه بهذه الأبيات صلوا على صاحب المعجزات

ياويل نفسى لقد غر الزمان بها ... من ذى حروب همام للسلك ذى شرس
لا يستريح بترك النائبات مما ... انى اخوض دما الابطال بالفرس
انى وان مال عمرى ما اصالحكم ... حتى تكونوا للوحش مقتبس
انى سافنى بسيفى من يعاندنى ... واحتوى كل ليث باسل شرس

(قال الراوى) ولما فرغ الامير عنتر من هذا الشعر والنظام انطبق كل واحد منهما على الآخر ومال على بعضهما فى الاثر بطعن وضرب يعمى البصر وجال طويلا لا عنتر كاميلا

وصبرا على الشدائد وغاص فى الاوابد وأظهر عنتر صولاته وطلب خصمه الرجوع من بين يديه وقد خاف من كامن المنية أن تصل إليه ولما زاد به الامر طلب الهرب فلم يجد له إلى ذلك من سبيل هذا وعنتر بين يديه وأينما مال يميل عليه وقد ضايقه ولاصقه وسد عليه طرائقه ثم أنه بعد ذلك قاربه وتمطى فى كعوب الرمح وطعنه فى جانبه الايسر أطلع السنان من الجانب الآخر ونفضه أقلبه وعن جواده كركبه وبعده طلب البراز وسأل الإنجاز فلم يبرز إليه أحد فعند ذلك احترق قلبه حتى كاد أن يذوب وتفكر أخيه شيبوب فحمل على الميمنة أقلبها على الميسرة وهو كأنه النار المسعرة ورجع بعد ذلك إلى مجاله وعمرو وذو الكلب يتعجب من فعاله وشدة أقدامه وفعاله فى صدامه (قال) هذا وعنترة أشفى غليله من الاعداء ومددهم فى جنبات البيداء ولما قصروا عن مجاله صار ينادى أين الأبطال المشهورين أين الفرسان المذكورين فلما سمعوا بنو ضبة هذا المقال أقبلوا على سارح بالملام وقالوا هذا ما جلبت لنا من الوبال لا جل ثارك من هذه الصناديد الافيال فلا كنت ولا كان أخيك ولا بارك اللات والعزى فيه ولا فيك فلم لا تبرز إلى خصمك وتكفنا شره فى المجال فلما سمع سارح هذا الكلام أخذته الحمية والنخوة الجاهلية وقفز إلى قدام عنتر بالجواد وسار معه فى محل الطراد وزعق عنتر وقال له يا وغد قومه ها أنا قاتل أخيك واليوم ألحقك به ولما سمع عنتر أنه قاتل أخيه اسودت الدنيا فى عينيه وانطبق فى عاجل الحال عليه ولاصقه وضايقه وضربه بالسيف على عاتقه أطلعه يلمع من تحت علائقه وجال على على بنى ضبة لما راه على الارض قتيل وبالتراب معفر جديل وانفرج ما بقلبه من الكروب وتفكر فيما مضى على أخيه شيبوب فعندها بكى وأن واشتكى وأنشد يترنم ويقول:

إنى أنا عنتر العبسى إذا انتحرت … يوم الوغا كل إنسان فافتخر

كانوا كأرض وكنت الغيث فوقهم … ولو تمكنت خضت الغيث مقتدر

لو أن عادا وفرعون وعوج معا … يوم المعامع قـــدامى لما صبر

إذا تداعت فى الهيجاء فوارسها … وجال ذكرى رأيت الدم ينحدر

أنى ملأت بسيط الارض من جثث … تبقى سنين لمـــن ينظر لها قبر

من قال بعدى بأن الدهر ينتج من … مثلى فقد خاض بحر هو له خطر

(قال الراوى) ثم أنه لما فرغ من ذلك الشعر والمقال جال وصال وطلب البراز والحرب والقتال واجتمعت فى ذلك الوقت سادات بنى ضبة وتقدموا إلى بشر بن عبد اللات الدهمى وقالوا له أيها السيد الهمام والبطل الضرغام أنت تعلم أننا قد استجرنا بك على هذا الفارس الهمام لعلمنا بصبرك وقمت الحرب والصدام فإن أنت كفيتنا شره وضرمت عمره فقد ملت بين العرب وتبتك وارتفعت فى الآفات منزلتك وأخذت الطبقة العليا على سائر العرب من بعد منها ومن اقترب فلما سمع بشر بن عبد اللات الدهمى كلامهم وما أبدوه له من مرامهم قال لهم يا وجوه

العرب وأهل الفضل اعلموا أنى ما توقفت عن الخروج إلى الميدان ومقام الضرب والطعان وقتالى بعنتر بن شداد حتى تقروا بالعجز عن الجلاد فاذا كنتم قد عجزتم عن قتاله وضربه ونزاله فها أنا أخرج إليه وأجعل عزه ذلا والقيه طريحا فى الفلا وبعد ذلك ركب وأطلق العنان وقوم السنان وساق الحصان حتى صار فى حومة الميدان ونادى لعنتر بقوه الجنان وبالك يا عبد السوء أما وصل إليك خبرى ولا سمعت بشىء من ذكرى حتى كنت تمنعت عن المسير لى والقدوم على فابشر الان بالدمار والذل والشنار ومحو الآثار ثم أشار إليه بهذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

أنا البطل الكرار فى حومة الوغا ... اجندل أبطال الوغا بحسام
ولا انثنى عن موقف الحرب دائما ... ولا حائدا فى الحرب يوم صدام
ويا طالما صدت الاسود براحتى ... وجرعتهـــا باليد كاس حمام

(قال الراوى) فلما سمع عنتر مقاله وشعره قال له يا وغد قومه ويا الئم عشيرته كم ملك تركته يكدم الأرض والتراب بعد ما سمع منى غليظ الخطاب ثم أنه أطبق عليه ومال بكليته إليه وجالا طويلا وافترقا كاميلا وغابا فى ال وابد وصبرا على الشدائد وأسعا فى المجال وتضاربا بالنصال وتماسكا بالايادى لما عجزوا عن القتال وتعاركا عراك الادم وقد طبق عليهما الغبار وخيم ثم أنهما افترقا عن بعضهما بعض ووقفا للراحة على بسيط الأرض وكل واحد ينظر إلى صاحبه فعند ذلك طعنه عنتر بين ثدييه طلع السنان من بين كتفيه فانطبقت الفرسان عليه من كل جانب فعند ها زعق عمرو وذو الكلاب يا بنى عبس أنجدوا فارسكم الاوحد وشجاعكم الامجد وسيفكم المهند فعند ذلك حملت بنى عبس لما سمعوا ذلك المقال وحمل عمرو وذو الكلاب وأخته قناصة الرجال واشتد الحرب والقتال ودامت الصائحات والاهوال واصطدمت الخيل فى طابق المجال وجرى الدم وسال وتنكس الفارس الرئبال وقطعت المفاصل والاوصال ورويت الأسنة من أدمية الأبطال وكثر القيل والقال وهربوا بنى ضبهة إلى البيوت والاطناب وعفر عنتر وجوه فرسانهم على التراب وجعل ينادى فى بنى عبس أبذلوا السيف فى هؤلاء الكلاب ولا تبقوا على أحد من الشيوخ ولا الشباب (قال الراوى) ولم يزل السيف يعمل والدم يهذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى ولت الطائفتين بنى ضبهة وبنى دهم وطلبوا القفار وهربوا فى البر وأسعوا فى القفار فعند ذلك دخل عنتر ومن معه إلى الخيام وقد اشتفى ما فى قلب عنتر من الآلام وقلعوا الاحياء بما فيها ولم يتركوا فيها غير رسومها ونواحيها والتقى بعمرو وذو الكلب وشكره على فعاله وحمده على جميله وأعماله وأثنى عليه وعلى قومه وعشيرته ورجاله وعادوا بعد ذلك راجعين وإلى ناحية ديارهم طالبين وعنتر بن شداد صائر قدام الخال فى تلك الوهاد وهو حزين القلب باكى العين على أخيه شيبوب وقد تقرحت جفونه

من ذلك الدمع المسكوب وتذكر ما جرى له مع بنى دم وبنى ضبية وما فعل بهم من تلك الرزية
فبكى وأنواشتكى وأنشد يقول هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

سل ضبية عن عبس وفعلهم ... بالامس إذ هربوا منا وما رشدوا
ونحن بنى عبس خيار الناس كلهم ... يوما وقد جمعوا فى الحرب واجتهدوا
نحن الفوارس لا تخفنا فعائلنا ... تفنى الاعادى حتى تحس البلد
تسموا اليهم باسياف مهندة ... مثل الصواعق تفنى كل ما تجد
وقد حملنا ونار الحرب مشتعلة ... وسمرها والعوالى بيننا تتقد
وقد قحمنا على الجيشين كلهموا ... ونحن نحمى لظاها كلما بردوا
طورا نكفكفهم بالطعن اذهربوا ... وبالسيوف نناديهم إذا وردوا
ونحن نسق نقيع الموت سادتهم ... حتم المنايا وفى خيضانها ترددوا
حتى إذا ماراونا مضوا هربا ... منا وخلوا لنا الاموال والخودا
لنا التمتع معدانا ومصرحنا ... يوم الهاج وان جاشوا وأن حشدا
الصابرون إذا ما الخيل أجفلها ... هز القناة وهياج الحرب تتقد
والمطعمون إذا ماالغيث أمسك عن ... أهل البلاد ولا يلقون ما يردوا
فليس تنظر فوق الأرض مثلنا ... فى الحرب واليأس والعليا فلم تجدوا

(قال الناقل) فلما سمعت العرب ذلك الشعر والنظام تعجبوا من شجاعته وبراعته وقال له عمر وذو الكلاب لله درك يا أسد الحروب ويا كاشف المكروب فاثنى عليه عنتر وتشكره على ذلك المقال ثم أنهم بعد ذلك ساروا بالغنائم والاموال طالبين الديار والاطلال إلى أن وصلوا إلى أرضهم والاحياء وانقلبت لقدومهم الدنيا وفرحوا بهم جميع محبيهم وأصدقائهم واستبشروا بحضورهم نساءهم وأماءهم ونظروا ما معهم من الاموال سيأ ماتاكله النيران لا بكل عن وصفه اللسان (ياسادة) ونزل عنتر بن شداد فى أبياته وقد كثرت على أخيه شيبوب حسراته وزادت زفراته واستقبلته أبنة عمه عبلة ووقفت فى صدره وقبلته فى عارضه ونحره ثم جعلت تهنيه بالسلامة وقد فرحت بقومه وزادت فى كرامته وبعد ذلك لما استقر به المقام ركب الملك قيس وأتى إليه لأجل العزاء والسلام وقال له ياأبا الفوارس طول ماأنت تعيش لهذه القبيلة وتبقى فلا يمسها لا بوس ولا شقاثم أنه رجع هو عنده وهو يكثر من شكره وحمد (ياساده) هذا وقد نظر عمارة إلى ماوصل إليه عنتر من الاموال والنوق والخيل والجمال ونظر إلى كثرة ذلك الرجال فانشقت مرارته من الغيظ والبلبال وأخذه الهم والنكال وقال موتوا ولو الربيع السكياد يا أخى ترى أنظر قتله عنتر بن شداد وأرى مصرعه وأفرح بذلك قبل موتى ولو أنه بيوم واحد وتفرح لى بذلك الصديق ويغم العدو والحاسد ولا نرجع نراه بعد هذه الكرة

وأبلغ أنا الهنا والمسرة (ياسادة) فقال له الربيع الكياد اعلم يا ابن الأم أن عنتر قد دنا بواره وقرب أجله ودماره وأخماد ما كان يتوقد من من ناره وانقطاع ذكره ونثر عمره أما ترى إلى حماته وقد قتلت وأولاده قد ذهبت ونعمته قد سلبت وتداولت فسمع أحد محبين عنتر هذا الكلام فبلغه إليه بالكمال والتمام فيما غيظه وتكاثرت عنده الاضغان والاحقاد وقد ناله من الغيظ ما لم ينل أحدا من البشر فقال عمرو ذو الكلب يا أبا الفوارس لا تحمل على قلبك هم ولا غم ما دمت سالم فلا يزالوا إليك محتاجين وبسيفك على الأعداء مستظهرين فقال له عنتر يا أخي وحق همتك ومحبتك وأياديك الجميلة لو وصفت لك ما صنعت في بني زياد من أول الزمان من الجميل والاحسان لكنت تتعجب من مجازاتهم بالقبيح والخذلان وأول ما عمل الربيع معي من القبائح عمل على بنت عمي عبلة حيلة وفضائح وسار بها إلى عند مفرج بن هلال ثم احكى له على تمام القصة وقال له ولو شرحت لك أعمال بني زياد معي ومع ابنة عمي لطال عليك المطال وتتعجب من تلك الاحوال فقال له عمرو يا أبا الفوارس هذا يدل على خساسة أصلهم ورداءة فضلهم وشؤم تدبيرهم والفساد وأنت باختيارك أن أردت الرحيل عن بني عبس رحلنا من عندهم وتركهم نهبا للعربان وديارهم مسكن البوم والغربان وأنا وقومي نتبعك وما نفارقك أينما سرت وسرنا معك فشكره عنتر على كلامه وتسلى معه عما مضى من أولاده وأهله وحلائله وصار يتسلى به عن سائر السادات وصفت بينهم المصادقة والمنادمة واغتنموا اللذات والافراح والمسرات وكانت الهيفا أخت عمرو قد ألفت بعبلة من دون نساء الحلة وراق لهم الزمان وصفا وصار وار وحين في جسد واحد وجعلا على بعضهما بعض المعتمد وكانت عبلة تحدثها بما جرى عليها طول الامان وما قاست من السبي والهوان والتشتت من مكان إلى مكان وما قاسا عنتر من تحت رأسها من جاهلين العربان وكم قتل من الشجعان والفرسان وهي تسمع حديثها وتتعجب من تصاريف الايام وصارت تسليها بأطيب الكلام وتقول لها يا أختاه مضى ما مضى وكان وكل هذا مقدر من الكريم الديان وامتزجوا بالمحبة والوداد وصارت الهيفاء عندها مثل الروح التي بين الاجساد واشفق عليها من الوالدة على الأولاد وكانت عبلة تخبرها بما جرى لبنو عبس من الحروب والقتال وما لقيوا من الاهوال وما قد فعلت بنو زياد معها من القبائح والاوعاد كيف عمل عليها الربيع حيلة وأكمن لها الرجال وسباها عند مفرج بن هلال وعمل على قتلها ودفنها في الرمال وأخذ ما كان عليها من الاموال والجواهر والهيفاء تتعجب من هذه الاحوال فبينما هم على ما هم عليه من هذه الأحوال وإذا بعمرو أخو عبلة قد دخل عليها وهو يبكي وعيناه في أم رأسه وقد أزعجت من كثرة الغيظ حواسه فقامت عبلة اليه وقبلته بين عينيه وقالت له ما حالك وما الذي جرى لك فلا كان من يشناك وأهلك الله سائر أعدائك فقال لها عمرو يا أختاه قد كفانا ما لقينا من أول

الزمان وتعب معنا حامينا عنتر حتى تبدل خوفنا بالامان واستقر بنا القرار وأنست بنا الديار وبعد ذلك ما انقطع عنا كلام الاعداء والاضداد والمبغضين والحساد الذين هم لنا من الاوغاد لاسيما بني زياد وهم أشد لنا عداوة من دون العباد وهم الربيع واخيه عمارة القواد (قال الراوي) فقالت له عبلة ما الذي جرى وما سمعت من المعاندة والكياد فقال لها يا أختاه إني قد خرجت في جماعة من بني عمنا ونحن نطالب الحشر والمكسب كما فعلوا الذي سبقونا من فرسان العرب فوقعنا في بني فهد فسقنا أموالهم وأخذنا نوقهم وجمالهم وخيلهم ورجالهم فخرجوا إلينا فرسانهم وأقبلوا إلينا أبطالهم فكسرناهم وانتصرنا عليهم وعدنا سالمين وبغنايمنا فرحين وبما معنا من الأموال مسرورين فلما وصلنا الى الديار وأشرفنا على الاطلال صادفنا الربيع بن زياد وأخوه عمارة القواد فسمعت الربيع يقول لاخيه الذي هو عمارة لاترى عمرو أخو عبلة وكيف بقي هذه الشجاعة وكيف أخرجه عنتر بن شداد حتى أنه صار يغزي القبائل بكبس العرب والجحافل ويشن الغارات على الاحياء والمناهل ونسي ما عليه من العار وما لبس من الناس الذل والشنار فقال له يا عمارة يا أخي قد انصرم حبل عزمهم وانهدم ركن مجدهم وكأنك وقد هلك عنتر بن شداد بعدهم فقال الربيع والله يا وهاب ما يهلك عنتر إلا وتبقى بني قراد مثل الكلاب وتبقى عبلة مثل الامة ويبقا أخوها مثل الحرمة ولابد لنا ما نتحكم فيهم مثل ما نريد ويبقوا عندنا مثل العبيد وتاكلهم العرب بعد عنتر ويبقوا عبرة لمن اعتبر عند القريب والبعيد (قال الناقل) فكان عمرو اخو عبلة يحدثها بهذا الكلام ودموعها على خديها سجام وقال لها والله يا أختي لما سمعت كلامهم انفطرت مرارتي ومت بحسرتي ولولا خفت من الفتنة أن تقوم بهذه الاشارة لكنت قتلت الربيع وأخيه عمارة وأوقعت بهم الذل والخسارة واسترحت من شرهم طول الزمان وأوقعنا بهم الذي والخسران وأخذنا ثارنا منهم بعوامل الاشطان (قال الاصمعي) فلما سمعت عبلة من أخيها ذلك الكلام اعتراها الهم والغرام ودخلت إلى الضرب وبكت حتى بات نودها وزاد بكاها وتعديدها وانصرف أخوها عمرو وتركها على حالها وهي زايدة في بكاها وعويلها (يا سادة) وكان السبب في ذلك الدعوة التي فيها عمرو أخو عبلة أنه خرج في تلك الايام يريد الغزو إلى بعض أحياء العرب وصحبته أربعين فارس من أصحاب المنازل والرتب وهو لوافي البرية على المسير وساروا حتى أشرفوا على قوم يسموا بنو فهد وكانوا خلقا كثير وجم غفير وطلب أموالهم بمن معه من تلك الرجال الاجواد وهم كانهم الآساد وقد أطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة وعلت بينهم الضجة والرنة وأنطعوا من الاموال ألف ناقة وساقوها من غير تمهل ولا اعاقة ومعهما من العبيد جماعة ولما أنهم أبعدوا في تلك البطاح ثار من وراهم الصياح وإذا بالخيل قد أقبلت والابطال تلاحقت والاقبال تدفقت وهم ينادون يا اخوذين

يا عذلولين لقد جلبتم لأنفسكم الدمار وخراب الديار وقلع الرسوم والآثار قال فزعق فيهم عمرو أخو عبلة ومن معه وصاح عليهم وحمل وحملت أصحابه معه حملا واحدة ونادوا واخسؤا يا كلاب العرب وأخس من ضرب في البيد وتد وشد طنب فنحن بنو عبس الكرام الضاربين بالحسام المهند وفنين بين الضرب بالموت الزؤام ثم أنهم عطفوا على الخيل وانصبوا عليهم انصباب الويل وأنزلوا بهم الحرب وكالوهم كيل وأبادوا كل شجاع وقيل فعند ذلك اسفرت الصفاح وحملوا على أعداهم بالرماح وجرى الدم وصاح ونادى الشجاع لا براح. سالت الدماء من الجراح فلله در بنو عبس الكرام وما فعلوا في تلك المعمعة من الصدام وما عملوا في ذلك اليوم من الضراب وكان عمرو يرد الفرسان ويطعن في صدور الأقران وينادي يا أوغاد غير أمجاد أنا عمرو بن عم عنتر بن شداد فلما سمعوا بنو فهد بذكر عنتر اجذم الهم والفكر وأيقنوا بالتعس لما سمعوا ذكر عنتر وبنو عبس وبقوا يعثروا في ذلك البر الأقفر وما بقى لهم على الحرب مصطبر وكان عليهم يوم منكر وحان بنو عبس الغنائم والأموال والخيل والجمال بعد هزيمة بنو فهد وطلب الانذلال وتفريقهم بين الروابي والتلال وعادت فرسان بنو عبس طالبين بالديار والأطلال وهم فرحانين بالسرور والاقبال وخلفوا عند أعدائهم الويل والخيال ولم يزالوا يقطعون البراري والقفار إلى أن وصلوا إلى الديار والتقاهم الربيع بن زياد وقال عمارة ما قال من الكياد وجاء عمرو إلى أخته وأعاد عليها ذلك المقال فضاق لذلك صدرها وحارت في أمرها ودخلت إلى مضربها وبكت حتى إن الدموع عقودها وعاد عمرو وتركها على حالها من بكاها وعويلها (قال الراوي) وكان عنتر يتسلى زيد بن عروة عن أخيه شيبوب وقد نزل بقلبه منزلة أبيه وكان قد أحبه وسار برد وداده ومصافية واشتغل ايضا بعمرو وذو الكلب وسار لا يأكل ولا يشرب إلا معه وقد أحبه قلبه واتبعه ولم يزالوا على ذلك الحال وهم في أهنى عيش وإفضال وقد انصرف عنتر بن شداد يوم من الايام إلى أبيات بني قراد فوجد الهيماء أخت عمرو وذو الكلب خارجة من عند عبلة وهي طالبة مضرب أخيها وذكرت له جميع ما جرى على عبلة من كلام الربيع بن زيادة وأخاه عمارة القواد فتعجب أخوها من احتمال عنتر لذلك الكياد وقال يا أختاه إني لأعجب من عنتر الفارس الهمام كيف يصبر على نجاسات هؤلاء الأنذال اللئام فقالت له يا أخي ما عنتر عندهم إلا مثل الدرة اليتيمة التي ما يعرف لها أحد قيمة لاسيما عبلة التي لم أحسن إن أنصف معانيها وقد ذكرت له يا أخي إن عمارة بن زياد قد عاد أن يعاند أخيها وعنتر بن شداد وأنا أقسم وحق الرب القديم رب موسى وعيسى وإبراهيم لو أني من عبلة لكنت أفعل مثل ما فعلت بقتادة ابن عمي لما أنه نظر في نظرة أسقيتها ألف حسرة فقال لها أخيها يا أختاه نحن عند القوم ضيوف وقد أمنا عندهم من الحتوف صحبة هذا الموصوف فهذا ما كان من عمرو وأخته وما جرى بينهم من الكلام (قال الروى)

وأما ما كان من عنتر البطل الهمام فإنه لما دخل مضرب عبلة وكانت له في الانتظار وقد تحملت له الجلد والاصطبار ولما وجدها جارية الدمعة بادية اللوعة زاد بلباله وتغيرت أحواله وزاغت عيناه في أم رأسه ودبت شفتاه وضاع حواسه وبقي عبرة لمن يراه من أهله وناسه وقال لها يابنت العم لا أبكى الله عينا كي ولا كان من يشمت كى ماهو الذى وصل إليكى من الاخبار حتى أجرى دمعكى الحدار فقالت له عبلة والله ياأبا الفوارس وتربة عمى شداد ما أنا أبيا أنا فيه من الهم والانكاد إلا من كلام الاعداء والحساد لأن الماء ينام في الاناء والأعداء لا تنام عنا ولكن وحياة عمى شداد وتربة أخيك شيبوب ما بقيت تطيب هذا القلوب ولا يجمع المحب على المحبوب إلا بعد أن تبلغنى من الأعداء المراد والمطلوب فقال لها ياابنة العم أخبرينى ما الذى تجدد من الاخبار وأطلعينى على جليه الآثار الذى تجدد وأوجب هذا الغيظ والكدر فإن كان من الملك قيس أو بعض إخوته ومن يجرى مجراه تركته عبرة لمن يراه وزحلت بك وطلبت عرض الفلاة وآخذ معزل عن جميع العرب وأسكن البر والسبسب ولا أرجع أبصر منهم أحد بل ألزم الانفراد وأبذل سيفى ورمحى في الاعداء والحساد وإن كان هذا الغيظ من بنى زياد قريب ألحقهم بأهل المقابر وألحقهم بسيفى الاكابر منهم والاصاغر وأرحل من هذه البلاد وأسكن البرارى والوهاد وأتجنب أرضا فيها المشاجرة والعناد ثم أشار إليها بقول هذه الابيات صلوا يا حاضرين على النبي صاحب المعجزات ﷺ

أبا عبلة بغيض الجارى	فتشتعل النيران بين ضمائرى
أيا عبلة إنى لو أهانك سيداً	لاذقته ذل العبيد الاصاغر
أبا عبلة لا تبكى على فعل ما مضى	وكونى على ذلك الرضا بالتضاجرى
فما قليل تسمى الندب والبكا	على من يعاديكى يسكن المقابرى
وتبقى عبس بعد عينى ذليلة	نساؤهم يندبن بين الحرائرى

(قال الراوى) فلما سمعت عبلة شعره قالت اعلم ياابن العم أنا أخى عمرو أنانى باكى العين حزين الفؤاد يشكو من جوار بنى زياد لأنه لما أتى من سفره التقوا ه بنى زياد وتحدثوا في عرضى وعرضك بالكلام القبيح وأنا والله ما بقيت أحمل منهم مثل ما حملت ثم أنها بكت وأنت واشتكت وصاحت في وجهه وولولت ووعدها بكل ما طلبت وقد سلاها بأحسن الكلام الذى بذ وأنه ينتقم لها من كل من يعاندها من الأحرار والعبيد وأراد عنتر بن شداد أن يبلغ مراده ويطفى بوصلها نيران فؤاده فما مكنته لذلك من أجل اليمين الذى حلفته فبات تلك الليلة وحده إلى الصباح وإذا بعبد من عبيد الملك قيس أتى إليه ودخل عليه وخدم وباس يده وتقدم وقال يا مولاى إن الملك قيس يدعوك إليه ليأخذ أخبارك ويطلع على أسرارك وما جرى لك في أسفارك فأجابه عنتر بالسمع والطاعة وخرج طالب الملك قيس من تلك الساعة

فالتقاه عمرو ذو الكلب خارج الخيام فابداه بالسلام وساله عن حاله وما جرى له وناله واستخبره على مبيته فى ليلته وأمسه وما حل من الهم فى نفسه فاحكى له على ماجرى له بينه وبين عبلة وقال له سر بنا إلى الملك قيس نجدد به عهدا ثم أخذه وسار حتى دخلوا على الملك قيس فوجدوا عنده إخوته وأكابر عشيرته وكل منهم جالس على مرتبته وهم يتذاكرون ماجرى لهم من قديم الزمان وما تجدد لهم من الاحزان فبينماهم كذلك وإذا بعنتر دخل عليهم فى هذا المقام فقام الملك قيس اليه فى سائر إخوته الكرام وقام الربيع بن زياد منافقة للجماعة وجذبه أخيه عمارة من ذيله أجلسه وقال له اقعد فما يكون قدر هذا العبد ولدالزنا حتى تقوم له فهم عنتر بذوة عقله جميع ماهم فيه وقد أخذه عليهم الاحقاد وكذلك عمرو ذو الكلب علم أن أمرهم ينتهى إلى الفساد ثم أنهم جلسوا سائر السادات وأخذت مواضعهم أصحاب الرتب والقادات والعبيد بين أيديهم كا جرت العادات وهم يتذاكروز ماجرى من الوقائع السالفات وتذكر الملك قيس قتل أخيه الحارث هذا وعنتر بجانب عمرو ذو الكلب وقد احتفل المجلس والملك قيس يبكى وينتحب فانقلب المجلس بالبكاء والنحيب وقال ورقة بن الملك زهير والله يا بنى عمى إن هذه دلائل قطع الآثار وخراب الديار وما كانت تحترمنا العرب وتهبنا إلا بهيبة حامينا عنتر بن شداد الاسد الغضنفر وهذا السيد الآخر الذى قدمنا الله به علينا وزال عنا العناء وانجلت عنا الاحزان وأمنا فى طوارق الازمان وأشار إلى عمرو ذو الكلب (قال الروى) فلما سمع عمرو ذو الكلب كلامه قام قائما على أقدامه وخدم ودعا وتكلم وقال يا سادات العرب من بنى عبس وعدنان لقد أصبحتم مثلا بين العربان بهذا البطل الباسل والسيد الحلاحل الذى قهر الفرسان بشجاعته وأوقع الخوف فى قلوب العرب والعجم بجسارته وفصاحته براعته وأنا من بعض عتقائه وقد صرت من غلمانه وأصدقائه فاطرحوا عنكم العتاب والملال والقيل والقال واعلموا أن الماضى لا يعاد وامرفوا عنكم الضغائن والاحقاد وتفكروا فيما مضى من الآباء والأجداد فإنى ماطاب لى المنام عندكم وأقمت بأرضكم إلا لأكون فداء لانفسكم وعبد للملك قيس سيدكم فلما سمع الملك قيس بهذا الكلام جعل يشكره ويثنى عليه وجلسوا القيام وتباسطوا فى الكلام وبنى زياد تتعجب من عمرو ذو الكلب وطول قامته وعظم هامته وفروسيته ومن عنتر الذى قهره ميدانه فقال عمارة إية يا أخى لو رأيت أخته الهيفاء وما حازت من الحسن والجمال والقد والاعتدال ولها عيون أحد من السيوف الصقال والله يا أخى كنت أشتهى ان أتزوج بها وأتسلى بها عن عبلة وأستفيق من سنة الغفلة فقال له أخرس الله لسانك وأضعف الله جنانك هذ وكأنك ماتستحى يا مدلول لشارب أن تكون لهذه الفارسة مخاطب فأقسم بالله إن تعرضت لها قتلتك وأنا والله كرهت الحياة من رقاعتك وتعصبت الناس علينا لأجل حماقتك هذا والجماعة مشتغلين عليهم بالكلام

ولكن عنتر باله كان من بنى زياد وما يخفى وما اختلف المجلس باعادة الحديث وتفكروا ما كان عليهم مكتوب وقد تعجبوا من قتلة شيبوب فقال الملك قيس يا بنى عمى لقد عدمنا رايه وتدبيره على الحقيقة وبعد تفرق كلامنا فى طريقه وبلغنى أن عنتر من حين ذكر شيبوب هطلت الدموع من عينيه والجماعة ينظرون وما يقدروا أن يحركوه وتجددت أحزانه وغمى عليه واسودت الدنيا فى عينيه وأخذ الملك قيس يسأل عمرو ذو الكلب كيف كان قتال عنتر لبنى ضبة وعمرو يحدثه بما قتل وبما فعل مع أعدائه وكيف قتل سارح قاتل أخيه وكيف أخذ الأموال وعفا عن الحريم والأموال قال بعد هذا وقد فتح عينيه عنتر ونظر إلى الجماعة الذين هم حواليه وهم فى ذكر الواقعة الذى جرت والكائنة الذى صدرت فقال عنتر يا بنى عمى وحق من رفع السما وسما نفسه بالعلى الأعلى ما أنا جاهل فيما مضى ولا أتعرض إلى حكم القضا بل آخذ بالرضا لأن الآجال مقدوره والامور مدبرة لأن خالق ساطع على من لا ينام عن ذكرى ولا يغفل عن كشف سرى ويطلب هلاكى وأنا يا بنى عمى قد ضاق صدرى وعمى بصرى وحرت فى أمرى وما فى كل وقت يكون العقل حاضر فى رأس الانسان وأنا أقسم بحق من رفع السبع الطباق المتكفل لعباده بالارزاق لئن لم تنتهى اعدائى من سوء الاخلاق لشتتهم فى الآفاق لانى كلما وصلت قطعوا وكلما حلمت وعفوت عنهم جهلوا وطمعوا فينا وكلما عدلت ظلموا وهاهو الملك قيس يسمع خطابى ويرد لى جوابى وإلا رحلت عنكم ولا أعود أبدا أرجع إليكم فلما سمع الملك قيس ذلك علم أن النوبة عظيمة وأيقن أن المنام الذى رآه صحيح وكان قد رأى منام مهول وإن شملهم لا بد أن يتفرقوا فقال الملك قيس يا أبا الفوارس نحن قد اجتمعنا لنصرف ماء تجدد من الاحزان وقطع حبل الجفا والهذيان ونوصل حبل المودة بين الأحبة والخلان فقد مضى ما مضى وأنا خائف عليك مما قد رأيت لكم فى المنام فقال له عنتر يا ملك ما على من تلك العشيرة أضر من الربيع بن زياد وأخيه عمارة القواد وفى رؤسهم تقع الحرارة فلما سمع الربيع هذا الكلام رجع إلى خبثه ومكره والمحال وعلم أن عدوه ما يبلغ آمال مقامه إلى عنتر وقال له يا ابن العم لم تزل فى قلبك الضغن من جهتنا ونحنا عندك غير مسمود فما الذى وصل إليك عنا من التهمة حتى ما جعلت لنا قدر ولا قيمة فقال له عنتر لقد ابن عمى عمرو وأخو عبلة من السفر قد اشتعلت فى قلبه لهيب الجمر فأنا والله قد فنى منى الصبر وهالنى ذلك الأمر فقال الربيع بخبثه والله ما دهاه والله يا أبا الفوارس ما كان كلامنا معه إلا على سبيل المزاح والحبور ولى ذكرتك أنب بسوء ولا مكروه وهؤلاء السادات تشهد على مقالى وأنا أعلم أنك حليم على قبيح فعالى وما نحن إلا فى ظلك وظل سيفك وسنانك ورمحك قال المؤلف عندها لان عنتر عند سماع هذا الكلام وفتر عما كان عليه وقد عزم من الفعال وقال له الربيع أنت يا ابن العم تاجنا وحصننا

وعليك بعبدالله اعتمادنا فى الشدائد الكبار فقال عمرو وذو الكلب يا بنى عبس الكرام ابطلوا عنا هذا الكلام واتركوا الملك قيس يحدثنا بما رأى فى المنام فامتثلت الجماعة كلامه وامتدت العيون تنظر إلى سؤاله فقال الملك قيس اعلموا يا بنى إنى ما جمعتكم إلا بهذه الأسباب التى أنا منها فى نار الالتهاب وحق من يعلم كل سر مكنون أنى لو قدرت اليوم أنى أضع عنتر فى بياض العيون ما كنت على ذلك مغبون (قال الراوى) فلما سمع عنتر هذا الكلام قام قائماً على الأقدام وقبل الأرض بين يدى الملك قيس وقال يا ملك اشرح لنا ما فى خاطرك وبين لنا ما رأيت فى منامك ولذيذ أحلامك وأفرج عنك ما تجده من اجتماعك فقال الملك قيس يا بنى عمى إنى من يوم قتل أخى الحارث حملت هم عظيمة ونمت تلك الليلة وأنا فى هم فرأيت كأنى طائر بين السماء والأرض وكان حولى طيور مختلفات الألوان من بواشق وسقور وغربان ونسور وعقبان وإذا قد أقبل على هذا الطيور وحوش وتغلبوا عليهم من ثعالب وضباع ونمور حتى امتلا بهم البر البقاع واحتطاحوا بتلك الطيور من كل جانب وساروا يجدوا عليهم فى الطلب وهذه الطيور تطلب الهرب حتى تفرقوا وصاروا يضرب ويتفرقوا بين الشعاب والأرغام والبرارى والجبال والوحوش تخطفها من اليمين والشمال فانتبهت وأنا خائف من هذه الأحوال وإلى الآن وأنا موسوس من هذه الأهوال فأفيقوا والزموا السداد ودعوا عنكم هذا العناد واسلكوا طريق المحبة والوداد ثم جعلوا بنو عبس زياد وآل قراد يتحدثوا فى التفرق والاجتماع ولم يزالوا كذلك حتى أقبلت العبيد بالطعام فقطعوا ذلك الكلام وأكلوا وشربوا ولذوا وطربت وتمت الأمور والاحكام وبقوا كلهم كذلك إلى قدوم الظلام وتفرقوا طالبين منازلهم والخيام وسار عنتر وعمرو وذو الكلب إلى أبياتهم ودخل عنتر على عبلة فسألته باجتماعه إلى الملك قيس فأخبرها بما جرى وقال ابنت العم وحق من خلق العباد وسطح المهاد أشقى وأسعد أهلك الجبابرة والاضداد الذى أعز وأمات وجمع وفرق وليس لاحد فى مراده مزاد لاوريكى بنى زياد ما أفعل من الكباد واجعل نهارهم كله سواد فقالت له عبلة لا ترحل بنا من عندهم وتنزل عند بعض أصدقائك فقال عنتر والله ما أرحل حتى أشفى قلبى من بنى زياد وأفى بقولى واحد حقك من غريمك وأرفع قسمك وأنفذ يمينك فهذا ما جرى من الكلام (قال الراوى) وأما ما كان من بنى زياد اللئام فإنهم بعد انصراف عنتر نادوا بحضرة الملك قيس فقال الربيع ابن زياد يا ملك أتحسد لعنتر أن تكلم فينا هذا الكلام الشنيع وأنت الآن حصننا المنيع وركننا الرفيع فقال الملك قيس يا بنى عمى مالى إلى معاداة عنتر من سبيل لاسيما وصار له مثل هذا البطل النبيل وقد صار هذا الاسد بينكم قليل وهو لقمع آثارنا دليل فقال عمارة أكون أنا الوهاب واذل إلى العبيد الكلاب خصوصاً هذا العبد المرتاب وذنا القرب لابد لى من

قتله قريبا غير بعيد لأن كلامه فينا بالأسا يزيد واليوم فى مجلسك أردت أقوم إليه وآخذ روحه من بين جنبيه ولكن خلت هنك ومن عتبك وملامك وفسخ غرضك وذمامك فقال قيس ياعمارة لا تتعرض لعنتر بن شداد فيقتلك ويعجل حمامك والله لو فعلت ذلك لا كلتا العربان وما كان عمرو ذو الكلب وأخته قناصة الرجال يدعوا منا إنسان وقد انفض المجلس كلا منهم يتكلم بما يقدر عليه من الفشار فلما كان ثانى يوم ركبت بنو عبس إلى غدير ذات الارصاد كما جرت عادتها وقدم جرير إلى أخيه عنتر جواده الابجر وإذا بعبد من عبيد الملك قيس السقاه وكان هذا العبد يقال له ناصح وقال لجرير اعلم أخيه عنتر وأوصيه يحترز على نفسه من بنى زياد لانهم بعد ما عاد أخيك من الديار تكلموا مع الملك قيس وقال لا بد عن قتله وأعجل من الدنيا مرتحله ومولاى قيس قال وقال من الكلام ثم أعاد العبد عليه القصة من أولها إلى آخرها وقال فى آخر كلامه وأنا من محبتى أخيك قد أوضحت لك الخبر فقل لاخيك يأخذ حذره بقدر مايقدر ويعقل إن الشجاعه لا تنفعه مع القدر لانه يصم الاذان ويعمى البصر ولقد أفلح من قال شعر

إذا لم يساعدك الزمان بنفعـــه فحاذر وباعده ولا تتقربا
ولا تحتقر رجلا ضعيفا فلربما تموت الافاعى من سموم العقربا
فالقد قبلا عرش بلقيس هدهد وأخرق فار السفينة وأخربا

(قال الراوى) فلما سمع جرير هذا الكلام شكره على فعاله وقال له لاعدمتك ياابن الخالة من ناصح ثم انصرف العبد من عنده وأما جرير قدم الجواد لاخيه عنتر فركب وعبلة توصيه بسرعة العودة إلى الديار لانها تلك الايام مابقت تجد عنده اصطبار ولا يقر لها بعده قرار وصار جرير فى ركابه يحدثه بما جرى من الربيع وأخيه عمارة السقيع من الكلام الشفيع فى حضر الملك قيس وهو يقول له يامالك كيف ترى ماحل بنا من هذا العبد ابن اللئام فحمل عنتر من ذلك هما عند سماعه هذا الكلام وقال لاخيه كتم الساعة أنت ماسمعت فلا بد ما أقتل الاثنين أشر قتلة ثم ساروا قليلا وإذا بعمرو ذو الكلب وأخته الحتفا قد أقبلا يطلبوه وعن خبره يسألوه فقال ياعمرو ياأخى إيش جرى لك مع عبلة الليلة من الوداد فقال عنتر إيش أقول لعن الله بنى زياد الجميع أولهم عمارة وآخرهم الربيع فقد سمعت بالامس لكثرتهم لنا فى الظاهر كان وذلك خلاف ما أحقته لنا الضمائر فوالله لاسكنهم فى هذه الايام المقابر ثم حدثه بما جرى له منهم وما سمعه من العبد وقال لقد أخبرنى بذلك من كان حاضر عندهم وأوصانى أن أكون مطمئن منهم وقالت القناصة بعد ماسمعت هذا الكلام ياأخى وحياة عينى عبلة إن أردت أن أخطفه من سرجه وأقتله أينم قتله لفعلت وقد حدثتنى بجميع ما جرى منهم أختى وكنت أقسمت لا تتأخر عن بنى زياد وأشققت لسانهم فى سائر

البلاد وأقطع عنك هذه المحنة والعناد وآخذ ثار أختي عبلة منهم وأتركهم عبرة لسائر العباد وأروي الأرض من دماء هؤلاء الأوغاد فقال عنتر يا أخي لا تحركي ساكن إنما أريد أن أنجزم أمرهم وأشفي صدري منهم وأطلب أرضنا والأوطان فو الله ماطلبت نفسي سماع الزور والبهتان ومن جرد في وجهك حسام طعنته في صدره بالسنان ثم أنهم سارا وهم على مثل ذلك الكلام وإذا بالملك قيس وقد التقاهم والربيع بن زياد من برا الخيام ولما رآه الملك الملك قيس ميل إليه وسار بجانبه وجعل يحادثه ويؤانسه وسأله عن ليلته وشغل قلبه وعنتر شكر وأثنى عليه وسار في ركابه وهو يقول يا أبا الفوارس قد بقي عند نامن أحزان مالا نقدر نصفه بلسان وأنا عزمت أن أعمل وليمة وأجمع فيها السادات والفرسان ونصرف عنا الهموم والأحزان بمعاشرة هذا السيد الذي قد صار صديقنا وأولانا الجميل والاحسان لأننا من يوم عرفناه ما حضر معنا على بساط الهنا والمسرات بل ندفع به السيئات والمصائب الهائلات ولا جلس معنا في أوقات اللذات وعسى أن يكون الزمان عنا قد غفل فقال له عنتر نحن على ما عزمت تابعين أفعالك غارقين في إحسانك وأفضالك ثم أنهم صاروا كجرى العادة إلى أن تضاحى النهار فعادوا إلى الديار وقد أعلم عنتر لعمرو ذو الكلب بهذه الأخبار وما وقع بينه وبين الملك قيس من الكلام وقال له والله يا أخي قلبي ما بقي يصفي لهم ولا للملك قيس أيضاً وذلك من أيام عملوا الدعوة وأرادوا قبضي وتسليمي إلى الملك الأسود ونصرني الرب القديم عليهم وأنا كاره صحبتهم فقال عمرو ذو الكلب يا أخي إذا كان كذلك قد عناه قتل عمارة والربيع ولا نبالي برفيع ولا وضيع فقال عنتر يا أخي قلبي ما يحدثني إلا بقتل الربيع وعمارة الصقيع وبعد ذلك نقضي الدين من الجميع قال نجد هذا ما جرى ههنا من الكلام بالتحرير وأما ما كان من الملك قيس بن زهير فانه عجل بتعجيل الدعوة وما علم أنه يحدث من بعد الأمور أمور وإن لكل شيء انتهاء إذا جرى به المقدور إلا أن الملك قيس ما جاء عليه نصف الليل حتى صف الكاسات والطاسات وقدم الطعام وروق المدام واجتمعت السادات على الجنك والنايات وجلست الناس على قدر الطبقات وجلس الملك على سرير ملكه وأخرج ذخائره وفتح خزائنه وجعل يخلع على الأصحاب والخلان وطلب بذلك صفو الحقود وتجديد العهود وأنه خدم عنتر وأمره أن يحضر معه عمرو ذو الكلب وأخته الهيفاء وكان عنتر ذلك اليوم عندهم وهم يتعايدون ما جرى عليهم من غدرات الزمان وإذا بعبد الملك قيس قد دخل عليه وقال له يا مولاي الملك قيس يدعوك إليه أنت وصديقك عمرو فقال عنتر اذهب فها أنا خلفك فذهب العبد إلى مولاه

(تم الجزء الحادي والخمسون ويليه الثاني والخمسون)

الجزء الثاني والخمسون

من سيرة عنتر بن شداد

(قال الراوى) وأما عنتر فركب جواده الابجر وأخذ عمرو ذو الكلب معه وسار إلى الملك قيس فرأى السادات محدقة والإمارة والقادات فبـــذلوا المجهود عند ما دخلوا للسلام فقام لهم الملك على الاقدام وقام لهم كل من حضر عنده الوليمة وحيوهم بالتحية والاكرام وجلسوا عن يمين الملك قيس وكان الربيع وأخوه عمارة جالسين من الجهة الثانية وأخذ كل واحد منهم مكانه وقر قراره ودارت عليهم الكاسات ورقصت المولدات ودار بينهم الهزل والجد ونهبوا أوقات اللذات وطابوا من سماع المغنيات وزادوا فى عنتر بالشكر والثناء هذا والربيع وعمارة قد انفطرت سرائرهم فعند ذلك نهض وعم جالسون وهو ينظر إلى الربيع وقد توهم أن ماله عنده لا قدر ولا قيمة فسمع الربيع يقول لعمارة ياوهاب هذا وقتك انظر عنتر وحيداً فريداً وقد وجدنا منه فرصة وهو الآن سكران فقال عمارة وحق ذمة العرب أنا لا بد لى من قتله واصرم عمره فلما سمع عنتر هذا هذا الكلام اسودت الدنيا فى عينيه ولا بقى عرف ما بين يديه وتحقق صدق ما وصل إليه من الكلام الذى ألقى إليه فسل حسامه الصامى الابتر ووثب ولحق الربيع قبل أن يثور وضربه قسمه قسمين ولما نظر عمارة أخيه وهو مقطوع قطعتين فثار والحسام مجرد وأراد يهجم على عنتر فضربه عنتر بالصامى الابتر شطه شطرين وانقسم مثل أخيه قسمين وقد هلك الربيع وعمارة فى ساعة واحدة وحلت بهم الخسارة فلا رحم الله الاثنين ولما قتل الربيع وعمارة وقعت فى بنى عبس الخسارة ولما نظر الملك قيس إلى تلك الحال فعظم ذلك عليه وكبر لديه ولطم على وجهه ورأسه حتى برز الدم من أنفه وأضراسه وخرق ما كان عليه من لباسه وبهت كل من كل حضر من جلاسه بما عمل عنتر وأيقنوا بحلول العبر والبلاء المصور وانقلب المجلس بما فيه وخرجت المذلله بنت الربيع زوجه الملك قيس وابنته الجمانه وقدم بكوا ما كان عندهم من الامانة وهلبت الخيل وانقلب الحى بالحزن والويل وقطعت الزوائب وندبت النوادب وقامت الاحزان والشجون والهوان والمصائب وحس قلب الملك قيس بالشتات وشرب كاس المات وتحسر على ما فات وصار الضياء فى عينيه ظلام وصدق المنام وكثر البكاء والويل ولطمت الجمانة وأمها المذللة وزادوا فى البكاء والاهوال والنواح والتعداد وقامت عليهم القيامة وأيقنوا بكل ندامة ومزقوا ملبوسهم وحثوا التراب على رؤسهم هذا ما جرى ههنا (قال الراوى) وأما ما كان

عنتر لما قتل عمارة والربيع أولاد بن زياد وتركهما عبرة للعباد وقد أظهر عمرو ذو الكلاب اهتمامه وجذب حسامه وبعد قتله طلب عنتر الخيام وفي يد كل واحد منهما الحسام وقدمت العبيد الخيل فركبا رعزما على كل من تبعهما مددوه على الصعيد وما زالوا سائرين إلى أن صلوا إلى أبياتهما فوجد قناصة الرجا قد اعتدت بعدتها عند ما سمعت الصياح هذا وعبلة قد بكت على عنتر وخافت عليه من البؤس والضرر وما سكتت حتى رأته مقبلا مع أصحابه كأنه الأسد القسور وقد أقبل وعمرو ذو الكلاب بجانبه وهو يقول له عن إذنك أقيم الحرب على قدام وساق وأفنى بنى عبس وأشبع منهم الرخم وعنتر يهدر هدير السباع إذا كانوا جياع وإذا بورقة بن الملك زهير وقد دخل عليه والدموع تتناثر من مآقى عينيه وهو يقول له يا أبا الفوارس قد بيضت وجهك اليوم وأرحت نفسك من العتب واللوم ولكن أخى الملك قيس يقول لك أما أن ترحل أو يرحل هو ويفوت لك الأطلال فقال له أنا أرحل فى عاجل الحال ولا بقيت أجاور بنى عبس أن كان قيس أو خلافه لا وحق الملك المتعال ولا أتكل إلا على حسامى الفصال ورمحى العسال ثم أنه فى عاجل الحال هدم خيامه وطوى أعلامه وكذلك فعل عمرو ذو الكلاب وقناصة الرجا وفرسان بنى قراد الأبطال ورحل عنتر من بنى عبس وهام العين والنفس وزعق فى نفوسهم غراب البين وحام منهم الحين وأما عنتر فسار بمن معه من الرجال يطلب له منزلا ينزل فيه ومسكنا يأويه وهو يقول إذا بعدت عن بنى عبس سوف يروا ما يذوقوا من الهوان فقال عمرو على ماذا عولت أن تنزل يا أبا الفوارس فى أى مكان فقال عنتر نقصد أرض العراق ونقيم هناك ونتوكل على الملك الخلاق وننزل على جانب الفرات وأفنى ما هناك من الجبابرة العتاة وما بقيت أجاور عبسا أبدا ولو شمتت بى العدا فقال عمرو الأمر إليك وما أنا بين يديك فسار بالظعن والعيال والحريم والأموال وقطع المنازل الأطلال والعرب تجفل بين يديه وسارت تدفق من قدامه ولا تقبل عليه وهم راحلين من منزل لمنزل وهم يقطعون بين أيديهم الوديان والطلل وما زالوا كذلك وعنتر بين أيديهم إلى أن وصل إلى بحر الفرات مقابل مدينة عانة ونصب بين الفرات ومدينة عانة وكان هناك خليج يسمى العارضيات فنزل عنتر وضرب خيامه ونصب أعلامه ومد أطنابه وعلاقيا به وسرح أمواله ونوقه وجماله وأقام فى ذلك المكان الخصب والمرعى والكلا والمياه العذاب وقال أنا أقيم فى هذه الأرض وأحميها طولا وعرضا ولا بد لبنى أن يندم على بعدى غاية الندم لأنهم كانوا فى أمان واطمئنان ثم أنه شرع مضربا من الحرير الأصفر بأعمدة من الصندل والعود القاقلى مطلى بالذهب الأحمر ولطنابه من الحرير الاخضر ونصبه إلى جانب الفرات وقد فرش فيه من الفراش والزرابى والنمارق من أخضر وأصفر وأحمر حتى صار بهجة لمن يراه وكان هذا المضرب وجميع ما فيه من هذه الاشياء التى ذكرناها كان أخذه عنتر

كسرى أنوشروان وكأن ابنه نصف الدنيا وصار يصف فيه الطاسات والكاسات وهو كل يوم يشرب عمر ومن معه من الفرسان ويلذ ويطرب وكان عنتر قد نظر إلى الهيفاء هذه المدة ونظرها بعين المحبة والمودة والادلال وطول الصحبة وصار من محبتها حاصل وصار الحب على وجهه له علائم ودلائل وتجدد عليه ما كان في زمن عبلة من الحصائل ولم يزل على هذا الحال إلى أن قرّ قراره على جانب الفرات وتحدث مع عمر وأخيها في زواجه لأختها واستشاره فيما يريد أن يفعل ففرح عمرو بذلك وما صدق أن يصح له الأمر وقال يا أبا الفوارس أنا من جملة غلمانك وخدامك وقناصة امتك وسر عمرو وتحدث مع اخته بهذا الحال واخبرها بما قال عنتر من المقال ففرحت بهذا الكلام غاية الفرح وانسع صدرها وانشرح وقالت له يا أخي المراد ما استغنى عن زوج وأنا ما أريد زوجاً أوفى من عنتر وما اطلب اعظم من هذا الفارس الغضنفر ففرح عمرو بإجابة اخته بالزواج لعنتر وسار إليه بالخبر ففرح الآخر بفعله واستبشر من ساعته وأخذ بيده عنتر على الزواج وصالحه وتناكحه واتفق الامر على ذلك وكل منهم أراح ومن تلك الليلة ضربت الليلة ضربت خيمة الزفاف وانقضى الامر ولا بد اختلاف وكان كله مخفي عن عبلة لأن عنتر كان يقضي نهاره وهو وعمر وذو الكلاب في أكل وشرب ونعيم زايد ولم يزل على ذلك إلى أن مضى من الليل القليل ولما جرى ما جرى لقناصة الرجال من ذلك القبيل والقال وزواج عنتر لها ولما انقضت سبعة أيام من الولائم دخل بها وأقام إلى آخر الليل وأتى إلى عبلة وقت السحر وما عندها من ذلك خبر وأقام الأمير على ذلك المنهاج وهو مع قناصة الرجال وحاله مكتوم وقد اتفقوا بعضهم البعض بقوارر وحين في جسد واقاموا على ذلك مدة أيام وهم في أهنى عيش وأنعام ولبني عبس الكرام (قال الراوي) فهذا ما كان من عنتر وأما ما كان من الملك قيس وبني عبس فانه بعد رحيله أمر بدفن الربيع وعمارة فدفنوهم وحزنوا عليهم ونحوا على قبورهم النور ودام أمرهم في حزن وثبور ثم أنه بعد ذلك جمع قومه وأهله وعشيرته وما يلوذ به من يومه وقال لهم اعلموا يا بني عبس إن معد بعد حامينا عنتر تطمع فينا فكونوا الآن على أهبة الحرب والنزال وخذوا حذركم من أحد يطرقكم وكونوا محترزين على أموالكم وعيالكم لأني والله خائف عليكم لان سائر العرب ما كانت تهابكم إلا لاجل حاميتكم وابن عمكم عنتر فارس البدو والحضر والآن نفذ في بني عبس سهم القضاء والقدر فلما سمعوا بنو عبس من الملك قيس كلامه ما بقي احد منهم إلا وقد تحسر على فراق عنتر ولا بقي أحد منهم يقدر أن يخرج من الابيات وقد وقع بهم الخوف والفزع وخافوا أن تخطفهم العرب خطف النسور والعقبان بعد عنتر عن الاوطان وأيقنوا بالفناء والدمار وقطع الاعمار وضاقت بهم جميع الاماكن وحرموا شرب الخمور مدة وقد وصلت الاخبار إلى جميع العرب الاخيار بان الأمير عنتر على بني عبس غضبان

وتركهم وراح ونزل على بحر الفرات وتلك الوديان مقابل أرض العراق وديار بنى شيبان فتباشرت جميع العربان ونووا على أخذ الثار من بنى عبس الأخيار وان ينتقموا منهم غاية الإنتقام ويكونوا يداً واحدة على هلاكهم والارغام وكانت العرب جميعهم من بنى قحطان لا يقدروا أن يمسوا بنى عبس وعدنان بسوء ولا ضرر مخافة من أبى الفوارس عنتر ولما اتفق لهم هذا الاتفاق وبلغهم أن عنتر سار إلى العراق اجتمعت خمس قبائل من العربان ونووا على هلاك بنى عبس والقلعان فهذا ما كان منهم وما اتفق من الكلام العجيب الذى يسطر فى الورق بأن فرقة من بنى عبس وعدنان كانوا مائتين فارس أعيان يقدمهم الأمير قرواش ابن هانى وابن عمه بشر النبهانى والأمير محيد بن مالك صاحب الوجه الضاحك وعياض بن ناشب وغالب بن ثابت طلعوا ابن معهم من الفرسان قاصدين الغزو على أحياء العربان وكان ذلك بخلاف رأى الملك قيس بن زهير ولما ساروا وجدوا المسير بالجد والتشمير إلى أن وصلوا إلى رحلة من بعض حلل العرب يقال لها بنو فهد ولما حصلوا فى مراعيهم غاروا على أموالهم وأمروا رجالهم بالجملة وتراكضوا مثل العقبان وصاحوا يالعبس يالعدنان ثم أنهم قطعوا من المراعى ألف ناقة وقد ساقوها بعظم استطالة وصاحوا على العبيد الرعيان ويلكم ياأولاد الزوانى سوقوا المال قدامنا وإلا خضبنا من دماكم سنانا ثم أنهم ساقوهم وعطفوا راجعين وهم عائدين كسبوا فرحين هذا وقد وقع الصوت فى الحلة فصاحت الرجال وركبت الأبطال وقد أطلقوا الأعنة وقوموا الأسنة وجدوا خلفهم إلى أن أدركوهم وصاحوا عليهم إلى أن تسيرون بأموالنا يامذلولين ونحن لكم طالبين فعندها برز إليهم من بنى عبس فارس كأنه الليث العابس وقال لهم ياويلكم ياللئام نحن من بنى عبس الكرام أسود الحرب وصناديدها وليوثها وأماجيدها فلما سمعوا تلك الفرسان نداهم وعلموا أنهم من بنى عبس وعدنان عادوا إلى قومهم وأعلموهم أن بنى عبس أغارت عليهم فعندها فزت الحلة عن بكرت أبيها وعولوا على الحرب والقتال والطعن والنزال ولا زالت الفرسان سائرين حتى تلاحقوا ببنى عبس وعدنان وحملوا عليهم حملة واحدة فعندها تلقوهم بنو عبس وكان ذلك عند طلوع الشمس وصاحوا فى أوائلهم قرواش بن هانىء وقال ابنى عمى دونكم وهؤلاء الأنذال فنزلوا عليهم نزول السيل إذا سال وأثخنوهم بالطعن والنزال ولما حملوا على بنى عبس الذئاب الطلس انصبوا عليهم انصباب الليل وا[illegible]وهم كيلا أى كيل وكردسوا الرجال من على ظهور الخيل وأنزلوا بركابها الذل والويل وقد ردوا أعداهم غضباً ونهبوهم نهباً وبددوهم شر بدد وغر باً فعند ذلك ولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار وتفرقوا فى البرارى والقفار وعاد الأمير قرواش وأصحابه وهم فرحين وبالنصر والظفر مستبشرين هذا وقرواش سائرين إلى الديار وهم ينشد هذه الأشعار .

قف بالمطى على الديار وقل لها ... حييت من طال وعز مقـــام
ارأيت منا كل ليث باســـل ... ذا هيبة كالاســـد فى الآجام
نحن لنحمى فى الحروب حريما ... بالطعن صدقا فى الورى وكرام
سل بنى فهد وجمع عديدهـــا ... عما لقت فى يوم حرب خصام
حتى انهوا ومياه الجـــو ظاهرة ... رغم وليت لظامها كنظـــام

(قال الراوى) إلا أنهما فرغ من هذه الأشعار حتى لو طلع من بين يديه غبار علا وثار وبعد ساعة تمزق وانكشف وبان من تحته سمائة فارس اسود عوابس كأنهم الاسود القناعس وهم فى الحديد غواطس ومن تحتهم خيول أخف من الغزلان وهم فوقها كأنهم العقبان يقطعون بها الارض والقيعان وعلى أكتافهم عوامل الاشطان يقدمهم فارس كأنه قطعة جلمود وهو فى تقاطيع الاسود وهو غارق فى شكته غائص فى لامته وتلك الرجال والابطال كانوا أشد الرجال وهى من خلف مقدومها تسير وهم ينادون يا آل قشير خلوا ايا ويلكم عن الاموال والغنائم من قبل أن تحل بكم العظائم ولا نترك أحد منكم يعود سالم فلما علم منهم الامير قرواش وسمع منهم فنبه أبطاله والرجال فتقدم هو من دون بنى عبس الكرام إلى أن صار بين يدى الخيل وقال ويلكم يا لئام غير كرام من تكونوا من عرب الآكام حتى تهجموا على بنى عبس الذئاب الطلس والاسود العبس الذى قد أفنت الابطال ومدت الافيال وقطعت منهم الاوصال (قال الراوى) فلما سمع مقدم القوم من قرواش هذا المقال قال له من تكون أنت من بنى عبس الرجال فقال أنا قرواش بن هانى صاحب الفصل والتهانى فارس الخيل لعدوى ولصديق النيل فلما سمع المقدم على القوم ذكر بنى عبس اهتز على سرجه طربا ومال عجبا ونادى يال قشير وهل تكون طلبتى إلا أنتم يا أشرار لعلى أقضى منكم الاوطار واستوفى بعض الثار ويقر منى القرار وكان هذا الفارس يقال عبد العزة وكان فارسا جبار وبطل مغوار وكان عنتر قد أسره فى أوائل منشأ وقتل ابن عمه وأخاه وذلك فى أيام قتل عون بن بدر وخلص منه أموال مالك بن زهير الذى كان أرسلها إلى بنى غراب ثم أن عنتر أسره ورماه ولما جرى وطالت الايام فبقى فى قلبه علة تتردد ولوعة تتجدد وكانت العرب تعايره بأسر الامير عنتر فيقول تمهلوا على ولا بد من أخذ ثارى وأبلغ أوطارى وكان كلما أراد المسير إلى بنى عبس تمنعه المقادير ولا يجد إلى ذلك من سبيل فكان من القضاء والقدر والأمر الذى تجدد وتدبر أن هذا الفارس ركب فى بعض الأيام فى خمسمائة فارس من قوم بنى قشير وصار يكبس بعض أحياء العرب وعليهم يغير ولما كسب من الاموال والنوق والجمال وسار طالبا منزله والأطلال وإذا به قد التقى ببنى عبس صدفه وجرى ما جرى من الكلام المسطور ولما تقابل الجيشان وتصادمت الاقران قال قرواش لبنى عبس يا بنى عمى.

الغنيمة الغنيمة وأما عبدالعزة فلما رأى تلك الأموال ورأى قلة الرجال داخل فيهم الطمع وعلم أنه فيما يريدقد وقع ولما تحقق أنهم بنو عبس وعدنان تذكر ماله من الثار ثم أنه قفز ما بين الصفين واشتهر بين الفريقين ونادى بأعلا صوته وقال يابنى عبس إلا من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فما بى خفى أنا عبدالعزة بن اللات القشيرى وبعد هذا ما أبقى عليكم لأن لى ثاراً قديم عندكم ولكنى رأيت قلتكم فأخذتنى الشفقة عليكم وقد برزت فى الميدان ومحل الضرب والطعان لأنى لو أمرت هذه الفوارس أن تحمل عليكم بجمعها لطحنتكم طحن الحصيد وشتتكم فى القفر والبيد بل إنى طلبت منكم الانصاف وقلة الاشراف فمن كان منكم فارس كريم يعرف بين الفرسان . فليبرز إلى حومة الميدان ثم أنه صال وجال ولعب برمحه المسال وأنشد وقال :

إذا شئت أمطرت الدمالون عندم وجندلت فرسان الهياج بلهذم
أنا ابن كرام الناس فى كل مشهد أصول عليهم فى الوغا بتقدم
هلموا إلى ضرب السيوف فإننى حرمت وما طعنى على بمحرم
أنا فارس الفرسان ليس مقصر وأقطع رؤس الحاسدين بصارم
فمن كان منكم فارساً ذا حمية يجول نهار الحرب عند التصادم
يجى يلتقى طعنى وضربى فى الوغا ويصبر لمصقول السنان المقوم

(قال محمد) فلما أتم عبد العزة كلامه حتى صار الأمير أسيد بن جزيما قدامه وصاح فيه اسكت يا ابن اللخناوتربية لوتا فقد أتيت بالبهتان والزور وتكلمت بكلام غير مشكور وأنت مدحور ومذلول ولكن من أعتق مثلك فقد أخطأ وكان ذلك منه غيظا وقال له يا ويلك حاميتنا عنتر أطلقك من الأسر والضرر وتعود بعد ذلك إلى الخبث والغدر فأبشر بالدمار وخراب الديار ثم أنه أجابه بهذه الأشعار :

ما الفخر إلا ضرب الهام بالخذم لم أخش الحرب يوم الروع والعدم
أنا الذى ترعب الأبطال سطوته عند اشتباك القنا والخرق تصدم
هل فيكموا بطل يدنو إلى بطل عاداته الضرب فى الإيثال والندم

(قال الراوى) وبعد ذلك حمل على بعضهما البعض وجال كل منهما على صاحبه وقد احترز من طعنه ومضاربه وجال طويلا واعترا كاميلا وفارس فى الأوابد وصبرا على الشدائد وقد علا عليهما الغبار حتى غابا عن الأبصار وكان عبدالعزة فارس جبار يرجح على خصمه الدرهم قنطار فاستجاده بطعنة فى صدره أخرج سنان رمحه يلمع من ظهره فوقع على جواده وغاب عن إرشاده ثم أن عبد العزة صال وطلب الحرب والقتال فلما رأى الأمير قرواش إلى ذلك ضاقت عليه المسالك لما راى عنه هالك فصار النهار فى عينيه كالليل الحالك فعند ذلك خرج

وإليه قد هانت عليه نفسه وأيقن بحلول منيته وصاح فيه وقال ويلك يا ابن الأنذال لقد قتلت بطلا يسوى قومك وأهلك وبنى عمك ثم أنشد يقول صلوا على طه الرسول :

لست أنسى والله ذات الوشاحى ... حتى تأتى بخدها الوضاح
ثم مالت كغصن بان ولاحت ... مثل بدر أو مثل ضوء الصباح
فغرشت ثغرها شهد خمر ... ورحيقا مازجه ماء القراح
ثم قالت يا فارس الخيل تخشى ... فى الهوى من مقالات اللواح
قلت ولا الحطيم والركن والبيت ... هوانى الفارس الجحجاح
بينما نحن فى الدعيش ... إذ أتتنى رزية فى الصباح
فجعتنى وأورثنى خبلا ... فسلبت الأشواق والأفراح
وقطعت المهامة والقفر جهدا ... آخذ الثار فى نهار الكفاح
وأثير حربا عونا وضربا ... فى دجا الليل أو طلوع الصباح
وافتخارى يا آل عدنان دوما ... إذا كنت فى جميع النواح
فابشروا يا بنى القشير بليث ... من بنى عبس ما يمل من الكفاح
قاتل الرجال فى الحرب دوما ... ومبيد العدا بحد الصفاح

(قال الراوى) فلما فرغ شعر قرواش أجابه عبدالعزة على عروض شعره بهذه الأبيات يقول :

لست ممن يعنى بذات الوشاح ... لا ولا يشتغل بحب الملاح
دع صفات الخدود والقد أيقنا ... ثم صف الكاسات والاقداح
مع سليمان ومع سعاد وليلى ... وجميلة وأهل الوجوه الملاح
وصف الحرب والقنا عند طعن ... وضرب المهند الصفاح
قسما لو لقيت بأسود ليث ... عنتر فارس الربا والبطاح
لم أخفه من موقف الحرب يوما ... ومن الطعن أسقه كاسا أطفاح
سوف أشفى نفسى وأبلغ سؤلى ... من بنى عبس مقام الكفاح
وأنا الفارس القشيرى ليث ... وأسمى بقابض الأرواح

(قال الراوى) ولما فرغ عبد العزة من شعره ونظمه زحمل قرواش فى مقام الطعن والجواش وجالا طويلا واعترا كاميلا وتضاد باضربا أحرمن الجمر وتطاعنا طعنا أمر مر الصبر ودام بينهما القتال واشتد الحرب والنزال هذا وعبد العزة يصول على قرواش ويجول ويأخذ الميدان عرضا وطول كأنه الأسد الأ كوال إلى أن أورثه الخيال وأشرف منه على الوبال وقد كثر منه الاغتبال وقل من عزمه النشاط وقد استظهر عبدالعزة عليه وتيقن أنه قدوصل إليه فبينما هما على ذلك الحال وإذا بغبره قدطلعت وعجاجة قدارتفعت وبانت بعد

ساعة وانقشعت وظهر من تحتها بريق الصفاح ولمعان أسنة الرماح * انكشف ذلك الغبار وارتفع ذلك النقع المثار وكان من تحته ألف فارس كأنهم الأسود العوابس وعلى أكتافهم عوامل الأشطان وهم ينادون يا آل عبس يا آل عدنان والأمير عنتر في أوائل الفرسان كأنه الأسد الغضبان أو النمر الحردان وقد أخرج يده من جانب درعه لأن الشجاعة أصله وفرعه وهو ينادي ويقول ويلكم يا أوغاد عودا من السادات الأجواد فقد أتاكم عنتر بن شداد فابشروا بالشتات والبعاد والتفريق في سائر البلاد (قال الراوي) وكان السبب في مجيء عنتر ابن شداد في هذا البر والوهاد عبلة بنت مالك بن قراد لأنها كانت جالسة بين أهلها وإذا بعبد من عبيد الملك قيس قد أتاها وأعلمها بهذه النوبة العظيمة على لسان الملك قيس لأن الملك قيس لما أتى من الصيد والقنص سأل عمه أسيد وابن عمه قرواش وابن أخيه مجيد بن مالك فقال له المتخلفون من بني اعلم أيها الملك المفضال أنهم طلعوا في سبعين خيال قصدوا الغزو على أحياء العرب لأجل المعاش والمكسب فلما سمع الملك هذا الكلام زادت تاره وهدم اصطباره ولما طالت غيبة الرجال زاد عليه الحال وأرسل خلف عنتر البطل الريبال بحثه على قضاء الأشغال ولما سار العبد إلى بحر الفرات لم يدخل على عنتر كما وصفه مولاه فسار إلى عبلة وأعلمها بما جرى وقال لها يا مولاتي اعلمي أن الملك قيس أن بني عبس ركبت في سبعين فارس في طلب غنيمة وأنهم قد انقطعت عنا أخبارهم واختلفت آثارهم فلما سمعت عبلة من العبد هذا الخبر صاحت بعنتر وقد بكت وانتحبت وقالت له اعلم يا ابن العم أن سبعين فارس من بني عبس وعدنان وفيهم مثل قرواش بن هانيء وبشر النعماني ومجيد بن مالك والأمير أسيد بن خزيمة فارس الزمان ساروا إلى طلب المعاش والمكسب من بني قحطان لهم مدة طويلة من الزمان فما بان لهم خبر ولا جلية أثر واعلم أنه قد أرسل إليك عبدا من عبيده الانجاب يعلمك بهذه الأسباب واعلم يا ابن العم أن جرى على بني عبس كائنة وأنت حي يطمعوا فينا العربان وأنا أريد منك أن تقف على آثارهم وتكشف أخبارهم (قال الروي) فلما سمع عنتر من عبلة هذا المقال ونظر بكاها والاهوال فركب في عاجل الحال وأخذ معه عمرو ذو الكلب وأخته قناصة الرجال وتمام المائة فارس من الرجال والافيال وساروا في طلب بني عبس حتى وصل إليهم وكشف عن قرواش بن هانيء المجال وهو أشرف على الهلاك وسوء الارتباك إلا أن بني عبس لما نظروا الى عنتر عاشت أرواحهم وأيقنوا بنجاتهم وأن عنتر لما أقبل حمل على الفرسان وطلب الميدان ثم صاح على قرواش فرجع ورجعوا وراءه واستقبل هو سائر أعداءه وصال وجال وطلب من عبدة العزة الحرب والقتال والطعن والنزال لجمل عليه عبد العزو وهو يقول هذه الابيات :

بنيت المعالي بالحسام والقنا ... أحول عداة الروع يوما إذا خاف

ونحن أناس لا نهمل لثارنا — وكل فتى منا على الضد عطاف
وقومى تشير الخير من ظهر القنا — وأهل السقى والجود فى الفخر قد طاف
أنا البطل الندب الهمام لدى الوغا — احمى عقاب الحرب للقوم خطاف
وإنى لاعطى الرمح فى الحرب حقه — وفى الكف ماضى أبيض اللون شفاف

(قال الراوى) فما تركه الامير عنتر أن يتم شعره ومقاله حتى صاح عليه وقال يا ويلك يا أخس البشر أما كان لك عبرة بما جرى عليك من العبر حتى أتيت تتعرض لبنى عبس مرة أخرى حتى قتلت فارس كريم وبطل عظيم يساوى قوما كثير وجم غفير ولكن وحق زمزم والحطيم ومقام الخليل إبراهيم لاتركت منكم إلا كل فارس رميم ثم أنه أنشد يقول :

فدع عنك يا وغد العشيرة كلها — فخارا وإخساء لا تكن ويلك هتاف
فكل بنى قحطان تعرف بأننى — أنا الفارس الدعاس للحرب زحاف
ومن عظم بأسى تثنى الخيل جزعا — وكل مقام فى الكريهة خواف
وإن بارزنى كنت أول نازل — إليها وقد خاف الجبان وانتاف
وكم فارس خلفته رهينا فى الثرى — فتأتى إليه الوحش فى البر زحاف
فلا تفتخر يا وغد قحطان كلها — لان ليوث الحرب للنقع كشاف
وإنى أنا الدن اليتيم وقيمتى — تغيب عن من لم يكن قط عراف

(قال الراوى) فلما سمع عبد العزة كلام عنتر انطبق البحر إذا زخر ولكن ابن الثريا من الثرى وابن المدن من القرى فجال معه عنتر ساعة زمانية إلى أن عرقت الخيل وقل هنها القوى والحيل وتطاعنا بالرمحين إلى أن كل منهما الساعدين وتضاربا بالسيفين حتى تثلمت الاثنين هنالك أيقن عبد العزة بالهم والخسران وقل الموت عندهما وهان فصرخ الامير عنتر عليه فارهبه وانطبق عليه وأرعبه واستجاده بطعنة فى دفانة صدره طلع الرمح يلمع من ظهره وبعدها حمل على بقية الخيل وانصب عليها انصباب السيل وحمل بعده عمرو ذو الكلاب وأخته القناصة وبنو عبس من اليمين والشمال واحتاطوا ببنى قشير فانزل بهم بنو عبس الوبل ولم يتركوا منهم إلى القليل فولوا مدبرين وإلى النجاة طالبين فعندها جمعوا الاسلاب والخيل والذهاب واخذوا أسيد بن جزيعة من حومة الميدان على جمل بعد ما صبروه وفى ثيابه لفوه وفى بعض الاماكن دفنوه ونحرا على قبره النحائر وبعدها أخذ عنتر يرثيه بهذه الابيات :

يا لقومى من حرقة فى فؤادى — أحرمت عينى لذيذ الرقاد
قل اصطبرى وملنى استجادى — فاعترانى وطال سهادى
كيف صبرى بعد فقد رفاق — كان فى ناظرى مكان السواد

لو وجدنا إلى الفراق سبيلا أو دليلا يهدى لطرق الرشاد
لفديناه بالنفوس وبالمال وجميع أصحابنا مع الاولاد
سوف بكيك يا أسد حين يفنى منى ذاك أصى مرادى
كنت عندى فى منزلة ليس تنسى فى مدى الدهر أذيناى المنادى
آه وحسرتى عليك ولهفى يا قتيل الاوغاد والاضدادى
يا قتيل ثوى بأرض الاعادى مالك اليوم لا تجيب المنادى
فعليك السلام من حامية عبس ما دمت ايامنا فى ازدياد

(قال الراوى) ثم أن الامير عنتر بعد إنشاده الاشعار سار وطلب البر والقفار إلى أن قاربوا من الديار فودعهم عنتر وسار بعد ماسلمهم الغنائم والاموال من النوق والجمال وأرسل معهم السلام للملك قيس بن زهير ولما أمنوا على أنفسهم من الطلب والضير ساروا على أرض الشربة والعلم السعدى واعلموا أن الملك قيس بما جرى عليهم فى سفرتهم منه وأخبروه كيف أن الامير عنتر أنجدهم وهم مشرفين على الهلاك وسوء الارتباك فندم الملك قيس على فراقه وتاسف وأراد أن يسير بقومه يترضاه ويأتى به إلى حماه فهذا ما كان من بنى عبس وعدنان (قال الراوى) وأما ما كان من عنتر والفرسان فإنه سار بمن معه من الشجعان إلى أن أتى إلى منازله والاوطان ولما أن استقر به القرار وأنست به الديار فبينما هو جالس ذات يوم من الايام وإذا بالاسد الرهيص قد دخل عليه وسلم عليه وكان الاسد الرهيص لما كواه عنتر على عينيه سار يبكى الليل والنهار ولكن فى هذه المدة تعلم فيها ضرب النبال وصار يرمى بها الطير على الحس والكلام حتى سمع الطير على أعالى الاشجار يصيح فيرميه بسهم يقتله وكان الامير عنتر لما كحله جعل عليه رسما فى كل عام وكان يأتيه أرض الشربة والعلم السعدى ويأخذ رسمه منه ويعود إلى حلته وعبده نجم فى صحبته ثم أنه يعود من وقته وساعته وكان عبده نجم نار أحرقه وصاعقة سرقة هذا والاسد الرهيص يأكل كفيه ندما وهو يطلب هلاك عنتر وعدمه وما زال الاسد الرهيص فى التعس والتنكس إلى أن سمع أن عنتر غضب من بنى عبس بعد ما قتل عمارة والربيع وصنع بهم أبشم صنيع ورحل بقومه إلى بحر الفرات فعند ذلك أيقن الاسد الرهيص يبلغ مناه وأقام يشم الاخبار وعلى ذلك الحالة (قال الراوى) هذا وعنتر غارق فى أكله وشربه ولهوه وطربه وهو فى عز وأمان وهنا واطمئنان وكان خبره وصل إلى وزير الملك قيصر فى هذه الايام فعزل عمرو بن الحارث الوهاب من ولاية دمشق الشام وقد ولى موضعه ملك من ملوك الروم اللئام يقال له ضيفور بن قيام ولما وصل الخبر إلى عنتر البطل الهمام فركب وسار من وقته وساعته إلى دمشق الشام ولما وصل إليها قتل ضيفور ومن معه من الروم اللئام وعاد عمرو للملك والاحكام فوصل الخبر أتى قيصر فخاف وفزع من شر الامير عنتر

وقد انذهل من ذلك الخبر فعند ذلك أحضر وزيره حتى أن يستشيره فأشار الوزير عليه بأن يرسل إلى الأمير عنتر الهدايا على مهل وان يشكره على ما فعل لأن الملك كان قد عول أن يرسل إلى عنترة جيش كثير لما بلغه ما فعل من قتل الملك ضيغمور وولى عمرو بن الحارث فلما أشار عليه الوزير بأن لا يفعل بالتصر عن ذلك العمل قال له الوزير أيها الملك عوض ما تجعل عنتر عدوا لنا وشقيق أجعله لنا صاحب وصديق وإلا أن كنت ما تسمع كلامى وإلا وحق دينى تحتاج أن ترتب الخراج إلى عنتر بن شداد لأنه بلغنى خبر أنه غضب على قومه ونزل على جانب الفرات والرأى عندى أن تسمع منى وتهدى له هدية حسنة وتميل قلبه فإن هو حضر إلى عندك فتكرمه وترحب به فلعله ينفعنا فى بعض المهمات وإن انت عاديته فربما سعادته تنصره علينا لأنه مسعود وما عاداه أحد إلا ومات مكمود وتفكر يا ملك قبل هذه الايام ما فعل معك من الاكرام (قال الراوى) فلما سمع الملك قيصر هذا الكلام من وزيره فتميزه بعين خبرته فرآه صواب واستهم من وقته وساعته فى تحصيل هدية وعزل مائة وخمسين جنيب من الخيل العربية بمراكب الذهب وعشر جوار روميات ومع كل جارية صندوقين من القماش المفتخر وفى خدمة كل جارية عشر جوار من جميع الأجناس ومضارب وخيام وبوقات وأعلام وغلمان وخدام وأرسل الجميع مع الوزير وأوصاه بسرعة الجد والتشمير وأن لا يأتى من عند عنتر إلا بأحسن خبر فعند ذلك سار الوزير بهذا المال المعدود وسار الليل والنهار وهو يقطع الفيافى والقفار إلى أن وصل إلى جانب الفرات وقد قرب من المنزل الذى نازل فيه عنتر فعند ذلك أرسل الوزير من يبشره بقدومه فسار البشير إلى أن وصل الأمير بن شداد وأخبره بخبر الوزير فعند ذلك وثب عنتر كأنه الليث القسور وركب على ظهر جواده الأبجر وركبت جميع رجاله وأقياله وسار عنتر والأمير عمرو ذو الكلاب عن يمينه وقناصة الرجال عن يساره وما زالوا يجدون المسير إلى أن التقوا بالوزير ونظر إلى ما معه من الأموال والخير والنوال ففرح عنتر بهذا الحال وقد رحل فى عاجل الحال اليه واعتنقه الوزير وسلم عليه فانحنى الوزير وقبل صدره فقبل عنتر يديه وشكره وأثنى عليه ثم قال لا تحسب يا أبا الفوارس أن الملك نسيك لما نزلت إلى جواره وحللت بالقرب من دياره ثم أنه قدم الهدية اليه وأحضرها بين يديه فى قال له هذه تقسمها ثلاث أقسام القسم الأول اليك والثانى إلى صديقك عمرو وأصحابه والثالث إلى محبيك فلما [سمع] عنتر من الوزير هذا الكلام والمقال فاستحسن منه تلك الفعال ولا سيما لما رأى تلك الأموال والتحف الغوال فقال له أيها الوزير والسيد الكبير وحق ذمة العرب الكرام من معد وعدنان ما أنا للملك قيصر إلا مثل بعض العبيد والغلمان وإن كان له عدو ليس له به من طاقة وقد افترى عليه فأنا أسير له وآخذ روحه من بين جنبيه فقال له الوزير وحياتك يا أبا الفوارس هذه الهدية من عند الملك على

سبيل المحبة والمودة ماهى من جهة دوو إنما أراد بها التقرب إلى قلبك حتى أن الملك عنده جانب من حبك فحمده عنتر وشكره وأقام الوزير عند عنتر فى الضيافة إحدى وعشرين يوما هم فى أكل وشرب وفرح ولعب ما يمضى عليه يوم حتى ينظر الوزير الهدايا داخلة على عنتر من مدينة عانة ومن خرت ومن بنى بكر والرحبة وبنى وائل ومن الحلة والكوفة والبصرة والنصرة ونصيبين وجميع ما حواليه من البلدان وجميع حكامها تهاديه وتتقرب بالهدايا إليه فلما نظر الوزير إلى ذلك قال وحق المسيح لو كان الملك قيصر نزل بنفسه فى ذلك المكان ما كان أحد يهاديه مثل هذا الإنسان (قال الراوى) ولما انقضت أيام الضيافة طلب الوزير الانصراف والعودة إلى بلا خلاف فخلع عليه الامير عنتر وقد أعطاه شيأ كثير من الاموال والخيول الغوال والنياق والجمال وهذا بتذر إليه من التقصير لديه وشكره وأثنى عليه ثم أنه ودعه وسار طالبا القسطنطونية وهو يقطع الفيافى والقفار إلى أن وصل إلى الديار ودخل على الملك قيصر وأخبره بجميع ما عاين وأبصر من الهدايا التى دخل بها عليه من أبى الفوارس عنتر فلما سمع الملك من الوزير هذا الكلام قال له أيها الوزير هذا رجل مسعد وما أعطى أحد مثل ما أعطى الفارس الأسود ولا بد ما يبقى ذكره بعد موته إلى الابد ولقد سعدنا بمصادقته واسترحنا من شره وما ندته هذا وقد أقام الملك قيصر مدة من الزمن وهو فى أمن واطمئنان إلى إن كان يوم من بعض الايام وإذا قد وصل إليه رجل بكتاب من رومة المداين الكبرى من عند ابن أخيه وكان اسمه بلقام بن مرقص فاخذ الملك الكتاب وناوله إلى الوزير فقرأه عليه واسمعه ما فيه قال الراوى وكان السبب فى ذلك أن ملك من ملوك الافرنج يقال له بهنمة ابن نوران وكان هذا الملك أخو الخيلجان الذى قتله عنتر من قديم الزمان لما كان عنتر ملك دمشق الشام واجتمع به وهو عائد مع الملك قيصر من حصار كسرى أنوشروان والتقاهم فى أرض العارمنيات الذى ازل بها عنتر الآن وأخذ عنتر من قيصر الرهاين وسارت عنكم إلى بلادها بعد قتل ملكها وكان له ثلاث أخوات منهم نوبرت وسوبرت الذين قتلوا معه ومنهم كوبرت الذى جرى لعنتر من تحت رأسه ما جرى وسبب قتله الى لملك الليلمان وابنه سرجوار والملك صافات ملك جزائر الواحات وابن الدير والشاهد والملك ميخائيل والملك عان والملك جنطيائيل وما جرى فى هذا الديوان سمعتوه أيها السادة أولو العرفان وطربت عند سماعه الآذان وكانوا كسروا كوبرت واصطلحوا معه بعد أسره وكان ما كان وكان لهم أخ أصغرهم عمرا وأشدهم باسا وأقوى مراسا وكان لما قتلت إخوته وهو صغير فلما بلغ مبالغ الرجال وطلع بطلا من الابطال فسار يغزو فى البحار وملك الجزائر ومن حولها من البلدان وأقرت له الجزائر بالفروسية والشجاعة والهمة وملك موضع اخيه وجلس على كرسيه فتجبر وطغى واستكبر وبغى وبقى يركب فى مائتين ألف فارس من كل مدرع ولابس وبعدها سأل عن سبب

موت اخوته فاعلمه قومه وعشيرته بأن قاتلهم فارس من عرب الحجاز يقال له عنتر بن شداد فارس البراري واخبروه كيف حالهم وسبب هذا الفساد وتنمر دوملك هذه البلاد قال الراوي سمع هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلام وقال وحق المسيح والدين الصحيح والراهب لوقا الشكيح لابد من العزو على قيصر وقتل عساكره واجناده ثم أنه من وقته وساعته أمر رجاله وعشيرته أن تعمر المراكب وتوسقها بالذخائر والرجال والعدد والزرد والعمد الثقال وجميع ما يحتاج إليه من آلة الحرب والقتال فكانت هذه المراكب التي عمروها ألفا وستمائة مركب في سنة كاملة حتى تمت له جميع الاحوال وبعد ذلك ركب وهو وجميع من تبعه من الرجال والابطال وشال المراسي وحل القلاع وسار في البحر الكثير الاتباع وجعل قصده أول العزاة رومة المدائن الكبرى وكان الحاكم فيها بلقام مرقص كما ذكرنا وهو ابن أخت الملك قيصر وكان هذا الامام فارس شديد وبطل صنديد وكان شاب عاقل ولبيب فاضل وبطل جبار وليث مغوا إلا أنه لما نظر إلى تلك المراكب اقبلت إلى الميناقام بغلق أبواب البلد ونصب على الابواب آلة الحرب والحصار من المنجنيقات والفرادات وكانت هذه المدينة من جملة المدن الكبار المذكورة لانها بناية لفرس ولها أربعة وعشرون برج وخمسة وعشرون بدنه وطولها فرسخ بالعراق وعرضها مثل ذلك هذا وقد دام عليها الحرب والقتال خمسة وأربعين يوما ليلا ونهار فلما نظر ابن أخت الملك قيصر إلى ذلك القتال الشديد والحرب المبيد تضايق غاية الضيق وتخلى عنه العدو والصديق فارسل ذلك الكتاب إلى الملك قيصر واخبره بذلك الخبر فلما علم بذلك لحقه الفزع وخاف على المدينة لئلا تملك منه فالتفت إلى وزيره وقال له أيها الوزير الكبير أخبرني كيف يكون الحال والتدبير فقال له اعلم أيها الملك المظفر ان ما لهذا الأمر المدبر إلا أبو مفوارس عنتر الأسد الغضنفر والموت الاحمر وهو أن ترسل إليه وتعلمه بالخبر وكيف ملك الافرنجية وسطا علينا لكنا لاجل أخذ ثاره وكشف عاره لانه أخو الخلنجان الذي قتلته وأنا اعرف يا ملك أن عنتر إذا سمع بهذا الخبر فما يقعد عنه بل إنه يأتي إليه ويقلع منه الاثر (قال الراوي) فلما سمع الملك قيصر كلام الوزير قال له هم ما أشرت به من الرأي والتدبير أيها الاب الكبير ثم إن الملك من وقته وساعته أمر الوزير أن يكتب إلى عنتر كتابات ويعلمه بجميع الخبر فلم تكن إلا ساعه حتى كتب الوزير كتابا الى عنتر وأرسله وذكر فيه جميع الاسباب وأرسله في ساعة الحال إليه من غير تفنيد مع خيال فارس بجد المسير ليلا ونهار بلا هدو ولا قرار إلى أن اشرفوا على بحر الفرات وقصدوا أبيات عنتر ونزلوا عليه وقبلوا الارض بين يديه وأعطوه الكتاب فتناوله منهم ودفعه لمن يقرأه فقرأه وفهم مضمونه ومعناه فتعجب عنتر من ذلك الشأن وتفكر في تصاريف الزمان وأرسل في تلك الساعة إلى الأمير عمرو ذي الكلب فاتى في الحال وصار بين يديه وأعلمه بما جرى وقرأ ذلك الكتاب عليه

وأخذ في المشورة وأمر الملك قيصر ونوبته فقال له الأمير عمرو يا أبا الفوارس من الواجب أن تصير إلى نصرته وتكون من جملة جنده ورعيته وتركب إلى خدمته وان تهلك جميع أعدائه وحساده وتقتل هذا العدو وتهد أركانه وأجناده ولو يكرن الملك كسرى هدمنا إيوانه وقطعنا عساكره وأعوانه لأنه قد بدأنا بالإحسان وصار له علينا فضل وامتنان (قال الراوي) فلما سمع الأمير عنتر كلام عمرو ذو الكلب استجاد رأيه وأنفذ في ساعة الحال خلف الرجال والأبطال لأخذ الأهبة للمسير حتى يكشف عن الملك قيصر ذلك الأمر العسير وينزل بعدواه الذل والتدبير وكان صحبته من بني عبس ألف فارس منهم زيد بن عروة وسبيع اليمن وأبطاله وجنده وجده الأمير بحير وخاله وانضاف إليه من بني غسان نحو من خمسة آلاف عنان لأن الأمير عنتر لما صار إلى الشام وقتل ضيغور بن قام ونصر عمرو بن الحارث وأخذله وضع أبيه بالسيف فاختارت سادات بني غسان أن يكونوا عنده في أعز مكان وقد صاروا مقيمين على مجرى الفرات بالمال والعيال ولما إن جرت هذه الأمور والأهوال وبعث الملك قيصر يستنجد به على الحرب والقتال بجميع ما عنده من الرجال والأفيال فعندها تجهز الأمير عنتر وركب في ساعة الحال في سبعة آلاف فارس زيار وخلف على حفظ الحلة والمال أيضا قناصة الرجال وترك معها مائتين فارس من بني قضاعة وأمرهم بالسمع والطاعة وأوصاها بالمال والنوال والأهل والعيال فقالت له سر يا أبا الفوارس وطيب قلبك من هذا الحال وقر عينك يا زين الرجال فوحق الملك المتعال لو أتى كسرى بكل من العساكر والأقيال لما قدروا أن يأخذوا من مال عقال فعندها طاب قلبه وعلم أنها كمؤ لذلك ثم أنه شكرها وأثنى عليها وصار من وقته وساعته طالبا الملك قيصر وهو يقطع الفلا والبر الأقفر إلى أن وصل إلى القسطنطونية العظمى ودخل على الملك قيصر وقبل الأرض بين يديه ففرح قيصر وأقبل عليه وقال أهلا وسهلا ومرحبا يا أبا الفوارس ويا زين المجالس شرفتنا بنقل أقدامك يا من يكشف الأدهم ربطلها الضيغم فشكره عنتر وحمده على ذلك وقال له أيها الملك أدام الله أيامك فأنت تعلم أني أنا وأصحابي من بعض خدامك فعند ذلك أقبل الملك قيصر إلى عنتر وقص عليه الخبر وحدثه بحديث يمنة أخي الخيلجان وسوبرت واوبرت الذي تلهم عنتر من قديم الزمان وكيف أنه خرج من بلاد الافرنج في اربعمائة ألف مقاتل وحاصر رومة المداين ثم أنه حكى له جميع ما جرى على التمام فعندها وعدها الأمير بالنصر والظفر ففرح الملك قيصر وخلع عليه وعلى كل من كان معه وقال عنتر وحق البيت الحرام وزمزم والمقام لأجعلنهم أحدوثة بين الأنام فعند ذلك أمر الملك قيصر بالمضارب والخيام والجنائب هذا وقد نزلت العرب الذين أتوا في صحبته على ظاهر البلد وأفرد الوزير لعنتر ولعمرو وذو الكلب وسبيع اليمن وزيد بن عروة ووجوه القبيلة الدور والقصور الملاح وأقاموا في الضيافة والاكرام

والدعوات مدة سبعة أيام متواليات وهم على أكل طعام وشرب مدام وعز وإكرام (قال محمد) ولما أن كان في اليوم الثامن أخرج الملك قيصر ستمائة ألف فارس وقال يا أبا الفوارس خذ معك هذه العسكر والفرسان تعينك على هذا الأمر والشان فلما سمع الأمير عنتر من الملك قيصر هذا الكلام قال أيها الملك المفضال دعني من هذا المقال وهون على قلبك هذا الحال فالأمر يسير والخطب حقير واعلم أيها الملك أنني وحق الرب القديم ما عودت روحي أن أسير بعسكر كثير وأنا أقضي هذا الشغل بهذه الفرسان الذين معي وأعود (قال محمد) فلما سمع الملك كلام الأمير عنتر تعجب غاية العجب وأخذه المرح والطرب وقال في نفسه وحق رب العباد ما أقول إن على وجه الأرض والمهاد أشجع من عنتر بن شداد ثم أنه قال له يا أبا الفوارس ما بالاحتراز من باس ولا بد من أحد الناس فخذ الآن معك مائتين ألف فارس وأنت بهم حامي وحارس فقال له أيها الملك المظفر إن كنت قد جهزت مثل ذلك العسكر فإيش بقيت تعمل بعبدك عنتر أنا لم أريد أقضي هذا الشغل إلا بروحي ولا أكلف أحدا معي (قال الراوي) فلما سمع الملك قيصر من عنتر كلامه ضحك وزاد ابتسامه وقال له يا أبا الفوارس إذا كان كما تقول فخذ معك مائة ألف فارس والكل يكونوا تحت رأيك واحسب أنهم من جملة جماعتك وأنا أخبر الناس بقوة قلبك وشجاعتك فاستحى الأمير عنتر منه وانتحى وقبل يديه فعند ذلك أمر الملك قيصر الوزير الأ بر أن يحصر الجيش والعسكر ويسيرهم في صحبة الأمير عنتر وأن يكونوا من تحت أمره وطاعته فقال الوزير السمع والطاعة ثم أنه خرج من ذلك الوقت وتلك الساعة وعرض العساكر الدساكر وانتقى من خيارهم خمسين ألف مقاتل لأن الأمير عنتر حلف لا يأخذ إلا النصف من المائة ألف فنفاهم وعرضهم (قال الراوي) هذا وقد باتت العساكر والأجناد تلك الليلة ظاهر المدينة وهم يتفقدون العدد والزرد ولم يزالوا على مثل هذا الرواح إلى أن أصبح الله بالصباح فعندها ركبت تلك العساكر وتبادرت الدساكر وقد صار في صحبته الأمير عنتر بعد استئذانه من الملك (قال الناقل) هذا وقد سارت الزحا كأنها البحار الزواخر وقد سار الأمير عنتر ومن حوله الفرسان والأقران وعلى رأسه الرايات والأعلام والصناجق في أيدي الخدام هذا وقد ضربت الكوسات ونفرت البوقات وارتفع ضجيج العساكر من جميع الجهات حتى هربت الوحوش ونفرت في تلك البراري والفلوات ثم سارت العساكر ليلا ونهار وغدوا وابتكار وهم يقطعون البراري والقفار إلى أن قربوا من تلك الديار ومن مدينة رومة المدائن الكبرى (قال الراوي) ولما قربوا منها نظروا تلك العساكر محيطة بالبلد من كل الجهات وأهلها في ذل عظيم وخطب جسيم وقد أشرفت البلد على الأخذ والتسليم وكان ملك الافرنج قد قاتل أهل رومة المدائن قتال شديد وذاقوا منه حربا كيدا يذوب له الحديد وقد أقام على حصار البلد مدة تسعة شهور إلى أن ضاقت منهم الصدور وخاروا في

جميع الأمور وفرغ ما كان عندهم من الزاد والعليق الذى كان مدخوراً فعند ذلك وقع بهم الذل والأسف والضرر والتلف وقد أيقنوا بالسبي مع من لم يعرف وكان لبلقام صاحب المدينة أخت يقال لها نور المسيح ذات عقل رجيح ووجه صبيح وحسن مليح وكانت احسن أهل زمانها وفريدة عصرها وأوانها وما لها نظير وهى مثل القمر المنير والغصن النضير بعيون كأنها عيون المها وجسم كالقضيب إذا انثنى وقد حازت جميع الحسن والجمال المصون وكانت من شفقتها على أخيها ومحبته لها لم يسمح لأحد بها فى هذا الزمان من الفرسان فلما طال عليهم الحصار وبلوا بالحرب والقتال الليل والنهار فعول على أنه إذا دجا الليل يأخذ أخته ويطلع بها ويطلب النجاة لكنه خائف من أهل رومة المدائن وقد علم أنهم إذا افتقدوه تخلوا عن البلد ويسلموها إلى الأعداء فرجع وقعد وزاد به الهم والنكد وخاف أن يطول عليه المطال وأن يملك الافرنج البلد بغير اختياره وتنهتك بين الورى استاره وتسبي حريمه وعياله فزاد به الهم واعتراه الخوف والهم فعند ذلك بكى وأن واشتكى وتشرق بالدموع وتنفس من قلب موجوع فقالت له أخته نور المسيح أقل من هذا البكاء والنحيب وكن كما قيل عند أرباب الفن الأدب الصلاة على خير العرب .

إذا النائبات بلغن النها ... وكادت تذوب لهن المهج
وحل البلا وضاق الفضا ... فعند التناهي يكون الفرج

(قال الراوى) ثم قالت له يا أخى لعل أن يأتى فرج قريب ويخف عنا ذلك الهم والتعذيب وبعد ذلك يا أخى بأى وجه تروح الملك قيصر وإيش الذى تقول له سبيت بلدك بين فيها من العالم وأنيك روحى سالم والله يا أخى ما يشكرك أحد من العالم بل تبقى معيرة فى سائر البلاد والمعالم وعند سائر الخلائق غرباً وشرقاً ولو رأى أنك تصبر على الحرب والقتال صبر الرجال الأقيال على المهمات الثقال (قال الروى) فلما سمع الملك بلقام من اخته نور المسيح هذا الكلام تنبهت عزيمته وتحركت نخوته وفى ساعة الحال طلب الرجال والأبطال وأحضر الشجعان والأقيال ووعدهم بالخلع والأموال وقال لهم يا قوم كأنكم بالعسكر وقد أتت من عند عمى الملك قيصر ومن صبر فلم يخسر فلما سمع أكابر الروم مقاله وافقوه على فعاله وقالوا له أيها الملك لو أضرمت النار وقلت لنا اخمدوها ولو أمرتنا بخوض البحر لخضناها ثم أنهم خرجوا من عنده ومضوا إلى الأبراج والأسوار وقاتلوا قتالاً عظيم بترك السالم سقيم والمعافى عديم ودام القتال بمهمل وعظم النزال وكثرت الأهوال وزاد البلاء والبلبال هذا وقد اعتمدوا على رمى الصخور والأحجار من فوق الأبراج والأسوار ورموا بالنبال فأصابت مقاتل الرجال وأهلكت الأقيال والملك بلقام كل يوم يخرج بخواص الرجال إلى الميدان ويوقع الحرب والطعان فدام بينهم الحرب والقتال مدة أيام وليالى إلى أن ولى الجبان

وطلب الهرب والفرار فعند ذلك تفطرت المرائر وأصابت السهام والمحاجر وعاد الغبار وكاس الموت دائر وتهشمت الخواصر وحكم عليها بالفنا عالم السرائر (قال مجد) هذا وقد دام الحرب والقتال على هذا الحال مدة أربعين يوم حتى فرغ الصبر وقر العتب واللوم وقتل من أهل المدينة أبطال وتجندل منهم أقيال وخافت الناس وزاد الأمر عن حد القياس وحل بهم القلق والوسواس وطار منهم كل رأس وانهدم الأساس وكثر الدعاس وضاقت منهم الانفاس ولمع صارم المنايا مثل المقياس فبينهم على هذه الاحوال وقد أيقنوا بالسبى والاذلال والهلاك والوبال وإذاهم بالعسا كر وقد أقبلت والغبار قد طلعت وتروبعت ثم أنجابت علت ولم تسكن إلا ساعة حتى ضربتها الرياح فنقطعت وظهر من تحتها مواكب وكتائب كأنها الجراد المنتشر فى الهواء وفى مقدمتها فارس الطراد عنتر بن شداد ومن خلفه فرسانه الأجواد وأبطاله الشداد وخلفهم خمسون ألف من الروم كأنهم الأطواد (قال الأصمعى) فلما رأت أهل مدينة رومة المداين إلى هذه العساكر التى كأنها البحار الزواخر فرحت وتباشرت وايقنت بالنصر على الأعداء من بعد ما كانت ولت وانكسرت فرجعت إلى نحو الافرنج وحملت وعلى القتال عولت وساعدوهم أهل المدينة بالحضور والأحجار من فرق الابراج والأسوار وقاتلوهم قتالاً يذهل النظار ويحير الخواطر والأفكار فلما نظرت الافرنج إلى هذه الأخطار زاغت منهم الابصار ورأوا أعداءهم وقد وادوا فى قتالهم وقوت قلوبهم بقدوم الرجال والأقيال هذا وقد نظروا إلى تلك العساكر الدساكر التى قد ملات الأرض فى الطول والعرض فعند ذلك أنكفوا عن الحرب والقتال وقد رجعوا إلى وراءهم بمقدار فرسخ طريق (قال مجد) هذا والعساكر القادمون قد أطلقت أعنة خيلها إلى أن وصلت إلى عساكر الروم وفتحت لهم المدينة وأمروهم بالدخول إليها فقال الأمير عنتر للوزير الصدر المشير أنا والله ادخل إلى هذه المدينة وبين أهلها احضر إذا لم أقضى حاجة الملك قيصر وأسقى ملك الافرنج الموت الأحمر وأخلى عسكره من بعده مشتتين فى البر الأقفر والحقه بالحقه باخوته وأعدمه مهجته (قال الراوى) فلما سمع الوزير من عنتر هذا الكلام أبدى الضحك والابتسام وأيقن بالنصر والظفر وعلم بأن أقوى من الحجر ثم أقبل وقال له نعم ما أشرت به يا أبا الفوارس ويا زين المجالس ثم أن الوزير أمر بان تضرب الخيام خارج المدينة فضربت ومدت الطوايل للخيل وتوات تلك العساكر كأنها السيل وقد استراحت الرجال والخيل فلما نظر ملك الافرنج إلى ذلك الأمر المدبر وكيف أنه قد رجع عن المدينة وعسكره تقهقر بعد ما ايقن أنه ملكها وظفر لأن الملعون فى نفسه ليثا قسورة وفارسا غضنفر إلا أنه لما رأى ذلك الحال جمع أرباب دولته وكبراء مملكته مع رؤساء عشيرته وأهل رأيه وأهل مشورته وقال لهم يا أولاد الكهاينة لا يهولنكم ما قد رأيتم وحق المسيح الظاهر

لم أخل الأول منهم يلحق الآخر واجعلهم لكم غنيمة قال المؤلف فلما سمعوا تلك الأقوام مقالته صدقوا مقاله لما كانوا يعرفون منه من تجبره وأحواله وكم صدم فرسان في بطل فقالوا له أيها الملك وحق العذرة أم النور لو أنك أمرتنا بهدم الجبال لهدمناها ولو خضت بنا البحار لخضناها ولو التقيت بنا أهل الأرض للقيناها فلما سمع الملك كلام أصحابه طاب قلبه وانحلت أوصابه هذا والعساكر قد باتت تحرك بعضها بعض إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فركبت الفرسان الجرد القداح وخرجوا يطلبون الحرب والكفاح واصطفت العساكر وتركبت العساكر وتهيئت الميامن والمياسر إلا أنها ما صبرت ولا تمهلت بل أنها على بعضها البعض حملت ولاعنة خليها ارسلت والسيوف امتشقت وللرماح انتضت وشرعت والرجال الرجال طعنت وزعقت أسود الحرب ودمدمت ونزلت عليهم كاسات المنية ونهمت ووقعت المضارب على الجماجم فانتثرت وفاضت الدما وطمت وقدحت نار الحرب واشتعلت والتقت الاسنة بصدورها ونازعت وقاتلت قتال الأسود إذا استقلت وطلع زوابع والقتال والقتام وقد علت وامطرت الجيشان وحملت الفرسان والتقت الجمعان وعمل السيف السنان فى الجسوم والأبدان وطعنوا بالأسمر المران وطارت الجماجم من على قامات الابدان ونقط الدم من على الميدان وسال على الأرض مثل الغدران وبقت الارض كأنها حلة أرجوان وزاد الخصب وعمل الصارم العضب وجال الشجاع الندب وفر الجبان من الكرب وقد فنى كل شجيع وشب وطعن الفرسان براس السنان نواعم الابدان وحامت عليهم النسور والعقبان وتأخر النذل الجبان وتقدم كل بطل عزمان وضرب بالعضب اليمان فنثر الفرسان وجندل الاقران وبقيت الدماء على الارض تجرى كأنها غدران ودمدمت أسود الحرب وزادهياج وفنيت فيه الغبائر وعملت البواتر وصار الجنان حاير وبان الرابح من الخاسر وتهتكت الستائر وفتحت المقابر وفنيت الاصاغر والاكابر وقد دهس الامير عنتر فى الافرنج دهس الاباعر ورحلهم إلى المقابر ولعب برمحه فى صدورهم والمحاجر وداست الخيل جماجمهم بالحوافر فلله فارس بنى عبس الادهم وياله من اسد ضيغم لانه قهر الفرسان وجندل الاقران فى حومة الميدان واذاقهم الذل والهوان هذا والحرب قائم والضرب دائم والقتيل فى الدم عايم وهبت عليهم نسايم السمايم وعنتر عليهم كالاجل وقد افنى بطعناته وضرباته أكثر هذا العالم واقعد كل قائم وايقظ كل نائم وعادت الافرنج قدامه مثل البهائم وأبلاهم بالحرب الدائم ولم تزل على هذا الحال إلى أن ولى النهار وستحال هذا وملك الافرنج قد نظر إلى الارض وقد ملئت بالقتلى من قومه وأصحابه فغاب من هذا الفعل صوابه وداخله الفزع وقد حل به الهم والجزع وبعد ذلك افترقوا الجيشان ونزلوا العسكران واوقدوا النيران وتحارسوا الفريقان فعند ذلك اجتمعت الافر

والبطارقة والعلوج الزنادقة ودخلوا على ملكهم وشكوا له ما قاسوا من عنتر وما لاقوا منه من الموت الأحمر في هذا اليوم الذي كان عليهم أغبر (قال الناقل) فلما سمع الملك كلامهم ورأى شكواهم وسقامهم فعلم جميع أحوالهم فعند ذلك أقبل عليهم وقال لهم ياقوم أنا أعلم أن ما أفنى جمعكم ونزل الذل بكم كلكم إلا فارس بني عبس الأدهم وليثها الضيغم وأنا وحق ديني أن ثاري ما هو إلا عنده من دون الروم وهو الذي قتل إخوتي وأطال عليهم حسرتي فوحق عيسى بن مريم لا برزن إليه وأذيقه كأس أمر من العلقم وأتركه مخضب بالدم وأوريه في حومة الميدان المدم بضرب وطعان يذهل الأعيان ويزيل النعم ويترك الشجاع جبان وآخذ بثار إخوتي سوبرت ونوبرت وخيلجان فلما سمعوا الافرنج من ملكهم كلامه عرفوا قصده ومرامه ثم أنهم قالوا له أيها الملك اكفنا شره وشؤمه ودعنا نحن نكفيك مؤنة قومه ولو أنهم بعدد النجوم التي تحت النجوم فقال لهم الملك أما في غداة غد أخرج إلى برازه وأكفيكم شره وأصرم لكم عمره ثم أنهم بعد ذلك تفرقوا الدنام بعدما أكلوا شيئا من الطعام (قال الراوي) هذا وقد أوقدوا النيران وتحارسوا الفريقان وما زالوا على مثل ذلك الحال إلى أن أذن الله الليل بالارتحال وظهر النهار بالابتكار فعند ذلك ركبت العساكر واصطفت الدساكر وهمت العساكر أن تحمل على بعضها البعض وإذا بفارس برز من بين عساكر الافرنج يريد الكر والفر وهو راكب على حصان أشقر عال من الخيل مضمر مدور الحوافر صنعة الملك القادر وعلى هذا الفارس ثوب من الزرد كثير العدد كأنه عيون الجرد وهو مطلي بالذهب الأحمر وعلى رأسه بيضة عادية كأنها الفضة النقية وسائر العدة التي عليه تأخذ البصر وتحير العقول والفكر وهو راكب على جواده كأنه الأسد العابس وفي ركابه أوفى من خمسمائة فارس فلما توسط الميدان صال وجال ولعب في أربع جنبات المجال ونادى وقال يا معاشر الروم إلا من عرفني فقد اكتفى ومن لم يعرفني فأنا أخبره أنا الملك بهمنة بن الملك بوران أخو الملك خيلجان ملك الأرض والبلاد الذي قتله عنتر بن شداد وأنا ما خرجت اليوم إلى حومة الميدان ومنعت الفرسان عن القتال إلا حتى آخذ من عنتر بثاري وأكشف عني عاري (قال نجد) فما استتم كلامه إلا وعنتر صار قدامه وناداه ويلك يا عابد الصور يا أوحش البشر تلقى فارس البدو والحضر أبا الفوارس عنتر الفارس الذي أتيت تطلب منه الثار يا كلب يا غدار ثم حمل عليه والتقاه بقلب قوي وجنان جري واصطدما والتحما وأخذا في الصد والرد وتباعدا وتقاربا وتهاجما وتصادما إلى أن جرى منهم العرق وازورت الحدق وبقيت أرواحهم كالعلق قال المؤلف وكان ملك الافرنج لما أن برز إلى حومة الميدان أخذ تحت فخذه ثلاث حراب كل واحد كأنها شهاب إلا أنه لما أراد عنتر حربه وعلم بأنه فارس غضنفر فقال في نفسه ما أنا لا أقاتل هذا العبد بهذه الحراب لأنه بدوي تربية البراري والهضاب ولا يعرف من أبواب هذا الحرب ولا

بالباب ثم أنه استلب حربة من تلك الحراب وهزها فى يده حتى تلوث طرفها وضرب عنتر بها فخرجت من يده كأنها شاب وكان الأمير عنتر محترزا من حربته ولما أن وصلت إليه وقربت لجثته سحبها على رابق درقته بحسن صنعته وكثر حاها بخبرته فعند ذلك زج إليه الثانية وقال أنها تكون لعمره فانية فلما رآها عنتر وهى إليه واصلة اختطفها من الهوى بما أعطاه الله من الحيل والقوى وضرب بها صاحبها فخرجت من يده مثل الصاعقة المبرقة فالتقاها الملك بهمته بالطارقة فخرقتها أسرع من البرق ودخلت فى وسط بدنه بتابوت صدره خرجت تلمع من ظهره فمال عن الجواد وسقط على وجه الثرى والمهاد وصار يلعب بيديه ويضرب الأرض بكفيه وقدميه ولما نظرت الافرنج إلى ملكهم وقد قتل حملت على الروم وهجمت واختلطت العساكر بالعساكر وطلعت عليهم الغبائر ودارت الدوائر وتهتكت الستائر وفتحت المقابر ونزل على الافرنج قضاء القادر وحكم عليهم بالقنا عالم السرائر هذا وقد سارت تلك العساكر ما بين غالب ومغلوب وناهب ومنهوب وسالب ومسلوب وناكب ومنكوب وسالم ومعطوب ونزل على الفريقين ما حكم به عليهم علام الغيوب فلم تكن غير ساعة من النهار حتى ولت الافرنج الأدبار وركنوا إلى الفرار وقد لعب السيف فيهم إلى آخر النهار فعند ذلك وقعت البشائر فى أهل المدينة وقد فرحوا بما تم عليهم وجرى هذا وقد رجعت الفرسان والأقران من القيعان فتلقتهم أخت الملك بالمقام صاحب المدينة وهى بنت أخى الملك قيصر وتقدمت فى هذا النهار بالمسك والزعفران وقد دهنت جواد عنتر لأنه وقع لها فى قلبها محبة عظيمة وقد ألقى الله محبته فى قلبها وزاد من فروسيته تعجبها وذلك مما كانت تسمع بما عنه من فعله قبل أن تراه لأنها كانت تسمع هلاك من الجبابرة العتاة هذا والأمير عنتر سائر ما بين تلك الفرسان لأنه لابس حلة من الارجوان هذا وجميع البطارقة قد ترجلت وصارت فى ركابه ومشت فى خدمته وكانوا كلهم من بطاربة الروم وعنتر بينهم كأنه القمر بين النجوم وهم يدعون له ويثنون عليه والوزير إلى جانبه والملوك من حواليه ولم يزل الواقف سيرهم إلى أن دخلوا إلى قصر المملكة هذا وقد نصبت لهم أسرة من العرعر المصفح بالذهب الأحمر فعند ذلك جلست الملوك والأمراء والسادات الكبار مثل الأمير عنتر والوزير وابن أخو الملك قيصر وكثر بينهم الانبساط ولم تكن إلا ساعة حتى مدوا لهم السماط وفيه من سائر أنواع الطعام ورتع فيه الخاص والعام وأكثروا للأمير عنتر فى الكلام والإكرام إلى أن اكتفوا من أكل الطعام وبعدها قدموا آنية المدام وهى كلها من أنواع الذهب والجواهر والياقوت الأصفر وأنهم ما زالوا فى أكلهم وشربهم والمزاح إلى أن أصبح الله بالصباح وقد داوموا على مثل ذلك الرواح إلى أن أقبل الليل وما زالوا على هذا المنهاج والاهتمام مدة سبعة أيام وفى اليوم

الثامن عزم الامير عنتر لى الرحيـــل وسرعة التحويل بعد ماشاور الوزير فى ذلك الحال فقال له يا أبا الفوارس وحق دينى لك عندى بشارة فقال عنتر وماهى البشارة فما زلت بالخير مشير فقال له اعلم يا حامية عبس أن ابن أخى الملك قيصر بلقام صاحب هذه المدينة التى خلصتها له بقائم سيفك وقتلت أعداه وحساده من بعد ماكان أشرف على الهلاك والدمار وخراب الديار وهو الآن اختار بأى شىء يجازيك فاوجد عنده أعز وأحسن من أخته المسكة مريم وقد أراد أن يزوجك إياها ويأخذك له عمدة فى كل شدة ويروم اتصال النسب رعاية فيك من شدة محبته لديك وإنها والله يا أبا الفوارس مليحة زمانها وفريدة عصرها وأوانها فايش ترى من الرأى يا بطل الزمان ويا قاهر الاقران (قال الراوى) فلما سمع الامير عنتر ذلك الكلام أخذه الإنذهال وتحير من تلك الافعال ونادى وقال معاذ الله يا ولاى إن أخذ على فعل الجميل برطين وبعد ذلك فان الملك قيصر قد ملك عنقى ورقى بما أولانى من الجميل وقد غمرنى بعطائه وإحسانه وأنا والله يا ملك ما أصلح أن أكون من بعض غلمانه وهذا شىء مكروه عند الروم وعند العرب والعجم مذموم ولا يجوز أن يتزوج الإنسان من غير أبناء جنسه أيها المخدوم (قال الناقل) فلما سمع الوزير من الامير عنتر مقاله قال له صدقت يا أبا الفوارس ولكن الملك بلقام قال فى نفسه بأن أخته وسائر أهل مدينته عتقاء حد سيفك وأمناء خوفك ولو ملكها أحد من الاعداء الاشرار كان استملكها كما يتملكون الجوار وكانت تبقى فى خدمته الليل والنهار (قال الراوى) فلما سمع عنتر من الوزير هذا الخطاب سكت ولم يرد جواب بل إنه قال له أيها الوزير دمها امرتنى به قبلت ولا اخالفك فيه ولعلى على بعض إحسانه اجازيه وكان أعجب مافى ذلك أن الله تبارك وتعالى قد ألقى محبة الامير عنتر فى قلب هذه الجارية حتى أنها حرمت النوم وامتنعت من أكل الطعام وشرب المدام وقد زاد بها الوجد والغرام وقدى عليها الهوى والهيام والماكة وجدها الغرام فأعلمت أخاها الملك بلقام وشرحت حالها بالتمام وقالت له اعلم يا أخى انى من حبى فى هذا الفارس الكرار وقد أدنى الهم والاضرار وكل منى الاصطبار وإن مضى هذا الفارس راح من هذه الديار وما أنا معه فقد هججت على وجهى فى القفار ولا يعرف لى أحد خبر من الاخبار قال الراوى فلما سمع أخوها مقالها ورأى بكاها وأهوالها فقال يا أختى وحق المسيح إن مرادى لو أخذلا جاريه لاجله إحسانه وفعاله فلعلنا نجازيه على أعماله حتى كنا نفتخر لشجاعته عند كل قائم وجالس ولكن سوف أتحدث مع الوزير فى مثل هذا التدبير وأتركه يتحدث مع الامير عنتر فى هذه الامور والخبر (قال الراوى) وكان هذا الحديث بينه وبين أخته فى ظلام الليل فلما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فأتاه الوزير لاجل السلام فتحدث بلقام معه بذلك الكلام وقد أخفى ما حل بأخته مريم من الوجد والغرام وقد أراد

أن يتقرب إلى الأمير عنتر بزواج أخته (قال الراوى) يا سادة يا كرام ولما سمع الوزير الأكبر من الملك بلقام هذا الخبر فوثب وقام يتمشى إلى أن دخل إلى الأمير عنتر وأعلمه بذلك الخبر وقد فرح واستبشر وقال له ما أخالفك فيما فعلته ومهما أشرت به على فعلته فعند ذلك فرح الوزير بإجابة عنتر وفى ساعة الحال أخذه ودخل إلى قصر الملك وأخبر الملك بأن الأمير عنتر قد رضى بما جرى فلما سمع الملك بلقام بذلك الخبر ففرح بزواج أخته إلى الأمير عنتر وفى ساعة الحال أخذه بيده وصالحه وتاكحه وفى هذا الوقت البشائر وقد فرحت الإماء والحرائر الأصاغر والأكابر وأما القصر فإنه قد انقلب بالفرح وقد اتسع صدر كل من فيه وانشرح ومن تلك الليلة اهتم الملك بلقام فى تصليح شأن الزواج وقد اجتهد فى محافل العرس والفرح الدائم وعمل الولائم وقد فرح كل قاعد وكل نائم وارتعت الناس فى الولائم وأكلوا الناس الطعام وشربوا المدام ولم يزالوا كذلك هم على هذا الحال مدة سبعة أيام تمام وهم فى عز زائد وإكرام ولما كان فى الليلة الثامنة جليت الملكة مريم على الأمير عنتر ابن شداد وكان ليلة تذكر فدخل بها فوجدها أبهى من الشمس والقمر وهى طيبة القناص ودرة الغواص ودخل بها الأمير عنتر من ليلته وقد بلغ منها كل منتهاه ومراده بغيته وبات عندها تلك الليلة التى تعد بليال وقد راق له تلك الزمان بصفو وعيش وخلو بال ولم يزل عنتر فى والانبساط والانشراح إلى أن أصبح الله بالصباح هذا وقد وقعت بينهم المحبة وسار لعنتر فى قلبها منزلة ورتبه وصار الأمير عنتر يبيت كل ليلة وهى فى ملك عظيم وحال مستقيم وفى جنة نعيم مدة سبعة أيام وفى كل ليله يمتد بين يديه السماط وجميع من بصحبته من السادات وبنى قراد وهم يرتعون فى الضيافات والدعوات بالعز والكرامات وماز الوا على مثل ذلك الحال مدة ثلاثة شهور متواليات وبعد ذلك عزم عنتر على المسير وطالب الرواح ياخيبر فأخبر صهره الملك بلقام بهذا المرام وقال له أريد منك أيها الملك الكريم أن تكون كريمتك الملكة مريم وأنا أبقى أزورك كل قليل من الأيام قال فلما سمع الملك بلقام من الأمير عنتر ذلك قال له يا أبا الفوارس هذا شىء متعلق بالنساء وأنا أعلم أن أختى مريم لا تقدر تصبر عنك وحق دينى ساعة واحدة فى الصباح ولا فى المساء ولكن إن شاء الله تعالى أشاورها فان هى رضيت بالقعود عندى حفظتها لك بطاقتى وجهدى وإن كانت تطلب منك الرواح فيكون فراقك وفراقها أشد من فراق الأرواح ثم أنه قام الملك بلقام على الأقدام ودخل القصر على أخته وأخبرها أن الأمير عنتر يريد السفر إلى عند الملك قيصر حتى يعلمه بما جرى وتدبر (قال الراوى) فلما سمعت الملكة مريم من أخيها ذلك المقال صعب عليها وضاق صدرها وتربطت يديها وقالت يا أخى وحق دين المسيح أنى لا أفارق بعلى وأينما سار أكون معه بين أهله وعشيرته لأنى ما أقدر على فراقه يا أخى ولئن كان تقول أنك ما تعطينا مال ولا نوال ما أخذنا

شيء (قال الراوى) فلما سمع أخوها مقالها مع ما كان يعلم من أحوالها قال لا وحق السيد المسيح إن هذا الحديث الذى قد خطر ببالك ما هو قصدى وإنما مرادى أن لو أخذ عنتر سائر ملكى وما تملكه يدى ولكن هو الذى أراد ذلك ثم أنه خرج من عندها وأتى إلى عند الأمير عنتر وأخبره بهذا الخبر وقص عليه جميع ما جرى وتدبر (قال الناقل) فلما أن سمع الامير عنتر هذا الكلام المنتظم زاد فيها رغبة ومحبة ولكن اختشى من عتب عبلة وقناصة الرجال وخاف من تكدير عيشة وما هو فيه من الحال فسكت عن قصص وعلم أن مريم ما لها فى القعاد بعده غرض فقال فى نفسه أنا أعلم أن هذه الجارية ما تطلب قعود فى البرارى والقفار من بعد سكن المدن والامصار ولكن أنا آخذ هذا معى إلى أن أصل إلى الملك قيصر وأودعها فى مدينة القسطنطونية لانها على كل حال إبنة أخيه وأنا أدخل عليها فى مثل ذلك وتكون بالقرب من هناك وأكون قد أمنت منت قناصة الرجال وعبلة ابنة مالك ثم أن الامير عنتر قام على الاقدام ودخل على مريم وقد ضحك فى وجهها وتبسم وقال لها يا مريم وحق بارىء النسيم ما عندى أعز منك ولا أسافر إلا بك وما قلت هذا المقال إلا كرامة لاخيك أن لا يكون لم يهون عليه فراقك وما سير خطوة إلا بكى (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمعت الملكة مريم من الامير عنتر هذا الكلام فرحت وطاب قلبها وانشرحت وقالت له سيدى أبو الفوارس وحق سيدى المسيح ومارى حنا المعمدان لقد كرهت من أجلك الاهل والاوطان وما بقى لى عنك صبر وما سلوان يا بطل الزمان وفريد العصر والاوان (قال الراوى) فلما سمع الامير عنتر منها هذا الكلام عذرها لاجل ماذاق من طعم المحبة والهيام وقد علم أن الفرقة بين المحب والمحبوب صعبة ثم أنه بعد ذلك جهز نفسه للمسير وقد علم بذلك الوزير فقال له نعم الرأى يا أبو الفوارس ما بقى غير التجهيز ثم أمر الفرسان أن يتجهزوا إلى الرحيل والسفر وقد فرح بذلك واستبشر لانه طالت سفرته وكثرت غيبته لانه قد أقام فى مدينة رومة المدائن تسعة أشهر وهو فى الذ عيش وأهنا طيش هذا وقد صحى واستفاق من خمر العشق والمدام وتذكر هوى عبلة الذى سكن فى لحمه والعظام هذا والملك بلقام قد أخذ فى تجهيز أخته ثم أمر الخدام والغلمان بنقل سائر ما كان لاخته من الرحال والاثقال والصناديق الذى تنقل فيها الاموال والجواهر والتحف الغوال وكذلك الخيل والبغال وقد أقامت الخدام والغلمان تنقل فى مال الحريم إلى ظاهر الخيام ثلاثة أيام على التمام (قال الراوى) وفى اليوم الرابع رحلوا واستقاموا على الطريق وما بقى لأحد منهم تعويق هذا وقد خرج مع الملكة مريم من بنات الروم مائة وخمسين جارية كانهن الاقمار أو النجوم أو اللؤلؤ المنظوم ومن ورائهم من الدواب ثلثمائة بغل محملين قماش ومتاع وحلى وعقود جواهر ومن كل شىء فاخر وأشياء ليس لها أول ولا آخر ثم صار الامير عنتر والوزير إلى جانبه والاغلام والرايات

على رأسه تخفق ولم يجسر أحداً من فرسان عنتر أن ينطق (قال الراوى) هذا وقد سارت العساكر والدساكر فى الليل والنهار غدوا وابتكار ولم يزالوا على تلك السية إلى أن أشرفوا مدينة القسطنطونية وقد صارت قدامهم البشائر إلى الملك قيصر بوصول العساكر وأخبروه بما فعل الامير عنتر فى ملك الافرنج وعساكره ففرح بذلك غاية الفرح واتسع صدره وانشرح ثم أنه ركب من ساعته وخرج إلى لقاء الامير عنتر هو وجميع من معه من أرباب الدولة والوزراء وأهل الصولة وتلقاه من مسافة فرسخ طويل من المدينة هذا وقد التقت المواكب بالمواكب والكتائب بالكتائب فلما نظر الامير عنتر مواكب الملك قيصر ترجل من على ظهر جواده الابجر وهرول إلى أن وصل إلى عند الملك قيصر وانحنى وقبل رجله فى الركاب فانحنى إليه الملك قيصر وقبله بين عينيه وشكره وأثنى عليه وأشار له بالركوب وحلف فعند ذلك عضده الوزراء من تحت أباطه حتى أنه ركب على ظهر مركبه وأخذه الملك قيصر بجانبه وقد أخذ يحادثه ويحاوره من دون سائر أهله وأقاربه ثم صارت المواكب وتتابعت الكتائب وتقدمت من كل جانب وقد اشتبكت الاعلام والرايات على رأس الامير عنتر بن شداد والملك قيصر ملك الروم صاحب الاقاليم والبلاد ومعهم الحجاب والامراء والنواب وهى ماشية على الاقدام وكلما تقربوا من المدينة تترسل إليهم الفرسان من كل جانب وكان حتى لم يبق أحد راكب سوى الملك قيصر والامير عنتر وعنتر كان عم وأراد أن يترجل يمنعه من ذلك الملك قيصر ولم يزالوا سائرين على هذا الحال والانتقال والحركة إلى أن دخلوا إلى قيصر المملكة وقد نصبت لهم الكراسى من الفضة الحجر والذهب الاحمر والابنوس والعاج المعظم بالجوهر وقد أتوا وجلسوا على قدر طبقاتهم وأجلس الملك قيصر عنتر على كرسى الذهب جانبه وسار يحدثه ويباسطه ويمازحه ويلاغيه ويستخبره عن أحواله وهو يجيبه إلى سؤاله إلى أن حكى له على ما جرى له وما تم من أحواله (قال الراوى) فلما سمع الملك قيصر هذا الحديث من عنتر أخذه الفرح والطرب وقد هز رأسه وتعجب من هذا الحديث والخبر وقد فرح بزواج ابنة أخيه إلى الامير عنتر ثم ان الملك قيصر بعد ذلك امر بمد السماط فمدوه جميع الالوان وقد أكلت الناس وجميع الجلاس وقد أكل الملك قيصر مع عنتر بن شداد (قال الراوى) وما زالوا على أكل طعام وشرب مدام ورفع مقام وعز وإكرام وهم على مثل ذلك المرام إلى أن اكتفى الخاص والعام مدة عشرة أيام فلما كان فى اليوم الحادى عشر أمر الملك قيصر بإحضار آنية المدام بعد ما اكتفوا من الطعام فنصبت الاوانى وقد صفت الاباريق والقنانى وترصصت الكؤوسات وملئت الطاسات وشربوا من ذلك المدام الذى صفى وراق وصار كأنه دموع العشاق إذا جرت من الآماق فى ليالى الهم والفراق ولم يزالوا على مثل ذلك الاكرام والانعام وهم فى أكل طعام وشرب مدام ورفع مقام إلى ان كان فى يوم

من الايام اشتاق الامير عنتر إلى ابنة عمه عبلة وإلى زوجته الهيفا قناعة الرجال وإلى الأهل والعيال وسكان تلك الحلة والديار والاطلال ولما انقضت أيام الضيافة أقبل الأمير عنتر على الملك قيصر وتنهد وتحسر وقال أيها الملك المفضال وحق الملك المتعال أنى اشتقت إلى الديار والأطلال ومن فيها من الاهل والعيال فقال له الملك قيصر يا أبا الفوارس أنه يعز على فراقك لان قلبي فى كل ساعة يشتاقك فقال له الامير عنتر وقد وجد لكلامك مضرب أيها الملك أنى اريد من جودك واحسانك وفضلك وامتنانك أن تخلي زوجتي الملكة مريم عندك وأن تجعلها بين نسائك واهلك وأنا أجيء إليها فى كل قليل من الايام فإنه مالى إلى أحدها من سبيل أيها الملك الجليل (قال الراوى) فلما سمع الملك قيصر ذلك الكلام من عنتر فرح به واستبشر وما صدق بهذا الخبر وقد أمل بذلك أنه يأتى إليها فى كل قليل (قال الراوى) ثم انه فى ساعة الحال أمر أن يخلوا إلى الملكة مريم بيتا من داخل قصره الخاص والعام أمر الخدم والغلمان أن ينقلوا جميع ما لها من الفرش والمتاع والاثاث والفرش وأن يضعوهم فى ذلك المكان وبعد ذلك قد فعلوا ما أمرهم به الملك قيصر وفى اليوم الثانى استهم الامير عنتر إلى السفر فخلع عليه الملك قيصر الخلع الحسان وخلع على جميع من كان عنده من الفرسان والأقران الذين هم من بنى عبس وعدنان وبنى قضاعة وبنى غسان وأكثر للامير عنتر من الا والزاد من التحف الغوالى ولمن كان معه من الرجال والابطال وقاد إليه الخيل السودة الغوالى والنوق والجمال وقد أعطاه المضارب والخيام وجمله بالرايات والأعلام والجوارى والخدام وأنعم عليه إلى أن غمره بالعطايا والانعام وبعد ذلك ركب الملك قيصر إلى وداع عنتر وما زال سائرا حتى أبعد عن مدينة القسطنطينية مقدار فرسخ طريق فنزل الامير عنتر من على ظهر جواده الابجر وقبل فى الركاب قدم الملك قيصر وحلف عليه ورجعه بذلك الجيش والعسكر . قال أيها الملك الاظفر وحق البيت العتيق المطهر لقد أغنيت عبدك عنتر وأسعدته بين البشر فلا زلت مسعودا مظفرا بين العرب والعجم والبدو والحجر فعند ذلك قبله الملك قيصر بين عينيه وشكره وأثنى عليه ورجع وهو فرحان بهذا الحال وسار الامير عنتر طالب الديار والأطلال وهم فى صحبته من الرجال والابطال وقد اشتاق إلى عبلة بنت مالك وإلى جانبه الامير عمرو ذو الكلب وزيد بن عروة وسبيع اليمن وباقى الرجال وقطعوا الطريق وهم يتسامرون بالحديث والكلام وقد أعطاهم الامير عنتر من الاموال وتحمله الجمال هذا وهم سائرون فى الليل والنهار يقطعون البرارى والقفار وتلك السهول والاوعار مدة واحد وثلاثين يوم إلى أن قربوا من الديار ودقل من الامير عنتر الاصطبار إلى نظر الحبيب ولقياه من قريب إلى أن وصلوا إلى بحر العرب ت ودخلوا إلى الحلة فعند ذلك التقته عبلة قبل الجميع فلما رآها ترجل إليها وأخذها فى حضنه وقبلها

وسلم عليها هذا وقد فرحت الناس المقيمين بالقادمين وتعمرت المنازل بالنازلين وقد انشرحت الأوطان بالقاطنين وانشرحت الأهالي والجيران بالمحبين وقد باتوا في هناهم والاكرام والعز والانعام ولما كان في ثاني الأيام صنع الأمير عنتر دعوة عظيمة وقد ذبح فيها الذبائح وقد عزم كل غادر ورايح وقد انتعمت الناس في أكل الطعام وشرب المدام وأقاموا على مثل ذلك المرام وهم في عز وإكرام سبعة أيام وثمان ليال تمام وكان الأمير عنتر قد أقام على بحر الفرات مدة سبعة أعوام وهم في الذعيش وأهناه وقد خافته جميع العربان وأتته الهدايا من سائر الأضمان وقد صارت الملوك تهاديه وهو مقيم في هذا المكان (قال الراوي) فهذا ما كان من عنتر وأصحابه الكرام وأما ما كان من الأسد الرهيص نسل اللئام فإنه كان دائماً يترقب أخبار الأمير عنتر ويسأل عنه كل ما غاب أو حضر وكان قد وصل إليه خبر عنتر أنه رحل إلى بلاد الروم من أجل عدو قد ظهر للملك قيصر فبقى دائماً يستنشق الخبر من المسافرين والحضر إلى أن وصل إليه من العالم أن الأمير عنتر قد عاد سالم غانم من بعد أن هالك في بلاد الروم جميع الخوارج والطغاة وقد عاد بصحبة العافية وطيب الحياة وهو مقيم على جانب بحر الفرات وقد أقام في ذلك المنزل المليح وهو سائر ملوك الأرض تهابه وهو مستريح قال الراوي فلما أن سمع الأسد الرهيص بذلك الخبر تأوه وقد زاد وجده وبلاه وأوقدت النار في قلبه وأحشاه وقد تذكر ثاره وما جرى عليه وكيف كحله الأمير عنتر أعمى عينيه ولا ترك له بصراً يبصر به لا من قدامه ولا من خلفه ولا من بين يديه فزاد به الهم والبلبال وتغيرت منه الأحوال ومن عظم ما قد أصابه وجرى عليه هول أن يسير إلى الأمير عنتر ويتسبب في هلاكه بكل ما يقدر عليه فعند ذلك أدعا بعبده فأتى إليه ووقف قدامه وقبل يديه وقال له ما الذي تريده يا مولاي وإيش الذي تدعوني إليه فقال له ويلك ولد الزنا وتربية الأمة الخنا أما تعلم بما قد جرى على من بني عبس اللئيم وانظر كيف تركني رهين وحزين (قال الراوي) وكان له من حين كحله الأمير عنتر اثنين وعشرين عام وستة أشهر ثم أنه قال للعبد ويلك يا ابن حام أنت تعلم ما جرى وكيف أن عنتر تركني عبرة من دون الورى وقد آن لي أن أخذ منه بالثار وأكشف عني العار وأنا قد وصل إلى الخبر أنه مقيم في بحر الفرات في ذلك البر الاقفر والمهمة الأغبر وأنه قد رجع وعاد من بلاد الروم وتلك المعالم والرسوم وهو سالم ومعه أموال وغنائم وأنا مالي نظر أنظر به الطريق وإلا كنت سرت إليه وأعدمته السعادة والتوفيق وأنا عولت أن أخذك معي وأسير إليه وأكمن له في بعض الدحال والغابات التي

حواليه وأخذروحه من بين جنبيه لأن هناك يانجم دحال يقال لها دحال العارضيات ولعلى أن أجد لى منه فرصة من الفرص نار بيه بنبلة يكون فيها حمامه . فدانواحت عن قلبي الغصص بموته وإرغامه (وقال الراوى) فلما سمع العبد نجم من مولاه كلامه ومقاله رق له ورثى لحاله وقال له يامولاى إذا كان الأمر كما خطر ببالك فافعل الآن ما بدالك فانى والله ما أخالف مقالك وأتبعك فى جميع أحوالك فقال له الأسد الرهيص يانجم وحق السميع العليم ما رضيت انى أموت إلا كريم ولا أعيش لئيم فلعلى الرب الكريم رب زمزم والحطيم رب موسى وعيسى وإبراهيم أن يبلغنى من قتل عنتر العبد الزنيم والوغد اللئيم الأريدوان يمكنى من هلاكه وصرعته واتلاف روحه ومهجته لأنه إذا نزل القضا والقدر لا ينفع الحذر كما قال بعضهم حيث يقول صلوا على محمد الرسول

إذا أراد الله أمراً بامرىء	وكان ذا عقل وسمع وبصر
أصم أذنيه وأعمى قلبه	وسل منه عقله سل الشعر
حتى إذا أنفذ فيه حكمه	رد عليه عقله كى يعتبر
فلا تقل فيما مضى كيف جرى	فكل شىء بقضاء وقدر

(قال الراوى) فلما سمع العبد نجم من الأسد الرهيص ذلك القول فقال له يامولاى أعزم بنا على المسير فى هذه الساعة فأنا لك من تحت السمع والطاعة فقال له يانجم أنا قد عزمت على ذلك ولو أننى أكون هالك هذا وقد شد العبد لمولاه على ناقة سفانه كأنها اليمامة الرفافة وقد حمل عليها جلالها ووضع الحطام فى رأسها واستوى الأسد الرهيص على كورها وقد أمل من الأمور يسيرها وقد أخذ قوسه وكنانته وهى ملانة بالنبل المسموم وأثار العبد تلك الناقة وأخذ زمامها بيده وسار طالب أرض العراق والأسد الرهيص إلى لقاء عنتر مشتاق ولما أن تمادى به المسير أيقن بكل خير ورفع صوته وأنشد يقول صلوا ياحاضرين على طه الرسول

تجافى مذنى عينى ورقادى	وطار النوم عنها بالسهادى
وأسهر مقلتى وأعمى عيونى	وأبلانى بهم فى فؤداى
فوا أسفا على أخذى لثارى	بحد البيض والسمر الهادى
عسى الأيام تسعدنى عليه	وتسعفنى على أنفى مرادى

(قال الراوى) فلما فرغ الأسد الرهيص من أبياته جد فى قد الفلاه إلى أن وصل إلى جانب الفرات وقد أكمنه عبده نجم فى دحله مشتبكة الأشجار كثيرة الأطيار الأنهار قال الراوى وكانت هذه الأحجة مقابلة خيام بنى عبس وعنتر وبنى ما بين الفرات والأنهر وكانت خيم عنتر مضروبة على جانب الفرات الآخر . وهى بقرب الماء منصوبة وأن الأسد الرهيص لما أنزله عبده من الأحجة خفق فؤاده من سماع ضرب المزاهر وعنا الواهات وزن خاق

الجنكيات وهدير القه ورونبيح الكلاب وضجة النجع وتوريد البنات وكلام الفرسان عند أكل الطعام وشرب المدام وأهل الحلة تحت العز العزيز والحرز الحريز وذلك بهيبة حاميتهم عنترة الفرسان لأن هيبة الأمير عنتر كانت قد دخلت في قلوب كل العربان وجميع من سكن البراري والقيعان (قال الراوي) ولما نظر العبد إلى ذلك فأيقن أنه وهو هالك فقال له والله يا مولاي لقد خاطرت بنفسك غاية الخطر ولا يليق لأحد أن يأمن القضاء والقدر وأنا والله ما أرى لك إلى عنتر وصول ولا لك إليه سبيل وحق الملك الجليل فلما سمع الأسد الرهيص من عبده نجم ذلك الكلام قال صدقت يا عبد الخير في هذا الخبر ولكن حق الإله الذي علا ثم اقتدر إذا نزل القضاء والقدر عمي البصر وإذا أراد الله أمراً هيأ أسبابه ولعل الله أن يكون جعل قتل هذا العبد ومنيته على يدي وها أنا مختفي في هذه الأجمة والقوس والنبلة في يدي فاذا سمعته رميته بها وهي مسمومة فان أصابته فما أريد بعده مهلة وقد رميت بالهلاك من بعده ولا أعيش ساعة واحدة لأن النار في قلبي مضرمة وموقدة فقال له العبد افعل ما بدا لك فاني ما أخالف مقالك ولا أراجعك عن فعالك وها أنا منتظر لأعمالك (قال الراوي) وكان بين الأسد الرهيص وبين مضارب عنتر وشط النهر قدر رمية السهم وأكثر ثم أنه أقام مكمن ذلك اليوم وهو منتظر إلى ما يبدو من فعال القوم وما زال إلى أن تهود الليل وهدرواقه وعسعس الظلام باغساقه فقال للعبد نجم ويلك أخرجني إلى برة الأجمة وأشرف بي على الحي يخسن عزيمتك وقوة الهمة لأني أسمع أصواتهم بعيدة عني فهيا قربني إليهم قليلاً فلا جعلني الناس يتحدثون بفعالي جيلاً بعد جيل فعند ذلك أخرجه العبد إلى برة الأجمة وأتى به إلى شفير النهر ولم يخش من نائبة ولا معلة وأقعده مقابل أبيات الأمير عنتر فقعد ينتظر القضاء والقدر وبرك على ركبتيه واوتر قوسه على كلتا يديه وفوق النبلة في كبد القوس بكل ما يقدر عليه (قال الراوي) وأعجب ما جرى من الاتفاق والخبر وانفاذ المشيئة وأحكام القضاء والقدر الذي لا مهرب منه ولا مفر وكان عنتر في تلك الساعة نائم بجانب عبلة فسمع نبيح الكلاب قد علا وكثر حتى دوت منه جنبات الفلا فعندها قام وخرج من المضرب وصاح على أخيه جرير وقال له ويلك أنظر ما الخبر وما بال الكلاب في هذه الليلة تكثر من النبيح والصراخ من ناحية هاتيك الأجمة (قال الراوي) واتفق أن تلك الليلة كانت مظلمة شديدة السواد معتمة فقال جرير لأخيه والأسد الرهيص يسمع والله يا ابن الأم ما أعلم ما الذي بدا لي لأن هذا ظلام شديد ما أقدر فيه ولا أقشع ولكن يا ابن الأم أرى نبيحها كله من ذلك الجانب من النهر وهذا هو عندنا إلى صوب الحي إلا أنه من شدة الظلام ما تعين لي شيء (قال الراوي) فلما سمع عنتر كلام جرير وثب من موضعه وثبة الأسد الشرير وفي الحال لبس أثوابه وأخذ حسامه في يده ومشى إلى جانب النهر وصار يمشي على شاطئه وهو يتكلم مع أخيه هذا والأسد الرهيص

يسمع كلامه ويصغى إليه فسمعه يقول لأخيه جرير ماهو إلا من بعض الطلائع وقد قصد إلينا يتجسس فى جانب الحلة ليرسل بعض الخيل من بين أيدينا كأنه قد سمع عنا أننا قد قل حيلتنا وقرارنا وأنا والله ياجرير وحق الملك القدير صاحب المشيئة والإرادة والتدبير الذى هو يوسا وس الصدور عليم وخبير وهو على ماشاء قدير لو هجمت على أمة ربيعة ومضر لأذقتها الموت الأحمر الذى لا يبقى ولا يذر إلا فلا أكون عنتر ابن شداد ووهيهات وحق الملك الجليل أن يقدر سلال أو كاب محتال أن يقدم علينا بحال من الأحوال لأن ماله إلى مثل ذلك سبيل ولا يقدر يأخذ من حى عنتر لا كثير ولا قليل (قال الراوى) ومن تمام القضاء والقدر الذى ماالعبد منه مهرب ولا مفر أن الأمير عنتر لما أن قام من منامه قد أتته إراقة الماء فجلس إلى الأرض وجعل يتأمل طولا وعرض وفى جلوسه اتفق أن وجهه كان مقابل الأجمة التى فيها الأسد الرهيص وكان الملعون على ما أراد أن يفعله حريص (قال الراوى) وكان الأمير عنتر إذا أراد أن يريق الماء تسمع له صوت وهدير كدوى الرحا فى البئر لأن هذا الأمر من قوة همته وشدة عزيمته وكان إذا بال على حجر فيثقبه من شدة حبله وقواه الذى ركبه فيه الإله إلا أن الأمير عنتر لما أن هدر يريق الماء فصعد له دوى وهدير فسمعه الأسد الرهيص فلم يكذب خبره دون أن خرج من كنانته سهما سقى بكاس الحمام وقد وضعه فى كبد ذلك القوس واستوفى عليه إلى أن حك الإبهام فى شاربيه وأطلقه على حس دوى إراقة الماء فخرجت تلك النبلة من فم ذلك القوس تدوى وتزعق مثل الشهاب الثاقب والبلاء الصائب إذا نزل من السماء طالب فلم يشعر الأمير عنتر إلا وتلك النبلة قد وقعت فى وسط مخصاه وقد دخلت وغاصت فى وسط أمعاه كل هذا جرى والأمير عنتر لا يقتحم مزح ولا تزوم منها ولا تضعضع ولا تحرك من ذلك الموضع (قال الراوى) وكان أخيه جرير واقفا على رأسه ولم يرى ما قد جرى عليه ولا عرف ما وصل من الأذى إليه غير أنه سمعه ينشد ويقول صلوا ياحاضرين على النبى طه الرسول

يا من رمى على الصوت ما أخطانا	فأصاب قربتنا وبدد ماءنا
يا أيها الرامى بنبلة قوسه	لاقيت منا شرنا وأذانا
فلقيت رمية النبل صبت لقربة	أخرقت منها الجلد ياشيطانا
أذيتنا فيهـــا بضربة نبلة	وقطعت منا العرق والشريانا
أتلفتها بالنبل حين أصبتها	وخرقتها وقطعت منها رجانا
الله يقطع منك وفدك عاجلا	وتذوق ضربا دائما وطعانا
لو كنت أعلم من رماك لنحونا	يانبل فى ليل يريد خيانا
لأذقته كأس المنية عاجلا	وتركته للوحش والعقبانا

(قال الراوي) فلما فرغ الامير عنتر من هذه الابيات فسمعه الاسد الرهيص فظن أن السهم أخطأه ووقع في قربة ماء السقاء من عظم ما دخل عليه من الرعب والفزع والخوف والجزع وانشقت مرارته ومات من وقته وساعته وخرجت روحه من جثته فلا رحم الله أرضا حوته ولا رحم الله أهله وعشيرته (قال الراوي) فعند ذلك تقدم إليه عبده نجم وكلمه فلم يرد جواب ولم يبد كلام ولا خطاب فمد العبد يده وقبضه من زنده وحركه فوجده قد مات وحلت به الآفات وقد فرط فيه الفرط وفات فعند ذلك تركه مرمى في موضعه وبعد عنه ولم يستطعمه بل قد أسرع ونهض مثل البرق وركب على ظهر ناقته من شدة خوفه وعظم دهشته وقد أرخى لناقته الزمام من غير توان وصار طالبا ديار بني نبهان وهو من الامير عنتر خائف وفزعان وهو لا يصدق أنه ينجو من الموت والهوان فهذا ما كان وما جرى من الخبر وأما ما كان من أمر عنتر فانه قام على الاقدام وصار طالبا أبياته وأخوه جرير يمشي قدامه وهو من خلفه وهو يتوكأ على سيفه وهو يتململ مما جرى عليه وقد أظلمت الدنيا في عينيه وما زال وهو على مثل ذلك الحال إلى أن دخل مضربه وأعلم عبلة بما جرى له من تلك الفعال فانزعجت عبلة وبكت وانتحبت ولطمت وولولت وانقلب الحي بسكانه وانزعجت قطانه وخافت شيوخه وشبانه وتبادرت إلى نحو الامير عنتر النساء والرجال وأخذوا يسألونه عن سبب ذلك الحال وكذلك عمه مالك وولده عمرو وزخمة الجواد وسائر بني قراد فسألوه عن حاله فأخبرهم بجميع ما جرى له وقال لهم وبعد ذلك ما أدري كيف ذهبت وما علمت بباطن هذا الامر إن كان من هذا الجانب أو من الآخر (قال الراوي) فلما أن سمع جرير منه ذلك الاقوال فقال وحق ذمة العرب لا بد ما أكشف ذلك الحال ثم إنه رمى ما كان عليه من لباسه وقد كثر وجده وضاقت أنفاسه وعلا بكاؤه وانتحابه وغاب عنه لاجل ما حصل لأخيه صوابه وقد رمى روحه في البحر سباحة ولم يركن إلى هدو ولا راحة وما زال يسبح في النهر إلى أن عبر إلى الجانب الآخر وطلع إلى البر ومشى يتجسس في المقر وإذا هو قد وجد الاسد الرهيص مرميا على شفير النهر معفر والقوس والنبلة بجانبه وهو مقبر (قال الراوي) فلما نظر إليه جرير عرفه وقد حقق معناه فصاح بعد ذلك رأس حرباه ووجه باطنه على وجهه بحجر إلى ان ادماه وصار عبرة لمن يراه ثم عاد جرير إلى اخيه عنتر واخبره بما رأى ونظر وحدثه بجميع ما أبصر فعند ذلك ايس الامير عنتر من نفسه وقد أيقن بحلول رمسه ثم انه امر اخاه جرير أن يأتيه بالاسد الرهيص إلى عنده ففعل جرير ما قد اشار إليه ومضى وأتى به إلى بين يديه فلما نظر الامير عنتر إليه وفكر في احواله وما تم له وما جرى اشتاقه من فؤاده معلول مدبول وقلب بالهم مغلول وانشد يقول صلوا على طه الرسول

مرض العدو واسرني ... وبضره وبموته نلت المنى ... في يموت واشتفى

ويزول عن قلبي العنا   وأقول بعـــد حلوله   ونزوله دار الفنا
دعني أعيش مسربلا   بالخيش وأكتسب الثنا   وأرى عدوى ميتا
وفى الحرير مكفنا   وأدعس برجلي قبره   وأقول تدرى من دنا
وأنشد بشعرى قائلا   وفى حديثي معلنا
من عاش بعد عدوه   يوما فقد بلغ المنا

(قال الراوى) يا سادات يا كرام صلوا على البـــدر التمام ومصباح الظـــلام ورسول الله الملك العلام صلى الله عليه وسلم ولما أن فرغ الأمير عنتر من هـــذه الأبيات نادى وقال ها أنا عشت من بعدك ولا نلت منى مرادا ولا وقصدا ولكن يا فرحة فرسان العرب إذا مت وشربت كأس العطب ولكن قد جعل الله سبحانه وتعالى لكل موتة سبب وهذا حكم من عن الابصار احتجب ثم أمر أخاه جرير أن يجمعوا الاسد الرهيص الحطب ويحرقوه فى النار ويرموا رمادة فى النهر بعد الحرق والتلف حتى لا يكون له قبر يعرف فلا رحم الله صداه ولا بل قبره وثراه وجعل النار مسكنه ومثواه هذا وقد قبل جرير من أخيه عنتر مقاله وتأسف عليه كيف يموت ويتلف حاله ولو أمكنه الفدا لكان بالروح يفديه ولا كان يموت وتمدمه جميع خلانه ومحبيه (قال الراوى) هذا وقد بات الأمير عنتر طول ليلته وهو أرق متململ فى أمر عظيم وغلم أن حاله غير مستقيم فعند ذلك قالت له عبلة يا ابن العم أنت تتضجر من نبلة وأنت ما تهمك أسنة الرماح والأشفار الصفاح فعند ذلك أخبرها بجميع ما قد جرى من ذلك الخبر وما وقع من الاسد الرهيص الكلب الخسيس وأعلمها بالقصة عن جليتها فلما سمعت عبلة ما قال جرير عظمت مصيبتها وانزعجت مفاصلها وقد بكت ولطمت على خدودها وقلعت أثوابها وأكلت لحم زنودها ثم أنها أكثرت من صياحها وناحت ونوحت وأنت وزعقت فاجتمع أهل الحى على بكائها وعويلها فعند ذلك قال لها الأمير عنتر والله يا بنة العم لقد وافانى الردا وما بقى لى حياه بعد هذا أبدا فقالت له عبلة يا أبا الفوارس شد عزمك وطيب نفسك ولا تأخذ على قلبك ولا تلتفت إلى هذا وأمثاله فانت فيك دائم الدهر كل جرح مثل فم القربه فما كنت تبالى ولا تعبأ به ولا خفت إلا من ضربة نشابة قد أظهرت منك الارتياب (قال الراوى) فلما سمع الامير عنتر من عبلة ذلك الخطاب تأوه من فؤاد مدبول وأشار إليها يقول صلوا على محمد طه الرسول ،

ألا يا عبله نوحى بعد فقدى   إذا ثار العجاج بكل قفر
وقولى للشماتة أن تمادت   بى الايام فى سرى وجهرى
رعاه الله من عبد نجيب   يلاقى فى الكريهة ألف حر
وأنى ليثها فى كل حرب   أبيد كماتها وخيل تجرى

وشربى من دم الأبطال صرفا على النغمات من بيض وسمر

وقد شيدت لى بيتا رفيعا من العليـــاء فى بر وبحر

وسعدى قد هوى بعد ارتفاعى وقد حط الزمان رفيع قدرى

وقد أمسيت حيرانا كأنى أحر على حشاى لهيب جمر

وقد آيست من رام رمانى بسهم قصده إخماد ذكرى

لحاه الله من رام معيب أحس بسهمه سما كجمر

حديد ثقيل وقضيب متين ومن عصب البعير وريش نسر

وما اجتمع الجميع سوى لأمر إصرع مهجتى ونجاز عمرى

(قال الراوى) ولما إن كان من الغداة جمع أهله إليه ومشايخ قومه كلهم من حواليه . صاروا يبكون ويتحسرن عليه ويتأسفون عما جرى عليه فعند ذلك قال لهم الامير عنتر بالله أهلو من هذا الانين والاشتكا بحق رب العباد الذى أهلك قوم ثمود وعاد ولمن ورد من كنعان والجبابرة الشداد وكل من سكن البرارى والوهاد هذا حكم رب العباد الذى قضاه فلا اعتراض عليه فيما أمضاه والآن فقد فرغت الليالى والايام وانطوت كأنها أحلام ولو عاش الانسان فيها ألف عام فلابد له من شرب كأس الحمام ثم أنه التفت إلى عبلة وقال لهم يا ابنة العم أنا والله ميت بلا محالة ومن بعدى والله ما بقى ينقا لبنى عبس راية ولا يبقى منهم أبيض ولا أسود وتخطفهم العرب من كل بر وقفر وتطالبهم بالثار من سائر النواحى والاقطار ولكن يا ابنة العم أسرعى واركبى حصانى والبسى دروعى اليمانى واعتقلى برمحى واسفانى ويكون مسيرك فى ذلك واقصدى نحو بنى عبس وعدنان ويكون فى صحبتك الامير مالك أبوك وعمرو أخوك ورا ملى احبية القلب إسوم بعدى مايبة وكذلك من قريب يحميك من الاعداء ويقيك فهذه موتتى التى كتبت على فيا ترى كيف تكون من بعدى ولكن يا ابنة العم أقصدى إحدى الرجلين إما ابن المهلهل الامير زيد الخيل وأعامر بن الطفيل فان أحدهم يحميك ويرد عنك الاعداء ويقيك فاطلبيه لنفسك ولا بد لاحدهم أن يحمد حسنك ويسكنك فى رمسك لان بعدى ما يعرف لك قدر ولا شان ولكن يحسك من أنذال العرب فاسكرنى لاحدهم أهلا ويكون لك بعلا وإذا سرت فى البرارى والوديان فلا تكلمى أحدا من العربان وإذا كنت على مثل هذا المعنى فلا يشك أحد فيك ولا يظنوك إلا أنا فتهابك جميع العربان وتخاف منك سائر الشجعان (قال الراوى) فلما سمعت عبلة ذلك المقال أو بت لذلك السؤال ثم بكت وكثر منها النحيب والاهوال قال الراوى وأما المشايخ الحاضرون ولا سيما عمرو وذو الكلب الفارس المكين فانهم لما سمعوا كلام الامير عنتر مال منهم إلى البكى واستعبر وزاد

بهم البكاء والنحيب وتوقدت فى قلوبهم نيران اللهيب هذا وقد أقبل الأمير عنتر على الأمير عمرو وذو الكلب وقال له يا أخى مالى عندك وصية إلا زيد بن عروة وأحتفظ عليه لأجلى أنا الآن أباه كان من أعز أصحابنا وكان من جملة الفرسان والشجعان وكان مثلك لنا من أعز الأخوان قال الأصمعى ولقد بلغنى عن الأمير زيد بن عروة أن الأمير عمرو قد عطف عليه وصار عنده أعز من روحه التى بين جنبيه وصار يشفق عليه كل الإشفاق من دون الأصحاب والرفاق (قال الراوى) وكان الأمير زيد طالع فارس لا يطاق وعلقة مر المذاق وبطل تبطل عنده فروسية حيل الشجعان وتقصر عنه الأقران لأنه كان شاب شديد الحيل والقوى فلما أن سمع الأمير عمرو وصية الأمير عنتر انشرح قوله وأمره إلا أنه قد ضاق من من ذلك صدره هذا وقد قسم الأمير عنتر الاموال والنوق والجمال على بنى قضاعة وبنى قراد وقد أوصى إلى الجوار والعبيد بالقسم الوافر الاوفر وكذلك لى زوجته قماصة الرجال لأنه علم أنها من بعده لم يبق لها مشفق ولا ناصر خلفت أنها بعده تملك عقال ولا مال ولا نوال نوق ولا جمل ولا نظرات بعده إلا شرور من غير سرور وإدبار من غير إقبال وقد أوصى الأمير عنتر الأمير عمرو وذو الكلب على اخته قماصة الرجال وجميع من معه من بنى قضاعة الاقيال وأما بنو عبس الأبطال فأمرهم أن يقيموا فى ذلك المنزل الذى هم فيه حتى يشيع عبلة إلى عند أهلها ويوصل بنى عبس شملها فقال له عمرو وذو الكلب يا أبا الفوارس نحن لا نكلفك إلى هذا الامر بل تقيم أنت هاهنا حتى أنك تبرى من آلامك ولا تشمت فيك أعداءك وحسادك وأنا أوصل عبلة إلى أى موضع أردت وأعود وحق الرب المعبود فقال عنتر والله لا رضيت بذلك أبداً ولا سمعت لى العدا الآن والله ما بقى لى فى الحياة مطمع ولا لى إلى الدنيا ومن فيها مرجع ولكن ما نحن مقيمون لى ما نحن عليه حتى أننا ننظر ما بنا الدهر يصنع ثم أنه لما زاد به الوجع أشار يقول كلام يقول هذا الامر وهو كلام يسمع وجعل يعدد على نفسه وينشد ويقول صلوا يا حاضرين على النبى طه الرسول

لقد هد الزمان عماد صبرى ... وأضنى مهجتى وأبان أمرى
ومال على كل الميـــل حتى ... لاولادى فقدت كل وحان أمرى
ولكن القضاء له أوان ... إذا ما حل بالمقدور يسرى
فوا أسفا على سبقى وترسى ... ومهرى الأبجر الفحل الاغرى
ويا أسفى على قومى وما قد ... بلاقوا بعد غيبى ضيق صدرى
ألا يا دهركم تبدى أمورا ... تحير كل ذى فهم وفكرى
يقر الفارس الضرغام حتى ... يطن الحلد فى دار المفرى

فلم يشعر بداعى الموت إلا دعاه أجابه طوعا وامرء
ألا يا عبلة كاس الموت يسقى جميع الخلق فى بر وبحرى

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الأبيات تباكت السادات والأمراء والقادات وأكثروا عليه من التأسف والحسرات هذا وعنتر قال لعمه وإن هذا الكلام لا أسمعه ولا أمتثله قال له عمرو ولماذا ذلك يا أبا الفوارس فقال اعلم يا أخى إنى أخاف أن يقال عنى بأن الأمير عنتر حامية عبس وعدنان قد صار عند الموت بغفير خوفا من العربان وقد فزع من الرجال والأبطال وأن هذا ما أفعله وحق الملك المتعال ولا فعلت ذلك أبداً ولا أشمت بى العدا قال فعند ذلك سكت الأمير عمرو عن الخطاب ولم يرد عليه جواب هذا والأمير عنتر بقلب أقوى من الحجر وهو فى ذلك الحال المنكر على غير الاستوى وألبس عبلة درعه وقلدها بسيفه وأعطاها رمحه وأركبها على جواده الابجر وركب هو فى الهودج الذى لعبلة على الجمل الذى كانت تركبه إذا سارت من منزل إلى منزل ثم قوضوا أهله وأعمامه ومارية وخيامة وشالوها على نوقها وجمالهم ثم أن عنتر التفت إلى عمرو وذو الكلب الفارس الريبال ومن معه من الرجال وأشار يودعهم بهذه الابيات يقول صلوا يا حاضرين على النبى طه الرسول

ألا حيى المنازل من نظامى وحتى دار عبلة والسلامى
ديار تلعب الارياح فيها وفيها الطير عاما بعد عامى
وقفت بها أنادى الحى جهرا فما كانت مواجبة كلامى
دع الاطلال والبر الخوالى بصياح الرمح واندب الحسامى
أيا عبلة لا تنسى مقامى إذا عاينت طعنات السهامى
وابكى السيف والرمح الردينى واهدينى السلامى إلى عظامى
أخبرك وقد طلعت علينا كتائب نجد مع إبنا قطامى
تركت شبابهم فى القاع صرعا سكارى فى مجمع تحت القتامى
ورمحى ما طعنت به كمينى واخطأ فى قعودى أو قيامى
الا يا عبلة لالاقيت سوءاً ولا مكروها طول الدوامى
الا يا عبلة نوحى ثم إبك على البطل الهمام على الزحامى

قال فلما فرغ الامير عنتر من هذه الاقوال وسمعها الامير عمرو ومن معه من الرجال والابطال حتى زاد بهم البكا والاعوال وبكت الهيفا قناصة الرجال وتحسرت على الأمير عنتر كيف غدرت به الايام والليال هذا والامير عنتر أعطى لعبلة سوطه وهو راكب ذلك الهودج ومن حوله سائر أهله وأعمامه وهم شاكرين مما أعطاهم من خيره وانعامه وقد سار الامير عنتر وعبلة قدامه وسارت من خلفه سادات بنى قراد الرجال الاجواد يطلبوا أرض الشربة

والعلم السعدى والخيل والمطايا بهم تجدو تجرى والامير عنترا كمد وهو يمايل من شدة الاوجاع والآلام وعبلة قد مدودموعها على خدود دما سجام وهى كثيرة الهموم والأحزان والامير عنتر يعانى الموت ألوان وكلما سار قليلا بالخيار كان قولا يوصل عبلة إلى قرب الديار لعلها تنجو من الردى والاخطار وتسلم من كيد الاشرار وهم سائرين فى تلك الاراضى والسهول وعنتر يتأوه من فؤاد متبو وقلب بالفراق مغلول واشار بيده إلى نحو عبلة وجعل يوسيها بهذه الابيات وهو ينشد ، يقول صلوا على طه الرسول

يا دهر سوء ألم تكن خوانا   بنوائب قد فرقت إخــوانا
ترى عزيز القوم بعد العز فى   ذل ويبقى والها حيرانا
ويحط مرفوعا وترفع واطيا   ولكم أبدت فوارسا شجعانا
يا عبلة دونك ولا تجر فاوثقى   منه الحزام وقلديه عنانا
وإذا مررت على القبائل سلمى   بالسوط مثلى لا يلاحظ لسانا
أما الجبان يقول ركبة عنتر   إلا الشجاع لا يقول عنتر كانا
وإذا وصلت إلى حماك فاخرقى   منك الثياب وشقق إلا ردانا
يا عبلة قولى عند مشتجر القنا   قد كانا عنتر يحمى إلا ظعانا
قد كان عنتر عند كل ملمة   يغشى النزال ولم يهب أقرانا
يا عبلة دونك والرحيل فاننى   لا استطيع أناضل الا قرانا
يا عبلة لا ترتضى بعدى فارسا   فترى منه مـــذلة وهوانا
يا عبلة ابك حتى تثور غباره   وترى الكماة ساقطوا الميدانا
يارامى السهم الرنيز قتلتنى   غدراً وسهمك لم يكن خوانا
ليس الشجاعة بالفتى وإنما   عند القضاء نزولها طيرانا
يا عبلة إنى فارسا ذو هيبة   أحمى الحريم وأقتل الأقرانا
إنى وقد أتت المنية بغتة   اسمى وصنعى موضع البرهانا
لا تيأسى من عبلة واعلمى   ما كنت إلا دامـــغ الاقرانا
يا عبلة كل بطل كمى قد ثوى   فى وسط معمعه براز هوانا
كطم الثرى من عظيم طعنة عنترا   وثوى طريحا والها حيرانا
يا عبلة جدى المسير فإننى   قلق الحشا متوجع ولهانا
يا عبلة دونك والرحيل فعجلى   بالمسير تلقى راحة وأمانا
كم عن فتى عدم الحيا من طعنتى   وثوا طريحا مائلا حيرانا
يا عبلة لا تدعى بالجواد ولبسه   ن كان فيك عفة النسوانا

يا عبلة أبك فارسا متخشرما ... يلقى الحروب ولا يخاف سنانا
بطلا يكب الدارعين بضربة ... ولكم فتى من طعنه حيرانا
لا يرهب الموت الزؤام لدى الوغا ... ولقد رقا فوق العلا كيوانا
مردى القناعس آخذ أبصارهم ... وسط القتام ومرمل النسوانا
نوحى يا عبلة واندبى ليث الوغا ... ندب الحزين الهائم الولهانا
يا عبلة قد أهوى بعنتر دهره ... وأنال منه بعاجل ما كانا
وابك على العبسى عنتره الفتى ... ليث الطعان ومقرى الضيفانا
لا تفرحى بعدى عبيلة وأندبى ... وابك على البطل الذى قد كانا
يحمى الحريم من العداة ببأسه ... ويجندل الأبطال والشجعانا
لو كان قاتله بحرب لم يكن ... لاقاه إلا فارس الفرسانا
لله درك من كريم ماجد ... مقرى الضيوف وقاهر الأقرانا
وإذا دعوت باسم عنتر فاعلمى ... ما كنت إلا مردى الشجعانا
والخيل تعلم والفوارس أننى ... ليث الحروب وفارس الميدانا
وسلوا الفوارس عن وقائع عنترا ... وسلوا سفيد وبعدها عدنانا
أولاد بدر قد عرفن مواقعى ... يوم الجفر وقتلة الفرسانا
وكذاك من فى الحى قد شهد والنار ... يوم السباق وقتلنا الشجعانا
وبنى ضبية مع فزارة كلها ... وبنى هلال وبعدها سلمانا
وبنى مزينة عند مشتجر القنا ... يوم الهجير وبعدها غسانا
والخيل كاشحة الوجوه عوابس ... والنقع واقع فى الديار عيانا
والخيل تعلم الفوارس أنى ... بطل الهياجر وجماعية عدنانا
وسلوا الأعاجم عن وقائع عنترا ... وسلوا القبائل بعدها العربانا
وسلوا الشيبان ودوف وعامر ... وليوث كندة بعدها ذبيانا
قد أفزدت ريح الصبا وهوشت ... ريح العدا بأمانى الغدوانا
هذا هو الفضل الذى يبقى له ... طول السنين وسالف الأزمانا

(قال الراوى) ولما أن فرغ الأمير عنتر من شعره واستوفى نظمه ونثره فبكت عبلة عليه بحرقة وذبلة وقد صارت دموعها مثل الأمطار وقد بكى الأمير عمرو وأخته قناصة الرجال لأن عمرو كان أراد أن يقيم من بعد عنتر فى تلك الديار فما هان عليه فراق عنتر يا أخيار فركب وصار خلفه مقتفيا منه الآثار إلى أن أدركه بين تلك الروابى والآكام ومازال سائرا معه مدة خمسة أيام هذا والأمير عنتر كل يوم تتزايد به الأوجاع والآلام وقد أيقن بعد

الوجود بالإعدام هذا وقد أقبل الأمير عنتر على الأمير عمرو فى سادس الأيام وقال له يا أمير بحياتى عن قلبك ان تمضى إلى ديارك وعشيرتك واسكن باختك فى قبيلتك فانا أعلم أن بنى عبس إن تم على م كانته فاتقوم لهم من بعدى قائمة وتتعب أنت قلبك غاية التعب وأنت ما لك طاقة بمعاداة العرب ومالى عندك وصية إلا فى زيد بن عروة وأن تأخذ لى بثارى من بنى نبهان ولا تخلى منهم إنسان قال فعند ذلك بكى عمرو ذو الكتاب وقال له يا أبا الفوارس طب نفسا وقر عينا فسوف آخذ بثارك وأكشف عنك عارك ولكن أنا ما أفعل شيء حتى تأتى أخبارك ثم إنهما تعانقا وتباكيا وتودعا وسار يجد المسير فى البرارى والقفار وقد زادت لفراق عنتر ناره وقد صار يطلب دياره قال ولما أن سار عمرو إلى دياره عطوف أقبل عنتر على أخيه جرير وعلى ابن اخيه الخذروف وقال لهم يا إخوتى أريدكم أن تسيروا وتبلغوا خبرى وقصتى إلى قومى وعشيرتى وأنا أعلم أنكما ما بقيتما تجتمعان بصورتى وإذا وصلتم فانعونى لهم ومذقوا الثياب بين أيديهم وبلغوهم سلامى وجيوهم وقولوا لهم يحموا حريمى كما حميت حريمهم إلا إن كانوا ما يقدروا ومن بعدى والله لا يفلحون (قال الراوى) فعند ذلك سار الخذروف وعمه جرير وقلوبهم تغلى على عنتر شبه نيران السعير وهم يبكون بدمع غزير وهم مشققين الثياب بادين البكاء والانتحاب وأما ما كان من الأمير عنتر فانه قد زاد به الألم فأمر العبيد أن يسوقوا الجمال والنعم وعبلة راكبة على صهوة الأبجر وهى باكية حزينة على عنتر وهو فى ذلك الهودج فى همومه وإغمامه وبنى قراد سائرين من خلفه وإمامه وما زالوا سائرين وهم على ذلك الرواح إلى أن أصبح الله بالصباح فبينما هم سائرين فى ذلك الروابى والنطاح وإذا قد جاز بهم موكب من كبار حلل العرب الثقال وقد عاينوا تلك الهوادج والأموال وعبلة راكبة على الأبجر ولكن حزينة على الأمير عنتر فقال رجل منهم يا بنى عمى أن هذا الجواد جواد عنتر والسلاح سلاح عنتر إلا أن الراكب وحق من علا فاقتدر ما هو الأمير عنتر لأن القامة والله ما هى قامته ولا هذه الهمة همته فان صدق حذرى ولم يخنى نظرى فان عنتر قد مات أو إنه مريض ولا يطيق الركوب ولا الثبات وإلا حل بآفة من الآفات وما هذه إلا راكبة عبلة بنت مالك وابن عمها قد حلت به المهالك فسيروا بنا قدامهم حتى نكشف أخبارهم ونتحقق أمرهم ودعونا نصير إلى أين نزل عنتر إلى إراقة الماء وفى موضعه نبصر وننظر وقد صح لنا الحال والخبر قال وكان الأمير عنتر إذا بال فيثقب الأرض بوله مقدار شبرين وإذا أراق الماء فتحفر فى الأرض مقدار ثلاثة أشبار هذا وقد سارت الرجال خلفهم من بعيد وهم يقطعون القفار والبيد وهيبة الأمير عنتر تمنعهم عن الوصول إليهم وهم خائفين من القدوم عليهم (قال الراوى) فاتفق أن عبلة نزلت تريق الماء فلما فرغت ركبت وسارت هذا والفرسان تنظر إليها إلى أن أبعدت فاقبلوا على أثرها إلى أن أتوا إلى

موضعها وقدعاينوا مكان إراقة الماء وإذاهم وجدوها مفروشة على وجه الأرض لأن المرأة إذا أراقت الماء على الأرض انفرشت والرجل إراقته فى الأرض تفور فقال الرجل ألم أقل يابنى عمى وهو فيكم أن هذا الفارس هو عنتر فوحق ذمة العرب إن صدقنى حذرى ولم يخط زجرى فهذه عبلة بنت مالك بن قراد لأن الركبة ركبة امرأة وحق ذمة العرب وحرمة شهر رجب (قال الراوى) ثم أن الرجل قال لهم وإن كان الأمر كذلك فاحملوا بنا عليهم ثم أنهم اتفقوا الجميع على أخذ أموالهم والغارة عليهم قال الراوى ثم إنهم حملوا عليهم فى ساعة الحال وأرادوا نهب الأموال وسبى العيال من بعد قتل الرجال وقد تبادروا إلى الحرب والقتال وطلبوا الطعن والنزال فسمع الأمير عنتر وهو يقاسى نزع الموت الأحمر فعند ذلك صاحت عبلة بنت مالك وقالت يا ابن العم قد أدركتنا الأعداء وعرب تريد سبينا فانظر ماذا ترى (قال الراوى) فلما سمع الأمير عنتر ذلك المقال رفع سجاف الهودج فى عاجل الحال وقد أطلع رأسه منه ونظر اليه وزعق زعقة ارتجت منها البرارى والجبال وجاوبته تلك الأودية الخوالى مع التلال وقد نادى وقال ياأوغاد غير أمجادها أنا عنتر بن شداد واليوم أريكم كيف يكون الحرب والجلاد فوحق الملك الجواد لا بيدنكم فى هذه الأرض والوهاد قال فلما سمعت الفرسان صوته وعرفوا زعقته طارت عقولهم وحاروا فى أمورهم وطلبوا الهزيمة فى عرض البر الاقفر وهم يدقوا بعض وقد أوسعوا فى جنبات الارض وهم يقولوا أسرعوا بنا نطلب الهرب والنجاة لانها حيلة من هذا الشيطان مايقاومه فى الدنيا إنسان ولا يطيق لقاءه أحد من الشجعان وقد أخفى نفسه حتى ينظر من يتعرض لاهله ويطلب شرهم فيسير اليهم ويخرب ديارهم ويمحق آثارهم فهذا ما كان منهم وأما ما كان من القوم فإنهم ساروا من بعيد إلى بعيد ينظرون اليه ثم أنه قال لاعمامه ومن كان معه أجمعين هيا ياأبناء الاعمام أسرعوا وسيروا لعل أن تصلوا سالمين فانا هالك بلا محالة فاسرعوا وادعوا عنكم الإطالة فقال له زهرة الجواد يا ابن أخى أزعجت روحك فنحن نبذل أرواحنا دونك فليطا لما حميتنا بسيفك وبرمحك قال فلما سمع عنتر منهم هذا المقال ولا براد قال له صحيح ياعماه أنتم فرسان الحرب والجلاد ولكن ما أسماكم وأشهركم إلا عنتر بن شداد فسيروا الآن على حالكم بعساكركم أن تصلوا سالمين إلى أرضكم ودياركم قال فعند ذلك تباكى الجميع وودعوه وسارت بنو عبس وتقدمت بين يديه وهو ينظر إلى عبلة والدموع تتحادر من عينيه فلما غابت عنه وهو متكىء على رمحه بيديه فشهق شهقة ونفخ نفخة فارقت روحه جسده والجواد واقف تحته لم يتحرك عن مكانه لان هذه كانت عادته عند تربيته وشأنه وكان عنتر مدة حياته إذا نام ينام على ظهر حصانه (قال الراوى) هذا وهؤلاء العربان يظنون ان عنتر فى قيد الحياة ولم يعلموا انه شرب شراب الوفاة إلا كانه واقف

بطلب منهم الحرب والقتال فقالوا لبعضهم باويلكم ارجعوا على أعقابكم من قبل أن تعدموا نفوسكم وتفقدكم أصحابكم فقال الشيخ يابنى عمى إنى قد تحيرت من هذا الأمر المتدارك وأنى ما أظن إلا عنتر هالك ولو كان هو طيب فى قيد الحياة ما كنت عن قتالنا فى هذه الوديان لأنه لا موعد عدو ولا بجبان ولا ذليل ولا مهان حتى أنه يقف هكذا عن القتال ويرهب الرجال والأبطال ثم أنهم وقفوا ينظرون آخر ما يكون من ذلك الحال هذا وبنو عبس قد تبطنوا فى البرار والتلال وأمنوا على أنفسهم من شراب الوبال وهم يظنون أن عنتر تابعهم على ظهر حصانه هذا والابجر لا يتحرك عن مكانه بل تم كذلك إلى أن تدانت الشمس إلى الغروب وكادت الفرسان حتى كادت أجسامهم أن تذوب فقال الشيخ يا ويلكم أنا ما قلت لكم أنى عرفت أمره وما أظن أنه قد مات والرأى أن تقبلوا منى ما أقول لكم واحملوا بناعليه ودوروا به من خلفه ومن بين يديه وإن كنتم ما تقدروا على هذه الفعال ولا لكم جسارة عليه بحال من الأحوال فاطلقوا للأبجر حجرتى هذه فإنها طالب فإن كان به أمر من الامور فإنكم تبلغوا منه المرام قال الناقل فعند ذلك امتثلوا ما أمرهم به هذا الشيخ من المطالب ونزل عن حجرته ودفعوها إلى الابجر فى تلك السباسب فقصدته الحجرة لكون أنها طالب فلما قربت منه ووصل اليه شب عليه فوقع عنتر من عليه فعندها اطمئنت قلوبهم وقربوا منه وقالوا يا مالك من فارس كريم فأنك فى حياتك وبعد مماتك صنت الاموال والحريم ثم أنهم أخذوا عدته وسلبه وتركوه مرميا فى تلك الفلا فقال لهم الشيخ يابنى عمى لما إن أخذتم سلبه عدته وبعد ذلك تتركونه إلا ما به يستاهل أن يبقى كذا ملقى فى الفلاة والرأى أن تواروه فى التراب ويكون لكم فى ذلك الأجر والثناء من الملك الوهاب عندها نزلوا على خيولهم وحفروا له قبرا عميق ودفنوه وأهالوا عليه التراب وكأنه ما كان فسبحان الملك الديار الذى قدر على عبادة بشرب كاس الممات وصار عنتر مثل من له سنين وأوقات قال الراوى وكانت المدة الذى انجرح فيها حتى وقع فى ذلك المكان خمسة اشهر إلا خمسة أيام وأما الفرسان لما واروا عنتر بالتراب عادوا على أعقابهم فى البرارى والهضاب وأعاجواد عنتر فانه هج من بين أيديهم فى البر الاقفر ولا قدر أحد يمسكه وصار وحشا فى الفلاة قال الراوى فهذا ما كان من أمر عنتر وأما ما كان من بنى عبس فانهم بعد مفارقتهم لعنتر ساروا وهم يظنون انه لاحق بهم على الأثر وما يعلموا بما قد حل به من القضاء والقدر ولم يزالوا سائرين وفى سيرهم مجدين حتى وصلوا إلى الاحياء من شدة التكرب التى لا تسعهم الدنيا وحققت الحقائق أن عنتر مات وشرب شراب الآفات واخبروا بما كان معه وما يكون من فرقته لدنياه عند ذلك ندبت النوادب وهلبت الخيل والجنائب وصاحوا وولولوا وعزم منهم جماعة على الرواح إلى موضع الوقعة بعد ما اكثروا الصراخ والنواح ورموا البيوت والمضارب وبعد ذلك ركب من إخوة الملك قيس ثلاثة

أبطال واخذوا معهم جماعة من بنى عبس الاقيال بعد ما أوصاهم الملك قيس إنهم لا يعودون إلا به وهو محمول على بعض الجمال وكان قيس لما بلغه ذلك الحال كاد أن يهلك نفسه مما حل به من تلك الأهوال هذا وقد سار أخوتنا ومعهم هؤلاء الرجال الذين كانوا مع عنتر أول الحال ليخبروهم بالمكان الذى لقيهم فيه تلك الرجال ثم إنهم ساروا وملكوا القفار إلى أن وصلوا إلى هذا المكان فرأوا فيه قبرا فسيح فلم يخف عليهم ذلك فعلموا أن عنتر شرب شراب المهالك فنبشوا عليه وأطلعوه وهو ملفوف فى ثيابه من غير أكفان فادرجوه فى قطع من الاديم الطائفى كانوا قد اتخذوه لهذا الشأن ثم حملوه لى الجمل وعادوا راجعين إلى الاوطان وهم كثيرون البكاء والاحزان وما زالوا سائرين حتى وصلوا إلى الديار ونزلوا فيها وقر بهم القرار وعملوا المآتم والاحزان ومضت عليهم أيام الحزن ولم يجدوا أمثالها فى ذلك الزمان وندبت النوادب وبكت الحبائب على الحبائب ولما فرغوا مما هم فيه من تلك المصائب حفروا له قبرا بجانب أبيه وقبر صديقه مالك وهو على ذروة العلم السعدى وتلك المسالك ودفنوه فيه وأهالوا عليه التراب وتباكت عليه الأخلاء والاحباب ورثته وندبته الشعراء والصعاليك وكان مما قال فيه بعض واصفيه هذه الأبيات صلوا على صاحب المعجزات

يا مقلتى بالدمع لا تقفى ... وساعدينى بدمعك الهدف
على ابن شداد عنتر العبسى ... لما أتاه فى شده الهيف
حامى بنى عبس كلما نكبوا ... يجيرهم من وقائع التلف
كان إذا جال يوم معركة ... ترى فؤاد العدو يرتجف
لهفى عليه ما كان أشجعه ... فى الحرب حين اللقا ينعطف
كم فارس كانت الاسود ... طوعا ومنه فى غاباتها تجف
من حامه عنتر قد ولى هاربا ... واللون بعد البياض صار مختلف
كان فارسا ذلت الملوك له ... واتحفوه بشائر التحف
قد صرت بعد السرور مندثرا ... فى مهمة عفير فياأسفى
عليك ياحامى الحريم إذا ... رام العدو سبيهن بالشغف
قد كنت حمى لابناء عبس ... وهم بذلك أسرد عطف
واليوم أصبحوا بغير حامية لهم ... من المرهفات البيض والجحف
ياحاميه عبس طال ماسهرت ... جفون أعدائك خيفة من التلف
وقد شمتت أعداك وصرت مجندلا ... من كف أعمى باغ غير منتصف
فاضت دمع عينى كقطر السما ... يا مقلتى بالدموع لا تقف

(قال الراوى) وبعد ذلك تعرفت الناس إلى منازلهم والخيام وقيل إن هذا العزاء بقى

سنة من العام إلى العام هذا وعبلة لم يقر لها قرار ولم تنشف لها دمعة لبعد المزار ولا بردت لها لوعة في قلبها من اللهيب وقد أقلقت الحي بالصياح وما كانت تكثر من البكاء والنواح هذا وقد تسامعت العرب بموت عنتر فتذكرت الدماء الذي لهم على بني عبس من أيام ذلك الفارس الفسور وقد تحركت الهمم بان تروم أخذ الثار ويريدوا يكشفوا عن أنفسهم العار (قال الأصمعي) وكانت الحلفاء والأصحاب قد قدموا للعزاء وكل منهم كثير البكاء والانتحاب وكان من جملتهم عامر الطفيل وقد قعد للعزاء سبعة أيام فلما انقضى العزاء وأراد عامر السفر اخبروه بما قد أوصاهم به عنتر من أمر عبلة وقد فرح بتلك الفعلة وشرع من تلك الساعة بزواجه بعبلة وقد رسم لها بالف ناقة من خيار الأموال والنوق والنعم وألفين رأس من الغنم وخمسين عبدا ومائة أمة وخمسين رأسا من الخيل المسومة قال ولما انقضت تلك الاشغال رحل بها طالب دياره والأطلال فلما وصل إلى حلته ونزل بها واستقر به القرار دخل بعبلة فوجدها جنة خلد وهي أحسن البنات الأبكار وقد صفى له زمانه بالاتصال وعاشا مدة وهما في أحسن ما يكون من الامكان وما كانت تكلمه في تلك المدة كلمة ولا تألفه يوما من الدهر فامتلأ قلبه عليها من القهر غيظا وحنقا بعد ما كان أحبها حبا شديدا وتمت معه في العيش الرغيد ولكن لما بان له منها عين الجفا تكدر عيشه بعدما كان صفا ورحل بها إلى قبيلة بني غيلم وقد أخذت بعد ما كان لها من الاموال والنعم وقال لها إنني يا أميرة أحمي حماك من العرب والعجم فقالت له هيهات أن يكون ذلك مثل ما كان ذلك الفارس الأدهم لأنه كان أشد منك وأبطش في الحرب والكرم وأنه كان في فعله عند الفرش أشد ما يكون الحرب والهواش وكان أشد منك بأسا وأقوى مراس (قال الراوي) وما لحق عامر بن الطفيل من الغيظ والحنق لما سمع منها ذلك الكلام الذي لم يوفق تمنى أنه لم يكن في تلك الأيام ولم يخلق وقال في نفسه وحق ذمة العرب الكرام لابد من قتلها وأسقيها كاس حمامها وألحقها باسودها ولا أتحمل عارها الذي تزعم أنه يحميها ويحمي ديارها وأقاموا على ذلك مدة كثيرة وقد لحق عامر من معاشرتها وسوء أخلاقها غلب عليه الابتهال والحيرة (قال نجد) فلما كان يوم من بعض الايام وهم على ما هم فيه من المباشرة والالتزام وإذا بأفعى قد ظهرت من بين الخيام فزعت إليها الشباب واهتموا لها غاية الاهتمام فسمع عامر بن الطفيل الضجة فقام من على صدر عبلة وقد جذب في يده الحسام وغدا خلف الأفعى بقوة عزم واهتمام فخطا إليها عامر خطرات متتابعات وزعق عليها زعقات هائلات حتى لحقها وقد صار إلى آخر الابيات فرجعت إليه ونفخت عليه حتى تطاير الشرار من أحداقها لما صارت بين يديه فتلقاها بسيفه وضربها به قطعها نصفين ورماها على الأرض قطعتين ورجع إلى عبلة وقد ارتخى عليه رجليه وذلك مما تعب وضاق سبيله فلما رأت عبلة إلى حاله ضحكت وتمايلت عجبا فقال لها عامر على أي شيء

تضحكين يا ابنة مالك فقالت له ماهو إلا أنى تذكرت ابن عمى عنتر وكان قد جرى علينا كذلك وكان ركبا على صدرى يوما من الأيام وإذا بأسد قد ظهر من جانب الحى وقد أتى من البر والآكام فصرخت العبيد والرجال ومرعت من كل جانب إليه الأبطال فقام من على صدرى وقد جذب فى يده سيفه الضامى المهند وخرج إلى ظاهر الحى ودنا من الأسد وضربه أطاح رأسه من على جسده وعاد إلى وما تغيرت حاله ودنا منى وقد قضى باقى حاجته وأراك أنت قد قتلت دودة على باب الخباء من دود الأرض وقد رجعت وأنت لا تدرى الطول من العرض وقد بطلت حواسك وتقطعت من شدة التعب أنفاسك ولا بقيت تعى على أحد من أهلك وناسب (قال الراوى) فلما سمع عامر منها ذلك الكلام وتلك المعيرة التى اورث الأسقام زاد غيظه من الحنق والغبن والهيام وقال فى نفسه لا بد لى من قتلها وإلا جعلتنى معيرة بين أهل وأهلها وهى التى تفضحنى بين العرب وهو عاحل به زاد عنده الغيظ والغضب وبقى يتمنى أنه فى ذلك الوقت لم يخلق مما اعتراه من العطب وفاضت الدموع من محاجر عينيه وكان من شدة الغبن أن يغشى عليه ومابقى ينظر ما بين يديه ثم أنه خرج من عندها ومضى إلى أهله وحدث بنى عمه بأمر عبلة وما كان من قولها ومن فعلها فقالت له نساء قومه إن هذا أمر منكر وأن هذه المرأة لو عاذ يخلو بها اسكندر أو الملك كسرى أو قيصر لم تذكر إلا ابن عمها عنتر فقال لهم عامر لقد صدقتم يا بنى عمى والله لقد فرجتم عنى بعض مافيه من همى وغمى واتفق معهم على قتل عبلة وبفرح عن قلبه هذه الدبلة ويستريح من معيرتها بالجملة ثم أنه صبر إلى أن أقبل الليل وأمر عامر الجوارى التى كانت له أن يخنقوها ويحلوا بها الويل وأين منها وقال أقتلها ولا تفضحنى عند أهلى وناسى فتركوها الجوارى حتى عبر عليها الليل ونامت فقاموا إليها وتكاثروا عليها وخنقوها ولم يعلم بها أحد من الناس (قال الراوى) ومما وقع من الاتفاق أن أبوها وأخوها قد زاد بهم الشوق إليها وكذلك أمها فاتوا إليها يفتقدون أحوالها ويسلموا عليها لما استوحشوا إليها وكانوا قد أخذوا معهم شىء كثير من الأرزاق إلى أنهم ماوصلوا إلى ديار عامر إلا فى ذلك اليوم الذى خنقت فيه عبلة وأنهم سألوا عنها بعلها فأنكر حالها فلجوا عليه فى السؤال فلم يجدوا لها خبر بالجملة فسألوا عنها من الجوارى فأنكروها وجحدها فزادا تحيرهم وأكثروا الصياح والعويل وقد زادبهم لأجل فقد ابنتهم الهم والتشكيل وقالوا مابقى ينفعنا إلا الملك الأسود ونشكى قصتنا إليه ونعلمه بما جرى على بنتنا وما تجدد علينا ثم أنهم اعتمدوا إلى الرحيل حتى يشكوا حالهم إلى الملك الأسود ويخبروه بما جرى عليهم بعد موت حاميهم وماقد تجدد وبما فعل فى ابنتهم عامر بن الطفيل وما أنزل بهامر الذل والويل وساروا وتبطنوا بالقفار فبلغ خبرهم إلى عامر فخاف أن يفشوا عنه هذه الفعلة بين القبائل ويركبه العار بقتل عبلة فركب وسار خلفهم لأجل بتر ضامر ويردهم وعما عزموا عليه يصدهم

وما زال تابعهم حتى لحقهم وأعاقهم عن المسير فى الطريق وأحل بهم التعويق وأمرهم بالعودة إلى الديار فلم يجيبوه ولم يطاوعوه على ذلك الحال واختاروا القتل بعد ابنتهم وحاميتهم وأغلظوا على عامر فى الكلام وجذب عمرو أخو عبلة على عامر الحسام فلما رأى عامر منه ذلك المقال حمل عليه وقد زاد به شره وكفره وطعنه بالسنان فى صدره فأطلعه من ظهره فلما رأى مالك مافعل عامر فى ولده من تلك الفعال نادى قتلت ولدى يا ابن الانذال فلما سمع عامر ذلك المقال حمل عليه الآخر واستطال واستجاده بطعنة فى فؤاده لكسه عن جواده فوقع إلى الارض صريع يخور فى دمه علقما وتجيع ثم أنه تركهم مرميين فى القفار تأكلهم الوحوش والاطيار وعاد راجعا إلى الديار ولما استقر به القرار قيل أنه قتل أمها الاخرى وأحل بها الدمار وهجت بنو قراد الذين كانوا اصطحبوا بمالك وطلبوا امنازلهم والامصار وبعدها احتوى عامر على ما كان لهم من الاموال والنوق والجمال ومضت عبلة وأمها وأبوها وأخوها كامس مضى وما بقى لهم كر بين الرجال فسبحان الله العزيز المتعال (قال الراوى) فهذا ما جرى هاهنا وأما ما كان من أحوال بنى عبس وبنى فزارة فان حصن بن حذيفة وسنان بن أبى حارثة نظرا فى أمر بنى عبس وهم يؤملان أن يفعلوا بهم شيئا من تلك الامور الحادثة واجتمعا هم وحلفاؤهم أكثر من عشرة آلاف فارس ما منهم إلا كل مدرع ولابس وحصن بن حذيفة أمام القوم راكب على حجره أبيه الغبراء فى ذلك اليوم وهى التى كانت السبب فيما جرى بين الطائفتين من الفتنة واللوم وهى تحته كأنها البرق الخاطف والسحاب الواكب وهى سريعة الذهاب خفيفة الركاب كأنها برق عطمت أو نسمة من الريح الدبور وقد عصفت وهو غائص فى سكنه غارق فى لامته يجر رمحه من وراء ظهره وقد تكبر وتجبر على أبناء جنسه وزاد بغيه وشره والراية على رأسه تظله وسادات بنى فزارة وبنى ذبيان والكل ممتثلون أمره وسامعون قوله فوصلت أخبارهم إلى بنى عبس بأن بنى فزارة واصلون إليهم وقادمون عليهم بحدها وحديدها وعدها وعديدها وخيلها وجنودها يريدون منهم أخذ الثار وكشف العار لان فى قلوبهم من بنى عبس لهيب النار من يوم قتلوا سادات بنى بدر وحذيفة وإخوته على جفر الهباء وهو فى قلب حصن ما ينساه هذا وحصن وبنى فزارة قد ساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا فهذا ما كان من بنى فزارة (قال الراوى) وأما ما كان من بنى عبس فانهم قد اجتمعوا عند الملك قيس بن زهير ليأخذوا رأيه وما به عليهم يشير قال هل يقيموا فى مكانهم أو يعلموا منه بالمسير فقال لهم يا بنى عمى إن بنى فزارة قد اجتمعت وفيكم قد طمعت ويرجون أن يأخذوا بثارهم منا ويكشفوا عدوهم وقد اجتمعوا علينا وحلفاؤهم من سائر البلاد واستحقروا أمرنا من بعد فقد حامينا عنتر بن شداد ولا بد ما تشمت بنا الاعداء والحساد ونحن ما بقى لنا أحد نلتجىء إليه ولا من يعز علينا ولا من نعز عليه فواحسرتاه عليك

يا أبا الفوارس ويا من كان لنا حافظا وحارس فلما سمعت بنو عبس من الملك قيس ذلك الكلام كثر منهم البكاء والنحيب والضجة والوجيب وتنادوا بالبكاء على عنتر وتذكروا أيامه البيض الغرر وصار قيس يقول لهم يا بني عمي الذي مضى فات وإن ابن عمي عنتر انقضى ومات وسيطلبكم غير بني فزارة وسائر العرب من بعد منها ومن اقترب وما بقي لكم من يلجؤون إليه ولا معول تعولون عليه إلا مقابض سيوفكم وسنان رماحكم وإتلاف نفوسكم وأن تجعلوا دروعكم قبوركم والرأي عندي من القول التمام أنكم تموتوا كرام ولا تعيشوا لئام (قال الراوي) فلما سمعت بنو عبس ما قال الملك قيس وما أبدا من ذلك المرام أطاعه كل من كان حاضرا في ذلك المقام فعند ذلك نهض أخوه نوفل من بين الجماعة وقال له يا أخي إننا مطيعون هذا الأمر بالسمع والطاعة ولكن عندي رأي آخر إن أمرتني أن أبديه لكم لأن فيه السداد والأمر الجيد والرشيد فقال له الملك قيس قل ما بدا لك فإننا مطيعون ما تبديه من أفعالك فقال له نوفل الرأي عندي يا أخي أننا نسير من هاهنا بأجمعنا وأموالنا وعيالنا ونرحل إلى جبال الروم ووادي الرمل ونحصن حريمنا هنالك ونبقى جرائد بلا ثقل ولا عائق ونركب تلك الخيل العوائق لأنك كما تعلم أن ابن عمنا عنتر في أول منشئه في معاداته الملك النعمان ودخل عليه ومعه مائتا فارس قاحمي روحه هو ومن كان معه من الفرسان وأكل أموال العرب وأخذ الجزية من الملوك ذي الرتب وقهر الفرس والعجم وأباد الترك والديلم وما افتكر في أحد من الناس لأن ذلك المكان جزيرة ومكان أمين ما عليه قياس ولا يقدر عليه أحد إلا إن كان من بابه وإذا حصنا فيه الحريم ما يبقى الواحد منا يبالي بما أصابه وإذا وقف فيه عشرة رجال بالعرض منعوا من يدخل إليه ولو أتى كل من في الأرض فلما سمع بنو عبس كلام نوفل أجابت إلى مقاله وكذلك الملك قيس رضي بأقواله وقال إن هذا رأي صواب وفي عاجل الحال قوضوا خيامهم والمضارب وساروا بالرماح والسيوف والقواضب وسارت النساء في الهوادج على ظهور الجمال وتبطنوا في ذلك البر بالحريم والعيال ثم جعلوا قصدهم بلاد الروم ووادي الرمال وقد حصل في قلوبهم من الخوف أمر عظيم هذا وقد صار في قلب الملك قيس نار لا تنطفي ولهيب لا يخفى والبكاء والنحيب من بني عبس قد علا وقد ملؤوا بصياحهم جنبات الأرض والفلا وقد تذكروا أيام حاميتهم عنتر وما أصابهم من فقده من البلاء فهذا ما كان من بني عبس وما جرى لهم وما دبروه من تلك الأمور (قال الراوي) وأما ما كان من بني فزارة اللئام فإنهم بعد تجمعهم والأقوام ساروا قاصدين ديار بني عبس لتبلغوا منهم المراد ويقلعوا آثارهم بعد حاميتهم عنتر بن شداد هذا وفي قلب حصن من بني عبس لهيب النار لأجل قتل بني عبس أباه حذيفة الغدار وكان قد أنفذ حصن وسنان الأمور إلى كثير من القبائل وأعلموهم بما قد عزموا عليه من ذلك الأمر والمرام وأنهم قاصدون بني عبس ليبلغوا منهم المرام هذا وحصن قد أنفذ يحث

القبائل على المسير لاجل أخذ الثار وقد أوصل لهم الكتب مع الطراق والسفار وصار يحرضهم على المجيء بهذه الابيات :

فسيروا لأخذ الثار ياسادات العرب ... لأن بنى عبس فناها قد اقترب
فان رمتموا أمرا فسيروا بنا لهم ... لنسقيهم كاسا من الموت والعطب
ونأخذ لنا بالثار منهم عنوة ... ونبليهموا بالقتل منا وبالحرب
ونهلك بنى عبس ونفنى جاعهم ... ونطعنهم بالرمح فى الصدر واللبب
ونسقيهموا كاسا من الموت مترعا ... ونبليهموا بالويل والضرب والتعب
ونضربهم بالسيف فى وسط هامهم ... ونفنيهموا جمعا ونسكنهم الترب
ونأخذ بثار من مضى من رجالنا ... لانهموا أفنوا جموعا من العرب
ألا يا بنى ذبيان سيروا واشدوا ... على قتل قيس الرأى منا فقد وجب
فمن بعد عنتر ما بقى مسعف لهم ... ولا رجل يرجى يكون لهم سبب
فهذا الذى نرجوه فى طول دهرنا ... وهذا الذى كنا نريد من الارب

(قال الراوى) ثم أن حصن أرسل كتبا كثيرة مع العبيد وغيرهم من الرجال إلى الاحياء وسير لهم من الابطال يحرضهم على القدوم لبنى عبس حتى يحل بهم النكال فما وصل كتاب إلى قبيلة من قبائل العرب إلا وساروا بالنجب وكل منهم طالب بنى لاخذ الثار وكشف العار هذا وبنو عبس قد ساروا كما ذكرنا طالبين جبال الروم ووادى الرمال على التحصن هناك لاجل القتال ومازالوا سائرين وإلى ذلك المكان طالبين فأتت طريقهم على أرض يقال لها أرض الصانع وفيها غدير من الماء نابع يتدفق ماؤه ويبرق حصباؤه وقد فاحت أزهاره وناحت أطياره وطاب مزاره فنزلوا إلى هذا المكان لما رأوا من طيبة تلك الالوان ليستريحوا مدة من الزمان ولم يعلموا ماخفى لهم فى الغيب من حوادث الزمان (قال الراوى) فبينماهم نزول فى هذا المكان وتلك الديار إذا بالغبار من خلفهم قد سار حتى سد منافس الهواء وتلك القفار قد طلمت وزوابعه قد ارتفعت وكان ذلك ساعة من النهار وبان ما تحت الغبار النظارة وانكشف عن فرسان بعدد الزمان وقطر السحاب وقد ساروا من كل فج عميق ووادى سحيق وأسنة تلك الفرسان تلمع وخودهم فى ضوء الشمس تشعشع وما فيهم إلا كل بطل صميدع ومن كثرتهم قد سدوا عين الشمس والفضاء وهم مقبلون مثل حلول القضاء وهم ألوف لا تعد ولا تحصى بعدد الرمل والحصى وفى أوائلهم كثير من بنى فزارة وبنى ذبيان وبنى مرة وبنى همدان وبنى سنبس وبنى زهران وبنى أسد وبنى شيبان وبنى نمير وبنى حنظلة وبنى نبهان وبنى غنا وبنى كلاب وبنى الوحيد وبنى ضبيان وبنى مشاجع وبنى صعصعة وبنى كلام وبنى أوبرة وبنى يربوع وبنى ذهل وبنى جديلة وبنى زهرة وبنى السكاسك وبنى

السكون وبنى رغبة وبنى رباح وبنى هلال وبنى جبهان وبنى على وبنى عادى وبنى تميم وبنى قحطان وبنى أمية وبنى حمير وبنى سعد وبنى الجريش وبنى هوازن وبنى جشم وبنى مراد وبنى الأشجع وبنى الحكم وبنى وشاح وبنى باهض وبنى كهلان وسارت تلك القبائل من كل النواحى مقبلة وواصلة من سائر الوديان ولشرح ههنا يطول فى أسماء القبائل وذكرهم يطول بما يصير العقل من سماعه مذهول (قال الراوى) وكانت جملة القبائل التى اجتمعت على هلاك بنى عبس فى ذلك النهار رأت طالبة منها أخذ ثار مائة ألف وثلاثة وثلاثين ألفاً لأنهم سدوا السهل والجبل وملئوا البكثرتهم كل وادو منزل ولما أن رأت بنو عبس إلى ما قد أتاهم من القبائل قال لهم الملك قيس يا بنى عمى لا تهدموا ما بنيتم من المجد على طول الأبد والدهر فموتوا كراماً ولا تعيشوا لئاماً وما بقينا نريد حياة بعد حامينا عنتر البطل الأمجد والفارس الأسود الذى كانت ناره لا تخمد وكان يخشاه كل أحد وقهر مثل كسرى وقيصر وملوك بنى الأصفر وأتته الهدايا منهم من كل شىء مفتخر والآن قد أخذه منا القضاء والقدر الذى ما للعبد منه مهرب ولا مفر وما بقينا نلقى لنا حامى ولا من يجد فى نصرتنا إلا أن يكون قوائم سيوفنا إلى أن يموت كبيرنا وصغيرنا ولا يبقى منا عبد ولا أمير وهؤلاء القبائل قد أقبلوا إليكم فقابلوا الموت بوجوهكم ولا تلقوه بظهوركم فما خلد أحد منكم فى هذه الدنيا الساحرة التى قد أهلكت الملوك الجبابرة (قال الراوى) فلما سمعت بنو عبس من الملك قيس ذلك المقال طاب لهم الموت على كل حال وأيقنت بقرب الآجال وفى دون ساعة ركبت خيولها واعتقلت برماحها وذوابلها وتقلدت بصفاحها ونصولها واستقبلت الموت بوجوهها وعملت مجهودها وتصايحت جيوشها وجنودها ورفعت أعلامها وبنودها وتقدم الملك قيس أمام بنى عبس وعن يمينه ويساره جيشه وأخوته وأعمامه ومن خلفه أكابر قومه وسار بهم إلى الميدان واصطفت الفرسان قدام الفرسان وكان حصن بن حذيفة وابن أبى حارثة سنان أمام العربان الذين قدمنا ذكرهم فى هذا الديوان ولما أن رأى الملك قيس قد أقبل بمواكبه وعشائره وكتائبه سار يهدد قيساً بالقتل وخراب الديار وهو يكثر عليه من الهذيان والفشار ويقول له يا ابن زهير اعلم أنه ما بقى من أجالكم إلا القليل ولا بد ما يبقى حديثكم جيلا بعد جيل فيا طول ما تهتم الأرواح وضربتم فى وجوه العرب بالصفاح أنتم وعبدكم عنتر مساء وصباح فأين حاميكم الذى كنتم تسكنوه بأبى الفوارس وتفضلوه على كل قائم وجالس فما حسبتم حساب انقلاب الزمان ولا أيقنتم بطوارق الحدثان أنسيتم يوم جفر الهباء فإن كنتم نسيتموه فأنا ما أنساه يا ابن أبى حذيفة وإخوته وأكابر عشيرته فوالله ما أنسى ما جرى لأبى حتى أبقى حداه فقال قيس والله يا حصن ما نلت منا مناك والمراد ولا زلت مذلول الفؤاد وسوف ترى ما يقع لقومك منا عند الطراد واعلم أنه طاب لنا الموت ومذلنا كاسه استعذبناه من يوم فقدنا

حامينا وعد مناه فيا حصن لا تذكر من مات وراح وسكن المقابر الفساح ولو كان عمل ما عمل ما بقى عليه جناح نخر وافى أسباب الحرب والكفاح والبراز من كل فارس جحجاح وفارس وقاح والآن فهذا طريق يسلكه كل أحد ولا يخشى عليه لا أبيض ولا أسود وما هى إلا موتة واحدة وكل الأشباح عليها واردة وما يموت الانسان موتتين ولا لكل واحد منا أن تصيبه هذه العين وجدوا فيما عزمتم وأتيتم بهده الجموع المجمعه وها انتم وفرسانكم وأنا فقد فرغ زمانى وبقى زمانكم فدونك والحرب والقنا لتنظر بعينك من يسعد منا ومن يشقى ولا تهددنى بكثرة القبائل وما قد جمعت علينا من الجحافل ولا تذكر لى فعل حامينا عنتر بعد ما مات وانقبر واغتاله القضاء والقدر وكان فارسا نكل لشجاعته الفرسان وتخاف منه وتخشاه ملوك الزمان فقال حصن وحق ذمة العرب الاكابر يا ابن زهير ما بقى لك من الموت ناصر واليوم تحمل عليكم هذه الجيوش وتقطعكم بالصفاح وضرب البواتر وتسبى ابنتك المحانة صاحبة الوجه الناثر والجمال الباهر قدام عينك وأنت إليها ناظر فان لى زمان وأنا عليك صابر حتى فقدتم ذلك العبد الزنيم والوغد اللئيم عبد شداد الذى كان يحميكم من النوائب وكنتم قد قدمتموه على كل صاحب ولكن السلام معك يا ابن زهير فى هذا الوقت ضائع لان نجمك قد أفل بعد ما كان طالع ثم أنهم أراعوا الحملة على بعضهم البعض حتى أنهم يفنوا بنى عبس ويقطعوهم فى تلك الارض وكان النهار قد ضيق ودفع بهم الاياس وضيق الخناق فقال قيس يا ابن حذيفة اعلم أن النهار قد ولى ورحل وما بقى أحد يبلغ من أمل ولكن إذا أقبل النهار ويفعل الله ما يشاء ويختار ثم الملك قيس ألوى عنان جواده وعاد وما كانت عودته إلا لانه قد خطر بباله خاطر وأمل أن يبلغ به المراد ولم يزل إلى أن وصل إلى قومه وقد أيقن بذهاب اسمه وقومه فاستقبله قومه وسألوه عما جرى وصار فاخبرهم بما كان منه ومن حصن بن حذيفه من الاخبار وما وقع له معه من العتاب والملام ولا قالوا لبعضهم من المقال والملام ثم أنه قال وأماه يا بنى عمى قد خطر لى خاطر وربما تجينا به من قدام هذه القبائل والدساكر وكان قيس كما ذكرنا فى مبتدأ الكلام يسمى قيس الرأى وكانت بنو عبس تقتدى برأيه فى كل ما أراد فقالوا له قل ما شئت فاننا تبع لك فى كل ما هويت فقال لهم يا بنى عمى ان كنتم تطيعوا ما أقول لكم من الخطاب فانما تجمعت علينا هذه الاعداء لفنائنا وليبلغوا منا الارب ويفنوا منا الشرح والشباب ويسبوا نساءنا والبنات الاتراب وهذا الأمر ان فعلوه معنا نعاير به ليوم القضاء والحساب ولكن من الرأى الصواب أننا ندعهم لا ينتفعون بعدنا من مالنا بمال ولا يبلغوا من نسائنا أمال وذلك أن كل إنسان منكم يذبح ما عنده من النوق والجمال وتركب النساء على ظهور الخيل هم والعيال وتضرموا النيران فى الاثاث والمتاع والاقمشه والمصاغ وما به الانتفاع واعلقوا بعض النياق والجمال وعرقبوهم بالسيوف الصقال وامنعوا عنهم

أولادهم الصغار وطردوهم بالجنادل والأحجار وأعقدوا الدخان فى ذلك الوادى يا رجال حتى كأنهم حولهم عند الاشتغال وذلك نعمله حتى لا تنتبه الأعداء الأنذال و بعد ذلك نركب الخيل الجياد ونهجم على الأعداء ونضرب فيهم بالسيوف الصقال والرماح الطوال ولم نزل نضرب فى ذلك الجيش الجرار إلى أن ننفذ نحن والنساء الأحرار والعبيد والمولدات والجوار ونفنى ونضيع بين تلك العشائر الكبار ومن كان له عمر مديد منا يسلم ومن أجله قد اقترب يهلك ويعدم قال فلما سمعت الرجال من الملك قيس ذلك الخطاب رأوه صوابا وفعلوا كل ما به أمر من المقال وبعدها تحضروا على الحرب والقتال وما زالوا على هذا الرواح إلى أن أصبح الله بالصباح فقاموا إلى جمالهم أبركوها وإلى الفصلان عن أمهاتها أخرجوها فصارت تحن إلى بعضها البعض إلى أن امتلأت بزعقاتها وضجيجها الارض وأخرجوا امتاعهم وأطلقوا فيه النار وعادوا إلى الجمال المعقولة بالسيف وعرقبوها فعندها شدت الفصلان فتعجبوا من ذلك الامر والشأن وتبادرت الفرسان وساروا ينجحوا منها يشوا على النيران حتى ارتفع لها غبار ودخان فلما أن رأى حصن ابن حذيفة إلى ذلك الحال قال لسنان بن أبى حارثة الا ترى يا بن العم إلى ما فعلت بنو عبس وما هذه الاحوال فقال سنان ان هذا أمر عيان بيان ، يعرفه كل إنسان وذلك أن بنو عبس قد قل عندهم الماء والزاد فأرادوا بذلك التخفيف وعدم النفاد وهم يرجون ويؤملون أنهم ينجون من هؤلاء الفرسان ولم يعلموا أنهم قد دنا منهم القلعان وأن تلك العشائر قد أحاطت بهم من كل مكان فبينما حصن مع سنان فيما دار بينهما من الكلام وإذ قد ارتفع من الجبال الدخان وانعقد حتى صار مثل الظلام وزاد القتام وانقام (قال الراوى) وذلك أن بنى عبس لما تضاحى عليهم النهار وبان ورأت تلك العرب المجتمعة قد اشتغلت بما وقع فى أيديها من الفصلان فأطلقت النار فى الاثاث والجمال وفيما كانت قد احتوت أيديهم من الاموال وبعدها ركبوا وخرجوا من بين الخيام وكل رجل منهم خلفه ماله من البنات والعيال ولما زادت النار فى هذا الوادى اشتغال ورأت الجيوش المجتمعة من هذا الحال لم تجد لها يدا من نهب الاموال وهجمت إلى داخل الجبال قبل أن تقع الحرب والقتال فلم تجد إلا نار زائدة الاضطرام والاشتعال ولم يروا شيئا مما أملوا من تلك الآمال فعادوا راجعين على الاعقاب وقالوا هذا الامر ما كان لنا فى حساب (قال الراوى) وأما ما كان لنا من بنى عبس وما صار لهم من الارتياب فإنهم هجموا على الخيمة التى فيها حصن وسنان وكان الملك قيس وإخوته فى أول الفرسان فوجدهم قد هموا للركوب وتجهزوا للضرب والطعان .

(تم الجزء الثانى والخمسون ويليه الثالث والخمسون)

الجزء الثالث والخمسون

من سيرة عنترة بن شداد

(قال الراوى) فعندما اغتنم قيس الفرصة وأراد أن يكشف ما بقلبه من الغصة فى فلاق حصنا وهو خارج من باب المضرب وتمطى فى كعوب الرمح وطعنه فى صدره فانقلب حسن على الأرض وتكركب وشرب شراب العطب وأما سنان فإن أسيد طعنه فى صدره أطلع سنان الرمح يلمع من ظهره وبعد ذلك انعطف على مالك بن بدر وطعنه فقتله وعلى الأرض جندله وبعدها صاحت بنو عبس وعدنان وبذلوا فى الأعداء السيف والسنان وأظهروا ما فى قلوبهم من الأحقاد وانحطوا على بنى فزارة انحطاط العقبان فقتلوا منهم نحو المائتين فارس من الأعيان وبعد ذلك دارت ببنى عبس سائر العربان وحملت إليهم من كل جانب ومكان وحملت بنو عبس وقد بذلت فى الأعداء سلاحها وقد أيقنوا بفسادها بعد إصلاحها وقد أحاطت بهم تلك القبائل والجحافل وتساوى بينهم الفارس والراجل فابدلوا بالذل أعزازهم وقتلوا منهم كل فارس نبيل وصار العزيز ذليل وثلثمائة قبيلة حملت على فرد قبيلة واحدة ونساء وعبيد وجوار وبنات أبكار ولم يكن لبنى عبس بهم طاقة ولا على حربهم فكانوا بينهم كالنقطة البيضاء فى الثور الأسود فلم تكن الأساعة حتى فرشوا به بنى بنو عبس على الحصى والجندل وداسوهم فى الأرض بسنابك الخيل دوس الحنظل وجرت دماؤهم على أرض مثل جريان الماء وكانت تلك الواقعة تسلى وقعة الفناء مما حل ببنى عبس من الويل والعناء ولم يسهل من بنى عبس إلا من كان جواده سابق وأكثرهم قد حلت بهم البوائق فكان ممن نجى الملك قيس بن زهير فإنه بعد قتله لحسن بن حذيفه وقد أشفق قلبه من تلك الأمور المخيفة ثاره وصار هائماً على وجهه فى الوادى ونجا بنفسه وابنته خوفا من الفضيحة والشنار وأد بركبه بعدابنته العار ولم يزل سائراً مدة أيام وليالى وهو غائص فى البر والآكام وصار يقتات هو وابنته من نبات الأرض والهوام وهو أن أقبل على بحر الفرات فعندما أرخى لجواده اللجام فهوى به فى وسط البحر كأنه النعام أو مثل ريح الجنوب إذا خرج وقد جرى به فى الأمواج واللجج فنجى هو وجواده وابنته فإنها وقعت من خلفه فى البحر فهلكت وماتت موت الفجاة وأما أويس فإنه لما طلع قصد البر والفلاة قاصدة التقادير إلى جزيرة كانت هناك قريبة من بلاد الروم فسار فيها يومين وليلتين وأصبح فى أرض واسعة ومياه نابعة وفى وسط تلك الأرض صومعة وفيها راهب من بعض الرهبان فقد دخل قيس إلى الصومعة وقتل الراهب وجلس فى مكانه وموضعه وترهب قيس وانقطع من تلك الصومعة ومكث فيها ليالى وأياما ما ينتظر ما يأتى من حوادث

الزمان فهذا ما كان من الملك قيس وما قدر عليه من الأحكام (قال الراوى) وأما ما كان من بنى عبس وما وقع لهم من الكلام فإنهم لما جرى لهم من ذلك الأمر الذى اتفق قاتلوا أعداءهم إلى أن أدركهم الغسق وافترقوا فى ثلاثة فرق الفرقة الأولى طلبت مكة والبيت الحرام والفرقة الثانية طلبت الجبال والآكام والفرقة الثالثة طلبت اليمن وقد خافت أن يحل بها ما حل بأصحابها من المحن فكان من الفرقة التى طلبت مكة زهير بن قيس وباقى بنى عبس طلبوا البلاد وخافوا من العدى أن تقطع منهم الأثر فقال لهم زهير يا بنى عمى أن قصدنا البحر وأتينا بأنفسنا إليه هلكنا مثل ما هلك أبى وإن دخلنا بلاد اليمن علت بنا المصائب والمحن لأنكم كما تعلمون أن ما لنا فى تلك البلاد صديق ولا رفيق ولهم علينا ثار من قديم الزمان من عهد حامينا عنتر وأبى قيس وجدى زهير بن جذيمة وما لنا إلا أننا نقصد مكة والبيت الحرام ونلحق بنى عما ونستجير بالبيت العتيق وتلك المشاعر العظام إلى أن ننظر هذا الرجل الذى يشيعون عنه هذا الكلام إنه يظهر فى تلك الأيام ويدعو الناس إلى الهدى والإسلام ومن بهائه تظله الغمام ويبين للناس الأحكام ويظهر لهم الحلال من الحرام ويرمى من على الكعبة الأوثان والأصنام وتقرب الله أوان ظهوره ويشملنا ببركاته ونوره فلما سمعت بنو عبس ما أشار عليهم زهير من هذا علموا أن رأيه تمام وأن قوله شديد فقالوا له أيها الملك وما تريد فليس لنا عن هذا الأمر محيد ونحن بين يديك أطوع من العبيد ثم أنهم ساروا وقصدوا مكة والبيت والحرام بعد ما دار بينهم من الكلام وقد قطعوا البر والآكام ولما وصلوا إلى مكة كان الموسم قد انقضى وتفرقت قبائل العرب وراح أوان الحج وانقضى (قال الراوى) ومما جرى من الكلام العجيب الذى يذكر قوافيه وقواعده بحسن الترتيب أن الفرقة الأولى كانت قد وصلت إلى مكة وأعلموا أهلها بالخبر وقالوا لأبى طالب عن موت حاميهم عنتر وكان عبد المطلب قد انتقل بالوفاة وهو الذى كان يتعصب لعنتر وفى سائر أموره يتلافاه فلما علموا أهل مكة بموت عنتر فما منهم إلا من بكى عليه وتحسر ولحقهم عليهم الأسف العظيم وصار لهم من أجله الغم المقيم وقالوا وحق زمزم والحطيم ومقام الخليل إبراهيم إنه ما بقى مثل عنتر فى سائر الأقاليم فقالوا لهم بنو عبس أن قبائل العرب بعد موته قد اجتمعت علينا وأقبلت من سائر الجهات وقد فعلوا فينا فعل ذميم وقتلوا منا الأولاد وسبوا الحريم وتفرقنا وانهزمنا عن الأوطان وغاب ملكنا قيس ومعه جماعة من الاخوان فما تدرى ما جرى عليهم من نوائب الزمان وهذا كله لفقد حامينا عنتر الذى كانت تهابه لأجله جميع العربان (قال الراوى) فبينما بنو عبس مع أهل مكة فى الحديث وهم يشكون إليهم وإذا بالفرقة الثانية التى فيها زهير بن قيس قد أقبلوا عليهم وسلموا عليهم وأخبروهم بما تم عليهم ونالهم ففرحوا بالسلامة بعضهم البعض ووصلوا إلى تلك الأرض وجعلوا يتفاوضون بالسلامة

والمقام أيضا أهل مكة بالتحية والاكرام ونزلوا عندهم فى أعز مكان (قال الراوى) وكان الموسم كما ذكرنا قد انقضى وكل من العرب سار إلى دياره ومضى فى لواء طماأنوا على أنفسهم فى نزولهم بجوار البيت الحرام وطاب لهم هنالك المقام وقد سلموا مما أصاب قومهم وأهلهم من القتل والاعدام وذلك كان ببركة تلك المشاعر العظام وببركة انتظارهم إلى المظالل بالغمام فهذا ما كان من بنى عبس وعنتر وما جرى لهم من تصاريف الايام (قال الراوى) وأما ما جرى من حديث عمرو ذو الكلاب وأخيه الهيفا لما ذكرنهما بنو عبس وعنتر فى هاتيك الايام وساروا عنهم ومات عنتر وجرت عليه هذه الاحكام ورحلت بعدهم بنو قضاعة وكل منهم يريد أن يصل إليها فى تلك الساعة (قال الراوى) وكان عمرو ذو الكلاب أمير الحلة كما ذكرنا فى أول الخبر وقد تسلى عن الاوطان بمعاشرته لعنتر فلما مات عنتر وحكم فيه القضاء والقدر عادوا راجعين إلى أوطانهم وهى أرض شريفة وتلك لو عادو نزلوا فيها ونصبوا خيامهم ودقوا المضارب والاوتاد وكانت الهيفا أخت عمرو ذو الكلاب حاملا من عنتر لاننا ذكرنا الحكم أنه تزوج بها قبل دخوله المرة الثانية من أرض الروم ومن بلاد الملك قيصر ولما وصلوا بلادهم ونزلوا فى أماكنهم أستأنست بهم الديار وأقروا فيها القرار وفرحت أهلها بهم واجتمع بأصحابهم شملهم ومضت عليهم الايام والشهور وقناصة الرجال ما تدرى ما يفعل بها من الامور وقد قل نشاطها كثر تألمها وعياطها ومازالت هذه حالاتهما إلى أن آن أوان ولادتها أوضعت مولودة وهى كأنها الليلة الظلماء مهدلة الاشداق حمرة الأحداق مفتولة السواعد والاعضاء وهى أشبه الناس بأبيها عنتر بن شداد فلما أن رأتها أمها تشبه أباها وهى كأنها إياه قالت فى نفسها سبحان خالق البشر ثم عرضت هذا الامر على أخيها عمرو وقالت له أى شىء يا أخى تسمى هذه الطفلة التى كانت السبب لحركتنا والنقلة قال لها يا أختاه سميها عنيترة عسى إنها تخلف أبيها فى القوه والشجاعه والقمر ويشيع ذكرها بعد الافتقاد وتطيعها سائر العباد فسموها عنيترة وقد أحسنوا فى تربيتها الوداد وكل ذلك محبة لابيها فربتها أمها قناصة الرجال وأحسنت تربيتها بالنعم والدلال ومرت على الايام إلى أن صار لها خمس سنين فصارت تعافر الكلاب والذئاب وتخاصم العبيد ترميهم بأسهم النشاب ومازالت كذلك إلى أن بلغت من العمر عشر سنين وسارت أمها مع الهيفاء وأخوها عمرو وإذا ركبا يركبوها ويأخذوها معهم ويحصون بها القفار ليلا ونهار ويطاعنوها فى الميدان ويعلموها من أبواب الحرب الزيارة والنقصان إلى أن بهرت وبقيت من أرباب الشجاعة وبابت واشتهرت بالقوة والبراعة فلما تكامل عقلها وحسن حالها واشتدت أوصالها وصارت كل صباح تركب مع بعض رجالها وهى تظن أن عمروا أبوها ولم تعلم أنه خالها (قال الراوى) وقد بلغنى عنها أنها من حين بنت خمس سنين وهى لا تركب إلا معممة ملثمة

وكانوا بنو عمها يعلمون أنها جارية ويعرفون منها ذلك والغير ما ظن الا أنها فحل ذكر وما كان أحد هام من أهلها ولا من غيرهم يقدر أن يمد يده إليها بسوء ولا يجسر أن يلم بساحتها عدوا (قال الراوى) وأن خالها عمرو ذو الكلب ركب فى يوم من بعض الأيام وخلفه أربعة آلاف فارس من الكرام وطلب الغزو إلى بلاد اليمن وهاتيك الآكام والدمن ولما ان سار هو ورفقته سارت عنيترة صحبته ثم إنهم جدوا فى المسير حتى أبعدوا عن بلادهم بأيام كثيرة فبينما هم على ذلك الجد والتشمير وإذا قد اعترضهم أسد فى قدر الثور الكبير وله زفير وشخير وهو يهدر هدير كأنه رحا فى ميرولة شهيق وعياط وعزم نهوض ليس فيه تفريط فالويل كل الويل لمن به وقع وله أنياب ومخاليب كالخناجر وهو كما قال فيه الشاعر

عبوس هزبر البرية ظاهر　　جرىء على الشجعان الضد ظاهر
برأس كرأس الغول عيناه فى الدجا　　كجمر الغضى فى وجهه الشر ظاهر
يدل بأنياب حداد بواتر　　كأنها سيفان عند النواظر
ويسطو بأسنان غلاظ كأنها　　إذا قلص الأشداق عنها خناجر
وطول يحاكى العود فى عظم قدره　　ولكنه يأوى ببعض الجزائر

(قال الراوى) فلما عاين الأمير عمرو إلى ذلك الأسد ماله منظره وأراد أن يقتله وهم أن يترجل إليه وإذا بعنيترة قد تقدمت إليه وكان عمرها خمسة عشر سنة وحلفت عليه وقالت له وحق ذمة العرب وشهر رجب واشب الذى إذا طالب غلب على المهن احتجب لا يبرز إليه إلا أنا وأسقيه كاس الفنا ولا أدع كلبا من كلاب البر يسار يك وأ لك الاسد الفلا ثم انها فى ساعة الحال ترجلت عن الجواد وأدارت أذيالها فى دور منطقتها وأخذت سيفها فى يدها وسارت إلى الاسد بقلب أقوى من الجسد وسواعد أقوى من العمد قال فلما رآها الاسد وقد أقبلت نحوه همدر وزمجر وزعق زعقة تفلق الحجر فانزعج بها البر الاقفر ثم أن الاسد توطا إلى الارض حتى ما يبين طوله من العرض فقصدته عنيترة ولم تمتق به وهزت السيف حتى لمع الموت من أفرنده انتضاحكت المنايا من حده وطلبته فوثب الاسد إليها بسرعة فاستقبلته عنيترة بضربة جاءت بين عينيه ثم صار السيف يهوى بين فخذيه وذلك من شدة الضربة وقوة الهمزة فوقع على الارض قطعتين انقسم فرقتين (قال الاعمى) وكان ذلك السيف الذى كان فى يدها عمل من صاعقة وكان قد أهداه لعنتر بعض الملوك العمالقة وكان من خيار السيوف وكان قد أداه عنتر لخالها عمرو لما وافقه وأعطاه عمرو لعنيترة فلما قتلت به الاسد تعجب منها كل أحد ثم انها تقدمت الى الاسد ومسحت السيف فى جلده ففرح بها خالها واظهر لها السرور والفرح واتسع صدره وانشرح وشكرها على فعالها وكذلك بنو عمها وأهلها وقال عمرو ذو الكلب فى نفسه من داخل الفؤادة أخلف الله علينا عوض عنتر بن شداد ومن تشبه بأبيه

فما ظلم قال وكان كلما رأى فعالها يتذكر عنتر والدها ثم أنهم بعد ذلك ساروا بالليل والنهار غدوا وأبكار إلى أن وصلوا إلى بلاد اليمن وقار بوا ديار صنعاء وعدن فبانت لهم حلة من بعض حلل العرب بشراعات واصلة من ذهب وكانوا قد أقبلوا عليها عند السحر وقرأ وها حلة عظيمة تذهل البصر بقباب وخيام وعبيد وخدم وأموال ونعم ومواشي على مدا مدها تمرح وأغنام تسرح وأهل الحلة في هرج ومرج ودخل وخرج (قال الأصمعي) وكانت هذه الحلة لأخت الحارث أبو سبيع الحميري وكانت عمة ذو الخمار وكان عنتر طول عمره ما طرق هذه الديار إلا أن فرسان بني قضاعة غاروا على تلك الحلة وما فيها من الأموال والخيل والعبيد والنوق والجمال وكان في مقدمة الخيل عمرو ذو الكلاب وأخته الهيفا في جماعة من الأبطال وعنتره قدام الكل وهي كأنها الأسد الرئبال فعندها صاح عمرو في أصحابه وقال الخيل يا أرباب الخيل دونكم وهذه الأموال وهذه الغنيمة الذي لها قدر وقيمة (قال الراوي) فلما سمعت عنيترة من خالها ذلك الكلام أطبقت على رجال الحلة وهي ومن معها وحطموا على الأموال قطعتها عنيترة وساقتها عن بكرة أبيها وتركتها وراءها وهمت أن تلوى عنان جوادها وإذا بالنقير قد وصل إلى الحلة والخيل قد طلعت من بني حمير وفي أوائلها غلام أسمر كأنه الأسد في تقاطيع الأسود يقلب أقوى من الحجر الجلمود وهيبة الامراء عليه وهو كأنه هائشة ربة واسع الباع طويل الذراع لا يخاف ولا يرتاع أكحل العينين مقرون الحاجبين قوى العزيمة كثير الهمة فلما قرب من خيل بني قضاعة كشف اللثام عن وجهه وإذا هو كأنه بدر التمام حسن القوام بادى الابتسام وكان هذا الغلام يسمى أسد الفلاة الحميري وكان ابن بنت الورقاء سيدة هذه القبيلة التي ذكرنا تسميتها فلما لحقهم صار ينادى بهم ويصيح ويلكم يا مذلولين أين تنجون من أيدينا أنتم عن يغار على أموال مثلنا وتنهبوا أموال الحية الرقطاء والذئبة المعطاء سيدة بني حمير وقاهرة كل من سكن البر الاقفر التي لا ترهب الابطال ولا تخاف الاقيال معودة القتال التي لا تمل من الشقا سيدة بني حمير الملكة الورقاء حاكمة أرض اليمامة وسيدة أهل رامة وحكمها نافذ إلى حد أرض تهامة أتظنون أنكم تأخذون أموالها وترجعون إلى أوطانكم سالمين وتمضون من بلادها غانمين فإن من دون ذلك جز المعاصم وبرى الغلاصم وفلق الجماجم وها أنا ابن بنتها أسد الفلاة وسالك طريق الملا ثم أنه أشار إليهم على هذا الحال وجعل يوبخهم وهو مع ذلك ينشد ويقول

فها نحن فرسان وقوم أعزة	ليوث كرام فوق كل الاغارب
ونحمى حمانا بالسيوف وبالقنا	ونسقى الاعادى من شراب المعاطب
وننهبهم بالسيف عمداً وبالقنا	وأموالنا مشهورة في الكتائب
أيسمع عنا في البلاد بأننا	عجزنا عن الاعداء وخوض المواكب

فمن ذا يحاربنا ويقصـــد حربنا ونحن ليوث عند وقع المضارب
ومن ذا يفاخرنا وسادات قومنا بنو حمير قوم كرام الأطايب

(قال الراوى) فلما فرغ أسد الفلاة من ذلك الشعر والنظام وسمعت عنيترة ما أشار إليه من ذلك المرام أبدت من هذيانه الضحك والابتسام وقالت له فى است أمك وأم زرقاء عمك يا ويلك أقصر عن هذا الفشار يا مذلول الشارب وأخس فرسان الأعارب فنحن فرسان بنى قضاعة أهل المروءة والشجاعة والفروسية والبراعة ثم أنها قومت نحوه السنان وقالت له دونك والطعان والتقى بعيترة القضاعية التى افتخرت بأجدادها العلية وأبوها عمرو ذو الكلاب الذى ذلت لهيبته فرسان العرب القضية منهم والدنية ثم أنها حملت عليه وصوبت بالدعنة عليه واستقبلته وهى تقول :

ونحن أولو العليا أصولى قضاعة رجال القنا فى الحرب والنقع ثائر
وفارسنا عمرو فهو خير فارس له الأصل والفرع الطويل الظاهر
له الجود والإفضال والبذل والعطا وفرسانه شبه الأسود دوائر
إذا ما رأوا حرباً يريد شرورهم وما زالوا إليها بالسيوف بواتر
وإنى أنا عنيـــترة الوغا جدردى قضاعة ليوث كواسر
أبى قاهر الأبطال والبطل الذى تذل له الأبطال والحرب دائر
قضاعة قومى هم أجل قبيلة وهم منهل للعز والخير وافر
وإنى احامى عن رفاقى وعترتى وأهزم هذا الجيش والسعد ناصر
ونحن سراة الناس أولاد ماجد ليوث الوغى ما بين بادى وحاضر

(قال الراوى) ولما فرغت عنيترة من شعرها حملت على أسد الفلاة وحمل هو أيضا عليها حتى طلع عليهما الغبار ودام بينهما الجولان ساعة من النهار وقد قدحت حوافر خيلهما نار وتطاعنا بالسنانين وتضاربا بالسيفين والأعين عليهما شاخصة وعقبان الآجال على رؤوسهما واقفة هذا وعنيترة تصول وتجول وأسد الفلاة وقع فى أمر مهول وصار يجول ويصول وأما الجوادان فقد عرفا من الطراد والقنا واعتراهما التعب وأخذوا فى الهزل والجد والصد والرد وما كان غير بعيد حتى بان الفارس الصنديد من الجبان البليد ثم انكشف عنهما الغبار وبان للأبصار وإذا فعنيترة على أسد الفلاة قد استطالت وصاحت صياح اللبوة وانصبت عليه انصباب الغيث إذا هطل وضربته بالسيف على عاتقه طلع السيف يلمع من علائقه ثم جالت فى الميدان وقالت هل من مبارز هل من مناجز هذا موقف الطعان والضرب بالسنان (قال الراوى) فعند ذلك برز إليها فارس ثانى فقتلته وثالث جندلته ورابع أعدمته وخامس رمته وسادس فى أهله فجعته وسابع فى الحرب خزلته وثامن عجلت منيته وتاسع

أهوته وعاشر فى الارض عفرته وما زالت على تلك الحالة حتى قتلت خمسة وعشرين فارس بالتمكين وتركهم على الارض مطروحين قال ولما رأى بنو حمير إلى هذا الامر المنكر وإلى ما حل بهم من العبر من بنى قضاعة وقد قتلت خمسة وعشرين فى ساعة أطلقوا الأعنة وعنيترة فى أوائلهم وخالها عمر وذو الكلاب فى مائة فارس وتركوا الباقى حول المال والنوق والجمال ثم أن عنيترة نادت أنا ابوة العجاج الضاربة بالحسام الوهاج أنا قاتلة الرجال أنا مبيدة الأبطال ثم صاحت وتمكنت ولم تطل الخطاب ولا كثرت من العتاب ثم أنها حملت كأنها صاعقة نازلة أو كأنها منية واصلة ثم صاحت فى فرسانها وقالت لشجعانها دونكم والقوم ودعوا عنكم العتب واللوم واتركوا الدماء على الدروع طرازا وانجزوا أمركم غاية الانجاز ثم أنها انقضت على الفوارس وأذاقتهم ضربا يورث التلاف والوساوس وطعنت فى صدورهم أخرجتها من ظهورهم هذا وهى تحمل بتلك المائة فارس الذين من بنى عمها وكانوا فرسان الهياج وليوث العجاج وحمل معهم أيضا عمر وذو الكلاب وعمل فى القوم كما تعمل نار الحرب وصارت الفرسان قدام عنيترة تكبكب ولها قلب أقوى من الحديد وأصلب وتكسست الفرسان وأبادت الأبطال وأهلكت الاقران وبددت الأعداء من القتلى فى ساحة الميدان ورأى عمر ومنها فى ذلك اليوم العجب وأسقت الفرسان شراب العطب وأقبلت أول القوم على آخرهم وشقت بطونهم وفطرت مرائرهم ورأى بنو حمير من عنيترة وأصحابها فرسان وأى فرسان يرون الموت مغنم والحياة مغرم (قال الراوى) فعند ذلك ولوا الأدبار قدام عنيترة هراثم كأنها البهائم وتبعهم بنو قضاعة وهم فى ثلاثة آلاف وانفرد منهم ثلثمائة فارس بلا خلاف وساقت الاموال والنوق والجمال وما زال بنو قضاعة خلف بنى حمير حتى تشتتوا فى البر الاقفر وهم يتعثرون بالاطناب من الخيام والقباب ولم يكن إلا ساعة حتى وصل الخبر إلى الزرقاء لانها كانت نازلة على جانب من أودية تلك الارض وكان بعيدا من موضع الواقعة مقدار فرسخ طولا وعرضا وهى تتحدث مع أكابر قبيلتها ووجوه عشيرتها وهى فى أكل وشرب ولعب وانشراح وأكل طعام وشرب مدام وقد ذهب عنهم الهم والاتراح وهم من اللهو والطرب لا يعرفون الليل من الصباح فلم تكن إلا ساعة حتى نزلت بهم الاتراح وصل إليها الخبر ا حل من قومها من العبر ولما سمعت بهذا الخبر قالت لهم ويلكم ومن هو الذى قدم علينا من ملوك العرب وأتى إلى أرضنا وتسبب بهذا السبب فقالوا لها يا مولاتنا خيل بنى قضاعة الاساوس أتوا إلينا فى خمسة آلاف فارس ومعهم فارس أسود أحمر أغبر مضاربه تسبق الموت الاحمر وهو الذى لجميع الفرسان دبر كأنه الموت إذا تصور وهو الذى أغار على ديارنا وساق أموالنا وأخذ نوقنا وجمالنا وقتل ابن بنتك أسد الفلا وأعدمه الحياة وقتل جماعة من الرجال وأهلك الفرسان والاقيال قال فلما سمعت

الزرقاء ذلك الكلام والمقال ما بقت تعرف اليمين من الشمال وقالت لهم أما سمعتم بهذا الفارس بمن يكنى قالوا بلى سمعناه عند حملته يقول قدام أهله وعشيرته أنا عنيترة بنت عمرو ذو الكلاب أنا لبوة الاسد القسور أنا بنت قناصة الرجال القضاعية أنا ذئبة البرية وهى التى قصدتك وقتلت أسد الفلا وأنزلت بأصحابنا البلا (قال الراوى) فلما سمعت الزرقاء ذلك الكلام صار الضياء فى عينيها ظلام ولطمت على وجهها ورأسها ورمت من يديها كاسها وانهدمنها أساسها وحيرت جميع ناسها وقالت لعبيدها ائتونى بجوادى وعدة جلادى ففى ساعة الحال أتوها بما طلبت من غير فعند ذلك ركبت جوادها واعتدت بعدة جلادها ونادت بأعلى صوتها يا للرجال فخرج معها جميع فى الحى من الابطال وكثر القيل والقال حتى تزلزلت الاطلال هذا وقد صاحت الاولاد والنسوان خوفا من السبى والهوان وهرعت الفرسان حتى تكاملت عدتهم أربعة آلاف وخمسمائة عنان وركضت الملكة الزرقاء وطلبت ساحة المجال وسارت الرجال خلفها ليشاهدوا ما تفعل من طعانها وضربها وكانت هذه الزرقاء فارسة العصر وفريدة الدهر وأنها لم تزل على ذلك الحال سائقة ولها هدير وزمجرة حتى لحقت بنى قضاعة وعنيترة الفارسة القسورة فرأتها قد أحلت ببنى حمير الوبال وأنزلت بهم الذل والخبال وقلعت الحلة باطنابها وأذاقت الحميريين من شرابها وأسقت القوم كاس عذابها وأوقعت الخوف فى قلوب الرجال وأحلت بهم الخبال حتى أنهم صاروا يتنافرون وتمت طاحون الحرب دائرة والحيل من زعقاتها غائرة ونافرة وقد فعلت هى وخالها فعال الجبابرة وعملت عملا يبقى ذكره ليوم الآخرة ولما رأت الزرقاء إلى ذلك غضبت غضبا شديدا ما عليه من مزيد ثم قالت لهم ويلكم يا أولاد اللئام غير أولاد الكرام تنهزمون مالى وتقتلون رجالى وتسوقون نوقى وجمالى اليوم أنا أبين لكم فعالى ثم أنها صاحت على أصحابها ويلكم يا لئام الارواح يا من فعالكم قباح أتنهزمون من قدام فرسان بنى قضاعة الذين ما هم إنس وتفزعون من بعض أنذال العرب وتزلون بين فرسان السبسب فلو حملت عليكم باقى أصحابكم كنتم بقيتم نهبا لخيلهم ودوابهم ولكن أنا الزرقاء واليوم تظهر الفرسان حقا ثم أنها حملت قدام القوم وقد أكثرت من العيب واللوم فعند ذلك التقت بهم بنو قضاعة تقدمهم عنيترة وخالها وأبها بقلب وفراسة فالتقى الجيش وتقابل الفريقان ودام بينهم الضرب والطعان وانطرحوا فى الميدان وجالوا على بعضهم الفريقان وقتلوا الفرسان والاقران وطلع الغبار إلى العنان وانعقد على رؤسهم مثل الدخان ودام القتال وعمل الصارم فى الابطال وتطاعنوا بالرماح الطوال وجالت الخيل يمينا وشمالا وكثر فى الارض من شدة الركض والزلزال وقربت الآجال (قال الراوى) وكانت الزرقاء قد حملت على بنى قضاعة فى خمسة آلاف فارس من بنى حمير وكان الذين قد لاقوهم من بنى قضاعة اثنين وخمسمائة فارس غضنفر والباقى متأخرون يحفظون

الأموال وما نهبوا من النوق والجمال وكانت عنيترة قدام القوم كما ذكرنا وفعلت في بني حمير عملا يعجز عنه أبوها عنتر في أول منشئه كما قدمنا الأنها في ذلك اليوم كانت الرجال كيلا وأى كيل وقل من بنو حمير عند ملتقى هذه الثلاثة الجبابرة القوى والحيل وصبرت بنى قضاعة على قتلها وطمعت فيها بنو حمير لكثرتها ولما علمت عنيترة أن جيش بنى حمير وجمع غزير حملت طالبة مقدم القوم لأن الزرقاء كانت قد ساقت قدامها القوم وهى تقاتل وبنو قضاعة هاربة من قدامها ومازالت في المواكب وتهزم الكتائب حتى التقت بعنيترة في وسط الميدان وأخذت معها في الضرب والطعان وجالا ساعة وقد سترهما الغبار عن أعين النظار فرأت الزرقاء من عنيترة حربا مالها بها طاقة ولا صبر ولا استطاعة وقد رأت أيضا عنيترة من الزرقاء التقصير وعرفت ذلك منها معرفة خبير وأظهرت لها عنيترة الكسل والعجز والفشل حتى طمعت فيها الزرقاء وبان لها علمها مقتل فعند ذلك عادت إلى نشاطها وأظهرت قوتها وانبساطها وحملت عليها عنيترة حملة صادقة وأقلبت السنان والطارقة وطعنت الزرقاء بعقبة في صدرها فمر منها على ظهرها وقد غبت من الطعنة عن صوابها ولم تعرف رشدها من خطاها ثم أن عنيترة انقضت إليها مثل العقاب وأوثقتها كتاف وقوت منها السواعد والأطراف وسلمتها إلى عبيدها وبعد ذلك حملت على سادتها وأماجيدها من بني حمير وأذاقتهم من كفها الموت الأحمر الذى لا يبقى ولا يذر وحملت في تلك الساعة حملات أبيها عنتر قال ولما رأت بنو قضاعة إلى عنيترة وقد أسرت الزرقاء وضربت فيهم ضرب من لم يخف فقويت قلوبهم وحملوا لحملها وتبعوا من فرسيتها وذاقت بنو حمير من بني قضاعة ساعة بالها من ساعة وحرب ما لهم به استطاعة ونظروا إلى سيدتهم قد أسرت والابطال قد قتلت فما كان لهم في سبيل إلا الهرب وتفرقوا في البر والسبسب قال فعند ذلك تبعتهم عنيترة هى وبنو عمها وهى تنشد وتقول

والله تركنا آل حمير بالقنـــا   عند القاصرعى تخور من القرب
وزرقاء لعقباء الفلا يا كاونها   يجولون منها كل جزء بمخلب
فابشروا يا آل حمير فى الوغا   فقد وافتكم عنيتره فى الحرب

(قال الراوى) فلما سمعوا بنو حمير كلام عنيترة أوسعوا فى الفلاة وطلبوا لأنفسهم النجاة وخافوا أن يموتوا موت الفجأة هذا وسيوف قضاعه تعمل فى ظهورهم أوفى عمل واشتد بهم الخوف والوجل وضاق فى أعينهم السهل والجبل وقد طار منهم العقل والنقلة ولما أسرت عنيتره الزرقاء انهزموا أصحابها غربا وشرقا فأمرت عنيتره بتقديم الاسارى بين يديها وأن يعرضوهم عليها ففعلوا ذلك الشأن وإذا هم ألف وخمسمائة فارس والباقى انهزموا فى البرارى والقيعان وما بقى حولهم لا صغير ولا كبير ولا حاجب ولا وزير وانهزم كل من

كان فى الحلة فاتها نهبتها ولم يتركوا شيئا من حواشيها وبعد ذلك رجعوا وعادوا طالبين بلاد شريف وهم بذلك الجيش المنيف وبنو قضاعة سائرة وبين أيديهم أسرى بنى حمير فى غاية الخوف وعنيترة وخالها عمرو وأمها القناصة فى أوائل الخيل وقد نالهم من فرحهم با بنتهم غاية النيل وهى سائرة فى أوائلهم فرحانة بما بان منها من الفراسة والقوة والبراعة وهى أمام القوم وقد صارت لا تخشى من أحد لا عتبا ولا لوم ولما رأت نفسها فى تلك الحالات أشارت تنشد وتقول

رجعنا إلى حفظ السلامة والنصر ومعنا من الاموال ماسد للفقر
لما التقينا مع بنى حمير رأوا رماحنا فى النحر منهم وفى الظهر
أسرت أنا الزرقاء فى حومة الوغا وعدت بها فى ذلة الاسر والقهر
وانا لقوم لنا الفخر كله وقد مزجنا جوله العز بالنصر
أبى عمرو المعروف فى حومه الوعى له الغاية القصوى فى البر والبحر
وأمى هى الهيفيا وقومى قضاعة ونحن أصول للفخار مدا الدهر
لنا السعد والاقبال والمجد والثنا وبالجود والاسعاد تعرف لدى عمرى

(قال الراوى) فلما فرغت عنيترة من شعرها وسمعت الزرقاء نظما ونثرها وفهمت ماذكرت من أمرها ونظرت بنى عمها نظرة الحنق وتمنت أنها لم تخلق وبكت وتحسرت ودموعها على خدودها جرت وقالت واأسفاه يا بنى عمى كيف أسرتنى هذه العاهرة الذميمة والوغدة اللئيمة نسل اللخنا وفضلة أولاد الزنا ثم انشدت تقول

اتأسرنى القوم اللئام تعديا واسمى سرى فى الناس شرقا ومغربا
حميت بلاد العرب فى صولة اللقا وخافت ملوك الأرض منى مهربا
وقاتلت جيش الفرس حتى لقيتهم وشقيت نفسى من عداى تعجبا

(قال الراوى) ثم أن الزرقاء لما أنشدت هذه الابيات كانت بالقرب من عنيترة وهى بحالة الذل والارغام فلما سمعت عنيترة نظمها ونثرها قالت لها ويلك يا عاهرة النساء وأخس من قسى ومن تمنى يامل وعمى تتكلمى على قدرك وليس شبرك كفترك وأعيدى كلامك على نفسك واعرفى قدر من هى قدامك فقد اسرتك طفلة صغيرة السن من بنات فرسان العرب ولكن هى سيدة بنى قضاعه فى الحسب وأبوها أذل سادات العرب والفرس والديلم وفتك فى كل فارس وبطل ونكس راية وعلم وجرى له مع القوم حديث يعلم وسعده قد كتب فى اللوح والقلم وهذا هو عمرو ذو الكلب المحتشم (قال الروى) فلما سمعت الزرقاء كلام عنيترة لدمعت على مقالها غاية الندم لما علمت انهم بنت هذا الاسد الضيغم ثم أنهم ساروا إلى بلاد شريف مدة المنى عشر يوما ومعهم من الأموال ماسد مفضاء وملا المسبوى وساروا

حتى وصلوا إلى ديارهم ونزلوا فيها وقر قرارهم وراح كل واحد إلى بيته وآنست المنازل بالنازل والأوطان بالقاطن وقد راحوا واستراحوا وعند ذلك أمرت عنيترة أن يضربوا الزرقاء أربع سكك من حديد ويعذبوها العذاب الشديد حتى يسمع صياحها كل قريب وبعيد وجعلت تطلب منها الفداء والأموال والنوق والجمال والزرقاء تقول لعنيترة أيتها السيدة الكريمة مهما طلبتي أحضره فبين يديك ولا أبخل به عليك فأرسلى أحداً من عبدك إلى بنى عمى يأتوك بالفداء والمال والنوق والجمال (قال الراوى) فهذا ما كان منهم وأما ما كان من المنهزمين لما رجعوا عنهم بنو قضاعة عادوا طالبين أوطانهم فرأوا الغربان تنوح فى أبياتهم والوحوش ترتع فى ربوعهم وقد شبعوا من لحوم ساداتهم والديار قفرى خراب ومأوى البوم والغراب ولا فيها سارحة ولا رايح وقد صارت منازلهم فضايح قال الراوى ولما رأى الرجال إلى ذلك الحال قال بعضهم لبعض يا بنى عمى البكاء من شأن النساء والصواب أنكم توسلون إلى سبيع والحارث وتعلموه بأسر عمته الزرقاء وابوة اللقا فهو يأخذ لكم بالثأر ويكشف عنكم العار (قال الراوى) فعند ذلك استصوبوا هذا الرأى والمقال وأنفذوا إليه بعض الرجال يعلموه هذا الأخبار وما جرى على عمته الزرقاء من الأسر والاضرار وخراب الديار (قال الراوى) فلما سمع بذلك ذو الخمار وأعلموه بأسر عمته الزرقاء وبموت ابنها أسد الفلا وما جرى لهم من الحرب والقتال من فرسان بنى قضاعة وما نزلوه بساحتهم من الأمور المرتاعة إلا أنه لما سمع ذلك الكلام شاط وامتلأ قلبه هم وفاض ثم أنه قال الرجل الذى أتاه ويلك ومن هو الذى أسر عمتى من ملوك العرب وما تجرأ عليها من ذوى الرتب فقال له الرجل والله ما أمرها أحد من ذوى الرتب ولا من الملوك وما أسرها إلا عنيترة بنت عمرو ذو الكلب القضاعية التى أقر لها بالفروسية كل من فى البرية وهى التى قد مضت بعمتك ومن معها إلى بلاد شريف وبين يديها عسكر منيف وقد سمعنا بأنها تركتها بين أربع سكك من حديد ووضعتها فى العذاب الشديد (قال الراوى) فلما سمع ذو الخمار ذلك الكلام أصبح الضياء فى عينه كالظلام وصاح فى العرب بالمحامن مصيبة ما أعظمها ومن بلية ما أيشمها ولكن وحق ذمة العرب وشهر رجب لا نزلن ببنى قضاعة العطب وآخذ بثأر عمى وعمتى وعشيرته ثم أنه نادى فيمن معها من بنى حمير وقال لهم خذوا أهبتكم للسفر فوحق الواحد الأحد الفرض الصمد الدائم إلى الأبد لا خليت من بنى قضاعة من أحد (قال الراوى) فلما سمع بنو حمير مقاله فأجابوه إلى سؤاله وأخذوا أهبتهم للرحيل من غير بطء ولا تطويل وسار معه كل فارس نبيل (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من بنى عبس وما جرى من الأهوال عليهم فانهم لما اجتمعوا فى مكة واجتمعوا بالبيت الحرام وقد آمنوا على أنفسهم من غدرات الليالى والأيام وكان كما ذكرنا أن زهير بن قيس فى جملتهم وهو الحاكم

عليه والمشار إليه لديهم وأن زهيرا كان اجتمع في بعض الأيام هو وبنو عبس الكرام عند البيت الحرام وقد افتكروا ما قد جرى على أهلهم وعليهم من تلك المصائب والآلام وداخلهم الندم على ما حكمت به عليهم الليالي والأيام فقال لهم زهير يا بني عمي اسمعوا مني ما أقول لكم من الخطاب وهو يكون غاية الصواب وهو إننا كنا جمرة العرب من بعد منها ومن اقترب وحكمنا نافذ على من ضرب البيد وتدا ومدطيب وقد جار علينا الزمان ورمانا بالذل والخذلان والعيشة بعد الأحباب غاية المصاب ولا بقي لنا عيش بطيب بعد فراق الأهل والحبيب فموتوا كراما ولا تعيشوا لئام (قال الراوي) ثم قال والرأي عندي أن تعود بنا إلى لقاء الفرسان والعربان ولكن بعدما نشاور السيد عبد المطلب ونعلمه بذلك السبب ثم أنهم قاموا من وقتهم وساعتهم وصاروا إلى السيد عبد المطلب وأعلموه بذلك السبب ثم أنهم انتظروا جوابه فقال لهم السيد عبد المطلب معاذ الله أن ألقى الفتنة بين قبائل العرب وأفني منهم الفارس والراجل لاسيما وقد آن أوان ظهور سيد الأنام مصباح الظلام ورسول الله الملك العلام سيد ولد عدنان الذي ينطق بفضله الغزال ويرمي الأصنام والأوثان ويبين الحلال من الحرام يا من خالق الأنام قال الراوي ولما سمع زهير بن قيس وبنو عبس هذا الكلام وما أبداه من النظام زادت بهم الآلام وحلت بهم الأوهام فقال لهم زهير يا بني عمي أهل الميت أولى بالبكاء وما بقي أحد يقدر على أخذ ثارنا إلا نحن بأيدينا لعل نبلغ من أعدائنا المنى فقالوا له بنو عبس صدقت أيها الأمير في هذا الرأي والتدبير افعل ما بدا لك فما فينا أحد يخالف مقالك ثم أن زهير لما سمع من بني عبس ذلك الكلام جمعهم وخرجوا من مكة والبيت الحرام وساروا لكي يأخذوا ثارهم ويكشفوا عنهم عارهم فلم يزالوا سائرين في ذلك البر والسبسب حتى بعدوا من مكة مسيرة أربعة أيام وهم يقطعون تلك البراري والآكام ولما كان في اليوم الخامس وهم في ذلك البر والسبسب وإذا قد التقت بهم أربع قبائل من قبائل العرب فلما رأوا بني عبس صاحوا على لسان واحد يا للعرب هؤلاء بنو عبس الأوغاد أسقوهم كاس العطب وما كان يحميهم إلا عنتر بن شداد (قال الراوي) وكانت هذه الأربع قبائل من بني عيبان وبني مذحج وبني سنبس وبني غيلان فلما وقعت العين على العين حان الحين وزعق عليهم غراب البين وتراموا باليدين وقال الخصم للخصم إلى أين وكالتهم الفرسان كيلا وأي كيل وحل ببني عبس البلاء والويل وتكردست عليهم الخيل وصبر كل فارس وقيل وكثر عليهم العدد وأتتهم العرب من كل قفر وسبسب واحاطت بهم جميع العربان وأتوهم من كل مكان وما بقي لهم أخ ولا صديق ولا صاحب ولا رفيق ومزقوهم أشد تمزيق واجتمعت عليهم سائر العرب من بعد منه ومن اقترب ووقعت الكسرة على بني عبس وراح أكثرهم تحت السيف وما نجا منهم إلا من أوسع في البر هرب ووقع فيهم الفنا وحاف عليهم الزمان حيفا وأي حيف وهج زهير بن قيس على وجهه في

نفر قليل من أصحابه وكانوا ثمانية عشر فارس والباقى راحوا دوارس وانقطع منهم الأثر حتى ما بنى لهم ذكر يذكر لأنهم انقسموا على ثلاثة أقسام البعض قتل والبعض هرب والبعض أسر ولما انقطع حس بنى عبس واندثروا تسامعت قبائل العرب بما حل بهم من الخسارة تجمعوا وجاؤا إلى بنى فزارة وقال هؤلاء بنى عمهم ولحمهم ودمهم فراحوا إليهم ومالوا عليهم وبذلوا السيف فيهم وقاتلت بنو فزاره نهارها وأحمت نفسها وديارها مدة أيام قلائل وبعد ذلك تكاثرت عليهم العربان وأحرقتهم بنارها وأهلكت كبارها وصغارها وقد فتكوا فيهم بالحسام البتار ونفذت فيهم أحكام الملك الجبار فلما رأى من بقى منهم ما حل بهم من البلاء والأضرار أخذوا فى وسع القفار وولوا الأدبار وركنوا إلى الهرب والفرار وما نجا منهم إلا القليل والباقى بين قتيل وجديل (قال الراوى) وكان عتيبه بن حصن بن حذيفة مع من نجا من الوقعة إلا أنه كثير البكاء والعويل وقد سار واطا البين أرض العراق وتلك النواحى والآفاق وهم هاربون على تلك الحالة إلى أن وصلوا إلى الحيره فتقدم زهير ورجاله الذين قد سلموا إلى مجلس الملك الأسود لأنه كان سبق عتيبة بن حصن فاجتمعوا مع بعضهم وسلموا عليه وقد أرخوا العمائم فى الرقاب وبكوا بذلة وعويل وحكوا له ما جرى عليهم من العبر بعد حاميتهم عنتر فقال لهم الملك الأسود الله حكم على بنى عبس بتشتيت الشمل وفراق الوطن والاهل بعد ذلك الباع الطويل وهذا حكم من ليس له شبه ولا مثيل وفى الحال دعا زهير بن قيس وخلع عليه وأمره مكان أبيه وصاروا عند الملك الأسود فى أعز مكان وكلما ركب يركبون لركوبه وهم إلى جانبه وصاروا عنده أعز من أهله وأقاربه ولم يزالوا كذلك على هذا الحال فبلغهم أنه بعث سيدنا محمد ﷺ وصار له من العمر أربعين عاما وأنزل عليه الوحى والقرآن وظهرت معجزاته والبيان وبلغ خبره إلى الملك الأسود وأنه دعا الناس إلى طاعه رب الارض والسماء وبان له كثير من الآيات والمعجزات فلما سمع قيس بن زهير هذه الاخبار أقبل على بنى عمه ومن معه من بنى عبس الاخبار وقال لهم يا بنى عمى إنى اشتهيت أن أزور هذا النبى العربى لاننى كنت أسمع أخباره من أبى بأن هذا النبى يكشف الضير عن العرب ويدعوهم إلى توحيد رازق الوحش والطير ويعرفهم الحلال من الحرام والنور من الظلام وأنا قد رأيت من الرأى أن نمضى إليه ونسلم على يديه ونشاهد انواره ونتملى بجماله وأكون من جملة أصحابه وأدخل فى هذا الدين القويم والصراط المستقيم (قال الراوى) فلما سمع أصحابه ومن معه كلامه ومقاله أجابوه إلى سؤاله وقال له نعم ما رأيت أيها الامير من هذا الرأى والتدبير وقال له افعل ما بدا لك فانا تابعون فعالك فعند ذلك قام زهير من عندهم ومضى إلى الملك الأسود وأعلمه بانه يريد المسير إلى النبى محمد ويبصر إن كانت العرب أطاعته أو قامت على مخالفته فلما سمع الملك الأسود من زهير ذلك المقال قال له افعل

ما بدا لك من الحال فلعلك تأتينا بعلم يقين وتكشف لنا عن هذه البراهين (قال الراوى) فعند ذلك ودعه زهير وخرج طالبا المسير بمن معه من بنى لاعمام وهم بنو عبس الكرام ولما عزموا على المسير وشدة التشمير عرضوا على عتيبة السفر فيمن معه من بنى عمه الابطال فقال عتيبة امضوا اقدامى وأنا أحقكم فى بنى أعمامى (قال الراوى) وكان عتيبة بن حصن قد قال لزهير ذلك المقال لانه جاف إن رافقه فى الطريق أن يلتق بهم أحد فيصرفهم و بعدمهم التوفيق أو يلق أحداً من العرب وسكان البر السبسب فيسقيهم كؤوس العطب ولا يدع منهم رأساً ولا ذنب (قال الراوى) فعند ذلك سار زهير فيمن معه من بنى عبس وساروا عند مطلع الشمس ومازالوا سائرين ليلا ونهار بلاهدو ولا قرار وهم طالبون النبى المختار الى أن وصلوا إلى مكة وتلك الديار والبيت الحرام قاصدين زيارة محمد عليه أفضل الصلاه والسلام لاجل أنهم يسلموا عليه ويسلمون على يديه قال الراوى وكان من جملة من تبقى من بنى عبس أربعة عشر نفساً من غير إطالة سوى زهير وقضاعة وهم الاكرم بن رماح وسمرة بن وشاح وعياض بن ناشب وناهض بن ناهب وقراوش بن عناشم ورحة الجواد بن قراة والعيشوب بن ماجد وفرقد ابن حنالة وسعد بن حبالة وحبيب بن جبير وفضالة وزهير أولاد قيس لاغير وكان الوزير عمرو بن نفيلة العدوى رضى الله عنه قد سمع النبى ﷺ وأنه ظهرت آياته و براهينه فترك زيد ابنه مكانه ومضى إلى حضرة النبى ﷺ وأسلم على يديه وبعد مدة من الزمان ومثل هؤلاء الاقوام إلى مكة وتلك الأوطان وهم بنو عبس عدنان وزهير أمامهم فاقبلوا على رسول الله ﷺ ووصلوا إليه واستأذنوا فى الدخول عليه ثم يقدم زهير وحياه وسلم عليه فرح بهم النبى ﷺ وتبسم فى وجوههم وحياهم وهو أكرم من يلقى الضيفان عند ملتقاهم وقال لهم يافتيان بنى عبس وحماة بنى عدنان ويافرسان الزمان فماذا أتيتم ولاى سبب قدمتم فقال له زهير بن قيس أتيناك يارسول الله لنسلم على يديك فانا زهير بن قيس ابن زهير فابى وجدى كان معدن الجود والخير وهذا أخى وهؤلاء بنى عمى قال الراوى فعند ذلك عرض النبى ﷺ الاسلام عليهم فكان أول من بادر إلى ذلك زهير بن قيس وأخوه فضالة وأقروا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وتبادرت بعده بنو عمه وأسلموا عن بكرة ابيهم ودخل الإسلام فيهم قال ففرح النبى ﷺ وأكرم زهيراً وبنى عبس غاية الاكرام وأكل هو وإياهم الطعام وقال النبى ﷺ إذا أتاكم كرم قوم فاكرموه ثم أن زهيراً جعل يحدث النبى ﷺ بحديث بنى عبس جميعهم وماجرى عليهم من القتال والشتات وكيف تفرقوا فى سائر الجهات ثم حدثه أيضاً بحديث عنتر بن شداد وما كان من فعاله الشداد وما كان يفعل بالعرب الجاهلية من النوى والعناد وكيف كان يشتتهم فى كل شعب وواد فقال ﷺ لو أدركت عنتر بن شداد لسددت به قطراً من أقطار البلاد

ثم أنه قال لمن كان حوله من أصحابه حدثوا أولادكم بحديث عنتر البطل المغوار فهو يشجعهم على لقاء الكفار ويترك لهم قلبا أصلب من الحجر على لقاء الفجار فلقد كان لبني عبس عبد نجيب * روى هذا الحديثان عن الحمزة عن الزبير بن العوام عن عمر ابن الخطاب عن الإلام على حل الرجال ونقلهما حازم المكي بن الأصمعي عن البخاري بالأسانيد الصحيحة فعند ذلك أقبل زهير على النبي ﷺ وقال رسول الله أعقد لي عقد الإمارة على قومي فقال له يا زهير ما تنعقد الرايه إلا على أربعين رجلا في الإسلام فقال يارسول الله كنا في عالم عظيم وكان لنا في الفروسية خطب جسيم فأتتنا سيوف العرب وفرقتنا في كل قفر وسبسب ولم يبق منا إلا ما ترى (قال الراوى) فبينما زهير بين يدى النبي ﷺ وهو يحدثه وإذا قد أقبل عتيبة بن حصن فيمن معه من بنى فزارة فلما وردوا على النبي ﷺ وسمع أن زهير وبنى عبس أسلموا فعند ذلك بادرهو ومن معه إلى الإسلام ورغبوا في دين الملك العلام فقال زهير يارسول الله هؤلاء بنو عمي ولحمى ودمى فاعقد لي عليهم عقدة الإمارة فقال النبي ﷺ الآن صحت لك الامرة يا زهير وأمرك يؤول إن شاء الله إلى كل خير ثم أن النبي ﷺ عقد له الإمارة على بنى عبس وبنى فزارة وأعطاه راية سوداء مكتوبا عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله وتجددت الإمارة في بنى عبس بعدما كانوا عليه من الشر والضير وصار عتيبه بن حصن ومن معه من تحت راية زهير بن قيس وصفت قلوبهم لبعضهم البعض وبطل من بينهم الإبرام والنقض وكذلك وقع للأوس والخزرج وانبسطوا وصاروا لبعضهم أحبة مع ما كان بينهم من العداوة والنكبه وقد أنزل الله تعالى في حق زهير بن قيس وعتيبة بن حصن وهذه الأقوام هذه الآيه قرآنا عظيما وهو قوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها وصحت الامرة لزهير بن قيس وكان الذين قد تأمر عليهم من بنى عبس وبنى فزارة أربعين رجلا وأيضا عقد الاماره لعتبة بن حصن على بنى فزارة من تحت زهير بن قيس وأقبل عليهم النبي ﷺ وقال لهم اضربوا لكم الخيام والعتاب وقال لهم تعلموا القرآن والأدب والسكون واضربوا لكم الأطناب والبيوت فقالوا له اعلم يارسول الله إن العرب شيء كثير ونحن قوم يسير وورائنا أولادنا ونساؤنا وباقى حلفائنا ونريد أن نسير ونأتى بالأولاد والحريم ونجعل مقامنا عند زمزم والحطيم ونقرأ بين يديك القرآن العظيم ونقاتل بين يديك من يخالفك من العربان ومن يعصى أمرك كائنا من كان ولهم كسرى أنو شروان وقيصر ملك عباد الصلبان فقال لهم النبي ﷺ افعلوا ما بدا لكم لا اعتراض عليكم في إصلاح شأنكم سيروا بارك الله فيكم وبالخير والانعام يجازيكم (قال الراوى) ففرحوا بدعاء النبي ﷺ وقبلوا يديه المباركة وودعوه وساروا طالبين الحيرة

حتى يأخذوا الحريم والأولاد ويعودوا بهم إلى مكة المشرفة ويأمنوا من كيد الأعداء والمبغضين والأضداد والحساد بجوار النبي ﷺ زين العباد وساروا يقطعون البراري والقفار مدة إحدى وأربعين يوم إلى أن وصلوا إلى الحيرة وتلك الديار وعتيبة يقول لزهير دعنا نقصد الملك الأسود ونعلمه لما جرى لنا وندعه أن ينفذ معنا من يخفرنا في الطريق وينقذنا من كل شدة وضيق إلى أن نوصل إلى ديارنا وأطلالنا قال فلما سمع زهير هذا المقال قال هذا شيء ما أفعله ولا أنا محتاج إليه لأن دعاء رسول الله ﷺ خير لنا من كل أحد من أبيض وأسود وعنايته تمنع عنا من يطلبنا (قال الراوي) وما زالوا على تلك الوتيرة إلى أن وصلوا إلى الحيرة فرأوها منقلبة والخيل منهلبة والأعلام مائلة والدنيا مرتبكة فقالوا ما هذا الخبر وما هذه الحالات فأخبروهم أن الملك الأسود قد مات وشرب شراب الآفات وهذا الذي أعيا الملوك والسادات والأكابر والقادات فدخلوا إلى وسط الإيوان فرأوا قد تولى الملك المنذر بن الملك النعمان على مملكة العربان وهو جالس على تخت المملكة وحوله أرباب الدولة والأجناد والغلمان والناس يقبلون الأرض بين يديه وبنى عمه يعزوه وبالملك يهنوه وهو لا يبدى حركة (قال الراوي) وكان هذا الولد من أخت قيس بن زهير وكان اسمه المنذر لأن أباه النعمان لما قتله كسرى أنوشروان وصلب أصحابه على قلل الإيوان وذلك بعد ما رماه إلى الفيل المجنون وطالبه بالمظالم والغيبون وكان من أمره ما كان وقد سبق ذلك الكلام بأيامه وكان هذا الولد طفلا صغيرا وهو مع أمه فلما تزوج بها الملك الأسود بعد أخيه النعمان أقامت معه مدة من الزمان ثم تقلبها وعجل من الدنيا برحلها فاخذه معه الملك الأسود وربّاه ولم يترك أحدا سواه يربيه ولم يدع غيره يحكم فيه لأنه على كل حال ابن أخيه وما زال على ذلك الحال وقدت عليه الأيام والليالي حتى كبر وترعرع ومشى فعلمه الخط والبيان وتفرس مع الفرسان وسار يطاعنهم في حومة الميدان حتى أباد الأفراد وفرّ ان وقهر الفرسان وهو عند عمه الملك الأسود في ذلك الزمان حتى وراه التراب وكان له يوم عظيم الشان ما جرى مثله في سائر الاعراب وعمل المنذر لعمه العزاء سبعة أيام فلما كان اليوم الثامن سار في خواص قومه إلى المدائن يجدد مملكته عند الملك كسرى أنوشروان وكان قد صحبه فرسان كثيرة من أصحابه وجنده لأنهم كانوا يحبونه لكون أن اسمه المنذر كان على اسم جده ولما أراد المسير اجتمع إليه الملك زهير بن قيس فيمن معه من الفرسان وعتيبة في بني فزارة العربان فاستقبلهم أحسن استقبال وأطلعهم على ما فيه من الحال وأخذ زهير بجانبه اليمين وعتيبة بجانبه الشمال لعلمه أن زهير سيد بني عبس وأيضا ابن خاله فلأجل ذلك قربه إليه وأطلعه على حاله وأمرهم بالمسير معه إلى المدائن وما زالوا سائرين الليل والنهار يقطعون السهول والأوعار إلى المدائن ودخلوا على الملك الإيوان واستأذنوا في الدخول على الملك كسرى

أنوشروان فلما أذن لهم دخلوا عليه وأومأوا بالسلام عليه وقبلوا الأرض بين يديه فأذن لهم أن يكون مكان أبيه ملك العرب فانفرح الملك المنذر بما ناله فعند ذلك امر الملك كسرى بالخلع السنية أن تخلع عليه وأن تقاد الجنائب بين يديه فعند ذلك دقت البشائر وفرحت بذلك الأصاغر والأكابر لأنهم يحبون المنذر لأجل أبيه النعمان وما سلف إليهم من قديم الزمان من الجميل والإحسان هذا والملك المنذر قد فرح فرحا عظيما بتلك الخلع والأنعام وأقام عند كسرى فى المدائن سبعة أيام فى إنعام وإكرام زائدين ولما كان فى اليوم الثامن أخذ الإذن من الملك كسرى فى المسير فاذن له وأمر معه فى السفر وخلع عليه وعلى زهير وعلى عتيبة وعلى أرباب دولته وقد فرحت العرب بولايته لأنهم كانوا يحبون الملك النعمان وذريته ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا إلى الحيرة فخرج إليهم كل من فى المدينة وقد أظهروا الفرح والزينة وقد فرحت لهم تلك البلد وفرح بولاية المنذر كل أحد ودخلوا إلى بيوتهم يوم عظيم ما رأوا مثله فى سائر الأقاليم وجلس المنذر بن النعمان وقد صار ملكا على سائر العربان فلما بلغ ذلك إلى جميع عرب البر والقفار بولاية المنذر بن النعمان وأنه قد صار ملكا على سائر العربان أتت اليه من كل قفر وسبسب ومعهم الهدايا والأموال والخيل والجمال وصاروا يدخلون عليه ويقدمون ما معهم من الأموال اليه وكان كلما دخل أمير أو ملك من ملوك العرب ومعه أنصاره ينظرون إلى زهير وعتيبة قاعدين عن يمينه ويساره فتهابهم ملوك العرب ولم يبق لهم يد تمتد إليهم بذلك السبب ولما أعطت جميع الملوك الخدمة للملك المنذر بن النعمان ونظروا كيف خدمته الليالى والأيام وكيف نظروا بنى عبس عنده فى النعمة المخولة وكيف زهير وعتيبة فى أعلا المنزلة فلما بلغ ذلك إلى جميع العرب ممن طلعت عليه الشمس ما بقى أحد منهم يمد يده إلى بنى عبس لأن الدولة صارت لهم وهم وراء الملك المنذر وانكفت عنهم أيدى العرب من بعد منها ومن اقترب هذا وزهير وعتيبة وحصن عند المنذر فى أعز مرتبة وأعلا منزلة وما تقضى حوائج الناس إلا على أيديهم وداموا على ذلك الحال أياما وليالى إلى أن كان فى بعض الأيام إذ قد وصل إليهم أخبار مستكثرة بأن قد انتهى فى بنى قضاعة فارس يقال له عنيترة وهو من أقارب عمرو ذو الكلاب وأنه قد دهان كل صعب ولم يوجد مثله فى الشرق ولا فى الغرب فقال زهير هذا والله عمرو ذو الكلب كان مصاحبا لعنتر بن شداد وهو مؤاخيه ولعل أن يكون من محبته فيه قد رزق ولدا ذكراً فسماه بهذا الإسم محبا فى عنتر وبعد ذلك فلا بد لنا أن نقتفى آثاره ونزوره فى دياره ونكشف عن هذا الخبر (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من حديث ذوالخمار فإنه لما سمع أسر الورقاء عمته وأتته العبيد بالخبر نادى فى بنى عمه وعشيرته أن يسيروا معه إلى نصر ٠ حتى يخلص

إلى عمته فما منهم إلا من أجاب ولبى وفى ساعة الحال ركبوا الخيل العوال واعتقلوا بالرماح الطوال وتقلدوا بالسيوف الصقال وساروا طالبين بنى قضاعة بقوة واستطاعة وذو الخمار أمام القوم حتى لا يدع عليه عتبا ولا لوم وهو ينشد ويقول

أتراع مخيل بالاجل الدقاق — وضرب الروس بالبيض الرقاق
وصوت طنين أطراف العتاق — وحسن المرهفات بالانتشاق
الذلى وأحـــلى من حبيب — وإبريق وكاسات دهاق
ظننتنى يازنيمة أن تعيشى — تمادي للسباع هناك باق
أسمى ذو الخمار وحد سيفى — إذا جردته بلغ التراقى
ولى ذكر سرى فى الأرض جمعا — وإنى فارس الخيل العتاق
وسرت إلى الشام وأرض مصر — وكل العرب والسبع الطباق
ولى فى الحرب وقعات عظام — وضرب فى الاعادى والرفاق
وبارزت الفوارس من معد — وقحطان وأحراب الرفاق
وما الايام إلا مزعجات — وماذا الدهر إلا ذو محاق
ويهدم غالبا ويحط حيط جيدا — وتغلب أسدها عند التلاق

(قال الراوى) ولما فرغ ذو الخمار من شعره طربت بنو عمه من نسمه وعرفت أنه ما بعد عنتر فارس غيره يذكر ثم أنهم ساروا الليل والنهار يقطعون الفيافى والقفار إلى أن وصلوا إلى بلاد شريف وتلك الديار ولما أشرفوا عليها ووصلوا إليها نظر ذو الخمار إلى تلك الأرض والبلاد وقال رحمك الله يا عنتر يا ابن شداد فوالله كانت ههنا منزلته لما دخل على هذه الأرض بسبب ابن خاثر وصار له ما لكار جاثر وكنت أنا والله عنه عاجز لقد كان والله فارس الفرسان وفريد الوقت والزمان وقاهر الفرسان فى ذلك الزمان فواحسرتاه على قبر حواه وبعد ذلك ما صفا لى الزمان ولا صرت له من الاخوان ولا ابيته ولا صاحبته إلا أخذته منى نوائب الزمان ثم أن ذو الخمار قد خنقته العبرة فبكى بوجد وحرقه ولما هدأ روعه وسكن هلوعه قال لاشك أن الحبل الاعلى رمانى فى يد هذه مثل نوبة غمرة بنت فائز تكون هذه ثانى مرة وأكون أنا على كل حال عاجز لان قلبى من هذه الشيطانة نافر وخائف أن أكون بعد الربح خاسر قال ولما وصل بنو حمير وذو الخمار إلى تلك الارض والديار وطلعت غبرتهم ونظرتهم الرعيان وحققوهم بالعيان فعند ذلك تهاربت العبيد طالبين الخيام ليعرفوا عنيترة بتلك الغبرة التى كأنها الغمام وما زالوا سائرين وهم متفكرون فى تلك الغبرة حتى وصلوا إلى مضرب عنيترة فوجدوها جالسة وهى على ذلك اللون والصفة والعبيد من حولها مصطفة وهم واقفون فى خدمتها وخائفون من هيبتها وقد سكنت فى قلوبهم سطوتها وأكابر بنى قضاعة بين يديها وقالوا لها يا ملكة يا حامية ارض قضاعة

ياصاحبة القوة والبراعة قد أتت إلينا خيل غائرة غير زائرة وهم يريدون الغارة علينا ويوصلون الأذية لنا (قال الراوى) ولما سمعت عنيترة من العبيد كلامهم وما أبدوه من نظامهم وخطابهم وثبت كأنها الأسد الدرغام على العبيد بالكلام وقالت لهم ويلكم أما سمعتم كلامهم وفهمتم مقالهم فقالوا سمعنا مقالهم ومرادهم ورأينا فى أولهم فارس فى الحديد غاطس كأنه قلة من القلل أو قطعة فصلت من جبل وهو للطعن احتفل وينادى إلى أصحابه الغارة الغارة أكشفوا عنكم العار وأزيلوا عنكم الشنار يابنى حمير أنا سبيع بن الحارث الأسر الهدار الملقب بذو الخمار (قال الراوى) فلما سمعت عنيترة ذلك المقال قالت إن صدقنى حذرى فهذا ذو الخمار عبيد القناعس الذى بعد فى الحرب بسبعة آلاف فارس ثم أنها فى ساعة الحال صاحت على فرسانها والرجال الذين ما منهم إلا كل شجاع ريبال وقالت لهم دونكم وعدوكم ومن أتى يسبى حريمكم وينهب أموالكم ثم صاحت على العبيد أن يقدموا لها جوادا من الخيل الجياد وأفرغت عليها صدرية زرد مضاعفة العدد كأنها عيون الجراد وتقلدت بحسام مهند وركبت على ظهر جوادها وأخذت رمحها بيدها وركبت الفرسان لركوبها ثم أنها سارت تطلب الطعان وقد تتابعت خلفها الفرسان ودارت بها بنو قضاعة يمينا وشمالا وقد علمت أنها بهيبتها تبلغ الآمال إلا أنهم ما خرجوا من الخيام حتى ساق ذو الخمار النوق والجمال والأنعام والأغنام وما كانت خرجت عنيترة من الحلة حتى وكانت بها مائة فارس من الأبطال الشجعان الثقال عشرين من العبيد كأنهم الجمال (قال الراوى) ولما ساق ذو الخمار أموال بنى قضاعة فى تلك الساعة أوقف لها مائتى فارس تحفظها من كل ليث غضنفر ووقف ذو الخمار فى عشرة آلاف فارس من بنى حمير إلا أن عنيترة لما نظرت إلى ذلك الحال ما أهالتها كثرة الرجال بل أكبت وأسها فى قربوص سرجها وحملت بقلب أقوى من الحجر وجنان أجرى من تيار البحر إذا زخر وزعقت عند حملتها يا مأخوذين يا مذلولين من أنتم من الفوارس والرجال القناعس حتى تغيروا على أموال بنى قضاعة أهل الفروسية والشجاعة وفيهم عنيترة بنت عمرو ذو الكتائب الفارس الندب أم الزوزع وليث الوقائع مردية الأبطال الشداد ومهلكة الأعداء والحساد فارسة الخيل خليفة الأجواد خائضة الليل قاتلة أسد الفلاه وقد أسرت لزرقاء بين الملا وأفنيت الجبابرة العتاة الذين نارهم لا تطفى وذكرهم لا يخفى فخلوا يا ويلكم عن الغنيمة وامشوا فى الطريق المستقيمه وانجوا سالمين ولا رواحكم غانمين ولا حل بكم البلاء وشتت شملكم فى أقطار الفلا ثم أنها حملت وإلى عنان جوادها أرسلت ثم أشارت تنشد وتقول :

سلوا الخيل عنى والحسام المهندى	ماذا يلاقى القرن فى الحرب من يدى
أنا صورة الموت الذى من تصورت	له فارق الأوطان والأهل عالدى
إذا الحرب سد الأفق وارتبك المدا	أدير رحاة الحرب فى كل فدفد

وأسقى الفوارس من يدى كل ساعة	من الموت كاسا وهو نار توقدى
وأفنى رجال الحرب بالسيف والقنا	وأتركهم فى الروع طعم الأساود
ترى القرن يوم الروع ينشاف سطوتى	يعود مروعا فى الفلاة كأجرد
أنا اللبوة الفرسان فى حومة الوغى	أبى عمرو المعروف فى كل مشهد
خليلى ما الإنسان إلا ابن يومه	وكم فى الفلا شلو قتيل مهندى

(قال الراوى) فلما فرغت عنيترة من شعرها وسمع ذو الخمار مقالها قال لها تكلمى على فدرك وقيسى فترك بشبرك ثكلتك أمك وعدمك أهلوك يا ابنة الخنا وفضيلة تربية أولاد الزنا فنحن سادات بنى حمير وفرسان البدو والحضر ومثلك أنت يا زنيمة من يقدر على أسر الزرقاء ولبوة اللقاء المسماة بالحمقا اللبوة الشمطاء والحية الرقطاء والذئبة المعطاء (قال الراوى) فلما سمعت عنيترة خطابه وفهمت مقاله وجوابه قالت له ويلك من تكون من الرجال الدون أنت نصاب أو مجنون فقال لها أنا سبيع بن الحارث بن مزيد بن سبيع الفلا بن أسد البيدا من خيار أبناء التبابعة فارس الأقطار ومشبع الأطيار المعروف بين سادات العرب ذو الخمار ثم أركب رأسه فى قربوص سرجه وحمل على عنيترة وأشار اليها وهو يقول صلوا على طه الرسول :

دعى الفخر فالأيام تبنى وتهدم	وتضحك محزونا وتعطى وتحرم
وترفع من قد عاش فى الذل عمره	وتنصف من غير اقتصار وتظلم
ومن كان غر بالزمان حلت له	مشاربه عند الصفا وهو علقم
عدمت عناق الخيل إن لم أخض بها	بحار المنايا والغبار مخيم
واضرب بالمهندى فى حومة الوغا	وارجع يوم النقع وهو مسلم
وأبذل دون الحير بين مهجتى	بسمر القنا والمرهفات تلثم
علوت على أبناء جنسى تكرما	فمن ذا يضاهينى وعنى يقدم

(قال الراوى) فلما فرغ ذو الخمار من شعره همت عنيترة أن تحمل عليه وإذا بفارس من بنى قضاعة قد سبقها وحمل عليه كأنه شاب نار وقال له دونك والطعان فى حومة الميدان من أنت حتى تبرز لك عنيترة يا جبان وهى سيدة الشجعان وهى أم الزعازع ولبوة الوقائع التى ماسمعت المسامع وأنا من بعض بنى عمها وعشيرتها ومن كبراء حلتها قال وكان هذا الفارس القضاعى الذى برز إلى ذو الخمار فارس جبار وبطل مغوار لا يقع إليه فى الحرب غبار وكان تحته يومئذ جواد من أزفى الخيول الجياد وشديد القوى والخيل له غرة كالقنديل وذيل كالمنديل قوى الركب طويل الذنب لا يأخذه تعب ولا نصب والفارس غارق فى لامته متسربل بالحديد والزرد النضيد متقلد بسيف مشطف كأنه الأسد الأغلب بيده رمح أسمر

من عمل سمهر معتدل الكعوب كأنه أنبوب وعليه زردية من الزرد كثيرة العدد لا يعمل فيها المهند ثم أنه حمل على ذو الخمار كأنه الاسد الهدار أو شعلة نار فتصادما وتلاحما وتصارخا وتهاجما وتقاربا وتباعدا وأخذ فى الشباط والمعاركة والعياط وتضاربا وتحاربا وعظم بينهما القتال وزادت الاهوال وحمى النزال وطلع عليهم الغبار إلى أن غابا عن الأبصار وشخصت عليهم النظار فبينما هم على تلك الاخبار إذا بزعقة من تحت الغبار وقائل يقول بالحمير الشطار لا شقيت أنا ذو الخمار الأسد الكرار وقد بان من تحت الغبار وهو يقول الفارس القضاعى وهو أسير ذليل حقير ثم سلمه إلى بنى عمه فشدوه كتاف وأوثقوا منه السواعد والأطراف وعاد ذو الخمار إلى الميدان ومحل الضرب والطعان وقال هل من مبارز فبرز إليه عمرو ذو الكلب وأنشد يقول صلوا على طه الرسول:

أنا ابن السيوف وأبطالها إذا جالت الخيل أفيالها
الفت لظاها وقد أظهرت لهم الحادثات أهوالهـــا
وأسقيتها الماء زائداً وزلزلت فى الحرب زلزالها
فدونك والحرب من ضيغم إذا نادت الحرب هيـــا لها
وأسقى رجالا كؤس الفنا وتجرى المقاتـــل أمثالها
كريم النجاة شديد الحسام يخوض الحروب وأهوالهـــا
فدونك ليثاً سديد اللقا ويقهر فى الحرب أبطالهـــا

(قال الراوى) فلما سمع ذو الخمار كلام عمرو ذو الكلب قال له اسكت يا كلب أكلب ويا ذئب أجرب ثكلتك أمك وعدمك أهلك وقومك من أنت من الرجال حتى تقول هذا المقال يا ندل يا ابن الأنذال فلا بد لى من أسرك وأسر رجالك وأكيلكم فى الحديد وأوثقكم الوثاق الشديد ثم أنه أجابه على عروض شعره يقول:

تهدد بالقتال وبالنزال ليوث الحرب يوم المجال
سيوف الهند تعرفنى حقيقا وأسد الغاب تهرب من قتالى
إذا ما قام سوق الحرب يوما بضرب السيف والسمر العوالى
وأنى من أناس فى البرايا كرام للضيوف وللنوال
ونضرب بالسيوف إذ التقينا ونطعن بالرماح وبالنبال
بنو حمير ترى فى وقت حرب تكر على العدا وسط الرجال
وإن كنت تسمى عمرو ذو الكلب فإن اسمى سبيع فى الدحال
وأنى ذو الخمار فريد عصرى وحيد فى الزمان بلا مثال

(قال الراوى) ولما فرغ من شعره حمل على عمرو ذو الكلب وأخذا فى معاناة الحرب

فتلقاه عمرو بضربات أحر من النار حتى علا عليهما الغبار وأخذا فى الهزل والجد والكر والفر حتى جريت الخيل من تحتهما خبباو حالا بعدا وقربا (قال الراوى) لهذه الاخبار واختصرنا فيما جرى فى حرب الاثنين فى ذلك النهار صاحا صيحتين عظيمتين كانهما أسدين ضاربين وما زالا على هذه الأخبار إلى أن صار آخر النهار فعند ذلك انفصلا على سلامة وما أحد منهم على علم صاحبه بعلامة ونزل الفريقان وأوقدوا النيران وتحارسوا الجمان وما زالوا على ذلك إلى الصباح فركبت الفرسان وطلبت الحرب والطعان فعند ذلك حملت بنو حمير على بنى قضاعة بقلوب غير مرتاعة وحملت الرجال على الرجال والتقت الأبطال وكثر القتال بين الفريقين وعظم النزال ودامت الأهوال واختلطت السمر العوال والتقت الصفوف بالصفوف وتكردست المئات والألوف وشربوا كاسات الحتوف وصار قلب الجبان ملهوف والشجاع يسعى ويطوف وكثر الحنق وزاد القلق وتمنى الجبان أنه لم يخلق وجرت الدم واندلق هذا وعنيتره فى حومة الميدان تجول وتصول وتمددا لاقران عرضا وطولا وأكثرت الزلزال وساقت قدامها الأبطال وطيرت قحوف الرجال وصارت تضرب فى بنى حمير ذات اليمين والشمال وهى تنادى أنا أم الزعازع ولبوة الوقائع وهى تزعق فى بنى قضاعة الأبطال وتحثهم على الحرب والقتال فأجابوها بقلوب غير مرتاعة وحملوا على بنى حمير حملة صادقة فى تلك الساعة فلله در بنى قضاعة بين الرجال فكم أهلكوا من بنى حمير أقيال وعملوا فيهم أى عمل وكم أبادوا من كل بطل وفلقوا الجماجم والقلل ولم تنفع فى ذلك اليوم الخيل وقل من بنى حمير العمل وحان منهم الأجل وكثر عليهم الوجل وضاق عليهم السهل والجبل ووقفت عنيتره ورجالها وفرسانها قدامهم وقفة الغضب وأشبعتهم طعنا وضرب وتكردست الخيل على الخيل وأنزلوا بركابها الذل والويل وكالوهم أوفى كيلا وأى كيل وصار نهارهم كالليل هذا والقتال يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل وقد عملت عنيترة ورجالها فى بنى حمير أى عمل وما زالوا على ذلك الحال إلى أن ولى النهار بالارتحال وأقبل الليل بالانسدال (قال الراوى) فعند ذلك افترق الطائفتان من القتال ونزلوا فى الخيام واستقربهم المقام فافتقد رجاله ذو الخمار فوجد قد فقد منهم ألف وخمسمائة فارس أسود عوابس فوقع فى بنى حمير الارتجاف وأيقنوا بالتلاف وعلموا أنه ما بقى لهم أسعاف وأيضاً عنيتره وخالها لما نزلوا فى الخيام افتقدوا من قتل لهم من الرجال الكرام فوجدوا أنهم قد قتل منهم خمسمائة فارس همام فلما علمت عنيترة بذلك صعب عليها وكبر فيها وقالت لخالها يا أبتاه أنا عداة غدا برز إلى أعدائنا الأندال أريهم كيف يكون القتال وأول من أقاتل والخمار الخائن الغدار فلما سمع عمرو ذو الكلاب من عنيترة ذلك قال لها وما ذو الخمار ما هو إلا ذو فرس جبار ما يوجد مثله فى سائر الأقطار فقالت له يا أبتاه لا كلام إلا غداة غد أريك

ما أفعل به إذا برزت اليه بنفسي وأحامي عن أبناء جنسي فإما أقطع حسه وإما أقطع حسى لأن من قال أنا وقع في العناء وشرب كاس الفناء ثم أنهم بعد ذلك أكلوا شيئاً من الطعام وقاموا للمنام وباتوا يتحارسون إلى الصباح فعند ذلك سارت الرجال تطلب الحرب والكفاح وركبت خيولها وجردت نصولها واعتقلوا بذبولها وتقدمت لخولها وتدانت الخيل من الخيل وحمل كل فارس قيل وحمل بيمه السيف الصقيل والسنان الطويل وكان بنو قضاعة لبنى حمير كيلا وأى كيل وأحلوا بهم الذل والويل وتركوا دماءهم تجرى مثل السيل وأخرجوهم من أرضهم بالحسام وخلصوا منهم أموالهم بالجملة فبينما الناس في قطع الجماجم وجر المعاصم وإذا بمنادى ينادى من بين الرجال ويلكم كفوا أيديكم عن القتال وإذا بفارس منهم قد خرج وهو ضارب اللثام وعليه هيبة واحتشام وهو ينادى يا بنى قضاعة على مهلكم فأنا أقضى هذه الأشغال عنكم وأول بأعدائكم الذل والخبال والشناعة وأفنيهم في هذه الساعة وإن كنتم ما تعرفون ولا لكم بي خبرة فأنا صاحبة الهمة والمقدرة أم الزعازع عنيترة ابنة عمرو ذو الكلب فارسة المعامع ثم أنها كشفت لثامها وجردت حسامها ونادت بأعلا صوتها ابن سبيع الجبن ابن الحارث الخائن الناكس فليبرز إلى مقام القتال ومحل الطعان وساحة الميدان حتى تنظرنى وتنظره الفرسان ويبين الشجاع من الجبان ويعلم من هو أقوى منا جنان ثم أنها أشارت إلى بنى حمير وأنشدت تقول صلوا على طه الرسول :

أنا الفتاة ابن الفتى من لم يمل	وإن وقع في الموت عينيه لم تمل
ويضرب بالهندى في وسط القلل	ويفنى الأبطال ما يخشى ملل
إذا الجبان هار من وقع الأسل	وثار نقع الحرب نارا تشتعل
أهجم فيها لا أخاف من وجل	واضرب القرم ولا أخشى زلل
أنى أنا الطاعنة بالسمر الأسل	وفكاكة الدروع في يوم الوجل
أنى أنا ذات الوشاح والكلل	تخاف من الأسد في يوم الدحل
أنى إذ الموت على القوم نزل	كنت كضرغام وليث وبطل

(قال الراوى) فلما فرغت عنيترة من شعرها طلبت البراز وسألت الانجاز ثم أنها لعبت على جوادها بآلة حربها وجلادها حتى لينت عريكة الجواد وكسرت حدته بالطراد وجالت بين الصفوف وتلك الأبطال الوقوف فبينما هي تصول وتجول وكل واحد نظره إليها ناظر وإذا قد برز إليها سبيع بن الحارث الباهر المكنى بدوا الختار كأنه أسد هوار وهو فوق الجواد مدخر ليوم الطراد معدود للحرب والجلاد وهو للحرب معدل وبالحديد مسربل ومعتقل وفي يده سيف مسلول برمح تام في الطول وهو ينشد ويقول

قد علمت ذات اليوم الجيد	أنى أنا الطعان لا أحيد

وعن براز الحرب لا أعود إلا برأس البطل الصنديد
والضرب منى هائل شديد تبرى به الهامات والقدود
واضرب الشجاع فى الوريد أتركه تبكى عليه الغيد
وطعنتى فى النحر والكبود بها يفك الزرد النضيد

(قال الراوى) فلما سمعت عنيترة شعر ذوالخمار ونظرت إلى قاماته بادرت إليه وصدمته وتلقته واحترزت من طعانه ومضاربه وعلمت أنها إن أسرته أفنت عسكره وكسرته فعند ذلك علا عليهما الغبار وغابا عن الأبصار واختفوا عن أعين النظار وجرى بينهم ضرب عوان فى طابق الجولات وتحيرت منهم الفريقان وتصادما كأنهما مركبان قد التقيا فى بحر ملآن وأخذا فى الحرب والطعن والضرب وجرى بينهما كل أمر صعب وعاد القتال عليهم مثل الضباب وعقد على رؤسهم كثبان التراب وكانت منهم المفاصل والأعصاب وتضاربوا بالسيوف والتوت وقال الخصم لخصمه عند المضايقة من أين تفوت وتقلبا على أظهر السروج وتعلمت الفرسان منها الدخول والخروج وزاد منهم الم اج وعلا عليهم العجاج وضاق بهم الفجاج وازرقت الأحداق والأدواج وهانت عليهم الأرواح وباعوها بيع السماح بعدما كانوا بها شحاح وزاد منها الصراخ وكلت الأيدى وكثر انتفاخ وحمى عليهم الحر وعاد صلاحهم إلى فساد وتضاربوا بالسيف الحداد والرماح المداد وأخذوا فى الكر والفر حتى حمى عليهم الحر وكلوا عن البراز وطلبوا الانحياز واشتد بينهما الدعاس وضاقت منهم الأنفاس وبرد الحواس ونظر ذوالخمار من عنيترة حرباً عمره ما نظر مثله ولا ذاق شكله فوقع فى الاندهاش ونوى فى نفسه انه ما عاد يذكر حرباً مدة ما عاش فعند ذلك آيس من الخلاص لما ذاق حرباً تشيب من هوله النواص ونادى المنادى لذوالخمار بالانتقاص وقل منه القوى والانتشاط وعدم الفرح والانبساط وما بقى له فسحة ولا انبساط فى الأشباع ولا وجد فى السلامة أطماع وكان طول الباع فقصر من القراع ومما قاسى من عنيترة من القتال الشديد والحرب الأكيد وأيقن بالهلاك والتلاف وأراد الهزيمة من بين يديها والانصراف ثم عاد وقوى قلبه وخاف من العار وأن العرب تعايره بالهزيمة والفرار فأخذ معها فى العراك والشباك وقد أيقن عند ذلك بالهلاك (قال الأصمعى) وكانت عنيترة كلما طال عراكها تزيد قوتها ونشاطها وحربها ونزالها وكانت أقوى من ذوالخمار فى حومة المجال كأنها اللبوة التى فقدت الأشبال لأنها ابنة قاهر الرجال لا تكترث الأبطال ولا تضجر من القتال هذا وعنيترة قد شيبت من ذو الخمار الهم وأورثته العدم وصارت تهجم وتصدمه إذا صدم وهى مثل الأسد الضيغم وكان اسم سبيع أن يلوى رأس جواده وينهزم فتلزمه مالا يلزم ومازالت معه على هذا الشأن حتى خذل منهما الزندان وكلت الساعدان فرأى سبيع أنه مع عنيترة فى حال العدم فهجم عليها وقحم

وقام فى ركابه وتمطى فى بدنه وجعل حيلة كلة على سرجه فانقطع سير الركاب وعثر به الجواد على وجه الأرض كأنه طرد من الأطراد (قال الراوى) فعند ذلك انقضت عليه عنيترة فوقع فى وسط الميدان وأخذته أسير بعد ان ضربه بالسيف على قرنه فأمرت عبيدها بشده كتاف فلما علم الأمير عمرو ذو الكلاب ذلك توجل إليه وعلم أنه ما بقى أحد من العبيد يقدر عليه فرقع فى ساعة الحال عليه وشد يديه مع رجليه شداً صعب بعدما مزق جلده من الضرب وسلمه إلى جماعة من الفرسان وركب عمرو جواده وطلب الميدان هذا وقد قويت قلوب بنى قضاعة لما بان لهم من عنيترة من الفروسية والقوة والبراعة وأرها قد أسرت ذوا الخار وهو فارس الأقطار فعظمت فى أعين الناس وزال عنهم العنا والبأس زال وما رأت بنو حمير إلى ذو الخار وقد أسروه وهو فى أيديهم ذليل حقير حملوا عن بكرة أبيهم وقد علموا أنه ما بقى لهم من يحميهم فصاحوا وأميراه وأسيداه ثم أنهم هجموا على بنى قضاعة بجمعهم وأرادوا خلاصه من يد قضاعة فعندما تلقتهم بنو قضاعة وكانت لهم ساعة يا لها من ساعة قاتل فيها البطل بما عنده من الفروسة ويقاتل الجبان على قدر الاستطاعة هذا وقد التقتهم بنو شجاعة وانزلوا ببنى حمير الذل والشناعة وكشف الموت لهم قناعة ومد اليهم الموت باعه هذا وقد تقدمت من سادات بنى قضاعة فى تلك الساعة ما هو مثل عمرو وذو الكلاب الفارس الندب ومثل سعيد بن الديان الفارس الرئبال ومثل داود بن سنان ومثل أسد بن ضبيان ومثل ربيعه بن فرقد ومثل ابن حازم ومثل عكاش ومثل المهلب بن مخلد ومثل كرار وكان هؤلاء الفرسان تضرب بهم الأمثال فى ذلك الزمان وقد أمهم أم الزعازع وخائضة الوقائع وهم يقهرون الفرسان ويبدون الأقران فى حومة الميدان ويدحرجون رؤس الأبطال مثل الاكر وعنيترة مثل الأسد وقد ضربوا بفعالها المثل فى السهل والجبل وساقت لهم الموت العجل ولم تزل النار قائمة وعقبان المنايا حائلة إلى أن مالت الشمس إلى الاصفرار وأتى آخر النهار قال عند ذلك ولت بنو حمير الأدبار وركنت إلى الفرار وتفرقت فى الأقطار هذا وبنو قضاعة وراءهم وندأهلكوا كبارهم وفتيانهم واسقوهم كأس الممات وعجلوا افناهم وما زالوا يأسرون منهم ويقتلون مسيرة أربع فراسخ والضرب فى أقفيتهم راسخ ثم أنهم بعد ذلك رجعوا عنهم لما دخل عليهم الليل وحل ببنى حمير الذل والويل وتركدهم على وجه الأرض طرحى وحازوا غنائمهم وأموالهم وخيولهم وأسلابهم ونوقهم وجمالهم ووضعت الحرب أوزارها وخمدت لهيب نارها وبعد ذلك أمرت عنيترة الناس أن يسرعوا بالنقلة إلى تلك الوديان الفساح ففعلوا ذلك عند الصباح وأوسعوا فى البرارى والفلا حتى يستريحوا من روائح القتل فلما سمع القوم مقالها استصوبوا رأيها ورحلوا فى ساعة الحال من ذلك المكان إلى مقدار فرسخ بعيد عن حلهم ونزلوا فى مكان

الماء فيه كثير ونصبوا الخيام وركزوا الأعلام وداموا في أكل طعام وشرب مدام وقد صفا لهم الزمان وراقت لهم الليالي والأيام فصارت الناس ما تخاف إلا بحيث عنيترة وافروا لها بالسمع والطاعة هذا وقد أمرت بشد سبيع بن الحارث إلى جانب عمته الزرقاء في بعض المضارب ووضعتها الخباء وكلت لهم عبيد وجوار لخدمتهم وجعلت الأسرى في مضرب واحد بعيد عنهم وأقاموا على ذلك الحال وهم في ذلك الضرر والأذلال (قال الراوي) هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من المنهزمين فانهم صاروا ألفا وماة بين فارس قد حل بهم الذل والوساوس وتفكروا بحالهم وما صار لديهم ثم أنهم تشاوروا فيما يفعلون وبمن من الملوك يستغيثون فقال بعضهم لبعض اطلبوا بنا الملك المنذر بن النعمان وأحكوا له ما سرى وكان وعرفوه فهذا الشأن وكيف أذت عنيترة هؤلاء الفرسان فان كل قبيلة تضام أو يحل بها نوائب الزمان تأتى إليه وتشكوا ما جرى عليها حتى يأخذ لها حقها ويقابلها بما يستحقها قال فلما اتفقوا على هذا الاتفاق ساروا طالبين بلاد العراق وهم يقطعون البراري والآفاق وما زالوا على هذه الوتيرة حتى وصلوا إلى أرض الحيرة ودخلوا على المنذر بن الملك النعمان وعرفوه بما جرى وكان فقال لهم ما الذي دهاكم ومن بشره رماكم فقالوا أيها الملك قد بلينا بقوم كانهم جبال وهم رجال وأي رجال أفنوا السادات والأبطال وهم بنو قضاعة أهل الشدة والفراسة وأول من فتك فينا حاميتهم عنيترة وأظهرت فينا المقدرة وقد أسهرت الزرقاء فارسة الخيل وأبلتها بالذل والويل ومعنى سبيع حتى يحاصها فأخذته أسير ذليل حقير وقد حملت علينا فرسان بني قضاعة وقتلوا منا ألفين وخمسمائة بطل في ساعة وما كان لنا على حربهم استطاعة وبلينا منهم بشيء ما لنا قدرة على اندفاعه فأفنونا بشفار السيوف ولم نقدر بين أيديهم على الوقوف وها قد أفينا لا أيها الملك هاجين وهاربين وإلى النجاة طالبين وبك مستشفعين وإلى جنابك قاصدين فلما سمع الملك المنذر مقالهم رق لهم ورثى لحالهم وقال لهم قروا الأعين والأنفس ولا تخافوا على أسراركم فأنا لا بد أن أسير إلى غرمائكم واقتل رجالهم وأسبي نساءهم وعيالهم وانهب أموالهم (قال الراوي) وكان الملك المنذر صاحب همة قوية وعزيمة عربية وهكذا كانت الملوك فأمر باحضار العشائر وبقية العساكر فجهزت الفرسان شأنها للقتال وعبت عدتها للحرب والنزال وداموا على ذلك الحال ثلاثة أيام وبعد ذلك عزموا على الرحيل وسرعة التشمير فخرجت العشائر والفرسان وهم حول المنذر بن النعمان وسار في ستة آلاف عنان من بني شيبان وسنبس وهمدان وترك له الحيرة نائبه زيد بن عمرو بن نفيلة باقي العشائر والجيوش والعساكر ورحل الملك بهذه الشرذمة القليلة لأنه خاف أن يسير في جيش كبير فيخرق ناموس المملكة وقال إن سرت إلى بني قضاعة

فى سبعين ألف عنان أخاف من معيرة العربان وملوك الزمان وأنا بهذه الفئة اليسيرة وهذه الجنود فامضى بهذا المراد وأعود ببلوغ الأغراض وإزالة الأمراض ثم أنه سار يقطع البرارى والقفار والسهول والأوعار أناء الليل وأطراف النهار وهم طالبون بلاد شريف وتلك الديار ولم يزالوا جادين المسير وسرعة التشمير أياماً متوالية فى الأودية والبرارى الخالية إلى أن بقى بينهم وبين منازل بنى قضاعة نصف النهار فوصلوا إلى مكان المعمعة التى تقدمت ما بين بنى قضاعة وبنى حمير والذئاب حول القتلى تعوى والطيور تحوم عليهم فى تلك البقاع فعدلوا وأبعدوا هذا ولما علم الملك المنذر أنه وصل إلى أرض بنى قضاعة أمر العشائر بالنزول وأمر فى تلك الساعة أن يكتب كتاب ويرسل إلى بنى قضاعة الحذر والتنذير من قبل أن الحرب بيننا وبينكم يسيرة فعند ذلك تقدم الكاتب وكتب عن لسان الملك المنذر ملك العرب يقال باسمك اللهم رب الأرباب ومعتق الرقاب هذا من الملك المنذر ملك الأعراب إلى عنيترة ابنة عمرو ذو الكتاب الفارس الندب بعد السلام عليك وعلى جميع المقدمين وفرسان بنى قضاعة ومن فيها حاسر فى الساعة أقول أنه ساعة وقوفكم من هذا الكتاب لا يكن لكم جواب أنكم تطلقوا سبيع وعمته من الأسر والعذاب ولا تخفوا من الأسباب فاترك دياركم خراب مأوى البوم والغراب وقد حرر من أنذر وانصف من حذر وإلا كنتم كما يقال عنكم فدونكم واللقاء ولا تظنوا أنى كمن لاقيتم من العرباز والفرسان والملوك السفهاء وتنظروا بعينكم من يسعد ومن يشقى وأنا ما أخاف من كثرة القبائل ولا من الفارس والزاجل والسلام على من أطاع ووافق واللعنة على من عصى ونافق ثم أنه دعا بنجاب وإعطاء ذلك الكتاب ودعى بعشرة رجال انجاب وأمرهم أن يسيروا مع النجاب فى الوقت والساعة فوصلوا إلى أرض بنى قضاعة وسألوا عن عنيترة فدلوهم الخدام فسار النجاب إليها فى عاجل الحال وقصد الضرب واستأذن فى الدخول عليها فاذنت له بذلك الحال ولما تمثل بين يديها قالت له أنيت وما معك من الاخبار فقال لها أنا نجاب وحامل كتاب من عند ملك الأعراب الملك المنذر بن النعمان الحاكم على قبائل العربان نائب الملك كسرى أنو شروان فعندها تقدم إليها واعطاها الكتاب فاخذته منه عنيترة وناولته لزيد بن عروة فقراه وفهمت معناه فقابلته بالتهديد والوعد والوعيد فعندما أمرت بصلبه ومن معه وأكثرت لهم من الاهانة والعذاب وفى الحال مزقت الكتاب وابيضت شفتها واحمرت عينها وتوردخدها وقالت له والله لولا المخافة من معيرة العرب يقولوا عنيترة استسمنت سنة لكنت ضربت رقبتك واطلت عذابك قبل قتلك فلا كان المنذر ولا استكان ولا عمرت الأوطان ولعنت أمه وأم ابنه النعمان ولا كان كسرى صاحب الإيوان ولا كانت بنو لخم وجذام وشيبان ولا جميع العربان لمثلى يهدد المنذر بمثل هذا الكلام وأنا أم الزعازع

وخائضة الوقائع والمهامع والأهوال ثم أنها صرخت فى بنى عمها النفير فى هذه الساعة يابنى قضاعة يا أصحاب القوة والبراعة يا أهل المروءة والفروسية فلم تكن إلا ساعة حتى ركبوا وتأهبوا للمسير وقد اعتقلوا الرماح وطلبوا الحدب والكفاح وما أبعدوا عن الحلة حتى طلع عليهم الغبار وسد منافس الأقطار وبعدها تمزق وتقطع وانجلى وبان من تحته عشائر الملك المنذر بنى لخم وشيبان والمنذر فى أوائلهم ومن حوله الأبطال والفرسان وكان سبب ركوبه الرسول لما طردته عنيترة سار إليه وهو فى أتباع العذاب وعرفه بتقطيع الكتاب فصاح يا أربابها فشدت على السروج ركابها وسار بهذا الجيش الجرار إلى أنه التقى بنى قضاعة فى تلك الساعة ووقعت العين على العين وانطبقوا على بعضهم الفريقين وحان بينهما الحين وزعق عليهما غراب البين وتزامت منهم اليدين وتوافوا من بعضهم البعض ما كان لهم من الدين وقلعت الأسنة الأعين وجرت الأبطال وزادت الفتن وصار الدرع لصاحبه كفن وقال الخصم لخصمه إلى أين ودهمت عليهم سباع البرية وكثرت البلية ونادت عنيترة فى بنى عمها يا بنى عمى أحيلوها وقعة الانفصال واسقوا الأعداء كاس الوبال فعندها نخت الفرسان بعضها بعض وارتجت من ركض الأرض وكثر الرفع والخفض وعمل الصفاح وطعن الرماح وامتلأت بالقتلى البطاح ونادت الفرسان لا براح وتساوى عندهم المساء والصباح وتصادمت الأبطال كتصادم الكباش البطاح وبان الفارس الوقاح وولى الجبان وراح فكم من راس قد طاح ودم قد ساح كل ذلك وعنيترة أمام القوم وقد بطل العتب واللوم وتكردست الفرسان وأهلكت الأقران وسقت الفرسان من سيفها كاس الهوان وزادت الحرب وهى تهدر وتزمجر وقد جعلت قصدها الملك المنذر ومازالت تخترق الصفوف وتخذل الكفوف وتطير القحوف وتمزق المئات والألوف إلى أن وصلت إلى الملك المنذر وهو تحت الأعلام وقد طعنت صاحب العلم فى فاه فأخرجت الرمح من نقرة قفاه وفرقت الرجال من حول الملك المنذر بالطعن المتواتر وقد بقى المنذر وحده وتباعدت عنه فرسانه وجنده وكانت عنيترة أخذت العلم قبل أن يقع وصاحت على المنذر أدهشته وخبلته وأرعشته وانقضت عليه أخذته أسير وقادته ذليلا حقير أو ما خلاه يصل الأرض بل رفعته على زندها بما عليه من لبسه وعدته وبقى فى يدها كالطفل الصغير وهو بحالة الذل والتغيير ولما رأت قومها أميرهم قد اخذت المنذر هجمت على بنى لخم وجذام وشيبان وجودوا الطعن بالمران والضرب بالسيف اليمان وسقوا أعداءهم كاس الهوان وأسروا منهم فى ساعة الحال الفا وخمسمائة فارس أقيال وقتلوا منهم الذين فى أقل من طرفة عين وحان عليهم الحين وزعق فيهم غراب البين قال الراوى فعند ذلك ولوا منهزمين وإلى ديارهم طالبين وتبعوهم بنو قضاعة مقدار فرسخين وبعد ذلك رجعوا

غنمهم وجمعوا الأسلاب والخيل والذهاب وقالوا من أعدائهم غاية المراد ثم أن بني قضاعة بعد ذلك سارت الأسارى ذليلين حيارى والملك المنذر في جملتهم وهم طالبون حلتهم والملك المنذر يقول لبني قضاعة أنسيتم ضيفة النعمان وفضله عليكم والشأن وكيف كان يشملكم على جميع الفرسان وعلى أهل خراسان (قال الراوى) فلما سمعت نيترة كلام الملك المنذر قالت له أست أملك وأم أبيك النعمان معك وأست أم كسرى أنوشروان وسائر العرب وملوك خراسان فوالله لا أزال أقاتل سائر العربان وجميع العباد حتى أملك البلاد وأول ما أبدأ ببني شيبان حتى آخذ بثار جميع من قتل من الفرسان وآخذ بثار أخي وأبي الذي كان يسمى عنتر بن شداد من بني نبهان ومن سائر العربان ثم أنهم بعد ذلك الشأن تموا سائرين في القفار طالبين الديار حتى وصلوا اليها فتلقتهم العبيد والأحرار وفرحت المنازل بالمنازل والأوطان بالسكان واستقروا في المكان وأمنوا من غدرات الزمان فهذا ما كان من بني قضاعة وأما المنهزمون فانهم لما هربوا من تلك الديار وهجوا على وجوههم القفار وتموا سائرين يقطعون السهول والأوعار ليلا ونهار من ضرب البتار وهم في ذلة وحيرة حتى وصلوا إلى أرض الحيرة والقوا فيها النفير بعد ما بكوا بكاء شديد ونعوا الملك المنذر إلى الكبير والصغير والأمير والحقير واخبروهم أنه في الاسر وكيف جرت عليه نوائب الدهر وقد قال القائل في المعنى هذا الشعر .

وكم أسد مات من دبابة ‌ ‌ ‌ ‌ وملك أحوجه الدهر إلى لبابة

(قال الراوى) وكنا قد ذكرنا قبل هذا الكلام بأن زهير بن قيس وعتيبة بن حصن قد صار عند الملك المنذر من خواص دولته وأعز من أهله وعشيرته وأقاربه وندماء فلما سمع زهير وعتيبة عند الملك المنذر ذلك الكلام صار الضياء في أعينهما ظلام لانهم كانوا مقيمين في الحيرة كما ذكرنا عند وزيره زيد بن عمرو بن نفيلة وهما عنده بمنزلة جليلة فقالوا ايها الوزير ما عندك من الرأى والتدبير في خلاص الملك المنذر مما هو فيه وإنقاذه من أعاديه فقال الوزير أننا نأخذ العشائر ونسير اليه ويكون معنا بعض المنهزمين حتى يدلونا على الطريق لان عند الضيق يتبين كل صديق فقال زهير الأمر أقرب من هذا يا وزير الملوك واعلم أن لنا صداقة عند عمرو ذو الكلب من أيام حاميتنا عنتر ومن الرأى أنني أسير معك في بني عبس وبني فزارة لاغير وناتى بالمنذر من غير تنكير لان عمرو ذو الكلب لا يقصر من جهتنا لانه مؤاخينا ثم أن الملك زهير في عاجل الحال أمر بني عبس وبني فزارة بأخذ الأهبة للارتحال وفي ثاني يوم ساروا أخذ الوزير معه وبعض أكابر بني شيبان وساروا يقطعون البر والقفار بعد ما أخذوا بعض المنهزمين ليدلوهم على الطريق وما زالوا سائرين قاصدين ديار بني قضاعة وزهير يحدث الوزير بصداقة عمرو ذو الكلب لعنتر وأنه كيف أقام عندهم

الليالي وأيامافي العم السعدي وأما عنيترة هذه فما تعلم ما هي وكان بنو عبس وزهير ما يعرفون أن عنيترة بنت عنتر ولا عندهم بذلك خبر وما زوج بقناصة الرجال إلا وهو على بحر الفرات ولا سمع أحد بزواجه ولا رآه إلا أن عنتر لما مات كانت قناصة الرجال منه حامل باذن من سبر الحامل كما ذكرنا وولدت عنيترة بعد موته كما قدمنا وجرى ما جرى لبني عبس وتشتتوا في القفار واندرس رسمهم والآثار ومات من مات وعاش من عاش ولدى بقى منهم ومن بني فزارة أربعون إنسانا أسلموا على يد النبي ﷺ وأتوا إلى الحيرة بعد ما جرى لهم أمور كثيرة وعلم الملك المنذر أنهم أقرباؤه وأن زهير ابن خاله فأقاموا عنده في أعلى المنازل وأحسن إليهم وما زالوا مقيمين حتى جرى ما جرى على الملك المنذر من الأمور المقدرة وأسرته عنيترة وأما زهير فانه طالب أن يسير إلى عمرو وذو الكلاب ويسأله في المنذر لأجل ادلاله عليه كل ذلك وما يعرفون بحال عنيترة وسار زهير وعتيبا وسارت المهزمين تخبر زهيرا بفعل عنيترة وكيف أسرت سبع الفلاة والورقا مع ذي الخمار وما فعلت من هذه الأمور المحققة وهو يتعجب من تقلبات الليالي والأيام وهو يقول ما الدهر إلا عجب والأيام تأتي بكل سبب وما زالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى بلاد شريف فلما وصلوا إلى الأحياء وقع النفير وركب من قضاعة الصغير والكبير للقضاء على بني عبس وملكهم زهير فعندها تقدم زهير أمام القوم وقال لا بأس عليكم ولا لوم نحن بنو عبس نا زهير بن قيس ملك بني عبس فلما سمع عمرو وذو الكلاب بذكر بني عبس وعرف زهير ابن قيس قبل الأرض بين يديه وقبل رجل الملك زهير في الركاب وكان على رأس الملك زهير راية بنه العقاب وتحته جواد يسمى السحاب فعند ذلك تذكر عمرو أيام عنتر بن شداد ففاضت دموعه كثر هلوعه وكانت أخته قناصة الرجال التقت بالملك زهير وقبلت ركابه وشكرته قدام عنيترة وبكت على عنتر بن شداد وعظم بكاها وزاد وعنيترة تتعجب وقد حارت وأخذتها هشة والانبهار من فعالهم ونادت لعمرو وذو الكلاب يا أبتاه لم تفعل أنت وأمي هذه الفعال المذلون لاحد من الرجال راكبة على ظهر جوادي الصهال وبيدي رمحي العسال وحسامي الفصال وأنا نخضع لي أسد الرجال فقال لها عمرو يا أم الذعازع ولبوة الوقائع قد ظهر الحق وعاد شائع وهؤلاء بنو عمك ومن لحمك ودمك وهم بنو عبس الفرسان وقد ظهر البرهان وبقى إعلان ظهر المغطى بعد الكتمان وعاد إلى بيان وأنت ابنة مذل الفرسان عنتر بن شداد وقد رجعت الوحمة إلى أهلها واللبوة إلى شبلها والاولاد إلى آبائها وأجدادها وأهلها وما وسعني كتمانها أكثر من هذا الحال فلما سمعت عنيترة من خالها ذلك الكلام قالت له وقد تحيرت يا والدي أراك تبعد نسبي أما أنت أبي وهذه أمي فقال لها عمرو وكل الناس باهتون والملك زهير ومن معه متحيرون والله يا عنيترة إن صدقت هذه الحيناء أمك وأما أبوك فهو عنتر بن شداد فارس الطراد وشجاع الجلاد من عبس الاجواد وهؤلاء بني عبس بنو عمه وأهل الجود

والخبر وهذا المقدم عليهم الملك زهير وكلهم بنو عمك والحك ودمك وقد رجع الحق لأصحابه والسيف إلى قرابه واعلمى أنى ما أنكرت هذه الأيام إلا لما سمعت عن بنى عبس أنهم قطعوا عن دابر إنسان والبعض منهم تشتت فى القيعان والآن قد عاد الزمان وأنت لهم بين العربان ثم أن عمرو ذو الكتاب ابتدأ وحدثهم بالحديث من أوله إلى آخره وأطلعهم على باطنه وظاهره فلما سمعت عنيترة ذلك الكلام تعجبت وأظهرت الفرح والابتسام وترجلت فى الحال عن جوادها وسلمت على زهير بحشمة وأدب وقبلت رجله فى الركاب وأما زهير فإنه لما سمع كلام عمرو ومنشأ عنيترة تعجب غاية العجب وأخذه من تلك الكلام الطرب وقال الأيام تأتى بكل عجب ولما ترجلت عنيترة ترجلت بنو قضاعة وكذلك ترجلت بنو عبس وزهير ومن كان معه من الفرسان ونزل الجميع فى الخيام وأخذوا فى اصطناع الطعام وترويق المدام ودامت الولائم سبعة أيام وقد حيا زهير لعنترة وقال الحمد لله الذى أخلف علينا عنتر بن شداد حتى نرد كلنا عليه من الأحياء والبلاد ثم أن زهيرا حدث عمرو بأن الملك المنذر بن النعمان وأن أمه المتجردة بنت الملك زهير ملك بنى عبس وعدنان فلما سمع عمرو وعنيترة هذا الكلام أمروا العبيد أن يطلقوا الملك المنذر من الأسر والاعتقال وكذلك فعلوا بالورقاء وشيبوب الحارث الفارس الريبال كرامة للملك زهير ومن معه من الأبطال وخلعوا عليهم الخلع وجددوا الولائم ورتع القاعد والقائم وشربوا المدام وأقاموا على ذلك سبعة أيام وبعد ذلك سئل عن جلية الخبر فأخبروه أن عنيترة بنت عنتر فقال ما هو عجب أن تكون هذه اللبوة من ذلك الأسد وبكى شيبوب على عنتر وانهمل دمعه وانحدر وقال وحق الملك الجبار الواحد القهار أنا قد حسبت هذا الحساب وقرأت عنوان هذا الكتاب وعلمت أن هذه الوعقة ما تكون إلا من مثل هذه الشجرة ثم أنه قام وقبل يد عنيترة وقال لها وذمة العرب لو تعارفنا ما تحاربنا فاعتذرت الأخرى من أسر هالة وأطلقت جميع أسراهم وخلعت عليهم الخلع السنية الغالية البهية ومدت لهم الولائم ورتع فيها القاعد والقائم ثم أن ذا الخمار حدث عنيترة بما جرى له مع أبيها عنتر البطل القسور من الحروب والمعاداة وفى الآخر خاواه وصار بينهما الود فتعجبوا من هذه الأمور والأوراد ومن تقلبات الأيام والدهور ثم أن ذا الخمار طلب الرواح فأهدت له عشرين جوادا من أرق الخيل الجياد وطلب العودة إلى دياره وأن ينزع فيها قراره فقالت له عنيترة أما تقيم عندنا حتى نأخذ بثار والدنا ولك ما لنا وعليك ما علينا فقال ذا الخمار وحق العلى الأعلى لا حضرت قتالا ولا باشرت نزالا بعد عنتر بن شداد فلا تعصبينى يا أميرة على ما لا أريد ولا أتكبر عن صحبتك بل أكون لك أقل من العبيد ولا بدلى من الرواح لأنى ما بقيت بعد إظهار هذا الأمر يلذلى شراب راح (قال الراوى) ولما رأت الزرقاء إلى ما فعل ابن أخيها ذا الخمار ما وجدت لها على فرقته اصطبار فقالت لعنترة يا بنت الكرام وأنا كذلك أتذن لى

بالسفر لاتى مابقى لى بعد رواح ابن أخى مصظهر فاذنت لهم عنيترة فى المسير وأطلقت الاسارى من جميع حمير وخلعت عليهم وتبعوا اسيدتهم الزرقا على الاثر ثم أن عنيترة ودعت الزرقا وذوالخمار وجميع بنى حمير وصار كل منهم شاكر لعنيترة ابنة عنتر فهذا ما جرى لهؤلاء وأما ما كان من الملك المنذر فى الإقامة فى بنى قضاعة والحضر فإنه أقام فى غاية الإكرام تمام سبعة أيام لاجل أن يأخذوا حظهم منه وليكرموه غاية الإكرام ولما كان اليوم الثامن طلب المنذر من عنيترة الإذن فى السفر وقال لها ياأم الزعازع إنى أريد الرواح إلى الديار والاوطان لئلا تسمع العرب أنى عندكم فى الاسر والهوان فتقوم تنقلب العرب عليكم من سائر البلدان ويأتوكم من كل جانب ومكان وربما يكون مالكم بهم من طاقة ولا بحربهم استطاقة فلما سمعت عنيترة كلام المنذر ومقاله من تلك الأمور المشفقة علمت أنه ماقال ذلك الكلام إلا من نوع المحبة والشفقة فقالت له يامولاى أمرك أعلا وقولك أسنى وأولى فعندها تجهز الملك المنذر إلى الرحيل وساروا معه يومين حتى أنهم أبطنوا ذلك البر الاقفر وودعوه وعادوا عنه بعد ما حلف عليهم وردهم وسار هو فيمن معه من العسكر وعادت عنيترة وخالها عمرو ذوالكلب راجعين إلى الديار والاطلال وعاد معها زهير بن قيس ومن معه من بنى عبس الابطال لأن عنيترة كانت منعت زهيرا ومن معه من الرواح مع المنذر وساروا إلى أن وصلوا إلى الديار ونزلوا فيها وقروا قرارهم فاخذت عنيترة فى إكرام الملك زهير بكل ما تقدر عليه وتوددته توصل الكرامة الزائدة إليه وصارت تكرم بنى عبس غاية الإكرام وتروج لهم قدور الطعام وتروق لهم بواطى المدام إلى أن كان يوم من بعض الايام جاور اللمشورة والكلام فقالت عنيترة لزهير يا ملك وحق البيت الحرام وزمزم والمقام وحق الملك العلام لابد أن أدع الملوك تنقاد صاغرة إلى بين يديك وتخضع باعناقها إليك وتقابل من سطا عليكم بالهوان ونجازى من أحسن إليكم بالجميل والاحسان ولابد أن نفنى العرب وجميع القبائل وأهلك منهم بما فعلوا الفارس والراحل لابحمل ما فعلوا بعد موت أبى عنتر ولا أرجع عنهم حتى أذيقهم الموت الاحمر فقال لها الملك زهير وبنو عبس أفعلى ما بدالك فما فينا أحد يخالف مقالك ولا تترك عما تقولى وتريدى أن تعملية من أعمالك فعندها أخذت فى مكاتيب من يلوذ بها من العربان والاصحاب والخلان وكان لها أصدقاء من يوم تفرست وركبت الخيل ممن يقر لها بالطاعة وهم أهل قوة وشجاعة وتحت يطها ستة آلاف من بنى قضاعة وقالت لزهير وبنى عبس كانوا أنتم من تعلموا من أصحابكم وأصدقائكم وأحبابكم لانى عزمت على المسير أولا إلى بنى عامر ونقتل منهم الاكابر والاصاغر لما بلغنى من عامر أنه قتل عبلة وأمها وأبيها وأخيها وكيف أخذ أموالها وأموال أبى بالجملة وقد كانت أمها الهيفاء قناصة الرجال وخالها عمرو ذو الكلب قد حكوا لها على جميع ما كان من تلك الاحوال فصار لها بذلك معرفة واستدلال

وقالت أنا ما أفعل هذا الفعال إلا أنه قد حكى أنه قد كان صاحب أبي وكان عنده بمال ولما مات أبي خانه وأخذ جميع ماله وقتل عبلة وعمل هذه الأعمال وفعل تلك الإهانة ومن حين بلغني عنه هذه الخيانة لا بد أن أبليه بالذل والاهانة فلما سمعت بنو عبس وزهير بن قيس كلام عنيترة لم يقولوا الالم ولا ليس وكتبوا في عاجل الحال إلى من لهم من الخلفاء والأبطال والأصحاب مثل بني غطفان وبني ذبيان وبني مرة ومن يجري مجراهم من الأصدقاء والأخوان وكذلك فعلت عنيترة وكتبت الكتب وأرسلتها لحلفائها ومن تعتمد عليه في شدتها ورخاها وكانوا أربعة آلاف فارس من فرسان العرب الذين قد سمعوا شجاعتها وكيف أذلت فرسان الحرب والنسب وقد أسرت مثل الورقاء وذوا الخمار وقتلت أسد الفلاة الفارس المغوار وأسرت الملك المنذر بن الملك النعمان وأحلت بهم الأضرار وقال الرجال قد أخلف الله بني عبس بعد ما أصابها من الضرر بهذه أم الزعازع عنيترة بنت عنتر فصارت العرب تراعيها وتهاديها من جميع القبائل وجميع سكان المناهل وقد صارت عبيد عنيترة بالكتب إلى قبائل العرب من بعد منها ومن اقترب وكانت كتب زهير وبني عبس وصلت إلى عمرو ابن معدي بكرب الزبيدي وأيضاً إلى الأمير هاني بن مسعود وأتى دريد بن الصمة فأوا حدمنهم أتى اليهم وقال كل منهم أتى بعد عنتر ما بقيت أقاتل ولكن دريدا ابن الصمة قال أنا ما أخيب مساعيهم وقصدهم فارسل لهم خمسة آلاف فارس من كل مدرع ولابس من دثار بن رزق وخفاف بن ندبة والعباس ابن مرداس السلمي وساروا إلى بني عبس وعدنان وكذلك تتابعت القبائل من كل شعب وواد إلى عنيترة بنت عنتر الفارس الرئبال وما زالت القبائل تقدم عليها حتى ملؤا الأودية والتلال وكل من قدم عليها من الرجال تشكر له من الطعام والمدام وأقامت بضيافتهم ثلاثة أيام وكان ممن قدم عليها أيضا عتيبة بن حصن واجتمع عليه من بني فزارة ألف فارس تمام لاننا ذكرنا أنه كان في الحيرة في ذلك المكان فلما أن سمع من عنيترة وبني عبس ذلك الكلام اشتاقت نفسه إلى الحرب والصدام فجمع من قدر عليه من بني عمي الاخيار وسار حتى شاركوا بني عبس في أخذ الثار فلما تكامل جمعهم ساروا في عددهم وعديدهم إلى أن وصلوا إلى بني عبس وعدنان ولما رآهم زهير قام إليهم وتلقاهم وأكرمهم وأحسن مثواهم وقال لعنيترة هؤلاء بنو عمنا ولحمنا ودمنا فاستقبلتهم وأكرمتهم غاية الإكرام مدة ثلاثة أيام وبعدها أمرتهم بالرحيل فساروا في عددهم وعديدهم لما تكاملت عساكرهم وجنودهم وصارت عنيترة وخالها عمرو أمام القوم وزهير بن قيس وعتيبة بن حصن في السانة وقد نشرت فوق رؤسهم الأعلام وسارت من حولهم يقطعون البراري والآكام وقد هربت الوحوش من الأوكار من ركض خيولهم في السهول والاوعار وعنيترة سائرة أمام القوم كا

تقدم طالبة ديار بنى عامر وقد تيقنت من نفسها أنها ما بقيت ترجع عنهم حتى تمحقهم بالسيوف البواتر ومازالت سائرة إلى أن أقبلت على ديار بنى عبس وعدنان وهى أرض الشربة والعلم السعدى وتلك الأوطان ومافى بنى عبس الامن حين مرت بهم نزلت دموعه على خدوده كالمطر أن وبود أنه ما بقى رجل منها ولا يبدى ولا سيما زهير وعتيبة بحصر لما رأوا ديارهم خرابا بلاقع ولم يجدوا فيها ناطقا ولا سامع ولا فيها إلا اليوم ساكن وراتع وحوش فى سائر واضع وقد صارت الذئاب والثعالب والوحوش فيها مقيمة وبعد الأنس قد صارت قديمة فعند ذلك بكى زهير بن قيس وعتيبة بالدموع الغزار وتحادرت من أعينهم كانها الأمطار وكذلك فعلت عنيترة ولحقها الأخوى الحزن والضجرة وزادت فى البكا والانين والاشتكا وقالت ما لدارهم من بعدهم قفراء خراب يزعق فيهما اليوم والغراب وصارت لا تجيب منادى ولا متكلم فيها من حاضر وبادى وخارت بنو عبس فى تلك الاحوال وكذلك زهير وعتيبة زادت بهم الاهوال وعنيترة قد تنفست صعدا وأبدت لوعة وكمدا وقالت يا هذه الديار أراك قد شمتت بك الاعداء فوالله الذى لا إله إلا هو الملك الجبار لآخذن لبنى عبس بالثار وأكشف عنهم ما نزل بهم من العار والذل والشنار لانه قد التهب فى فؤادها وقيد النار فأشارت ترثى الديار بما خطر فى بالها من الاشعار بعد الصلاة على النبى المختار عليه الصلاة والسلام

ما للديار تنكرت من أهلها	وتغيرت جنباتها الوادى
ياويحها من بعد فقد أحبة	فلمن اسائل عنهموا وأنادى
والبين والتفريق أقلق مهجتى	ورمى سهام البعد وسط أفؤادى
لما وقفت على الديار مسائلا	ماشمت من أحد سوى الوراد
كل ينوح بدمعه مسفوحة	من أجل سادات مضوا برشاد
يا آل عبس كنتم ذا نجدة	كنز الفقير وكهف كل منادى
ما أصابكم إلا عيون حواسد	نالوا مناهم منكم بايادى
لهفى عليكم كيف صرتم فى الثرى	اشمتم الاضداد الحسادى
ياويح دهرى فيكم لما رمى	من كبد قوس فيكم ماقادى
قد أصبحت أوطانكم قفرا ولا	فيها أنيس غير صوت الغادى

(قال الراوى) إنهم أنهم لما رأوا ذلك الحال ازعجوا أنفسهم وكثروا من القليل والقال ثم أنهم أقاموا فيها ونصبوا أبياتهم وقد كثرت ضجاتهم وكذلك أولادهم ونساؤهم وبناتهم وأكثروا من البكاء والاهوال وقد أقاموا ثلاثة أيام وهم فى هرج ومرج وأكل طعام وقد اجتمع عليهم لما شاعت أخبارهم من كان مشتتا من بنى عبس فى البخارى والاكام وبعد ذلك طلبوا المسير إلى ديار بنى عامر بعد جمعهم تلك العساكر وسارت القبائل والعشائر لانهم

قد صاروا ثلاثة قبائل ما منهم إلا كل فارس وراجل يقدمهم عنترة وبنو قضاعة أهل الفروسية والشجاعة ويتلوهم فزارة بنو عبس الذئاب الطلس وساروا على ذلك الترتيب وما منهم الا كل صديق وحبيب حتى قطعوا فى مسيرهم خمسة أيام ولما كان فى اليوم السادس وقد توغلوا فى ذلك البر والا كام وإذا هم باثنين نجابة راكبين على نجيبين وهما وتهما بغدوا فى ذلك البر كانهما ار ... ان وعيونهم تلمع فى وجوههم كأنها عيون ثعبان قال الراوى ثم أن النجابين لما أن راوا إلى كثرة تلك العساكر وهم قد انفرشوا فى ذلك البر الأقفر يقدمهم الاميرة عنيترة بنت عنتر وهى راكبة على جوادها ومشتملة آلة حربها وجلادها وهى كأنها الأسد القسور فعندها نزلوا عن النجيبين وهربوا وأوسعوا فى البر وطلبوا النجاة وعدوا فى البر ركضا وخببا كانهما ليوثان إذا طلبا والماء إذا كان منسكبا وفى الساعة الحال غابوا عن الاعين فى تلك التلال والرمال وقد حيروا بفعالهم من نظر إليهم من الرجال ولما رأت عنترة وخالها عمرو وزهير بن قيس وعتيبة بن حصن إلى ذلك الأمر وكان معهم زيد بن عروة بن الورد وقد ذكرنا كيف أوصى عليه عنتر ... وفى حال حياته فصار عنده أعز من روحه الى بين جنبيه بعد مماته وكان كما ذكرنا فى أول منشئه ذا شجاعة وشهامة وفروسية وبراعة فقال زيد لعنترة ومن معها من الابطال لاشك أن هذين النجابين لهم حال من الاحوال فعند ذلك ركضت عنيترة وخالها عمرو وزهير بن قيس وكان تحتهما خيل جياد لم يوجد مثلها فى سائر البلاد فارسها النجابان فى الحرب وأخذ الآخرون لهم فى الطلب ساعة من النهار فلم يلحقوا لها غير الغبار فى تلك القفار وكانوا لما أن رأوا الخيل فرت منهم وزاد عليهم الغبار فعند ذلك أوسعوا فى الاوعار فوا حد عدل إلى يمين والآخر إلى يسار فلما رأوا الغلبة عن اللحاق بهم فى تلك الفرسان صاحوا بهم ياويلكم قفوا وعليكم الامان منا وأيضاً من سائر مضى من العربان فنحن بنو عبس وعدنان وفزارة ذبيان أننا قد النم علينا جميع العربان (قال الراوى) ولما سمع النجابان كلامهم ونداهم وقفوا إليهم إلى أن قربوا منهم قرأتهم عنيترة وعمرو وذو الكلب وزهير بن قيس وعتيبة بن حصن وزيد بن عروة ولما تهم تشافوا وكذلك النجابان عادوا إليهم وقربوا منهم وظهرت عليهم الفطنة وقالوا نحن أيضا من بنى عبس وعدنان ولكن نحن خائفون منهزمون من سائر أعدائنا ونحن مظلومون فبحق شهر رجب لاتعيدوا علينا أحد من العربان فتقدم إليهما زهير وقال لهما من أنتما من بنى عبس الكرام حياكم الله بين الأنام واعلموا أنى أنا ابن عمكم زهير بن قيس فلما أن سمع النجابان كلامه استبشروا وحصل الخير ثم أنهم تقدموا إليه وقبلوا يديه فتبينهما زهير بن قيس وعمرو وذو الكلب ومن معهم من الجماعة وإذا بواحد منهم صغير السن ولكنه بطل نحرير والآخر شيخ كبير إلا أن ذلك الشيخ يعد برجال كثيرة لأنهم

رأوا منه عضو يشبه نسلهم لما أنه على وجه الأرض تقدم وهو أسمر غميق السمرة والآخر أحور العين يضرب لونه إلى حمرة فتبينوهما زهير ومن معه فعرفوهما وقد خفت عنهما بمعرفتهما الكروب وإذا أحدهم جرير أخو عنتر والآخر الخذروف بن شيبوب فعندها ترجل إليهم زهير بن قيس لما أن عرفهم كذلك عمرو ذو الكلب سلم عليهم وفى اللقاء أنصفهم وكذلك كل من حضر من الرجال اعتنقهم وسلموا عليهم وحصل لهم الابتهال وكل منهم يبكى بكاء شديدا من حلاوة اللقاء وكان السبب فى مجىء الخذروف وعمه جرير وملتقاهم ببنى عبس فى هذا المكان حديث عجيب وأمر مطرب غريب وذلك أن جريرا لما مات أخوه عنتر خاف على نفسه وعلم أن بنى عبس بعده ما انتفع وتتغير عليهم العرب ويحصل لهم الضرر فأخذ الخذروف فى المسير وطلب البر الاقفر لينظر له مكانا يأوى إليه ويحميه من الضرر والشر وسار هو وابن أخيه فى البرارى والقفار وهم يقطعون السهول والاوعاد إلى أن رمتهم المقادير على حى بنى سعد الأخيار فالتقت بهم الرعيان وسلموا عليهم وقال لهم من أى أرض أقبلتم ومن أى مكان أنتم فقالوا يا بنى الخالة نحن من عبيد بنى عبس وعدنان وقد جار على موالينا الزمان ورموا بطوارق الحدثان ونحن قد رامتنا المقادير إلى هذه الأوطان فمن هو صاحب هذه القبيلة حياه الله بين العربان ومن هو الحاكم عليها ومن يقال له من الشجعان فقال لهم العبيد أقيموا عندنا يا بنى الخالة على الرحب والسعة والكرامة والدعاء فإن الذى تسألون عنه وهو الحاكم على هذه الحلة ما عنده بخل ولا فى ماله قلة وهو الأمير روضة ابن منيع سيد بنى سعد فارس الزمان وليث الميدان وحاوى قصب الرهان فلما سمع جرير والخذروف يذكر روضة بن منيع الفارس النبيل فرحوا فرحا غير قليل وعلموا أن سعدهم مستطيل وقال جرير هذا والله صاحب أخى عنتر وكان يذكره بالخير إن غاب أو حضر وكانت الصلة المعرفة بينهم من حين أسره أخى عنتر لما خلص من شاس بن الملك زهير من بنى كندة حين أن صيغته المرأة العجوز أم النبات وجرى عليه ما جرى من تلك النائبات وعاد عنتر وشاس طالبين ديار بنى عبس والتقى بروضة فى الطريق ومعه أمه وأخوته وكان سائر يخطب عبلة وبارزه عنتر وأسره وأطلقه لهم واصطنعه وعرف روضة صنيع عنتر وجميله ووهبه الذى كان قد أتى به ليعطيه لعبلة مهرها وودعه روضة وعاد إلى دياره وقد كانت الإمارة لأبيه فلما توفى أبوه أخذها بعد عمه ولما مات عمه تولى هو مكانه وعلا عند قومه شأنه وتشيدت قواعد أركانه وراق له زمانه وما زال فى إمارة إلى أن أتى جرير والخذروف وجرى لهم من العبيد ما جرى وكان قد أتاهم العبيد بشىء من الطعام وأكلوا وهم فى غاية الإكرام ولما كان وقت العصر انصرفت الرعاة من المرعى فقال جرير والخذروف بين يديهم يسعى حتى دخلوا إلى الحى وشقوا بين الخيام وهم يتأملون إلى ذلك المقام فنظروا إلى حلة عامرة وعبيد كثيرة وخيل وجمال وأغنام

ورماح مركوزة ورحال مفرورة ومضارب مضروبة وقباب منصوبة وأعلام منشورة ورايات منشورة فقالوا له ما تنظر إلى المحل الرفيع فتقدم فى عاجل الحال وتوصل حتى صار بين يديه رآه فى أمر جميل من الرجال والعبيد والغلمان بين يديه غير قليل والكل واقفون على الأقدام وهو جالس بينهم كأنه ملك من الملوك العظام وعليه هيبة واحتشام وهو فى دست الإمارة يشبه البدر التمام فتقرب جرير منه وابتدأه بالسلام وقال له حياك الله الأمير والبطل النحرير والملك الكبير صاحب السيف والعلم والسماحة والكرم والهيبة وحسن الشيم فقال له روضة لما أن سمع كلامه وأعجبه فصاحة لسانه وثبات جنانه من أين وإلى أين يا مولد العرب وتربية أصحاب النسب والحسب فقال جرير نحن من بنى عبس يا مولاى يا من عليه المعتمد فى شدة ورخاء فلما سمع روضة ذلك الكلام وذكر بنى عبس تزحزح عن مكانه وانطلق بالشكر لسانه وقال لجرير حياك الله يا كريم النسب وحيا عربك الذين هم من أهل الشجاعة وحييتم فى كل وقت وساعة كيف حالكم بعد فارس الزمان وشجاع وقته والأوان الذى كانت تفتخر به الفرسان ثم إن روضة بكى وأن واشتكى فى ساعة زمانية وأكثر من التعداد وقال يا حسرتا عليك يا أمير عنتر يا ابن شداد والله لذلى بعده طعام ولا هنالى نوم على وساد ثم قال لجرير ومن تكون من بنى عبس أمن عبيدها أو من رجالها وصناديدها فقال يا مولاى أنا جرير أخو عنتر وهذا ابن أخى شيبوب البطل القسور فلما سمع روضة كلام جرير كاد أن يطير وقام فى ساعة الحال قدميه وسعى إلى جرير وحضنه وقبله بين عينيه وكذلك فعل بالخذروف واستقبله بفؤاد ملهوف وقال لهم لقد شرفت بكم أرضنا وزاد بكم حظنا ثم أن روضة أخذ جرير وأجلسه إلى جانبه وقرب الخذروف حتى من بعض جوانبه وفى ساعة الحال أمر العبد باصطناع الولائم وترويج الطعام فنحرت النحور وجزرت الجزور وذبحت الأغنام وعلقوا فى ساعة الحال القدور واصلحت فى عاجل الوقت الأمور وأقبلت العبيد ومدوا السماط وأصلحوا ما يليق بهم من الآلات واصطفت فى المجلس السادات وجلس روضة بين تلك السادات وأخذ جرير إلى جانبه اليسار وأكلت العبيد والاحرار إلى أن اكتفوا من الطعام وبعد ذلك احضروا المدام وشربوا الكاس والجام وضربته بالمزاهر المولدات وعرفت القينات وطربت السادات وأقام جرير وابن أخيه الخذروف فى الضيافة سبعة أيام وفى اليوم الثامن عزل روضة لجرير والخذروف مضارب وخيام وعبيداً وخدام وجمالا وأغنام ومولدات وجوار وأكثر لهم من الاموال والايسار وقال لهم هذا الفعل فى حقكم يسير لانى قد شممت فيكم رائحة ذلك الفارس البطل النحرير وأسقاه على ذلك الهمام بطول الايام الذى هو بأمور الحرب خبير وأقام جرير والخذروف عند روضة فى أهنا عيش وأمان وراحة سرور واطمئنان مدة من الزمان إلى أن كان يوم من بعض الايام دخل جرير

على روضة لأجل السلام فوجده قد جمع سادات قومه وهم فى شورة كلام وهو يقول يا بنى عمى خذوا أهبتكم لأنى أريد أن أغزو لكم بنى ضمرة لأنهم كما تعلمون قتلوا أبى وعمى وأطلقوا فى قلبى أحر جمرة ولا بد لى من أخذ الثار وكشف العار فخذوا أهبتكم للسفر فلما كان بعد ثلاثة أيام رحلوا طالبين بنى ضمرة وقد تبطنوا فى ذلك البر والآكام وجريرا كب إلى جانب روضة فى جحفل وكذلك الخذروف عن يساره فى حال مستقيم وكل منهم راكب على جواد من الخيل الجياد وهو تحته يتدفق مثل الماء إذ خرج من ضيق الانبوب هذا وقد سار بنو عبس فى سبعة آلاف فارس ما منهم إلا كل مدرع ولابس وساروا يقطعون البرارى والقفار والسهول والأوعار مدة عشرة أيام وفى اليوم الحادى عشر أقبلوا على أرض بنى ضمرة فى تلك الآكام فتبادرت الفرسان إلى صوب المراعى وساقوا الأموال واحتوا على النوق والجمال وهلعت الرعاة طالبين الحلال وعقل كل واحد منهم قد انذهل لأنهم رأوا فرسانا كأنهم العقبان ووقع النفير فى بنى ضمرة فركبت الفرسان وتتابعت الشجعان وتبادرت الأبطال وطلبوا بر الخيام والتقوا بنى سعد واصطدموا معهم أى اصطدام قال وكان المقدم على بنى ضمرة ملك من الملوك الكبار يقال له عطارد بن نبهان وكان من جملة الفرسان المشهورين فى ذلك الزمان وقد خرج فى ذلك اليوم وهو راكب على حجرة حمراء ما تلحق الخيل لها غبارا وتسبق الطير إذا طار وطلب بنى سعد بصدره واستجار هم بكره وفره وحمت بنو ضمرة فى الحرب ظهره والتقى الفريقان وعمل السيف والسنان وحمل الشجاع وضرب بالبتار وولى الجبان وانهار لم يزالوا على قتال وصدام إلى أن ولى النهار على التمام وأقبل الظلام وافترقت الطائفتان وأشعلوا النيران وتحارس الفريقان وكان الرابح فى ذلك اليوم بنى سعد لأنهم قاتلوا قتالا وابتحر امنهم كل بطل أمجد ورأى عطارد من روضة ما لم يره من أحد لأنه قاتله ذلك اليوم قتالا شديداً وجرحه فى موضعين ولما انفصل القتال وتراجعت الفريقان وافتقد روضة رجاله فوجد أنه قتل منهم سبعون فارس وافتقد عطارد ملك بنى ضمرة فرسانه فوجدهم قد قتل منهم أربعمائة وعشرون فارس من الأسود العوابس ولما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح ركبت الفرسان واعتدت الطائفتان وتقابل الجيشان وحضرت وعمل بينهم السيف والسنان وطلع عليهم الغبار وغابوا عن الأبصار وارتجت من شدة ركض الخيل الأقطار وأظلم ضوء النهار وذل فى ذلك اليوم الشجاع وما نجا إلا طويل الباع وصمت من قعقعة السلاح الأسماع وتهت الفرسان كأنهم السباع وحامت الطيور على القتلى وأتت على رائحتهم الضباع وما بقى بين الفرسان وبين الموت إلا باع أو ذراع وعملت السيوف البواتر فى الرقاب والأضلاع وأما الجبان فانه قاسى من شدة الخوف والنزاع وزادت من بنى سعد فى بنى ضمرة الأطماع فتقهقرت إلى ورائها بنى ضمرة وقد أيسوا من

النصرة وكسرهم بنو سعد كسره وأى كسره وأذاقوهم ساعة مرة ولهيوهم بحدا لحسام البتار وأكسروا فيهم الطعن بالاسمر الخطار ولم يكن على حربهم طاقة ولا اصطبار فولوا الأدبار وركنوا إلى الانفرار وانهزموا فى البرارى والقفار وطلبوا بطون الأودية والأوعار وخلوا المضارب والخيام والنساء والأولاد والخدام والخيل والجمال والانعام واكتسبوا ثوبا من الذل والشنار فعندها دخلت بنو عبس إلى المضارب والخيام وسبوا النساء والبنات والخدام والخيل والجمال والأنعام وصارت بنو سعد تنهب من حلة بنى ضمرة ماقدرت عليه حتى أن الفارس صار يحمل ويحمل فرسه لما بقى النهب سايب وزادت تلك المصائب وماوقع من الاتفاق الذى تم وجرى هو أن جرير والخذروف دخلوا مع حملة الفرسان إلى أبيات بنى ضمرة وتوصلوا إلى أبيات الملك عطارد مقدم العشيرة وكان قدامهم وعميت منه البصيرة قوة لحقه الانذهال والحيرة فوجدوا فيه من الأموال ما تكمل حملة الجمال وأروا فى البيت بنت ملك بنى ضمرة ولها وجه مثل نجمة الزهرة وكان اسمها أمية وهى واقفة متحيرة مما جرى لها من تلك الرزية فأخذها الخذروف وعمه جرير وأخذا ما كان فى البيت من المال والأمتعة الغوال ولم يدعوا فى ذلك البيت عقار وجمعوا تلك الأموال وأخذوها والثياب الحرير نهبوها والبنات الكحال سبوها وسلموها إلى عبيدهم ورجالهم لانه كما قد ذكرنا لكم أن الملك روضة بن منيع كان قد انتخب جماعة من العبيد رأعداها لهم وكانوا معه فى ذلك الوقت فى خدمتهم وكان الخذروف فى تلك الساعة قد نظر إلى أمية بن عطارد سيد بنى ضمرة فنظرها نظرة أوقعت فى قلبه حسرة وانطلق فى فؤاده من جهتها حرره وكان يغنى أن لها من الجمال ما يسمى النساء والرجال ونهبت بنو سعد بنات بنى ضمرة بعد ما كسروهم أيشم كسره وما خلوا فى بيوتهم إلا مالا ينتفع به مثل وتد عادم أو مضرب مقطع وقد أقاموا بنو سعد ذلك اليوم حتى هدأوا من الوقعة ومن قرارهم ومن الغد رحلوا وساروا طالبين ديارهم إلى أن وصلوا إلى الحى سالمين غانمين فتلقاهم أهلهم وهم فرحون وفرحت المقيمون بالقادمين وأنزلوا ما معهم من الغنائم والخيام واستمروا على اصطناع الولائم وأكل الطعام وجعلت تدور عليهم كاسات المدام وأخذوا فى اللهو والطرب والأفراح الرجال والعبيد والخدام واستقوت المنازل بالمنازل وفرحت الأوطان بالعطان وأقاموا يرتعون فى أكل الطعام وشرب المدام وخير زاد وكثرة أنعام تمام سبعة أيام ولما أن كان اليوم الثامن من ذلك المقام شور جرير روضة فى زواج أمية بنت عطارد للخذروف بن شيبوب لعل أن تطمئن منهم القلوب فأنعم له بذلك وفرح غاية الفرح واتسع صدره بذلك وانشرح قال وحق ذمة العرب وشهر رجب لا يكلف عرسها إلا أنا وليس علينا فى ذلك عتب لاغنائم أن الأمير روضة بن منيع أمر العبيد بنحر النحور ونصب القدور وترويق الخمور وتجديد الولائم أيضا ثلاثة أيام قد رتع فى ذلك الخاص والعام

إلى أن انقضت ثلاثة أيام ولما كان فى الليلة الرابعة زفت الجارية أمية بنت عطارد على الخذروف لأن قلبه عليها ملهوف وضربت قبة الزفاف وانقضى الامر وما بقى فيه اخلاف ودخل بها الخذروف من ليلته قد وقعت بينهما الموافقة وقد زالت حسرته وقد أحبها والاخرى أحبه وأقاما مع بعضهما فى أرغد عيش وأهناه مدة أيام وقد سار لجرير والخذروف رونق وحظ وأقبال فى بنى سعد وكانوا يجلسون على مراتب عالية بجانب روضة بن منيع والعبيد والجوار تخدمهم الليل والنهار وقد صار لهم قيمة مقدار وأقاموا على ذلك برهة من الزمان ولم يغير ماهم فيه من ذلك الشأن فهذا ما كان من جدير والخذروف (وأما ما كان) من الملك عطارد وقومه من بنى ضمرة فانهم لما جرى لهم من بنى سعد ماجرى وانكسروا قدامهم وهجم عليهم ملكهم الملك عطارد وقومه فى البرارى والقفار وجعل يطوف سائر الأقطار ويشكو إلى أمراء القبائل حالهم ويحكى لهم ما جرى وقد اغتمت له الاصدقاء والاحباب ومن له من الخلفاء والاصحاب لما حصل له من المصائب واجتمعت عليه جماعة كثيرة من فرسان العرب وأتوا إليه يريدون معونته من كل بدو وسبسب وانضمت إليه من بنى ضمرة الذين انهزموا من تلك الوقعة وسمعت بما كان من هذه الاخبار فعادت إلى ملكها لاخذ ثارها وقد أتوا من سائر الأودية والهضاب يريدون من أخذ لهم من والنساء والبنات والأموال والأولاد وقد سار الملك عطارد فى تسعة آلاف من كل ملك مداعس ما منهم إلا مدرع ولابس وسار طالب ديار بنى سعد وكان قد أقبل عليهم فى ذلك اليوم الأقيال والسعدى وقد سار بهذه العساكر الجميع يريد أخذ ثاره من روضة بن منيع ويجازيه على ما نعل فى حقه من ذلك الصنيع وما زالوا يجدون فى سيرهم إلى أن قاربوا ديار بنى سعد وبعد ذلك وقع فى الحالة النفير فركب الكبير منهم والصغير فعندها انعقدت العساكر جابين الأهوال وقد عزموا على القتال والحرب والنزال والتقت الرجال بالرجال وانطرحت الفرسان على الزمال هذا وقد طلع الغبار وغابت الطائفتان عن الابصار وما صبرت بنو سعد غير ساعة ولم يجدوا على قتال العساكر الاصطبار فولوا الأدبار فتبعهم بنو ضمرة وانكسر بنو سعد أيشم كسره وكانت هذه النوبة على بنى ضمرة أسعد سفره ونجا بنفسه كل فارس همام فنهبت بنو ضمرة ما وقع فى أيديهم من النوق والجمال وقد سبوا النساء والبنات الأبكار واجتمع عطارد بابنته أمية زوجة الخذروف لأنه كان على خلاصها ملهوف وأخذ ما حوته يد الخذروف ونهبوا أيضا بيت روضة بن منيع وما حوله من المضارب الجميع وما فيها من الخيرات والانعام وقد أحلوا بهم المصائب والآلام (قال الراوى) وأما جرير والخذروف فانهم لما رأوا ما حل ببنى سعد من المصائب وما طرقهم من النوائب ركب كل واحد منهم على نجيب من النجب الملاح وطلبوا الهرب فى ذلك البر وخافوا على أنفسهم من موت الفجأة

فطلبوا لأنفسهم النجاة وما زالوا سائرين على تلك النجب يقطعون البرارى والقفار مدة أحد عشر يوما وفى اليوم الثانى عشر التقوا بفرسان بنى عبس الاخيار كما ذكرنا يقدمهم عنيترة بنت عنتر وزهير بن قيس وعنيبة بن حصن وزيد بن عروة وعمر ذو الكلب وقد عرفهم زهير ومن معه من الرجال وجرى من الحديث وما وصفناه من ذلك المقال وقد رجعنا إلى سياق الحديث والخبر بعد الصلاة والسلام على سيد البشر ﷺ (قال الراوى) ثم انهم لما فرغوا من المعرفة والكلام رجعوا بهم وقد أكرموهم غاية الاكرام وبعدها ساروا طالبين أرض بنى عامر بعد أن حلفت عليهم عنيترة وعلى عمها جرير وابن عمها الخذروف وأركبتهم الخيل الجياد وخلعت عليهم بما عليها من ذلك الخير الوافر وساروا يقطعون القيافى والقفار وكذلك السهول والأوعار إلى أن بقى بينهم وبين أرض بنى عامر مسيرة يومين ولت تلك العساكر فى بعض المواضع فقال الخذروف لابنة عمه عنيترة يا بنت العم الرأى عندى أن أتقدم أمامكم وأكشف لكم الأخبار وأعود على الآثار فقالت له عنيترة نعم ما به قد أشرت سر على بركة الله تعالى فعاقد عزمت فسار الخذروف وقد غير زيه واختفى عن سائر العربان وسار يقطع البرارى والقفار إلى أن وصل إلى ديار بنى عامر فوجدهم على بنعة من أمرهم وهم على ما هم عليه من ذلك الخير الوافر وقد أخذوا أهبتهم للحرب والقتال واستعدوا للطعن والنزال لأنه كان وصل إليهم من بعض العبيد الخبر بأن الواصل لكم عنيترة بنت عنتر وكان ذلك العبد ماهر وكان قد أرسله مولاه الأمير عامر فى بعض اشغاله لعرب يقال لهم بنو ضبية فقابل عنيترة ومعها هؤلاء العساكر المسميه وهى طالبة ديار بنى عامر فى تلك الهمة القوية فرجع على أثره كأنه الطير الطائر وقد أخبره قومه بنى عامر فلذلك أخذوا أهبتهم للحرب والقتال وقد رأى الخذروف إلى ذلك الحال فعاد على أثره يقطع البرارى والتلال واعلم ابنة عمه عنيترة وزهيرا بما فيه بنو عامر من ذلك الأمر النكير فقال الملك زهير وحق خالق الليل والنهار لابد من قتل عامر بن الطفيل وأن أنزل به الذل والويل فقالت عنيترة لابد من هذه الفعال واجندل منهم الابطال وأدحرج رؤس الاقيال ولا أرضى بقتل فارس واحد فى قتل عمى وأولاده الاقيال قال الراوى هذا وقد أمرت عنيترة الجيش بالرحيل فرحلت العرب من غير تهاون ولا تطويل وساروا ذلك اليوم وتلك الليلة يقطعون الروابى والبطاح فصبحوا حى بنى عامر ايشم صباح ولما قربوا البيوت أكثروا من الصياح وظهرت بنو عامر أيضا وقد ضاقت عليهم الاماكن الفساح وتدانت من بعضهم رجال الفريقين وحان بينهما الحين وزعق عليهما غراب البين وتراموا بالبدين والرجلين وأصابتهما العين وصار حالهما شين وقربت المواكب من المواكب وهزوا فى أيديهم القواضب وقد بان المغلوب من الغالب وصاروا بين مغلوب

وغالب ومنكوب وناكب ومنهوب وناهب ومضروب وضارب وظهرت بينهم العجائب والغرائب وما نفع فى تلك الساعة لاخل ولاصاحب (قال الاصمعى) الراوى لهذا الديوان وكان فى أوائل الفرسان أربعة وهم حماة بنى عبس وعدنان وأشهروا فى أيديهم السنان وهم عنيترة بنت عنتر سيد الفرسان وخالها عمرو ذو الكلب الأسد الغضبان وزهير بن الملك قيس سيد العربان وزيد بن الأمير عروة بن الورد سيد الفتيان وعتيبة بن حصن الفارس القسور ثم انهم حملوا على ذلك الجيش وأذاقوا بنى عامر فى ذلك اليوم الموت الأحمر والبلاء الأكبر واروهم فى أرواحهم العبر من سيوف لاتبقى ولاتذر (قال الراوى) لهذا الكلام العجيب والامر المطرب الغريب الذى يجب أن نسوقه على الترتيب فعند ذلك التقاهم عامر ابن الطفيل وملاعب الأسنة والأحوص بن جعفر وكان لهم يوم شديدا غير كأنه من أيام الساعة التى هى أدهى وأمر وحمل أيضا مع بنى عبس خفاف بن ندبة ودثار بن رزق ولهم هزيمة وهمة وكانوا كما ذكرنا قد أرسلهم لهم الأمير دريد بن الصمه وحمل أيضا سبيع اليمن بن مقرى الوحش فارس النياق وحمل فى أثره عيينة بن حصن بن حذيفة وبذلوا فى بنى عامر السيوف والرماح وأظهروا ما عندهم من الشجاعة والقوة ولم يأخذهم فزع وزادت منهم المروة وصاحوا صياح الليوث العوابس وانصبوا على مواكب بنى عامر انصباب الليث العابس وقد أسروا ثلاثين كأنهم الجن والأبالس (قال الأصمعى) وقد قام بنو عبس وبنو قضاعة وأقاموا الحرب على قدم وساق وطوقوا بالدم الرقاب والأطواق وضربوا الرؤس وبروا الأعناق ومحقوهم أى امتحاق وبانت الأرواح التراق وأكثروا الصياح والزعاق وذهبت من شدة الكرب والأخلاق وجالت الخيل على بعضها البعض وانطرحت الأجساد على بسط الأرض ورأت فرسان بنى عامر وكلاب من بنى عبس وبنى قضاعة ساعة وأى ساعة فعند ذلك قال علقمة بن علاثة وكان من فرسان بنى عامر الموصوفة وشجعانهم المعروفة لبنى عامر يا ويلكم دونكم وهؤلاء الانزال لاتدعوا منهم سامعاً ولا ناظراً وقربوا منهم الآجال راسقوهم كأس الهوان والوبال وضيقوا عليهم المجال وأرموهم ذات اليمين والشمال وخذوا بثاركم منهم فلما سمعت بنو عامر ذلك المقال والقيل مالوا على بنى عبس وبنى قضاعة كل الميل وحمل قدامهم علقمة بن علاثة ومروان بن سراقة وعامر بن الطفيل فاستقبلهم عنيتره وعمرو ذو الكلب وزهير بن قيس وعتيبة بن حصن بن حذيفة وزيد بن عروة ودثار بن رزق وخفاف بن ندبة وقناصة الرجال وسبيع اليمن بن مقرى الوحش صديق عنتر وباقى الفرسان وأوقعوا ببنى عامر الذل والهوان وأبلوهم بالحرب والطعان وأبادوا منهم الشجعان وأهلكوا الأقران ولم يزل الحرب يعمل والدم يبذو والرجال تتجندل ونار الحرب تشعل إلى آخر النهار فدقوا طبول الانفصال وعادوا إلى الخيام والأطلال

وباتوا يتحارسون إلى الصباح ولما ظهر الفجر ولاح ركبت الفرسان على الجرد القداح بعد ما اعتقلوا بالسلاح وطلبوا من بعضهم الحرب والكفاح ونادى عليهم الموت لا براح لمن يبيع روحه بين الأرواح فعند ذلك برزت الفرسان إلى حومة الميدان فكان أول من برز من بنى عامر ملاعب الأسنة ورداد الأعنة فصاح وطلب البراز فبرز إليه واحد من بنى عبس فقتله وثانى جندله وأسر منهم خمسة فرسان أقيال فلما رأت عنيترة إلى هذا الحال خافت على رجالها من الوبال فبرزت إليه فى عاجل الحال وقالت له دونك والحرب يا ابن الأنذال ويا فضيلة أوباش الرجال فصاح بها غشم بن مالك وحمل عليها حملة الأسد الرئبال فقتلته عنيترة كأنها السمر الحرد'ن وجالا لا ثنان فى المجال وطعنته وأظهر الأهوال وكانت عنيترة أثبت منه فى القتال وراوغته وضايقته فى المجال وطعنته بالسنان فى صدره أطلعته يلمع من ظهره فانجدل ومال كأنه قطعة من بعض الجبال فلما رأى بنو عامر هذا الحال حملوا على عنيترة من اليمين والشمال عند ذلك تلقهم بنو عبس وبنو قضاعة كأنه أسود الدحال وطال بهم المطال والحرب والقتال وجرى الدم وسال كأنه السيل إذا سال وزادت نار الحرب اشتعال إلى آخر النهار فدقوا طبول الانفصال ورجعوا عن المجال لما أقبل الليل بالانسدال وعول النهار على الارتحال ولما كان ثانى الأيام برزت عنيترة للمجال وطلبت الحرب والقتال وهى تنادى يا بنى عامر دونكم والقتال والطعن والنزال ولا يبرز إلا فارسكم عامر بن الطفيل الذى خان العهود والمواثيق وأنكر صحبة الصديق وقتل زوجة أبى وأباها وأخاها وحمل هذه العملة ولم يعلم أن صاحب الثار لا ينام فليبرز ذلك اليوم إلى الحرب والصدام إلا أنها ما استتمت كلامها حتى صار عامر بن الطفيل قدامها فلما نظرته عنيترة علمت بما فى مراده فعند ذلك أنشدت تقول :

أيا عامر يا ابن بنت العواهر ... أتاك القضا من كف بنت الأكابر
أبى عنتر المعروف فى حومة الوغا ... همام البرايا ضارب بالبواتر
فكافأته لما توفى بفعلة ... وجازيته بئس الجزا بالعشائر
أما كنت ترعى حرمة الود بينكم ... وتكرم له عيلة بطيب العناصر
ولكن جرى المقدور فيها لا تكن ... يعز عليك اليوم ضرب المناثر
فقد قيل فى الأمثال بيت مجرب ... جرى ذكره بين الورى فى العناصر
ومن يفعل المعروف فى غير أهله ... يلاقى كما لاقى مجير أم عامر

(قال الراوى) ولما فرغت عنيترة من شعرها وما أنشأته من نظمها ونثرها حملت على عامر ابن الطفيل حملة الأسد الضرغام وتضاربا بالحسام الصمصام وتطاعنا بالرماح المعتدلة القوام وأخذ معها عامر فى الجد والكر والأخذ والرد والاقتراب والابتعاد وكثر بينهما الشر

والعباد وكان طال ساعة تقشعر منها الأجساد ونظر عامر بن الطفيل من بعد الفر يقين الغبرة ما رأى عمره مثله فى الزمان لا من فارس ولا من عشرة وسرتهما على أعلا مير ة عنيترة حربا وعلمت أم الزعازع أن عامراً بقى قدامها قليل المقدار فسطت عليه بقوتها سطوة جبار وحملت عليه حملة صادقة ما عليها عيار وضربته بالسيف صفحا على قمته فوقع من على الجواد وكادت ان تعدمه مهجته وبقى ممدأ على الأرض من غشوته لأن الضربة نزلت عن رأسه مثل حجر المنجنيق فعدم منها السعادة والتوفيق وما أفاق عامر من غشوته حتى انقض عليه وشده شدا وثيقا وساقه قدمه وهو فى بحار الهم غريق (قال الراوى) ولما نظرت بنو عامر الى حاميها قد أسر وبعد العز ذل وقهر انحلت عزائمها وارتعت من الفزع قوائمها وحملت تروم خلاصه بيد قناصة فاستقبلتهم بنو عبس وبنو قضاعة بقلوب غير مرتاعة وصدقوا فى حملاتهم فى تلك الساعة وكانت عنيترة بعد أسرها لعامر بن الطفيل حملت على بنى عامر هى وخالها عمرو ذو الكلب وزهير بن قيس وزيد بن عروة وسبيع اليمن ودثار بن روق وخفاف ابن ندبة ودعثوا فى بنى عامر وأذاقوهم الحرب المتماسر وأفنوا منهم الأكابر الأصاغر وعدم صبر بنى عامر حتى لم يبق فيهم من يحارب ولا يضارب ودخل فى قلوبهم ما حير الخواطر وأبهر النواظر وانصب عليهم بنو عبس كأنهم الأسود الكواسر فلم يجدوا لهم بها طاقة ولا على حربهم استطاقة فلم يكن لهم أرفق من الهرب فولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار لأنهم لم يبقى لهم على الثبات قوة ولا اضطبار فهجوا على وجوههم فى القفار وتفرقوا فى السهول والأوغار وتبعتهم بنو عبس وبنو قضاعة ومكنوا منهم الصارم البتار وما زالوا خلفهم إلى آخر النهار فرجعوا عنهم وقد حصل لهم الفرح والاستبشار ونهبت العرب أحياء بنى عامر وأخذوا أموالهم ونياقهم وجمالهم وبعد ذلك دخلت عنيترة أبيات عامر بن الطفيل ونهبت هى ورجالها ما فيها من الخيرات وأسرت كبشة أم عامر وأخته وأحلت بهم الذلة وذلك لتأخذ منهم بثار عمها مالك وولده عمرو وابنته عبلة وأخذت جميع ما كان تبقى من أموالها وبذلك أخبرتها رجالها وفرح زهير بن قيس بما كان من أحوالها وأخذت من عنده الدروع التى كانت لأبيها عنتر ومن جملتهم الدرع وأغاجيجى وسيفه الضامى الابتر وأخذت الخيل الى كانت له ولم يعدم منها سوى الأبجر لأنه كما ذكرنا شرد عنه وقوع عنتر من عليه وتوحش فى البر الاقفر لأن عبلة كانت أخذتهم معها لما تزوج بها عامر كما أمرها عنتر وسارت كبشه أم عامر لما رأت ما حل بها من ذلك الأمر الجسيم تقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم والله أن ولدى كان عليكم ظالم وقد أصبح اليوم على فعله نادم وحرمة العزيز الدائم هذا وبنو عبس قد نهبوا المضارب والخيام وسبوا الجوار والمولدات والخدام وشالوا الحلة وأخذوا كل ما فيها ولم يدعو شيئاً له منتفع وقد هج على وجهه الاخوص بن جعفر ورأى

بمينه الموت الأحمر وبات بنو عبس وبنو قضاعة فى ذلك المكان وفرحوا بأخذ الثأر وعلو الشأن ومن الغد عادوا طالبين الديار والأطلال قاصدين أرض الشربة والعلم السعدى ليعمروا المنازل ويؤنسوا الديار ولا يعود أحد يتعدى عليهم (قال الراوى) ولم يزالوا إلى أن وصلوا إلى الأوطان والديار ونزلوا فيها وقد فرحت بهم الديار وتعمرت الأوطان بالقطار والمنازل بالسكان ولما نزلوا ضربوا الخيام واركزوا الأعلام وروجوا قدور الطعام وقدموا بواطى المدام وقد أخذوا فى اصطناع الولائم مدة سبعة أيام وضربوا لعنترة مضرباً مكان أبيها على غدير ذات الارصاد وأتتها الشعراء والقصاد وكذلك زهير ابن قيس نزل من منزل أبيه وخرج بنو عبس وملكهم بما هو وكذلك عتيبة بن حصن نزل فى منازل بنى فزارة وحصلت لهم الفائدة بعد الخسارة وتعمرت الديار بعد الخراب واستأنست بأهلها بعد أن كانوا عنها غياب وهراب وكانت قفراء خراب لا يأويها إلا البوم والغراب فسبحان الله العزيز الوهاب الملك العظيم التواب الذى إذا دعا أجاب وإذا سئل أعطى بغير حساب يحكم فى خلقه ويريد وله البقاء والنصر والتأييد قال الراوى وأقامت بنو عبس فى منازلهم والأوطان وقد خافت منهم وحسبت حسابهم جميع القبائل والعربان من بنى عدنان وبنى سيبان وبنى قحطان وخافت وهابت من عنترة جميع الشجعان والأقران وقالوا لبعضهم ها قد عاد ملك بنى عبس أحسن ما كان وقد تعرضوا عن عنتر بابنته عنيترة التى أذلت الشجعان وقهرت الأقران وأسرت مثل ذو الخمار ومثل عمته الورقاء الذين هم معدودون من فرسان الحرب واللقنا وأسرت مثل عامر ابن الطفيل وقتلت ابن خالته ملاعب الأسنة وأحلت به الفنا والويل وأخذت منهم بالثار وكشفت عن عبس العار وشتتت بنى عامر فى البرارى والقفار وخلت منازلهم قفراء ما فيها ديار ولا نافخ نار (قال الراوى) وقد مضت الأخبار بذلك إلى عمرو بن معد يكرب فتعجب كل العجب من ذلك واحتفل فى سادات قومه وسار إلى بنى عبس السادات الغر ولهنى عنيترة بما أتاها من النصر والظفر ومازال سائراً إلى أن وصل الى بنى عبس ومن عندهم من القبائل فوجد المنازل قد أنست بالنوازل وازداد عددهم كما كانوا فى تلك الأيام الأوائل لأنهم كانوا فى أيام عنتر أربعة آلاف فارس والآن قد صارت عنيترة وزهير فى اثنى عشر ألف فارس لأن زهير قد اجتمع عليه من بنى عبس الذين تفرقوا ألف فارس وبنو قضاعة قد جاءوا مع عنيترة وخالها عمرو فى خمسة آلاف فارس وبنى فزارة قد اجتمع منها خمسمائة فارس ممن كانوا قد اختفوا فى الجبال وشىء منهم قد تخفى وسكن فى أحاقيق الرمال والباقى من فرسان العرب الذين قد أتت إلى خدمة عنيترة ولما بان منها هذه الشجاعة والقوة والبراعة وهم مثل دثار بن رزق وخفاف بن

لديه لأنهم راعوا ما كان بينهم وبين والدها عنتر من المودة والصحبة وكان كما ذكرنا قد أمرهم بذلك شيخ العرب دريد بن الصمة فاجتمعوا بجماعة من هوازن أهل العزيمه والهمم وكانوا قد ألفوها وأحبوا المقام عندهم لأنهم رأوها جيدة الخصال ولأجل ما كسبوا بسببها من المال والنوق والجمال (قال الراوى) ولما أتى الامير عمرو بن معد مكرب إلى زيادة عنيترة ترحبت به وأكرمته غاية الإكرام وقد وجد عندها الأمير هانى بن مسعود فى جماعة من فرسان بنى شيبان الكرام لانه كان الآخر قد أتى إلى عنيترة لاجل السلام هذا وعنيترة قد قامت بجميع العربان بالضيافات والعلوفات وأكثرت لهم من الخيرات الوائدات وأصبحت أرض الشربة والعلم السعدى ترتج بسكانها وتفرح بقطانها وقد صارت أحسن ما كانت فى أول زمانها وصار سادات العرب مالهم حديث إلا فى عنيترة بما بان منها من الشجاعة والقوة والكرم وحسن الشيم وجعلوا يقولون لقد أحيت عنيترة ذكر بنى عبس بعد ما كانوا كما مضى من أمس لانه من خلف مثلها ما مات لانها قد أسرت جماعة من الفرسان والسادات مثل ذو الخمار وعمته الزرقاء وأردتهما فى الحرب واللقاء وقتلت ابن منها أسد الفلاة وارثته الفنا قال الراوى وقد ذكرنا أن عامر بن الطفيل عندها مأسور وقد أحاطت به البلا والثبور وقتلت ابن خالته ملاعب الاسنة غشيم بن مالك وأنزلت به المهالك وكذلك عندها والدته وأخته فى الاسر والهوان فلما اجتمعوا عندها سادات العربان لم يجدوا لهم كلاماً سوى ذلك الشأن وخلاص عامر مما هو فيه من الاسر والهوان لانه كما قدمناه معدود من جملة الشجعان فعند ذلك سألها الامير هانى بن مسعود وعمرو ابن معد يكرب بعامر بن الطفيل لاجل من معه من النسوان فأجابتهم عنيترة إلى ذلك السؤال ولم تغلظ عليهم فى ذلك المقال ولم يخطر لها ذلك الامر على بال ثم أنها أمرت باطلاقه فى عاجل الحال وخلعت عليه وأحضرته فى جملة الرجال ثم قاموا عندها فى أرغد عيش واهنى بال مدة سبعة أيام وهى فى أكل طعام وشرب مدام وبعد ذلك استأذنوها فى الانصراف فأذنت فى ذلك ولم يكن عندها خلاف بعد ما خلعت عليهم الخلع الحسان وساروا من عندها وهم يتمايدون ما فعلت فى حقهم من الاحسان وأقامت هى بعد ذلك وقومها وما اجتمع عليها من العربان وهم فى أمان واطمئنان برهة من الزمان (قال الراوى) وأما الفرسان الذين انصرفوا من عندها فكل منهم قصد ماله من الاوطان ومن جملتهم عامر بن الطفيل وقد ناله ما حل به من الاسر والذل والويل لكن شقاوة غالبة عليه بما قضاه الله تعالى من إيصال الكفر اليه وذلك أن عامر لما وصل إلى دياره ونزل فيها وقر قراره وراح اجتمعت عليه العربان الذين كانوا قد انهزموا فى البرارى والقيعان ونزلوا واستقرت بهم الاوطان قال الراوى ومما قضاه الملك الديان أنه لما بعث سيدنا محمد سيد

ولد عدنان وشاعت أخباره فى سائر الأماكن والبلدان ودعا الناس إلى الاسلام والايمان ورمى ما كان على البيت الحرام من الأصنام والأوثان فبلغ ذلك إلى عامر بن الطفيل فن خبث نفسه ما يلحقه من ذلك فتور ولا توان بل قال أريد أن أمضى إلى هذا الرجل الذى شاعت أخباره وأغزوه فى داره فقد بلغنى أنه بمكة مقيم وأنه قد دعا الناس إلى دين قديم وحط القصائد عن البيت الحرام وأطاعته أصحاب كثيرة من الخاص والعام ولما عزم عامر ابن الطفيل عن ذلك أقبل على فارس كان قد ذما فى بنى عامر يقال زيد بن ربيعة وكان الآخر كافراً جاهداً فقال له يا زيد هل لنقتل هذا الرجل الذى قد ظهر وينقطع منه الأثر وندع لنا ذلك خبراً يذكر فقال له افعل ما بدا لك فإنى مطيعك فى جميع أفعالك ثم اتفقوا على ذلك الحال وساروا يقطعون البرارى والتلال وما زالوا كذلك إلى أن وصلوا إلى مكة شرفها الله تعالى ونزلوا فى بيت امرأة تسمى سلوى وكانوا يعرفونها قبل تلك القضية وهى أخت عبد الله ابن سلول المنافق لعنة الله تعالى عليه (قال الراوى) ولما أن نزلوا عندها واستقروا فى دارها سارت تخدمهم هى وخدامها وجوارها وأقاموا عندها يدبرون فرصة من رسول الله ﷺ فبينما النبى ﷺ جالس فى بيت خديجة الكبرى والدة فاطمة الزهراء وإذا بجبريل قد هبط عليه وقال يا رسول الله ربك يقرئك السلام ويخصك بالتحية والإكرام ويقول لك إن رجلين من بنى عامر يقال لأحدهما عامر بن الطفيل والثانى يسمى زيد بن ربيعة العامرى قد أتيا إليك ليقتلوك وهما قد نزلا فى بيت أخت عبد الله بن سلول المنافق وأنهم قد أملوا أملا بعيداً وقد أضلهما الله تعالى ضلالا شديداً وتبعا كل جبار عنيد وربك يقول لك يا محمد إن أردت خسفت بهم الارض كما خسف الله دار قارون ومهما اخترت فهم على كل حال يهلكون فقال رسول الله ﷺ رب اهد قومى فانهم لا يعلمون وقال يا أخى يا جبريل دعهما فى عيهما وجهلهما يعمهون وقد وصف الله أخلاقه فى القرآن فقال عز من قائل وإنك لعلى خلق عظيم وخرج النبى ﷺ وجلس فى المسجد وإذا بعبد الله بن سلول المنافق قد أقبل المسجد فى جملة الصحابة ودخل وكان النبى ﷺ يعرف المنافق من المؤمن الصادق ولكن كان المنافق يحقن دمه وماله بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله قال الراوى ولما أقبل عبد الله بن سلول إلى المسجد قال له رسول الله ﷺ يا عبد الله امض إلى دار أختك والذين عندها من بنى عامر فسار عبد الله إلى دار أخته لما سمع كلام رسول الله ﷺ وطرق الباب ففتحت له أخته وقال له أهلا وسهلا بك يا أخى هل من حاجة فقال لها عبد الله يا أختاه هل عندك ضيوف من بنى عامر من أقارب مالك فقالت له نعم فقال لها ادعيهم يتجهزوا لأنفسهم وإلى أهلكم محمد بن عبد الله فلما سمعت ذلك منه تغير لونها واضطرب كونها ودخلت من وقتها وساعتها إلى عامر بن الطفيل وإلى زيد بن ربيعة العامرى وقالت لهما النجاة

بأنفسكما من العطب وإلا قتلكم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أشر قتلة ومثل بكما أقبح مثلة فلما سمعوا ذلك الكلام من أخت عبد الله قاما إلى خيولهما فركبوها وإلى عددهما لبسوها وخرجوا من وقتهما وساعتهما وسارا في البر على وجوههما هاربين وإلى النجاة طالبين وقد صارا في حيرة عظيمة في ذلك البر الأقفر واعتراهم الخوف والكدر إلى أن وصلوا إلى بني عامر وكل واحد منهم عقله من رأسه طائر وعلم أن رسول الله ﷺ أن الاعتداء من عامر بن الطفيل فدعا عليه وقال ابتلاه الله بغدة كغدة البعير فطلع له شيء في رقبته يسمى الخوانيق فلما وصلوا إلى عامر ضعفوا أياماً كثيرة وأجيبت دعوة رسول الله ﷺ في عامر وطلع له غدة في رقبته حتى صارت كالطبل العظيم ولم يزل بها حتى هلك فلعنة الله عليه (قال الراوي) فهذا ما كان من هؤلاء وما ما كان من عنيترة وبني عبس وأحوالهم فانهم لما أقاموا في أرض الشربة والعلم السعدي وقد بلغوا من النصر على الأعداء وآمالهم وهم في العيش الرغيد والجمع العديد وإذا بنجاب على ناقة طويلة الخطام قد أقبل من بين تلك الروابي والآكام حتى أشرف على أرض الشربة والعلم السعدي وهو راكب على ناقته وهو بها يحدي ويعيد ويبدي فلما بانت له الخيام وظهرت م الرايات والأعلام ونظرته العرب تسابق عليه العبيد والخدام فرأوه قد ترجل من نجيبه في طرف الخيام ثم صار ماشياً على الأقدام وسأل عن مضرب الأميرة عنيترة فارشده إليه الخدام ومازال سائراً حتى وصل إليها وقدم عليها وصار بين يديها فرآها جالسة في مضربها وعندها سادات العرب وهي بينهم كأنها الأسد الأغلب وكل منهم ينظر إلى ما أعطاها الله تعالى من الهيبة ومن شجاعتها وهي أيضاً تتعجب كيف أذلت بفروسيتها فرسان البر والسبسب (قال الراوي) وإذا بالنجاب قد أقبل فاستأذن له الخدام فأذنت له في الدخول فدخل فترحبت به ولديها أقبل ولما هدأ المكان من السلام والخطاب أخرج من عمامته إلى عنيترة كتاب وقال لها إذا قرأتيه وعرفتي مافيه اردى الجواب فأخذته عنيترة وسلمته إلى زيد بن عروة وقد ذكرنا أن زيد بن عروة لما مات عنتر كان صغير السن فوصى عليه عمر ذو الكلاب فقبل فيه الوصية ورباه أحسن تربية في العيشة الهنية المرضية وكنا قد ذكرنا أيضاً أن أباه قبل مماته علمه الخط والنجابة والفروسية والتصدق بعد ذلك إلى هذا الفارس الجسيم فخرج منه هذا المخرج العظيم وصار يد طويلة في الخط والقراءة والشجاعة وقد كان ذا قوة وبراعة فصار عند الأميرة عنيترة في أعلا مكان والعطف محل وأعز شأن وهو الذي كان يكاتب لها سادات العرب وكان فيه فضل وأدب

((تم الجزء الثالث والخمسون ويليه الجزء الرابع والخمسون))

الجزء الرابع والخمسون

من سيرة عنترة بن شداد

(قال الراوى) ومما اتفق من الأمر أنه كان فى تلك الأيام لا زوجة له ترضيه لأن زوجته كانت قد توفيت والتى كان قد تزوجها فى زمن أبيه وكان للأمير عمرو ذو الكلب إبنة يقال لها الرباب ولم يوجد لها نظير فى الحسن والأدب وكانت من ذوى الأحساب والأنساب مليحة القد قاعدة النهد لها خصر نحيل وردف ثقيل وكان من محبة يزيد بن عروة عند الإمير عمرو ذو الكلب زوجه ابنته وأقام عنده فى نعمته وعمل له الولائم ودام لهما العز الدائم سبعة أيام وفى اليوم الثامن ضربت الزفاف وانقضى الأمر ولم يبق فيه خلاف ودخل بها زيد بن عروة ووقعت بين الاثنين المحبة والنخوة وأقامت معه مدة من الأيام ورزق منها ولدا ذكر كأنه بدر التمام فسماه عروة على اسم أبيه وتربى على أيدى العبيد والخدام وقد صار ليزيد بن عروة خيل وجمال ونعم وأموال وصار بعد ذلك من الأبطال وصارت عنيترة لا تفارقه بحال من الأحوال (قال الراوى) ولما أتى ذلك النجاب وناول عنيترة الكتاب منه وأعطته إلى زيد بن عروة وأمرته أن يقرأه حتى أنها تسمعه وتعرف معناه وإذا به من عند الملك المنذر بن النعمان وكان لذلك الكتاب شأن وأى شان قال وكان السبب فى ذلك هو أن الملك المنذر كان فى كل سنة يحمل حملا إلى الملك كسرى أنوشروان وهو شىء كثير من الأموال والهدايا والذخائر والتحف الغوال فاتفق من الأمر العجيب والحديث المطرب الغريب أن المنذر قد جهز الحمل فى تلك السنة على جرى العادة وأرسله إلى المدائن وسارت به الرجال وكان وصحبة الحمل ألفان من الفرسان السادات وكان المقدم عليهم عمرو بن هند أخو النعمان الذى كان قد أرسله إلى بلاد اليمن ليرد بنى عبس لما أن كان النعمان عليهم غضبان وعادبهم وأنزلهم فى أرض بنى عامر كما أمره أخوه النعمان وكان عمرو بن هند قد رزق هذا الولد النفيس وكان فارسا ورئيس بعد إذا برز إلى الميدان بألف بطل من الشجعان وكان يسمى ماء السماء ولما أراد الملك المنذر أن يرسل الحمل إلى كسرى أنوشروان انتدب له ابن عمه ماء السماء حتى يكون لتلك الأموال حافظا وحمى وأرسله مع الحمل وصحبته ألف فارس أبطال وسار ماء السماء بما معه من الأموال والنوق والجمال والصناديق الملآنة من الذهب والجواهر الغوال وطالب مدائن كسرى وتلك الأبطال وما زالوا كذلك سائرين على ذلك الحال وهم فى السوق الشديد إلى أن وصلوا إلى برية وبعيد والدواب بين أيديهم تسوقها الخدام والعبيد وإذا قد طلع من جانب الوادى ألف عنان وهم على خيول أخف من الغزلان والكل من منتصره العربان

وكانوا خمسمائة من الروم الذين هم عبده الصلبان يقدمهم فارس كأنه الأسد الغضبان وهو أسمر اللون مليح الكون وقد نادى برفيع صوته بلسان فصيح ونطق مليح يا ويلكم يا عباد النار والهيب ويامن غضب عليكم الصليب خلوا ما فى أيديكم من المال والنوق والجمال وانجو بأنفسكم فى هذه البرارى الخوال وإلا وحق المسيح ومارى حنا المعمدان أتركـكم رؤسا بلا أبدان وتحوم عليكم النسور والعقبان (قال الراوى) ولما سمع ماء السماء بن عمرو ابن هند مقدم الجيش ذلك الخطاب من ذلك الفارس المهاب نادى يا ويلكم من تكونون الروم الكلاب أو من أصحاب الأصول والأنساب فعند ذلك تقدم إليه ذلك الفارس وانطبق عليه مثل انطباق السحاب وقال لماء السماء يا ويلك أتقال لمثلى هذا الخطاب وأنا أسد الدحال ومقتنص الابطال أو هذا المقال يعرف عم أو خال أو ذكر أحساب وأنساب هذا مقام الضرب بالصارم القرضاب ومحل قطع الرقاب ثم أن فارس الروم بعد هذا الكلام أنصب على فرسان بنى لخم انصباب الغمام وتبعته الخمسمائة فارس والفارس بالدمه كأنه أسد الهيجا وحملت معه الألف الذين من العرب المنتصرة وطلعت على الطائفتين الغبرة ورهقتهم القتره وتضاربوا ضربات متواترة وصارت عقبان المنايا على رؤسهم طائرة ودارت عليهم الدائرة وطمعت فيهم فرسان الروم والعرب المنتصرة وذلك الفارس الرومى الذى على الفرسان تقدم قد ساق الفرسان قدامه سوق الغنم وبرى كل ف اع ومعصم وقد ذل من بنى شيبان القدم (قال الراوى) وكان هذا الفارس الرومى ينادى يقول أنا فارس الروم والعجم أنا الغضنفر فارس هذه الارض وابن الملكة مريم ثم أنه صار يجول على الارض والدحال ويكردس بين يديه الرجال ويردى الاقيال ويرميهم ذات الشمال فعند ذلك هابته الشجعان وولت من قدامته الاقران وتجاروا فى الميدان وكل منهم يقول ليس الخبر كالعيان وكانت ساعة من ساعة الزمان انهزمت بنى شيبان وبنو لخم عن الغنيمة وطلبوا الهرب والهزيمة واعترض الغضنفر إلى ماء السماء وقد طلب الآخر الفرار فتلقاه قبل أن ينهزم وقد طعنه فى صدره بعقب الرمح فأرماه فى تلك القفار فغاب عن الدنيا وكاد أن يحل به الدمار وتسلمته غلمانه الذين حواليه وأوثقوا بالشديد يديه ورجليه وبعد ذلك انحط على بنى شيبان وشتتهم فى البرارى والقيعان وما زال يقتل فيهم ويأسر إلى أن صار آخر النهار وعاد عنهم وقد خلص الغنيمة وهو ذو فرح واستبشار وصار أمام قومه وهو كأنه قد غرق فى بحر من الدم مما سال عليه من أدمية الفرسان وقد قتل من الروم مائة وخمسين فارسا من القوم المنتصرة مثل ذلك ونزل الغضنفر وقد ضربت له الخيام ووقفت بين يديه العبيد والخدام عرضوا الغنيمة التى أخذوها من العساكر التى هى سائرة إلى كسرى فوجدوا فيها شيئا كثيرا لا يكيف ولا يرى من لؤلؤ وذهب وياقوت أحمر وقطع الزمرد الاخضر وفصوص

المعادن والجوهر وأشياء تذهل العقول والبصر عند رؤيتها وشيء كثير من الخيول والجمال والنوق العصافيرية والبغال وأكثرها محملة من الهدايا أموال وأيضا معهم جوار وخدم وأموال ونعم نعجز على جمع مثلها ملوك العرب والعجم (قال الراوى) ففرح الغضنفر بذلك فرحا عظيما وعلم أن طالعه مستقيم وقد أقام هناك ذلك اليوم وتلك الليلة ورحل بما معه من الأموال وقد تعجبت من فروسيته الأبطال وكيف كسر بنى لخم وشيبان بشدة عزمه وقوة ماعنده وهم ألف عنان وأسر ماء السماء ابن عم الملك المنذر وأخذه معه أسير وقد شدوا بين يديه الأموال تسوقها الخدم والعبيد وقد بلغ من زمانه ما يريد وتلك الغنيمة قد سدت الفضاء وملات المستوى ومازال سائرا إلى أن وصل إلى القلعة أهل الرشاق ومعه جميع أصحابه وجماعته (قال الراوى) وقد أخبرت الرواة أن الغضنفر كان يحكم على أكثر من عشرة آلاف فارس من الروم منها خمسة الاف من أصحابه وخواصه وكان عبيده فى القلعة مقيمين ومنها خمسة الاف فى الطباع والرساتيق دائرين وكان الغضنفر قد نشأ فى ذلك المكان وقد طلع فارسا لا يوجد مثله فى الآفاق ولا نظر أحد شكله لا فى الشام ولا فى العراق (قال الراوى) ولقد سألت عن هذا الفارس ونسبته وفى أى أرض وبلاد كان منشؤه وتربيته لأن حديثه عجيب وقصته توجب الطرب وكيف لا أسأل عنه وقد كسر فى ساعة واحدة ألفين فارس من بنى شيبان ولخم وهما من سادات العربان وفيهم مثل ماء السماء وكان يعد بألف فارس من الشجعان وأيضا كان الغضنفر هذا صبين يقاتل يحامى عن نفسه وعن جميع من معه من أهل قلعته ومن فرسانها ورجالها مثل ماتحامى اللبوة عن أشبالها وذلك أن هذا الفارس كأنه قد نشأ فى القسطنطينية عند ملك الروم قيصر وكانت والدته بنت أخى الملك يقال لها المكة مريم وقيل ان من خواص سـ اوبه وقد رزقت هذا الولد وكان أسمر اللون وله سواعد شداد مثل العمد وكان الملك قيصر كلما راه مال قلبه إليه وأحبه ولكن كان فى بعض الأوقات طبعه ينفر منه لاجل سواد لونه دون الروم ولما دخل فى قلبه الشك من اجل ذلك اللون الذى صار فيه قدمه قدمه على خمسة الاف فارس من الـ وم وهو دون البلوغ وأرسله هو وأمه وجوارها وجميع أموالها وذخائرها وما يعز عليها إلى قلعة برقعيد وكانت هذه القلعة حدملك قيصر من ملك الفرس كسرى وكان الملك قيصر أخفى مراده أن يجعله فى تلك القلعة ليكون فى وجه العدو وليدفع من يريده بسوء فسار الغضنفر بعسكره كما رسم له عمه إلى أن أتى إلى قلعة برقعيد وكانت هذه القلعة عظيمة فوجدها قلعة حصينة ولكن أرضها برية مخيفة غير أمينة فصعد إلى تلك القلعة وأقام فيها وجعل معه فى القلعة من ذلك الجيش من هو مثله فى العمر وأكبر منه ودونه والبعض كان من قرائبه وقرائب أمه ثم انه استخدم أيضا من كان قد انضاف اليه خمسة الاف بالديوان وجعلهم فى الضياع والرساتيق لأنه عمر تلك الافاق

وجعلهم يستخلصون له الخراج ويرفعون إليه الأموال فى كل عام (قال الراوى) ثم بعد ذلك تفرس الغضنفر وصار يركب فى خمسمائة فارس وأكثر ويتصيد بهم طول النهار ويهجم الغابات ويقتنص منها السباع الضاريات ويقهرها بقوة ساعده فى كل الاوقات وقد صار له بهذا عادات وما زال على ذلك الحال أياما عديدة وليالى إلى أن بقى له من العمر عشرون سنة صار يبارز الفرسان ويقهر الشجعان ويرميهم فى الميدان مدة من الأيام وسطا على الفرسان وزاد أمره وعظم شره وما رأى قافلة دخلت عليه من تلك الأرض إلا ويلقاها وحده وما معه إلا فرسان قلائل من جيشه وجنده وما زال على ذلك الشأن إلى أن سمع بتلك الغنيمة سائرة إلى كسرى أنوشروان من عند الملك المنذر واخبره الذى أتى إليه بالخبر أن معها ألفين فارس من بنى لخم وشيبان فقال وحق المسيح لاسرب إليهم إلا وحدى ولا آخذ معى أحداً من جيش ولا من جندى فقالت له والدته بحق المسيح ياولد لا تفعل هذه الفعال وخذ معك من يعينك من الرجال وكذلت قامت عليه أرباب دولته وجماعة من أهله وعشيرته فصحب معه تلك الخمسمائة من الروم والألف من العرب المتنصرة وسار فى طلب الغنيمة وقد وقف مرتقبا للفرسان فى فم المضيق حتى أنهم يعبرون على الطريق وكان ذلك الموضع مسيرة يوم وليلة من القادمة فى ذلك البر الأقفر وقد سار الغضنفر وله قلب أقوى من الصخر (قال الراوى) فبينما هو كذلك سائر قدام قومه فى تلك القفار إلى أن عبر عليهم نصف النهار وقد نفخ عليهم البرنار وإذا قد اعترضهم أسد فى تلك الطريق وهجم عليهم ومنعهم عن المسير والتعويق وكان ذلك الأسد قد خرج عليهم من بين الغابات والشجر وهو أسد أغبر الحجر يطير من عينيه الشرر ويقلب الوداع بالصياح إذا زأر وزمجر له أنياب أحد من النوائب ومخاليب أشد من المصائب واسع الأشداق عبوس ضيغم أفطس الأنف أدغم يسمع من غرغرته الرعد إذا همز وهمهم وتنظر البرق من عينيه اذا أظلم الليل وافتم الميل وهو كأنه القضاء المبرم وهو كما قال فيه الشاعر هذه الأبيات

وليث عبوس تصدع القلب رؤيته	وترتعد الابدان من عظم صرخته
بشدق كبير كالقليب وعجم	كشعلة نار فى الدياجى وظلمته
وأنيابه مثل الكلاليب اذ بدت	يروخ قلوب الناظرين برؤيته
اذا ما رأته الخيل صارت شوردا	إلى القاع تخشى من صواعد سطوته

(قال الراوى) ثم ان ذلك الأسد طلب الخيل وهو يتمايل على جنبيه وفى مشيه يتمخطر ولما رآه الغضنفر قال لأصحابه لا يكم من يخطى من مكانه حتى تنظروا ما يكون من شأنى وشأنه ثم ان الغضنفر ترجل عن ظهر جواده وخلع عن عدته وأدار أذياله فى دور منطقته وأخذ سيفه بيمينه وأخذ فى شماله درقته وتقدم يخطر إلى الأسد بقلب أقوى من الصخر والجلد

وما زال ماشيا على قدميه حتى قرب منه ووصل إليه فلما نظره الاسد امتد حتى صار كمثليه ثم انجمع بعد ذلك حتى صار كمثليه وحمل على الغضنفر وحمل الاخر عليه وضربه بالسيف بين عينيه في قوة الضربة وشدة حمل الاسد طلع السيف يلمع من فخذيه فعندها ارتاعت قلوب الفرسان من تلك الضربة لما نظروا إليه (قال الراوى) هذا وقد رجع الغضنفر بعدما مسح سيفه في جلد الاسد وقد تركه على التراب عدد وركب على جواده وفي عاجل الحال كانه ما عمل شيأ من تلك الاعمال ولم يزل سائرا هو ومن معه من الفرسان إلى أن التقى بماء السماء بن عمرو ابن هند أخى النعمان وجرى له معه ومع قومه ما جرى من ذلك الشان واحتوى الغضنفر على جميع الغنيمة وطالب بنو لخم وبنو شيبان الهزيمة ورجع هو وقومه قاصدا إلى قلعته وطلع إليها واجتمع باهله وعشيرته ونظرت والدته الملكة مريمان إلى ما قدا اتى معه الاموال والذخائر المثمنة والنوق والجمال وتلك الصناديق المحملة على البغال ففرحت بما بان منه فرحا شديدا زائدا عن الحد لما يكون أن ولدها قد صار حامية تلك الارض (قال الراوى) هذا ما كان من الغضنفر ورجاله وما جرى لهم (واما) ما كان من حديث المنهزمين الذين هم من بنى لخم وشيبان واحوالهم فانهم لم يزالوا في هزيمتهم إلى أن وصلوا إلى مدينة الحيرة وكل منهم في ذل وحيره ودخلوا على الملك المنذر وقد عميت منهم البصيرة وهم صارخون مولولون وقد حل بهم الذل والخبال وجعلوا ينادوا ويقولوا أيها الملك نهبت الحلال والاموال وقتلت الرجال وسارت بها الاحوال قال الراوى فلما سمع الملك المنذر ذلك المقال تغيرت منه الاحوال وتغير لونه واضطرب كونه وقال لوزيره انظر ما ترى من الرأى والتدبير واصرف همتك إلى ما ترى في هذا الامر الذى قد صار عسير وكان وزير المنذر في ذلك الزمان زيد بن عمرو بن نقيله العدوى وزير الملك النعمان كان قد طلع مثل أبيه رجلا فاضلا خبيرا وكان ذا عقل ورياسة وأدب وفضل وسياسة فقال له أيها الملك انى سمعت عن هذا الغضنفر أنه في ذلك الزمان فارس البدو والحضر وأنه فارس لا كالفرسان وبطل تخضع لفروسيته الشجعان وما له إلا فارس مثله وبطل شكله كشكله ويكون يفعل في الحرب كفعله وما يوجد اليوم له مثيل في الزمان والخبر إلا ان كانت أم الزعازع عنيزة بنت عنتر التى من بعض فعالها أنها أسرت ذا الخمار وعامر بن الطفيل الفارس المغوار وقتلت مثل ملاعب الاسنة فارس بنى عامر واحلت به الويل ولهذا أرسلنا إليها نعلمها بذلك الخبر فهى تاتى إلى الخدمه بقوة قلبها وشدة عزمها وتكشف هذا الضرور ونرجو على يديها النصر والظفر والا يا ملك إن ارسلنا إلى الغضنفر جيشا آخر فانه يكسره وتخرق الهيبه ويبقى الامر وضيعا منكرا ويروح منك ناموس الملك ويحل بنا العبر وأنا الرأى عندى أيها الملك أن ترسل إلى ابن خالك زهير بن قيس الذى قدر باك على يديه قبل الان على الخير فانه يامر ابنة عمه عنيزه بالمسير هى وبنى عبس وبنى قضاعة

فانى أعلم منها أنها إذا سمعت بذلك تأتى ولا تتأخر وترسلها من ههنا أنت إلى الغضنفر فانها تذيقه الموت الأحمر وتنزل به بشجاعتها الذل والعبر (قال الراوى) فلما سمع الملك المنذر من وزيره ذلك الكلام فرح واستبشر بهذه الأسباب وأمر الوزير فى عاجل الحال أن يكتب اليهم كتاب وأن يشرع بارساله مع النجاب ففعل الوزير ما أمره به لما سمع من المنذر ذلك الخطاب فارسل بالوقت لنجاب فسار من وقته وساعته طالبا أرض الشربة والعلم السعدى وهو يلطع فى ذلك البر ولناقته يحدى حتى صار إلى الديار والأطلال فرأى إلى حلل ترتج بسكانها من كثرة ما فيها من الرجال والأموال فلقيه بعض العبيد فسأله عما جاء فيه من الأحوال فقال النجاب أريد الأميرة عنيترة بنت عنتر فقال له العبد ألا تنظر إلى ذلك البيت الرفيع العماد الأحمر فامض إليها واستأذن بالدخول عليها واشرح لها حالتك فانها تقضى لك حاجتك وإن كنت مظلوما فانها تعينك على ظلامتك (قال الراوى) فسار النجاب قاصد المضرب فرأى العبيد تمرح وتلعب وهم فى أمن من غبرة الزمان وفى غاية ما يكون من الإحسان فلما رأى العبيد إلى النجاب تسارعوا إليه وأعلنوا بالسلام عليه وسألوه عما جاء فيه وليبدى فيه الأمر ولا يخفيه فاستأذنوا له فى الدخول فأذنت لهم بدخول الرسول وكانت جالسة وفى حضرتها من قدمنا ذكرهم من الأصحاب وإلى جانبها الملك زهير بن قيس وهو كأنه الأسد الوثاب فدخل عليهم النجاب فى عاجل الحال وقبل يديها وأوصلها الكتاب فأخذته وناولته لزيد بن عروة وأمرته أن يقرأه حتى يسمع كل الحاضرين ما فيه وتعرف معناه (قال الراوى) ورجعنا إلى سياق الحديث والخبر فعند ذلك فضه زيد وقرأه ولما سمعت عنيترة والملك زهير ومن حضرهم من الأصحاب ما قرأه زيد بن عروة من الكتاب قالت عنيترة للملك زهير ما ترى يا عماه فى هذا الحال وأى شيء الذى تراه من الأعمال فقال لها زهير ما الأمر إلا المسير وسرعة الجد والتشمير وتكشف عن ابن عمى الملك المنذر فى قضاء حاجته وكذلك قال كل من حاضر القراءة هذا الكتاب وسمعوا ما جاء به النجاب وعرفوا ما جرى من تلك الأسباب وهم كما قدمنا فرسان الأعراب الذين كانوا قد أتوا للسلام والتهنئة بما وصل إليهم من الأنعام فقالوا كلنا نسير فى خدمة أم الوعازع ولبوة الوقائع فقالت عنيترة ولاحق ذمة العرب وشهر رجب لا سار إلى الملك المنذر فى قضاء حاجته إلا أنا وحدى وبنى عمى لا غير ولا يكون فى صحبتنا إلا ابن عمى الملك زهير وأما أنتم أيها السادات الأخيار فاننا ما ندخركم إلا للمهمات الكبار وإذا أتانا شيء أقوى من هذا فذلك الوقت يكون ما تريدونه من الاختيار فتعجبوا الحاضرون من قوتها وما منهم إلا من أعزها وأحبها وتمت فرسان العرب على ما هم عليه وما هم فيه بقية ذلك اليوم فى أكلهم وشربهم (قال نجد) ولما كان من الغد ودعت عنيترة والملك زهير من كان عندهم من الفرسان وسار كل منهم يطلب دياره والأوطان ولما أن تفرقت سادات العرب من عند عنيترة وقد

أوصلت إليهم الخير الكثير فقالت للملك زهير يا ملك ما بقى غير المسير فقال لها نعم ما تفعلين وما اليه العم يا ابنة نعم تشيرين فعند ذلك أمرت عنيترة الفرسان بتجهيز حالها فسمع الجميع لمقالها واهتموا فى إصلاح العدد والسلاح وقد تجهزوا للسفر والرواح (قال الراوى) ولما كان بعد ثلاثة أيام سارت بنو عبس وبنو قضاعة يقدمهم عنيترة وزهير وعتيبة بن حصن وزيد بن عروة وشبيع اليمن بن مقرى والوحش ومن نشا كلهم من الابطال وأقامت الهيفاء وأم عنيترة هى وبعض الرجال لاحق حفظ المنازل والاطلال وسارت الجيوش والفرسان يقطعون الأودية والقيعان وينزلون على المنازل والوديان والمناهل والغدران وما زالوا كذلك إلى أن وصلوا إلى الحيرة فوجدوا عليها جيوشا كثيرة فنزلت العشائر فى المضارب والخيام ودخل الملك زهير وعنيترة على الملك المنذر لاجل السلام وفى حال دخولهم كانت عنيترة داخلة وإلى جانبها اليمن زهير بن قيس البطل الهمام وإلى جانبها اليسار عتيبة بن حصن وبين يديهم العبيد والخدام ولما رآهم الملك المنذر فرح بهم وقام لهم على الأقدام وترحب بهم غاية الترحيب لأن كلا منهم له قريب ونسيب وأجلسهم إلى جانبه وصار واعنده أعز من أهله وأقاربه وقد قرب عنيترة اليه من دونه غاية القرب لأنه سمع عنها كل أمر عجيب وجعل يحادثهم ويباسطهم فى الكلام إلى أن حضرت الرجال بالطعام فأكلوا ما طاب لهم ورفعت الأوانى الخدام وبعد ذلك قال الملك المنذر يا أم الزعازع ولبوة الوقائع قد حدث علينا أمر مريع وحال شنيع وهو انى أرسلت الحمل إلى الملك كسرى حكم الرسم والعاده وأرسلت معهم ألفين فارس والمقدم عليهم ابن عمى ماء السماء والمشيئة والارادة رافقتهم فى الطريق قلت السعادة والتوفيق فخرجت عليهم خيل من برية قعيد وهم مقدار ألفين فارس صناديد بلغنى أنه قد كان المقدم عليهم بطلا عنيد وفارسا صنديد وذلك الفارس يقال له الغضنفر ابن دادة الملك قيصر وقيل أنه ابن أبنه أخى الملك وهكذا قالوا عنه فى الخبر وقد خرج منه فارس عظيم لا كالفرسان وبطل لا كالشجعان وقد قطع عليهم الطريق واعدمهم السعادة والتوفيق وأخذ منهم الحمل بعد قتل الفرسان وأسر ابن عمى وقد حل بهم الذل والهوان وقد زاد ذلك همى وغمى والمراد من احسانك يا أم الزعازع ولبوة الوقائع أن تسيرى بمن معك من بنى عبس وبنى قضاعة وأسعفك أيضا بعشرة آلاف فارس ممن يعرف بالفروسية والشجاعة ليوث عوابس وسيرى بهم إلى قلعة برقعيد لتخلصى الحمل وابن عمى ماء السماء من ذلك البطل العنيد وتخربى تلك القلعة وتعودى إلى فى عاجل الحال مسرعه (قال الراوى) فلما سمعت عنيترة ما أخبرها الملك المنذر من ذلك المرام فقالت له أيها الملك الهمام وحق البيت الحرام وزمزم والمقام والمشاعر العظام وحرمة الواحد الأحد الفرد الصمد الذى خلق الإنسان من ماء مهين وجعله أبيض وأسود واحمر واخرج الماء من صم الحجر

الجلمد ما تبعنى من فرسانك أحد لا أبيض ولا أسود ولا أخذ معى غير الف فارس من بنى عمى وخمسمائة من بنى قضاعة واقضى حاجتك واعود عنك له الامر بالسمع والطاعة (قال الراوى) فلما سمع الملك المنذر من عنيترة ذلك الكلام تعجب وأخذه الفرح والطرب وقال هاقد اخلف الله على بنى عبس عنيترة ابنة عنتر بن شداد واحيا ذكره بين العباد فى سائر البلاد وقال يا أم الرعازع ليس بالكثرة من باس ولا يذمها أحد من الناس فقالت عنيترة أيها الملك وحق من يعلم تودد الانفاس وخلق هذه الصورة الآدميا وما فيها من الحواس ما أسير إلى هذا الأمر فى أكثر من ألف فارس ممن يكونوا يحملوا همى وضيزى ولا أرسل فى هذا الحاجة غيرى ولا أكون قد ساريت أكثر الناس (قال الراوى) فقال لها الملك المنذر يا أم الزعازع افعلى ما بدالك فما ههنا أحد يخالف مقالك فلما سمعت عنيترة كلام الملك المنذر فرحت بمقاله واعجبها سائر أحواله وانطلقت إليها جميع اقوالهم انها قامت من وقتها وساعتها وأخذت من بنى عمها ألف فارس ممن يبادروا إلى طاعتها فيهم مثل خالها عمرو وذو الكلب الملك زهير بن قيس وزيد بن عروه وسبيع اليمن وعتيبه بن حصن ومن يجرى مجراهم من والابطال والشجعان وصارت تنتخيهم وتقول فلان وفلان إلى أن عزلت ألف فارس من كل مدرع ولابس وبرزوا كانهم الاشود القناعس وهى امام القوم كانها اللبوة شمطاء وما زالت سائر الليل والنهار تقطع البرارى والقفار إلى أن وصلت إلى بريه برقعيد ونظرت إلى ذلك البر البعيد وبانت لها الضياع والرساتيق ورأت الخيل سائبه ترعى فى تلك الأوديه والآفاق ورأت إلى شىء كثير من الخيل الجمال والنياق قال الراوى ولما رأت عنيترة إلى تلك الاحوال أمرت الفوسان بنهب الاموال وأخذ الخيل والنوق والجمال فتبادرت الفرسان اليها وداروا واحاطوا عليها وسائر الأموال وهربت الرعاة وطلبت الاودية والجبال ومنهم من طلب القلعة فوصلوا اليها فى عاجل الحال والقوا النفير فى الرستاق وأكثروا من الصياح والزعاق ووصل الخبر إلى القلعة واعلموا فى عاجل الحال الغضنفر بما كان من تلك الهجمه وأنه لما سمع ذلك الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وزبغت عينيه فى أم رأسه واضطربت جميع حواسة وهمهم ودمدم حتى هابته جميع جلاسه وصرخ فى العبيد وقال لهم ياويلكم يابنى الزوانى من ذا الذى طرق أرضى من قاص ودانى فقالوا له أيها الملك ما طرق ديارنا عشائر ولا جيوش ولا دساكر وانما اغار على أموالنا وأخذ جمالنا والنياق غير ألف فارس ونظنهم من فرسان العراق لاننا سمعناهم يتكلمون بلغة أهل تلك الافاق ورأينا يا ملك يقدمهم فارس اسمر وله صوت مثل الرعد إذا هدر وكالأسد إذا رأى الفرسية قدامه اندعر وسمعناه يتكنى ويقول أنا عنيترة بنت عنتر الذى كان فارس البدو والحضر (قال الراوى) فلما سمع الغضنفر من العبيد ذلك الخبر هدر وزمجر وطار من عينيه لهيب الشرر وزعق على الفرسان فركبت وإلى نحو الصياح طلبت ثم أنه فى عاجل الحال ركب جواده واعتقله

بعدة جلاده وركب أمام الخيل وطلب فرسان بنى عبس وبنى قضاعة وقد انصب عليهم انصباب السيل فراهم قد خربوا الرستاق وأفسدوا جميع ما بين أيديهم فى تلك الآفاق فلما رأى إلى ذلك الشأن حمل وحملت معه الفرسان فتلقتهم بنو قضاعة وبنو عبس وعدنان وعمل بينهم السيف والسنان والتقت الفرسان بالفرسان والأقران والشجعان بالشجعان وطلع على رؤسهم الغبار إلى العنان (قال الراوى) هذا وعنيترة قد كردست الأبطال وأرمتهم ذات اليمين وذات الشمال وجندلت الأقران على الرمال وكذلك فعل الغضنفر ورأت فرسان بنى عبس وبنى قضاعة منه الموت الأحمر وعاينوا من طعنه وضربه الأمر المنكر وقاتل قتال من لا يبقى ولا يذر وخسف الصدور وقلع العيون وأفسد وزال القتال يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل والسؤال لا يقبل إلى أن أظلم الظلام ومنع الناس من ضرب الحسام وقد افترقت الفتيان وانفصل الجمعان وأكثروا وقيد النار وتحارس الفريقان وما زالوا على ذلك الرواح إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح واصطفت الصفوف وتعدلت الالوف وجردت وعزم الفريقان على شرب كاسات الحتوف وإذا بفارس قد برز إلى الميدان ومشى فى ركابه مائة فارس أعيان وهو بينهم كالأسد الغضبان راكب على حصان خفيف الجريان أشقر اللون مليح الكون سابل الغرة ظريف الطرة ظريف الوفرة هضرب شعره إلى حرة راكبه من الحدثان فى أمان يطير فى الهواء كأنه الطير فى الطيران وهو كما قال فيه الشاعر :

يسابق الريح فما يسبقه ... لأنه يسبق لمح البصر
كأنه فى حسنه عادة ... محسنها تسبى عقول البشر
راكبه فى عيشة راضية ... لأنه دوما قرير النظر

(قال الرواى) وعلى الفارس درع مكوكب مذهب مقصب وفى صدره مرآة من الجوهر يغبو عنها الصارم الذكر يأخذ نورها بالبصر ومن فوق الكل ثوب أطلس أصفر مليح الزى والمنظر محشوا بالمسك الأذفر تتوه فى حسن نقشه الفكر وأكمامه قد عقدها إلى وراه بشراريب إبريسم حرير أخضر وقد أخرج الفارس يده من جلباب درعه فى ذلك الوقت وفى كفه صارم ذكر لو ضرب به حبل لطار منه الشرر وعلى صدره صليب عجيب يساوى من الذهب الأحمر خراج إقليم والفارس له عينان كأنهما شرارتان أو نجم بارق اللمعان والصليب مكلل بالياقوت والمرجان وقد خرج ذلك الفارس فى هذا الزى والمنظر الذى تحير فيه الفكر وكان هذا الفارس هو الغضنفر فلما توسط الميدان رجعت من حوله الرجال والأقران فوقف فى ذلك المكان ونادى يطلب البراز والطعان ولما تبينته فرسان بنى عبس وبنى قضاعة عرفته عنيترة من تلك الساعة وهمت أن تبرز إليه وتحمل عليه وإذا قد سبقها فارس مليح الشمائل أليق الخصائل للفروسية عليه علائم ودلائل وهو راكب على حصان أبلق يحاكى النجم إذا زرق والطير إذا انطلق مليح الرونق سابل الغرة كبير الحدق وعلى ذلك الفارس زردية

فكثيرة العدد وهو متقلد بحسام مهند ومعتقل برمح مسدد فتبينته فرسان بني عبس وإذا به زيد بن عروة ذو الفروسية والبراعة وقد برز إلى لقاء الغضنفر وهو كأنه الأسد القسور (قال الراوي) ولما صار وسط الميدان ومعرك ذا الجو لاد حمل عليه الغضنفر وانقض عليه مثل السيل إذا انحدر والنمر إذا انذعر وصاح عليه ويلك من تكون من فرسان بني عبس يا أخس من طلعت عليه الشمس فقال له زيد بن عروة الويل لابيك راقاربك ذريك يا ويلك أنا زيد بن عروة بن الورد صاحب الفروسية والشجاعة والنخوة فمال الغضنفر بئس الفارس المهين وأنت أحقر أن تكون لي قرين ثم أن الغضنفر حمل عليه وصمم بالطعنة إليه فالتقى زيد الطعنة بحسن صناعته وقد سحبها على درقته وأبطلها بقوة همته فسل سيفه الغضنفر وهجم عليه هجوم الاسد القسورة وتضاربا وتباعدا وتواصلا وتكافحا وتراجعا وقد رأى زيد ابن عروة من الغضنفر فارساً لا كالفرسان وبطلا تبطل عند قتاله قوة الشجعان وقد زاد عليه الدرهم قنطاراً بالقيان هذا وقد قل منه الاصطبار وسطا عليه الغضنفر سطوه جبار وهجم عليه هجمة الأسد المدار وضربه بالسيف صفحا على رأسه فكاد أن يخمد أنفاسه وانقلب إلى الأرض بثقل ما عليه من الورد فصار كأنه الجذع الممدود وانقض عليه وأخذه أسيرا وقاده ذليلا حقيرا وانكشف بعد ذلك الغبار وبانت الاعين النظار وإذا بزيد بن عروة منقاداً أمام الغضنفر أسيراً فلما رأت عنيترة إلى ذلك الحال همت أن تبرز إليه لعلى أن تخلص يزيداً من الاعتقال وإذا بفارس قد برز إليه وسبقها عليه وتقدم بين يديه لافزعا ولا خائفا فتبينته عنيترة وإذا به عتيبة بن حصن بن حذيفة وقد طلب البراز وسأل الانجاز فتلقاه عتيبة الغضنفر بقلب أقوى من الحجر وجنان أقوى من تيار البحر إذا زخر وكذلك تلقاه الآخر وتضاربا أحر من الجمر وأمر من الصبر وتباعدا وتقاربا وتضاربا وتقلابلا ثم أن الغضنفر همز بجواده وتمطى في بداده وطلب عتيبة إلى أن حك الركاب بالركاب ومسك درع عتيبة من الجلباب وجذبه إليه بعد أن عرف دخله من خروجه رصاح به واقتلعه من بحر سرجه وسار مقلنا في يده بعد أن كاد يعمى عليه وقد ملكه أسيرا وقاده ذليلا حقيرا وسلمه إلى بعض الغلمان وعاد بعد ذلك إلى الميدان وطلب الضرب والطعان فبرز إليه عمرو ذو الكلب ولم يخف من لوم ولا عتب فتلاقيا من غير كلام ولا خطاب وطلع عليهما الغبار وغابا عن الأبصار وجرى بينهما قتال يحير الافكار ويقصر الاعمار وما زالا كذلك إلى آخر النهار وأقبل عليهما الليل بغياهب الاعتكار وافترقا على سلامة وكل منهم يا كل كفيه على صاحبه ندامة وبات الفريقان إلى الصباح وكل منهما قد أراح واستراح (قال الراوي) ولما طلع النهار وبان ضوءه للابصار برز الغضنفر إلى الميدان وطلب الضرب والطعان وما استقر به المكان حتى برز إليه عمرو ذو الكلب وصارة الله بين الطائفتين وإذا بعنيترة قد خرجت من حرقه

قلبها على خالها وحسن ودادها وأطلقت فى عاجل الحال رأس جوادها ومرت مثل البرق الخاطف أو السحاب الواكف فقد ردت خالها عن البراز وقد طلبت بذلك الانجاز الاعجاز فلما رآها الغضنفر داخله بها الطمع وقد التقته عنيترة مثل الأسد لا ادرع وحملت عليه حملة البطل الصميدع وتضاربا ضربا يحير الأفكار ويعمى الأبصار ورأى الغضنفر من عنيترة أمراً مهولا وقتالا يجهل القول وأخذا فى الميدان عرضا وطولا وكل همت عنيترة أن تضرب الغضنفر بأخذها عليه الرأفة والفكرة وتلحقها عليه الجنة وهى لا تعرف أى شىء لحقها من تلك المحنة ولا تدرى ماذلك الحال وما وجدت لها يداً تمد إليه بالحرب والقتال وحملت عليه وقومت السنان إليه وكذلك فعل الغضنفر وكان بينهما فى الحرب أمر منكر وقد أخذوا فى الكد والجد والأخذ والرد والملاصقة والمفارقة والمباعدة والمطابقة وسطا كل منهما على بعضهما بعض حتى تد كدكت من تحت خيليهما الأرض وقد أخذوا فى الإبرام والنقض فعند ذلك قام الغضنفر فى ركابه وتمطى فى بداده وضرب عنيترة ضرباً واصلة وقال إنها تكون لعمرها فاصلة ولها قاتلة فتلقت الضربة بقوة ساعدها فنزلت على الدرقة أسرع من طبق العين فانقسمت الدرقة نصفين وأرمتها من يدها قطعتين وهجمت عليه أن تفعل له كما فعل بها وشالت بالسيف يدها وضربته بقوة جنان فتقهقر إلى خلفه بالحصان وإذا وقعت رجلاه فى بيت اليربوع فما كان له بد من الوقوع فوقع على الأرض وقد تمدد عن جواده بالارض فانقضت عليه أخذته أسيراً وقد جعلت حمائل سيفها فى رقبته وسار بين يديها حقيراً ذليلا وقد ضجت الجيشان وتعجبت من هذا الاتفاق الفريقان (قال الراوى) ولما رأت بنو عبس وبنو قضاعة إلى عنيترة وقد أسرت الغضنفر أخذهم الفرح والطرب وأيقنوا بالنصر والظفر فعند ذلك حملوا حملة منكرة وكردسوا الروم خمسة خمسة وعشرة عشرة وعمرو وذو الكلاب أمام الجحفل وأنزلوا بالروم البلا والويل وجعل عمرو يكيل الرجال كيلا وأى كيل وقد قل من الروم القوى والحيل وأخذوا فى الهرب وأعطوا ظهورهم للعرب وأوسعوا فى جنبات تلك الأرض ولعب السيف فيهم طولا وعرضا وانهزموا طالبين قلعة برقعيد وما نجى منهم بنفسه إلا من كان تحته جواد جليد وتبعهم بنو عبس وبنو قضاعة إلى منازلهم والخيام وقد كلوا وملوا من ضرب الحسام ولكن قد نهبوا فى أموال الروم ومضاربهم وخيامهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولما نزلوا واستقروا فى الخيام وأكلوا ما راج لهم من الطعام فعند ذلك أحضرت عنيترة إلى بين يديها الغضنفر وقد بان منه أن قلبه قد انكسر وقالت له ويلك ياولد الزنا وتربية الخنا وحق الدائم الباقى بلا زوال ولا فناء الذى جعل الليل كنا والنهار معاشا لئن لم تفد نفسك بمن عندك من الأسارى والأموال وإلا عذبتك عذابا لا تحمله الأرض ولا الجبال وفيهم مازن بن عروة

وعتيبة وحصن ومن معهم من الرجال ثم أن عنيترة سلت سيفها ووثبت عليه وأرادت أن تبطش به فما طاوعها ذلك ولكن ما تدرى ما هذا الأمر الموجب لذلك وقد ارتعدت يدها وتحرك كل عضو فى جسدها فأرمت السيف من كفها وأمرت العبيد أن تقيده بالحبال وتعيده إلى ما كان فيه من الشد والاعتقال فقال لها الغضنفر لما رأى نفسه قد صار فى هذا الحال أيها الأميرة اطلبى ما تريدين من المال وخلاص الرجال واحمليني إلى تحت القلعة التى لنا إذ أردت نجاة نفسك من المهالك فإن أبى تفدينى بكل ما تملك يداها بسرعة فقالت غداً أفعل ذلك (قال الراوى) ثم أن العبيد تسلموا الغضنفر وأمرتهم بالحفظ عليه ولكن لا تأتى عليه من الحنيه التى أخذتها عليه فهذا ما كان من هؤلاء وما جرى لهم وأما ما كان من الروم المنهزمين وأحوالهم فإنهم ما زالوا فى هزيمتهم إلى أن وصلوا إلى القلعة وأكثروا من الصياح والزعاق وأخبروا بما نزل بهم من تلك الفجعة فوصل الخبر إلى الست مريم أم الغضنفر التى قدمنا ذكرها أنها ابنة أخى الملك قيصر وأن ولدها قد أسرته عنيترة بنت عنتر وقد حكم بذلك القضاء والقدر فلما سمعت بذلك الحديث والخبر انقطف لونها وتغير كونها ثم أن رجال ولدها أحضروا بين يديها المأسورين وهم زيد بن عمرو وعتيبة بن حصن وما معهم من الرجال وأخبروها بما جرى لهم من الحرب والقتال فلما رأتهم قالت دعوهم فى الشد والاعتقال ويتوكل بهم إلى غداة غد جماعة من الرجال لعلى أن أفدى بهم ولدى مما هو فيه من الخيال فقال لها رجالها سمعاً وطاعة ثم فعلوا ما أمرتهم به فى تلك الساعة (قال الراوى) وكان هذا الغضنفر بن عنتر من مريم هذه وقد ذكرنا كتابنا هذا فيما تقدم كيف تزوج بها فى رومة الكبرى لما كان أرسله الملك قيصر إلى بلاد الافرنج وقتل بهنده أخى خيلار ملك الافرنج وقد ذكرنا أصل زواجه بها وكيف أخذها من عند أخيها ابن أخى الملك قيصر وأتى بها إلى القسطنطينية وخلاها عند عمها ويقال فى الأقوال أنها من بعض سراريه الخواص (قال الرواى) وأن القول الصحيح الثابت الذى ليس ينكر أنها ما كانت إلى بنت أخى الملك قيصر ولما أبقاها عنده وسار طالباً بحر الفرات وجرى له ما جرى من الأسد الرهيص وقتل ومات وكان موته بذلك الحال رخيص لكن ما تم نعيم إلا ويكون وراءه تنغص وذلك كما قيل فى المعنى وأى نعيم لا يغيره الدهر وقد ولدت مريم هذا الولد الغضنفر وكان أشبه مناس أبيه عنتر ولما رآه الملك قيصر نفر قلبه عنه لما رآه على ذلك اللون الاحمر وقال فى نفسه إن الذى أراه من الرأى المدبر أننى أعطى هذا وأمه بعض القلاع يعتشون فيها ويكون معهم جيش فأخفاه عنده وما أخلى أحداً ينظره لا من جيشه ولا من جنده وما زال عنده كذلك إلى صار الغضنفر من العمر عشر سنين فأعطاه خمسة آلاف من خواص جيشه وأمره بالرواح إلى قلعة برقعيد وأرسل معه أمه بجميع ما معها من

الاموال والخدم والجوار والعبيد والحلى والحلل وسار بينهم الغضنفر وهو كأنه الأسد القسور إلى أن وصل إلى تلك القلعة فرآها ازهى أرض وأحسن بقعه ووجدا أيضاً فى صناعها خمسة آلاف فلاحين من منتصرة العرب وهم فى تلك الأرض مقيمون فصار الحاكم على الرفيع منهم والوضيع وانتشى وكبر وصار له شأن وظهرت منه الفروسية وقهر كثيراً من الشجعان وأذل الأقران وهاب الأبطال وخافت باسه الرجال وشاع ذكره فى سائر الأقطار والبيان ومن جملة ما وقع من الاتفاق أن وصل إليه خبر الحمل الذى أرسله المنذر من أرض العراق إلى كسرى وجرى ماجرى من الأمور وسار إلى الغنمة وأحوى عليها وأسر ماء السماء ابن عم الملك المنذر هذا ومريم تطول روحها عليه وتعلم أنه لابد لبنى عبس من القدوم عليه بعد ذلك تعرفه باهله فيجتمع بهم شمله ووصلت إليه أخته عنيترة وأسرته وحكم عليه القضاء والقدر وذلك كله لاجل تدبير رب البشر ووصل إلى أمه ذلك الخبر ففرحت فى قلبها وشكرت على ذلك ربها وما زالت صابره إلى أن أصبح بالصباح وأضاء بنوره ولاح وأمرت من بقى عندها من الفرسان أن يسيروا معها حتى أنها تخلص ولدها وتطفىء بخلاصه نار كبدها وقد أخذت معها ماء السماء ابن عم المنذر الذى أسره الغضنفر فى النوبة الأولى لما أخذ حمل كسرى ثم أخذت أيضاً زيد بن عروة وعتيبة بن حصن ومن كان معهم من بقية الرجال وسارت الست مريم فى أربعة آلاف فارس من أهل الرستاق وخلت المنهزمين مقيمين فى القلعة إلى أن تعود لما يقع من الاتفاق وسارت بمن معها ذلك النهار وتلك الليلة فصبحت القوم صباحا وأمرت جيوشها بالنزول فملاوا ذاك الوادى عرضا وطولا ثم انها لما استقرت أرسلته فى ساعة الحال إلى عنيترة رسول وكتبت معه كتاب واعلمته بما يقول (قال الراوى) وكان الذى كتبته فى الكتاب بعد السلام أما بعد فان الذى اعرضه بين يديك ياأميرة من الكلام بأن الدهر كثير العجب وهو باهله ينقلب والعاقل من اعتبر وتعلم بمن مضى قبله من الامم وأننى أريد منك ياأم الزعاع وليوة الوقائع المهلة إلى الليلة ونبطل اليوم القتال وركوب الخيل ومهما أردت بعد ذلك حملت لك ما تريدينه من المال وقد أتيت معى بجميع الاسارى وهم مطلقون من الاعتقال وهذا الذى أريد منك والسلام ولكن أريد الاجتماع بك فى هذه الليلة عند المنام (قال الراوى) فسار الرسول بذلك الكتاب إلى عنيترة فلما وصل إلى مضربها استأذن عليها فاذنت له بالدخول فلما دخل عليها وجدها جالسة فى ذلك المضرب ولها هيبة تفلق الحجر وإلى جانبها اليمين زهير بن قيس وإلى جانبها اليسار خالها عمرو وذو الكلاب ولا أحد فى ذلك المضرب والمحضر يجسر أن يقول لا لم لا ليس فلما حضر الرسول ناولها الكتاب فأخذته منه واعطته الملك زهير بن قيس فقراه وعرف بجميعهم معناه فقالت عنيترة الرسول سلم على الست مريم وقل لها قد سمعت لها بكل ما تريدين وأكون بين يديها كبعض الخدم ومهما قالته وفعلته

تعانى ما أخالفها فيما به تتكلم (قال الراوى) فسار الرسول إلى الست مريم بغير كتاب واعلما بما ردت عليه من الجواب لما أنها قد عرفت ما فى الكتاب من الخطاب ففرحت بما تيسر من تلك الاسباب وصبرت إلى الليل وقامت هى بنفسها بعد ما أمرت الغلمان بحل الأسارى من حبسها فأتوا بهم إلى بين يديها وعرضوا هم فخلعت عليهم الخلع الغالية المثمنه وانعمت عليهم بالنعم الشاملة وأحسنت اليهم غاية الإحسان وأخذتهم بين يديها وخرجت من ذلك المقام وأخذت معها مائة غلام وبين يديها أربعة من خوص الخدام وما زالت سائرة وقد سمعت لاجل خلاص ولدها بالمال والنفس إلى أن وصلت إلى قرب جيش بنى عبس وأخذت الاذن من الحرس وطلبت منهم المشورة فمضى بعضهم وشاور الامير عنتر فأذن لهم بالدخول عليها وأن يحضروها إلى بين يديها فعند ذلك دخلت عليها المضرب وبين يديها الخدام الاربعة فقامت اليها عنيترة قائمة على الاقدام وتمشت اليها واستقبلتها أحسن استقبال وكانت المضارب فى ذلك الوقت خالية من الرجال فسلمت عليها وأخذتها بالاحضان وكل منهما فيما هو فيه من ذلك العز والشأن وعادت بين يديها وجلست على السرير وأخذتها بجانبها وقربتها إليها وتميزتها فرأتها فى ضوء الشمس المسكر فرأشبه الخلق بولدها الغضنفر فقالت فى نفسها سبحان خالق الصور الذى انبع الماء من الحجر ثم أنها بكت وأنت واشتكت فقالت عنيترة مم تبكى أيها الملكة الاميرة والسيدة الكبيرة إن كان خوفا على ولدك فانه لاجل قدومك علينا قد نجا من المهالك وها أنا الساعة أحضره إلى بين يديك وأقربه عينيك فقالت لها مريم أيها الاميرة وحق المسيح إن كان الكذب حجة فالصدق أحسن وأنجى وهو شىء مليح وإنى أخبرك بما كان من الامر الصحيح واشرح لك فى هذه الساعة حديثا أعجب من كل عجيب وكلاما تلتذ به السامع وتطرب له الاذان ويؤرخ الدفاتر ويكتب وهو أن هذا ولدى الغضنفر هو أخوك من أبيك عنتر وحق خالق البشر لان حديثى وحديثه عبرة لمن اعتبر وموعظة لمن تبصر وذلك أنه تزوج بى لما أرسله إلينا عمى الملك قيصر وأتى إلى رومة الكبرى وكسر الافرنج وأحل بهم العبر والدليل على ذلك أن ولدى مثلك أسمر وذلك بخلاف أهل بلاد الروم وهذا الكلام صحيح وحق الحى القيوم (قال الراوى) فلما سمعت عنيترة من الست مريم ذلك الخطاب والكلام ظهر الفرح على وجهها ولحقها الوجد والهيام وفرحت به غاية الفرح واتسع صدرها وانشرح وقالت عنيترة وحق مالك الممالك المنجى من المهالك لقد صدقت أيتها الملكة فى ذلك لانى كنت كلما رمت أن أضربه ونحن فى الحرب والقتال لا تطاوعنى نفسى على هذه الاعمال وكان يأخذنى من ذلك العجب لانى قاتلت وقتلت كثيراً من فرسان العرب وما رأيت هذا العجب (قال الراوى) فلما فرغوا مما دار بينهما من القيل والقال قامت عنيترة فى سرعة الحال ودارت بها الغلمان يمينا وشمالا وسارت إلى المضرب

الذى فيه أخوها الغضنفر وهى تكاد أن قلبها من الفرح ينفطر ومازالت كذلك حتى دخلت عليه وأمرت الغلمان فحلوا يديه ورجليه وأمه معهم قد حضرت إذ ذلك المكان وصارت تقول سبحان الحنان المنان الذى كل يوم هو شأن وأقبلت عنيترة على أخيها الغضنفر وانكبت عليه وصارت تقبل صدره وبين عينيه وهى تقول سبحان من جامع الشتات الذى يعلم ما مضى وما هو آت الغضنفر يتعجب من ذلك غاية العجب ولا يدرى ما الأمر الذى أوجب ذلك السبب وإذا بأمه قد أقبلت عليه وصارت تقبل رأسه وبين عينيه وتقول له يا ولدى إن الله تعالى رد الوديعة إلى أهلها وكانوا أحق بها وأولى بها فلما رأى أمه جعلت تفعل ذلك أمن على نفسه من شرب كأس المهالك وقال لها بلسان عربى معتبر يا ويلك أعلميني ما الخبر وأى شىء هذا الذى قد ظهر فقالت له الملكة مريم يا ولدى أتيت لأخبرك بما تقرر وذلك أنك أخو هذه الأميرة عنيترة وأبوكم عنتر كان فارس الفرسان وأبا الفوارس عند الطعان وقد ظهر ما كان قد اختفى ومضى الحقد واصطفا فقال لها ويلك يا أماه ولما لا كنت أعلمتينى من زمان وحدثتينى بما جرى من ذلك الشأن فقالت أمه يا ولدى كانت بنو عبس قد انقطعت وظلمتهم جميع العربان وفيهم طمعت وخفت أنى قولت لك أنك ابن عنتر فتخرج من يدى وتقتلك الأعداء وربما قلموا منك الأثر والأرضى عنهم الزمن وجمع شمل الواحد المنان وعادوا إلى منازلهم والأوطان وخافتهم جميع العربان لحياة أختك أم الرمازم عنيترة قاهرة الشجعان وقاتلة الأبطال والأقران وقد عوضت أباها عنتر سيد الفرسان ما كان تجمع شمل العشيرة من كل جانب ومكان وأخذت حمل كسرى وجرى لك مع ما اسمه ابن عم المنذر ما جرى فعلمت أنه لا بد أن تطلبك بنو عبس وكان ظنى أنك تأسر منهم من يفدوه بالمال والنفس وأعرفك بعد ذلك أنهم بنو عمك وربما أن أحد منهم يقيم عندك وما كان ظنى أن فيهم ومثل هذه الأميرة عنيترة ولا أن لها فى الحرب مثل هذه الصولة والمقدرة فلما أسرتك وفعلت هذه الفعال ما بقى لى صبر على إخفاء الحال فأسرعت وأتيت عندك وأعلمتك بما كان من الأحوال وأن هذه أختك الأميرة عنيترة بنت أبيك من الهيفاء قناصة الرجال وقد عادت وعمرت بلادهم التى هى العلم السعدى وأرض الشربة واجتمعت عليها الأصحاب وأتت إليها سائر الأحبة وخافت من هيبتها جميع العرب من بعد منها ومن اقترب (قال الراوى) فقالت عنيترة وحق الملك الجبار الذى يعلم ما تكنه الصدور وما تخفيه الأسرار وهو الله الواحد القهار أنى ما أسرته لا بقوة ولا باقتدار لأنه والله فارس فى الحرب ما عليه عيار ولكن ما ساعدنى عليه إلا الأقدار حتى يتضح الخفى وتصح الأخبار (قال الراوى) فلما سمع الغضنفر كلام أمه وأخته تعجب غاية العجب وعلم أن الدهر بأهله يتقلب وفرح إذ ظهر أن بنى عبس أقاربه وأن عنيترة أم الرعازم أخته وأن عنترة ابن شداد أبوه لأن اسم بنى عبس كان بين العرب كبير ولا سيما بذكر عنتر بن شداد الفارس

النحر ثم أنه قال لأمه الآن عرفت من هو أبى ومن قومى وعرابى ثم أنه أسرع إلى أخته عنيترة وقبل رأسها ويديها واستقر بذلك أعينهم وقبلت الأخرى يديه وصدره وباست عارضيه ونحره وخلعت عليه فى عاجل الحال وسمعت سائر الأبطال وأتاها الملك زهير ليهنيها بما صار من تلك الأحوال وكذلك خالها وعمرو ذو الكلب أتى إليها فى الرجال وهناها أيضا الجماعة الذين خلصوا من الإعتقال وقد زادت البشائر وارتفع بذلك قدر بنى عبس فى المشائر وكانت لهم ليالى وأيام ما رأوا مثلها فى سائر الأيام وكان أفرح الخلق بذلك الملكة مريم وذلك باظهار نسب ولدها وارتفاع قدره بين العرب والعجم ثم أنهم أقاموا فى ذلك المنزل ثلاثة أيام وهم فى أكل طعام وشرب مدام وأيامهم كأنها أضغاث أحلام مما فاض عليهم من الخير والإنعام لأنه قد تسامعت بذلك فرسان قلعة برقعيد فأتوا لأجل ملكهم الغضنفر بالخير المزيد وبعد ذلك قالت عنيترة لأخيها الغضنفر يا أخى إذا سمعت العرب أنك أخى ويشتهر ذلك الأمر ويظهر فيهم ويحسدونى وربما أن يبرز شىء من الحقود الكامنة ويكون ذلك أمرا وضيما منكرا والرأى عندى أن تسير معى إلى ديارنا والأوطان وتكون عندى فى أعظم منزلة وأعلى مكان وإذا كنا مجتمعين مع بعضنا تهابنا العربان وثم وجه آخر وهو أن لنا ثارا على قوم يسمون بنى نبهان فنريد تأخذه منهم وتكشف عن أنفسنا العار وتزيل عنا الهم والشنار فقال الغضنفر هذا هو الرأى الصواب والأمر الذى يهاب ونكون كلنا يدا واحدة على ما ترجوه من المعونة والمساعدة (قال الراوى) لهذا الكلام ثم أنهما لما اتفق بينهما ذلك الرأى أقاما فى هذا المنزل بقية الثلاثة أيام هما ومن معهما من الرجال الكرام وهم بنو قضاعة وبنو عبس فرسان المنايا والموت الزؤام وفى اليوم الرابع عزموا على المسير والجد والتشمير فقال الغضنفر لعنيترة يا أختاه لابد لى من العودة إلى قلعتى لأقضى منها حاجتى وآخذ منها ما يعز على من مالى ومالا والدتى (قال الراوى) ثم أنه سار فى عاجل الحال طالب قلعته وأمه ورجاله فى صحبته وقد دارت به من كل مكان أرباب دولته وكبراء عشيرته وقد سار فى ستة آلاف فارس ما منهم إلا كل مدرع ولابس وقد ذكرنا فيما تقدم من هذه الأقوال النفائس أنه حاكم على عشرة آلاف فارس وكان خلى فى القلعة ألفين فارس لأجل حفظ أموالها والألفين الأخرى متفرقة فى القرى والضياع لأجل قضاء أشغالها ولما كان ثالث يوم كان قد قضى أشغاله وحاجته وعاد طالبا أخته عنيترة كما اتفق بينهما الميعاد وكان من الأرض قدمنا أنهما خلصوا ماء السماء ابن عم الملك المنذر وزوجته وعتيبة بن حصن سيد بنى فزارة وقد خلعت عن ماء السماء خلعة سنية تساوى ألف دينار كسروية وأعطته جميع ما كان أخذه أخوها الملك الغضنفر من الجمل بتاع الملك كسرى أنوشروان الذى كان من تحت رأسه هذا السقر فإنهم لما تعارفوا وشاع الخبر لم يكن له منكر ولا جاحد بل أنه قال لها يا أختاه هو عندى

ولم ينقص منه الدرهم الواحد وان الله تعالى على ذلك وكيل وشاهد (قال الراوى) وأنه لما مضى إلى القلعة ليقضى منها اشغاله أتى بالحمل جميعه وفى صحبته أمواله ولما عزمت عنيترة هى وأخوها على المسير سيرت ابن عمها ماء السماء بذلك الحمل والمال الكثير وسيرت معه ألف فارس من بنى قضاعة وبنى عبس الرجال الاقيال ليحفظوا ما معه من ثلك الاموال وسارت الاميرة عنيترة بعد ذلك طالبة أرض الحجاز ومنازل بنى عبس وصحبتها الامير الغضنفر أخوها ابن الامير عنتر وأمه تود أن تفديه بالمال والنفس والسمع والبصر وذلك لما رقع فى قلبها من الوداد والاخوة والمحبة وجعلوا قصدهم العلم السعدى وأرض الشربة (قال الناقل) المصنف لهذا الكلام وكان مسيرهم على على أرض الشام ولم يخافوا من أحد من سائر الايام لانهم قد كبرت شوكتهم وعلت كلمتهم واشتدت هيبتهم ولاسيما من حين اجتمعت عليهم هؤلاء الفرسان والتمت عليهم تلك الافران وقد اجتمعت عليهم وحواليهم جيوش كثيرة من العربان من بنى قضاعة وبنى فزارة ومن الروم وبنى عبس وعدنان قال الناقل المرتب لهذا الديوان فبينما هم سائرون فى تلك البرارى والقفار وهم يقطعون السهول والاوعار وإذا بغبار عن عينهم قد ثار وبعد ساعة تقطع وماره انكشف عن خمسمائة فارس كرار ما منهم إلا كل شجاع مغوار وفى مقدمتهم فارس كأنهما الاقمار وما على مثل فرسيتهم عيار فأما الاول فهو أسمر أكحل تضرب سمرته إلى الحمرة وكان الآخر أبيض أشقر كأنه من أولاد الملوك الكبار (قال الناقل) المصنف لهذه الاخبار فلما رأت عنيترة وأخوها الغضنفر إلى ذلك الجيش الجرار قالوا لواحد من الفرسان الذين بين أيديهم اكشف لنا عن هذه الاخبار وانظر لنا ما تحت هذا الغبار فان كان أصدقاءنا فبشراهم وان كانوا أعداء فبشرهم بدمارهم وفناهم فسار ذلك الفارس حتى أنه التقى بتلك الفرسان وإذا بهم على رؤوسهم رايات وصلبان وملابسهم تدل على أنهم من بنى غسان ومتنصرة العربان (قال الراوى) فلما وصل إليهم ذلك الفارس من ناداهم هذه الابطال القناعس أخبرونى من تكونوا من العربان فانا نرى عليكم زى فرسان بنى غسان وأيضاً متنصرة العربان وأعلمكم أن هذه الفوارس المقبلة عليكم هى من فرسان بنى عبس وعدنان وفزارة وذبيان والمقدم عليهم أم الزعازع عنيترة وأخوها الغضنفر أولاد الامير عنتر بن شداد الذى كان شجاع الزمان وقنص الشجعان والملك زهير بن الملك قيس ملك بنى عبس وعدنان (قال الراوى) فما هو إلا أن سمعت تلك الفرسان من ذلك الرجل الذى قاله من الكلام حتى أنهم نادوا عن لسان واحد وابشراه بملتقى أحباء وأصدقاء وتخبركم ها نحن فرسان بنى عبس وعدنان الكرام المعروفين بين الانام بفرسان المنايا

والموت الزؤام واخبركم عن هذين الفارسين أحدهما يسمى ياسر بن ميسرة القابس الغضنفر والثانى يسمى ليث الميدان بن مازن بن شداد أبو الأمير الذى ذكره قد ملأ السهل والجبل وهو باق إلى يوم المحشر (قال الناقل) المحرر لهذا الخبر وقد كان السبب فى ذلك الأمر الذى تقرر أن عنتر لما أتمسك فى مدينة دمشق عند الحارث سيد بنى غسان بحيلة الربيع بن زياد القرنان وأيضاً أبى حارثة سنان وقعد فيها مدة كبيرة من الزمان وسار الحارث بجيشه اقام الفرس وذماكر الخيرسان واتى أبو الدوح ابن أخى الحارث وهجم على البلد هو ومن معه من الفرسان من أجل ابنة عمه حليمة كما قدمنا فى هذا الديوان ودخلت حليمة على عنتر هى ومن معها النسوان وأخبروه بما صار لهم من ذلك الشأن وأطلقوه هو ومن معه من بنى عمه من القيود بعدما أخذوا عليه الإيمان العهود وقتل أبو الدوح وأحيا البلد بإعطائهم الامان وعاد إلى القيود والاصفاد كما كان ولما عاد الحارث سيد بنى صفان وأخبرته ابنته بذلك الشأن وبعد ذلك اصطلحوا وكان منهم ما كان وأهدا الحارث إلى عنتر الثلاث جوارى الحسان لما أراد السفر والرواح إلى الأوطان فأعطى واحدة لميسرة وأعطى لأخيه مازن الجارية الاخرى واعطى لعروة الورد الثالثة من غير تهاون ولا فترة وقد عادوا بعد ذلك راجعين إلى الأوطان وأقاموا عندهم برهة من الزمان ورزقوا منهم هذين الولدين باذن مكون الاكوان فلما قتلا ميسرة ومازن وشربا كاس الهوان ورحل عنتر إلى بحر الفرات وأقاموا فى ذلك المكان واشتهت الجوارى على عنتر أن يروحوا إلى ستهم حليمة ويزوروها لهم فمضى لها الولدان وكانوا ان تربوا على صدرها صغار وبعدها قتل عنتر شرب كاس البوار وحكم عليه بذلك العزيز الجبار الذى مالاحد من حكمه مهرب ولا فرار وأقام هذا الولدان مع أمهاتهما إلى أن صارا كبار وهم يسمعون عن بنى عبس تلك الأخبار وبعد ذلك سمعوا من بعض السفار أنه قد انتشى فى بنى عبس فارسة تسمى أم الزعازع وقد قهرت مثل ذو الخمار وقد اجتمع عليها بنو عبس الكبار منهم والصغار فعند ذلك استأذنوا ستهم حليمة وأخاها عمرو الفارس القمقام وقد سارا فى هؤلاء الخمسمائة فارس لينظروا ما كان جرى من تلك الأخبار والنقوا فى تلك البيد والقفار فعندها سار ياسر بن ميسرة وليث الميدان حتى التقوا بعنيترة وأخيها الغضنفر شجيع الزمان وتعارفوا وكان منهم ما كان وتلقتهم عنيترة وأخوها والملك زهير ومن معهم من الفرسان بالترحيب والكرامة وأحسنوا لهم غاية الاحسان وساروا الكل طالبين أرض الشربة وعلم السعدى ومنازل بنى عدنان وما كان معها فى الطريق سوى مائة فارس ممن كان صحبها من الفرسان وأناف إليها تلك الخمسمائة فارس الذين مع ياسر وليث الميدان لاننا قدمنا فى هذا الديوان أنها خلت فرسانها فى الحيرة عند الملك المنذر وسارت هى فى ألف فارس من الاعيان لخلاص الجمل فانضى الشغل وهان أيضاً أرسلت من

كان معها من الفرسان مع ماء السماء ليحفظوا الحل من شياطين العربان وأمرت بني عبس الذين ساروا إلى الحيرة مع ماء السماء أن يأخذوا من كان متخلفاً في الحيرة من بني عبس وعدنان وبني قضاعة ويسيروا بهم إلى أرض الشربة والعلم السعدي وتلك الوديان مل المنازل لهذا الشأن ولما وصلت عنيترة وأخوها الغضنفر ومن معها من الفرسان تباشر بهم كل من مكان في ذلك المكان واستأنست بهم الديار كثر فيهم الفرح والاستبشار واطمأنت المنازل بالنازل والأوطان بالقطان وشاع ذكرهم وصاروا إلى أهل مكان وما أقامت عنيترة وأخوها الغضنفر ومن معهم إلا الأيام قلائل حتى وصلت بنو عبس وعدنان من عند الملك المنذر ومعهم الخلع والملابس الحسان والنوق والجمال والخيل المسومة الغالية الأثمان ومن النوق العصافيرية خمسمائة نوق بيض الألوان أرسلها الملك المنذر لعنيترة خاصة من دون الفرسان وبعضها يحمل خزاً وبزاً من تحف العراق وشيئاً كثير لا يحصيه ديوان ومال كثير تدفعه من عندها من الشجعان وأخبروا عنيترة أن الملك المنذر عليها غضبان كتف أنها ما سارت مع ابن عمه ماء السماء وكانوا يجتمعون مع بعضهم برهة من الزمان فقالت لهم والله يا بني عمي ما فعلت ذلك احتقاراً به ولا أردت بذلك إلا التخفيف عنه وأنني ما أريد أن آخذ على ما فعلت من جميل جزاء ومع هذا فانه قد غمرنا بجملة وأرسل لنا ما فيه الكفاية وفوق النهاية وزاد عليه بتفضيله فقال الملك زهير والله يا أم الزعازع أن المنذر أكرمنا غاية الإكرام وأقام بواجب حقنا بما نريد من الإنعام وذلك كله إكراماً لك ويريد أن يجازيك على فعلك معه فقالت له عنيترة والله يا ملك أن الفضل لكم علي وأنتم الذين أحسنتم إلى غاية الإحسان وأني بسيوفكم أضرب وبهيبتكم أغلب وما أضرب فارساً إلا بحسامكم وما أطعن بالرمح إلا بعزمكم ولا سيما من حين وصلنا وجاءنا أخي هذا الفارس الغضنفر الفارس الكرار والليث المغوار وهؤلاء الفارس الاخران ابن أخي ياسر وابن عمي ليث الميدان واجتمعت علينا هذه الشجعان فلابد لنا من حين يخلي بالنا وتلتئم رجالنا أن نسير إلى أخذ الثار وكشف العار من بني نبهان اللئام الفجار فشكرها الحاضرون وزهير بن قيس على كلامها وقوة قلبها وحسن اهتمامها وأقامت بنو عبس ومن اجتمع عليها في اصطناع الولائم وقد رتعوا في تلك الخيرات القاعد القائم وقد خافتهم جميع العرب من بعد منها ومن اقترب وغاد عزهم أعظم ما كان وأخلف عليهم الزمان أقوى من حاميتهم عنتر بن شداد الذي كان قاهر الأقران وقد صارت بيوت قراد أحسن ما كانت في أول الزمان لأنه انضاف إلى بيوت عنيترة أخوها الغضنفر بمن معه من الفرسان وأيضاً ياسر بن ميسرة وابن عمه ليث الميدان ومن قدمعهم من بني [illegible]سان وكذلك عمهم جرير وابن عمهم الخذروف وأيضاً زخمة الجواد أخو شداد [illegible] ربيع اليمن بني مقرى الوحش ليث الطراد وزايد بن عروة والأمير عمرو

ذي الكلب وأحته الهيفاء قناصة الرجال وكان قد انتشى لغصوب بن عنتر في بني قضاعة ولد لما غصب من عمه وسار طالب مكة وجرى له مع أبيه ماجرى وانتشى ذلك الولد وبقى لرستقسور وانصاف إلى عنيترة وإلى أخيها الغضنفر وكان فارسا شديدا يسمى أسيد (قال الراوى) وكان أيضا قد ظهر الغضنفر من زوجته ولدا وكان اسمه الدبال وكان يعد في الحرف بألف فارس من الابطال وكان الآخر قد انصاف إليهم على ذلك المثال وكان كل واحد من هؤلاء الذين ذكرناهم من الأهل والأقارب يحكم على رجال وأبطال وله خيام ومضارب ونوق وجمال ونعم وأموال وخيول وجنائب وأما بنو زهير فإنهم ما بقى منهم سوى زهير بن قيس وبعض أعمامه الكبار وكانت عنيترة توقره عاية الوقار وما تعده إلا من جملة الملوك الكبار مثل ما كان أبوها عنتر يعمل مع الملك قيس فانه كما ذكرنا كان عنده جليل المقدار وأما بنو زياد فانهم انقطعوا من بني عبس وبفذفهم حكم رب العباد لان عنتر لما قتل الربيع ابن زياد وأخاه عمارة القواد وأذلهم الذل والخسارة ورحل الى بحر الفرات وأقام هناك على ما قدمناه من تلك العبارة أنزل الله بعد رحيله على بنى زياد الهلاك والفناء والذى تبقى منهم انقطع يوم وقعة بني عبس وحل بهم الارتباك (وذكر الأصمعى) مصنف هذا الكلام أنه لم يبق منهم ولا تخلف منهم غير الشمر بن زياد الذى قتل سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب في أرض كربلاء وذلك بأمر رب المشارق والمغارب وكانت قد سبقت فيه دعوة رسول الله ﷺ لأنه دعا عليه بالعطش والظمأ فصار كل يوم يشرب عشر مرات من الماء ولا يروى حتى انقطعت بطنه ومات وذلك بدعوة رسول الله ﷺ سيد السادات ونرجع إلى ما كنا من الكلام وأقامت عنيترة حامية ديار بنى عبس هى وأخوها مثل ما كان أبوها عنتر وقد هابتها سائر العربان وخافت من بأسها سائر الأقران (قال الأصمعى) راوى هذا الديوان فهذا ما جرى من الأمر والشأن وأما ما كان من الأمير قيس بن الملك زهير واخوته فإنهم قد دخلوا إلى الصومعة وعملوا رهبانا لاننا قد ذكرنا أنه لما مات عنتر واتهم العرب من كل سهل ووعر وجرى عليهم من ذلك الأمر المنكر ومحى شأنهم واندثر وانقطع منهم الأثر أخذ قيس ابنته الجانة على كمل جواده داحس وساربها أياما حتى وصل إلى بحر الفرات فارمى روحه فيه وهو من الحياة آيس فقطع به الجواد البحر وقد أمل النجاة فوقعت ابنته من خلفه فغرقت وماتت موت الفجأة ونجا قيس وطلع من البحر وركب على ظهر جواده وسار هائما على وجهه وآيس من بلوغ مراده إلى أن وصل إلى الصومعة التى ذكرناها وقتل الراهب وقد سكن موضعه وصار من الأمر ما قدمناه وبقى مدة من الزمان وقد طالت نوبته (قال الراوى) فبينما هو قاعد إذ قد أتى إليه ثلاثة من إخوته وقد خافوا على أنفسهم من الموت لما رأوا إلى بنى عبس قد انقطعوا وفات فيهم الفوت وقصدوا إلى تلك الصومعة وهم يظنون أن فيها أحد.

من الرعيان وهو مقيم فيها من قديم الزمان فأرمتهم المقادير على أخيهم قيس فلما عرفوه
وعرفهم عولوا على الاقامة في ذلك المكان وكادوا أن يخرجوا من عقولهم من حسن هذا
الاتفاق الذى لم يسمع بمثله فى سائر الآفاق وكانوا الثلاثة الذين قدموا على قيس من أخوته
أخبر عنهم من ذكر هذا القول بالتحرير أنهم كانوا ورقة ونوفل وكثير فأقاموا عند أخيهم
جملة من الأعوام وقد أمنوا من حوادث الليالى والأيام وهم فى تلك البرارى والآكام وكانت
مدة أقامتهم عشر أعوام إلى أن بلغهم ما جرى لبنى عبس وعدنان وكيف عادت دولتهم مثل
ما كانوا فى أول الزمان وقد خافتهم سائر العربان وقد انتشى فيهم فارسة ما تهاب الموت
الأحمر يقال لها عنيترة بنت عنتر وأمها الهيفاء قناصة الرجال أخت عمرو ذو الكلاب سيد بنى
قضاعة وقد أطاعت عنيترة سائر القبائل بالسمع والطاعة وساروا تاراين وأرض الشربة
والعلم السعدى ومن الهيبة التى لها فى قلوب الناس لم يكن أحد على أحد متعدى وزهير بن
قيس حاكم على ألف وخمسمائة إنسان وهم من بنى عبس فزارة وبنى عطفان وعنيترة وخالها
وأخوها الغضنفر قد صاروا فى عشرة آلاف فارس وأكثرهم اليوم فى أمان وأطاعتهما ن
هابت بنو عبس وبنو قضاعة سائر العربان (قال حازم المكى) ناقل هذا الديوان ولما تحقق
قيس واخوته ذلك الكلام من السمار والعابرين بهم فى الليل والنهار ممن يهدون لهم الهدايا
ويقربوا لهم القربان وهم يعتقدون أنهم رهبان واتضح ذلك القول والبرهان فقال قيس
لاخوته ما عندكم من الرأى الرشيد فقالوا له أنت أحق منا بالقول السديد والأمر الحميد
والعرب تسديك قيس الرأى فافعل ما تريد (قال الراوى) فلما سمع كلام اخوته وعلم
ما اتفقوا عليه من اتباع مشورته قال لهم أنا الرأى أن تسير وتطلب أرض الشربة والعلم
السعدى واعلم الزمان يكون قد غير الأحوال فقالوا له اخوته نعم ما ذكرت والصواب ما به
أشرت قال الراوى وكانت خيولهم سائبة فى تلك الأرض عندهم كل هذا الزمان تأكل من ذلك
الأودية وتشرب من تلك الغدران وقد كانوا اكلهم فما كان لهم دأب إلا أنهم شدوا على
خيولهم وأخفوا أحوالهم والأمور التى يعرفوها وساروا طالبين ديارهم وأطلالهم وهم
يتأسفون على ما جرى فى أموالهم وعيالهم (قال الراوى) أنهم لم يزالوا يقطعون البرارى
والقيعان حتى أرمتهم المقادير على أرض بنى نبهان وكان جوازهم عليهما فى جوف الليل فكروا
عند ذلك من تحت الخيل فأصبح صبحهم على أطواف بلادهم وتحققهم الرعيان وكانت سائر
قبائل العرب تعرف فرسان بنى عبس عبيدها وصناديدها وتعرف أوباشها من أماجيدها
إلا أنها كانت طائفة قليلة وأعوادها كثيرة وقد فعلوا بهم ما فعلوا فى تلك الوقعات
الكبار ولا سيما الملك قيس بن زهير واخوته وما فعلوا فى العرب فى أيام عنتر وشجاعته فقام
عليهم العائط من الرعيان وتجمعت خلفهم عبيد بنى نبهان وداروا حواليهم من كل ناحية

ومكان وقد تبع قيس وأخوته أوفى من ثلثمائة عبد من العبيد لشداد فوقف قيس وفتانه المعروفة ووقفت أخوته وتجالدوا أشد جلاد وقال لهم يابنى أبى موتوا كراما ولا تموتوا لئام فانا لابدلنا من ضرب الحسام فقال له أخوه نوفل نعم ماقلت ياأخى من هذا الكلام (قال الراوى) ثم أنهم أكبوا رؤسهم فى قرابيص سروجهم وحملوا على العبيد وحملت العبيد عليهم وهؤلاء فرسان بنى عبس الأماجيد وليوثها الصناديد وهؤلاء الذين التقوا بهم على كل حال رعيان وعبيد فما كان الاساعة حتى أرمو منهم تسعين عبد على الصعيد وقد نثروهم فى الميدان ومددوهم على الصحصحان وقد سالت الدماء من السيوف وتناهلوا كاسات الحتوف وبان كل بطل موصوف (قال الراوى) وكان قيس وأخوته كما قدمنا من شجعان العرب وقد قدمنا ذكر قيس وما جرى له يوم الجبلين مع معديكرب فقتل هو واخوته فى تلك الساعة أكثر من نصف وأسلوا بهم العطب وقد عول الباقون على الفرار والهرب يطلبون لأنفسهم النجاة فى ذلك البر والسبسب (قال الراوى) وإذا بالغبار قد علا من ناحية بنى نبهان بعد ساعة وبانت من تحته الفرسان وقد ظهرت الشجعان وكانوا أوفى من ثلاثة الاف هند وقد أتوا إلى قتل الملك قيس بن زهير وأخوته ليعدموا كلا منهم مهجته لأن العبيد مضوا فى عاجل الحال وأعموا السادات بذلك الشأن فركبت فى الوقت والساعة فرسان بنى نبهان وطلبوهم فى تلك البرارى والكثبان (قال الراوى) لهذا الديوان ولما رأى قيس وأخوته ما أتاهم من فرسان العرب قال لهم يابنى أبى أطلبوا بنا الهرب والا متنا موت الهجا وحل بنا العطب فقال ورقة نعم ماقلت ياأخى من هذا الرأى الصائب ثم أنهم ألووا رؤس خيولهم وطلبوا النجاة فى ذلك البر والسبسب ولما رأتهم فرسان بنى نبهان وقد فعلوا تلك الفعال أخذوا عليهم سائر الطرقات وطلبوهم من جميع الجهات فلحقوا منهم نوفلا وتكاثروا عليه فقتلوه وأحلوا به التدمير (قال الراوى) وأما قيس فكان تحته داحس وقد ذكرنا فيما مضى من حديث هذا الجواد وما كان فيه من الأمور النفائس فطار بقيس فى ذلك البر والتلال وطلبته الخيل من اليمين والشمال فما لحقوا منه إلا الغبار ونجا بقيس وتبطن فى تلك البرارى والقفار وطلب ناحية البحر الاعظم وقد خاف قيس على نفسه من الهلاك والعدم ومازال كذلك وهو قدامهم وهم وراءه حتى أرمى روحه فى بحر الفرات هو وجواده داحس ففرقوا الاثنين وحان عليهم الحين قال الراوى هذا وبنو نبهان لما عاينت ذلك الحال ورأوا ما فعل قيس من تلك الفعال وانه أرمى روحه فى البحر وغرق شرب كاس الوبال ولا رضى بمن يحكم فيه وينزل به الاذلال قالوا لبعضهم يالك من فارس من بين الفرسان اخترت الموت على الذل والهوان ثم أنهم جمعوا نه نادمين وفيما فعلوا خاسرين ومنهم من بكى عليه ولاموا أنفسهم بما اساؤا عليه (قال الراوى) فهذا ما كان من قيس وما جرى له وأما ما كان ورقة أخيه

وأحواله فإنه لما اشتغل عنه بنو نبهان فى اتباعهم لقيس فى ملك البرارى والقيعان وتابعهم لأخيه نوفل فنجا بنفسه وقد اشتغلت عنه الخيل ومازال سائراً بجواده إلى أن دخل عليه الليل وكان هذا الجواد التى تحته معدوم المثال فى الخيل وكان الحق سبحانه وتعالى قد أسكن القوى والحيل ولما أنه أقبل عليه سار طول ليله إلى أن أصبح عليه الصباح وقد أيقن أنه نجا بنفسه من ذلك الأمر العامر فرأى روحه قد قارب ديار بنى عامر فتحايد عن الطريق وسار فى أودية وأوعار إلى أن صار آخر النهار ونزل على بعض الغدران وأراح واستراح إلى أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء بنوره ولاح ركب جواده وسار طالباً للسعدى وأرض الشربة وهو مشتاق إلى من الأهل والأحبة وقد أنكبه الدهر فى إخوته أى نكبة (قال الراوى) ومازال سائراً إلى أن أقبل على الديار والأوطان وبانت له المضارب والخيام والغدران فهاطلت دموعه على خديه مثل الجمان ومازال كذلك إلى أن شق بجواده بين المضارب والخيام وكان ذلك بعد ثمانية عشر من الأيام فتبادر إليه أهل الحلة مسرورة بالصياح والزعاق وانهملت الدموع من الأماق وتبادرت إلى صوت ورقة الرجال وأقبلت عليه الأبطال ووصل الخبر إلى الملك زهير بن قيس فخرج للقائه ماشياً على رجليه وقد كاد من الفرح أن يغشى عليه ومازال إلى أن التقى مع ورقة وهو لا يصدق أن ذلك الأمر صدق ولا يؤمل أنه يراه حقاً ولما رآه ورقة ترجل إليه واعتنقه وضمه إلى صدره وسلم عليه وصار يقبله فى عارضه ونحره وبين عينيه وأقبلت أيضاً عنيترة وأخوها الغضنفر وحالها عاهر ذو الكلب الأمير وأقبل أيضاً جرير وابن أخيه الخذروف وكل منهم على لقاء ورقة ملهوف وصار الناس متعجبين من هذا الأمر وهم وقوف فسلمت عنيترة على ورقة غاية السلام وتبادر إليه جرير والخذروف وسلما عليه وساروا مع جملة الناس وجعلوا يتذاكرون ما مضى وقد تباكوا ما جرى عليهم وحكم به القدر والقضاء ولما انتهوا إلى السلام انعزل كل خل بخله وقد سار الملك زهير ومعه عمه ورقة وقد كادت له من فرحة تطير وينفطر كذلك الأميرة عنيترة بنت عنتر وأخوها الملك الغضنفر وعمها جرير وابن عمها الخذروف وسبيع اليمن بن مقرى الوحش وزيد بن عروة وعتيبة ابن حصن ووجوه القبيلة ومازالوا كذلك إلى أن وصلوا إلى مضرب الملك زهير وجلسوا للحديث والكلام بعد ما فرغوا من بعضهم من السلام وقد جعل ورقة يحكى لزهير ولمن حضر ما جرى له وما عليه قد تم من هذا الأمر المنكر وعلى إخوته من بنى نبهان وكيف مات أخاه نوفل وكثير وقد أخبرهم كيف غرق قيس وجواده وابنته فى النهر والله أعلم (قال الراوى) فلما سمع زهير كلام عمه ورقة بكى بكاء شديداً وبكت الجماعة الحاضرين بكاء شديد ما عليه من زيد فقالت له عنيترة ما بالك أيها الملك تبكى لا أبكى الله لك عيناً ولا أشمت بك إنسان وكيف تبكى يا ملك الزمان وحولك هنا رجال مثل العقبان وكل فارس منا يقوم

بجماعة من العربان فدع عنك البكاء والأنين والاشتكاء وسر بنا إلى بني نبهان لنقلع آثارهم
وتخرب ديارهم وننزل بهم الذل والهوان ونأخذ منهم بثار أبيك وأعمامك وأيضا ثار أبي سيد
الفرسان وأخلى ديارهم مثل أمس مضى وكان ونفعل بهم ذلك وحرمه الملك الديان
المنان الذي لا يشغله شأن عن شأن (قال الراوى) ثم ان عنيترة التفتت إلى أخيها الغضنفر
حوله من الفرسان وإلى خالها عمرو وذو الكلب ومن تحت يده من الشجعان وقالت لهم خذوا
أهبتكم حتى أننا نسير للحرب والقتال ونأخذ ثارنا من بني نبهان ثم قالت لهم كل منكم يدعو
رجاله ويوصى أبطاله ثم أنها الأخرى صرخت في بني عبس وبني فزارة وكان قد التم منهم جماعة
كثيرة وساروا من تحت يدها زحمة الجواد وقالت الخيل يا أرباب الخيل اترفعوا عن
أنفسكم ما حل بكم من الويل (قال الراوى) فركبت بنو عبس لوقتها وساعتها وصرخت أيضا
فيمن تحت يدها من الفرسان وقالت لهم خذوا أهبتكم وكذلك قالت للملك زهير قم يا ملك
وأزل عن قلبك بأخذ ثارك وما قد اعتراك من الهم والضير فقام الملك زهير قائما على
الأقدام لما سمع منها ما أبدته من ذلك الكلام وقدموا له الجواد النوبة والعبيد والخدم فركب
وركبت لركوبه سائر الفرسان ومن قد اجتمع عليهم من قبائل العربان وكانوا حقيقيين الظهر
متأهبين لهذا الشأن ولم يأخذهم من ذلك اهمال ولا توان وساروا في عاجل الحال طالبين
أرض بني نبهان وهي يحرفه النلاني تقول لا بد ما أشتت شملهم في الفلا وخرمة اهلى الأعلى
(قال الراوى) ثم سارت القبائل تتبع بعضها بعض أطلاب أطلاب وهم بنو عبس وبنو قضاعة
ومن يليهم من الاعراب وتبعهم أيضا بني فزارة وكان قد اجتمع عليهم ألف وخمسمائة فارس
عن لهم من الخلان والأصحاب وكذلك المنصرين الذين أتوا مع الغضنفر وهو سائر بين
أيديهم كأنه الأسد القسور وقد كملت عدتهم اثني عشر ألف فارس وقد كانوا بالأمس ألفين
فارس أعيان لأن عدة من كان قد اجتمع عليهم من بني عبس وعدنان ألفا فارس أعيان من
كانوا قد اجتمعوا في الجبال وسكنوا في الأودية والخوال (قال الراوى) وقد ذكرنا أن الغضنفر
قد أتى في أربعة آلاف وعنيترة وخالها عمرو ذو الكلب من بني قضاعة في أربعة آلاف
فارس أنجاب وانضاف عليهم من بني فزارة الخلفاء والأصحاب ستة آلاف وأكثرهم من
القرائب والأحباب فصاروا في ذلك اليوم أربعة عشر ألف فارس أنجاب وقد قدمنا في هذه
الأقوال النفائس أن بني عبس كان عدتهم في زمان عنتر أربعة آلاف فارس فلا قد زاد بهم
الأمر عن حد القياس وقد زاد في قلوبهم لهيب النار لأخذ الثار ولأجل أن يخمدوا منهم الانفاس
فساروا يقطعون البراري والقفار والقيعان طالبين ديار بني نبهان ليحلوا بهم الذل
والهوان ويكشفوا عن أنفسهم العار والذل والشنار (قال الراوى) لهذه الاخبار فبينما هم
سائرون على ذلك العيار وهم يقطعون المناهل في الليل والنهار ولا يقر لهم قرار إلى أن كان يوم

من بعض الأيام وإذا قد ثار من بين أيديهم غبار وقتام ساعة وقد انكشف ذلك الظلام وبان
من تحت ألف فارس كأنهم الأسود العوابس وبين أيديهم هودج عال والرهج من كثرة الذهب
الذي عليه يتلألأ وهو مقبل بين يدي تلك الأبطال السائرين على عجل طالبين أرض الحجاز
من غير مهل وكان إقباله من ناحية أرض الشام وتلك الفرسان محتاطون به في ذلك البر والآكام
(قال الراوي) لهذا الكلام العجيب فلما رأت فرسان بني عبس إلى ذلك الحال وإلى تلك
الفرسان المقبلة وما معهم من المال قالت الأميرة عنيترة لابن أخيها ياسر وابن عمها ليث
الميدان أن انظروا ماهؤلاء الفرسان فإني أراهم مقبلين من أرض الشام وتلك الفرسان من بني
غسان فعند ذلك سارا كما أمرتهما إلى أن قاربا تلك الفرسان وتبينوهم فعرفوهم وإذاهم من
منتصرة العربان والراكبة التي في تلك الهودج هي الست حليمة بنت الحارث والوهاب وبين
أياديها خدمها ورجالها وجماعة من الأصحاب فلما رآهما في تلك الحال ترجلا عن خيولهما وقبلا
بين أياديها الأرض والمهاد وكان قد تبعهما جماعة من الرجال فلما رأوهما قد فعلا تلك الفعال
عاد الرجال إلى عنيترة وأخيها الغضنفر وأخبروهما بذلك الحال فعند ذلك سارت عنيترة
والغضنفر في مقدمة الرجال والتقيا ببعضهم البعض فرآهم قد أبركوا الجمل الذي عليه
الهودج ونزلت الست حليمة إلى وجه الأرض فعند ذلك ترجلت إليها عنيترة هي وأخوها
الغضنفر ولما رأوا عليها من جلالة القدر وحسن المنظر وقد انذهل من رؤيتها كل من حضر
وقد تلقتهم بالبكاء والنحيب وأكثرت من الصراخ والعديد حتى انزعج كل من كان حولها
من الفرسان الأماجيد (قال الراوي) فتقدمت الأميرة عنيترة واعتنقتها وجعلت تهديها
عن البكاء والأعوال وتسألها عما جرى لها من تلك الأحوال التي هي سبب ذلك النحيب
والأعوال ثم أنها أمرت بنزول الجيوش فنصبت الخيام حتى يأخذ الهم راحة في ذلك المقام
ونصب أيضا رجال الملكة حليمة لها سرادقا من الحرير مرصوفا بفصوص الجواهر ولما
نزلوا واستقر بهم القرار بدأت تحدثهم بما كان لها من الكلام (قال الراوي) وقد كان السبب
الذي أوجبت تلك الأحوال وأتى بهذه الملكة حليمة إلى هنا بحالة الإذلال بعد ما كانت
بغاية العز والإمداد هو أن الست حليمة وأخاها عمرو لما ولاهما عنتر وكان قد سار كما ذكرنا
إلى جانب الفرات وأحل ما فعل معهم من ذلك الأمر قد أقاما بعده من تحت يد الملك قيصر
على هذه الأحكام مدة هذه الأعوام إلى أن كان في بعض الأيام فبينما هما في غفلة مما تحدثه
الليالي والأيام وإذا قد بلغهما الخبر أنه قد ظهر من البحر جيوش بعدد الرمل وقطر
المطر وأنهم قادمون على أرض دمشق وما بينها من الأقاليم والأحكام وأنهم ملك
ما رأى أحد مثله في سائر الانام وقد قتل الرجال وأباد الأبطال وخرب
الديار والأطلال ونهب ما ادخرته الملوك من الأموال وفعل فعلا لم يفعله قبله أحد

من الملوك ولا من الأبطال وقد نقلوا عنه أنه جبار عنيد وشيطان مريد لا يهاب الرجال ولا يخشى من الأبطال في يوم الحرب والمجال (قال الراوى) لهذا الكلام فلما سمع الغضنفر كلامها وما حدثته من مرامها طار من عينيه الشرار وقال لها اى شيء دين هذا الملك أما يعبد الصليب ويشد الزنار فقالت يا مولاى هو على دين المسيح بن مريم ويعرف قدر الإنجيل المعظم فقال أما وما السبب الموجب لقتاله فى أهل دينه حتى أحل بهم المهالك فقالت يا مولاى وحق المسيح ما نعلم بذلك وهذا الذى سمعنا به من أحواله وما وصل إلينا أعلمناك به وأطلعناك عليه وقد ذكروا لنا عنه أيضاً أن له عند عرب الحجاز ثاراً يريد أن يستوفيه وكذلك له عند قيصر ملك الروم يريد أن يقضيه (قال الراوى) فلما فرغت من كلامها وفهم الغضنفر مرامها أشار إلى بنى عمه وجميع مقدمى الجيوش وقال لهم يا بنى العم ما ترون فى هذا الأمر المنكر والحال الذى قد ظهر فقالت عنيترة وجميع من حضر يا أمير الرأى عندنا أننا نسير إلى هذا العدو وظامية ونكفى الناس شره وما يأتى منه من ضرر فإذا أمنا من شره ودواهيه عدنا إلى إلى الأمر الذى كنا فيه وعزمنا على أخذ ثار ثارنا فقالت عنيترة يا أخى وحق ذمة العرب هذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب وإن لم نفعل هذا الأمر فى الأول وإلا انقلبت علينا الأعداء وقصدوا الأمر تجد بأرنا ويشغلوا خواطرنا وأسرارنا وتصير العرب جميعاً مع الأعداء علينا وتفتح باب ما نقدر أن نسده ولا نعلم بعد ذلك ما نلتقى وما يحدثه فينا الدهر فاستصوب جميع الحاضرين هذا الرأى وباتوا تلك الليلة وهم عازمون على المسير إلى دمشق الشام ويلقوا هذا العدو الذى هو الجوفران بن الملك كوبرت ملك جزيرة الكافور وتلك البلدان ولما فرغوا من ذلك الكلام بذل الملك الغضنفر للملكة حليمة ومن معها غاية الإكرام ورفعها على أعلى مقام وتولى خدمتها تلك الليلة ياسر بن ميسرة وليث الميدان وتذاكر جميلها وما لها عندنا من الاحسان (قال الراوى) حتى لما أصبح الله بالصباح وبان لهم الضوء من الشرق ولاح أمر الغضنفر أن ينادى المنادى بالرحيل وأن يعتدوا آلة الحرب والتحويل فرحل جميع الجيوش طالبين بلاد الشام ونشرت على رؤسهم الرايات والأعلام على رؤس السادات والفرسان الكرام ونشرت على رأس الملك زهير بن قيس راية أبيه العقاب وكانت الراية أخذتها عنيترة من بنى عامر لما وقع لبنى عبس ما وقع مع القبائل والأعراب فأوصلها عامر بن الطفيل إليهم فى جملة المال الذى كان أنفذه مع كوكب مع ما كان عليه كما قدمنا ورفعوا حليمة إلى هودجها بعد ما طيبوا قلبها ووعدوها بانكسار العدو عن بلدها وتسليم غنائمها إليها وسار الجيش وفى المقدمة عنيترة بنت عنتر وخالها عمرو وذو الكلاب وياسر بن ميسرة وليث الميدان الآخر وفى القلب الملك زهير وفى الميسرة الملك الغضنفر وسادات بنى عبس وفى الميمنة أسد بن غصوب والملك الغضنفر

يترنم وينشد ويقول :

ساعد للحدثان طعنا   وأعـــد للأعداء عدا   أنا لى حسام قد قد
البيض والأبدان قدا   وعلمت أنى من بنى   عبس الكرام أبا وجد
قوم إذا لبسوا الحديد   تراهموا كالنار وقدا   كل امرىء يجرى إلى
يوم الهياج بما استعدا   لما رأيت الصارخات   يصحن باذ العزم شدا
وأتت حليمة كالبدر   التمام إذا تبدى   وبدت محاسنها التى
قد جوزت للحسن حدا   لما رأيت نساءنا   يمددن الأحزان شدا
ما إن جزعت ولا ملمت   ولا يرد بكاى ردا   أو فى شفاء الذاهبين
وأعد الأعداء عدا   ذهب الذين أحبهم   وبقيت مثل السيف فردا

ليس الجمال بمئزر   فاعلم وإن رديت بردا
إن الجمال معادن   ومناقب أورثن مجدا

(قال الراوى) المصنف لهذه المقالات وكان الغضنفر وكان ينشد هذه الأبيات والخذروف بين يديه يبكيان بغزير العبرات ويظهران أكبر الحسرات فقال لهما الغضنفر لأى شىء تبكيان لا أبكى الله لكما عينا فقال جرير وهو جذوة العرب يا ابن الأخ ما أبكانى إلا أنى تذكرت أبيك عنتر ونحن سائرون قدامه طالبين دمشق ومعك شيبوب فى صحبتنا وأخوى عنتر نداما ينشد أبياتا تقارب هذه الأبيات فوحق عالم الخفيات العالم بما مضى وما هو آت لكأنى أسمع أباك وهو ينشد هذا الكلام وهذا الشعر فى النظام وكأنك ما خليت من أبيك شيئا من خلقته هذا الأمر الذى جرى فى خاطرى وأجرى دموعى بما جرى وفصيح الجميع من حولهم بالبكاء والعويل وقد تذكروا ما جرى على بنى عبس من الويل والتنكيد والعذاب الطويل (قال الراوى) لهذه الأخبار ولم يزالوا سائرين الليل والنهار وهم على ما هم عليه من قطع الأودية والقفار والسهول والأوعار إلى أن أشرفوا على غوطة دمشق وتلك الديار وكان دخولهم فى النهار فلما وصلوا إلى الدهوم فى وسط البساتين قال الغضنفر لجرير هذه البساتين تمنعنا عن المجال وترد الخيل عن الوصول إلى هؤلاء الأنذال فقال لهم الخذروف اتبعوا أثرى حتى أقطع بكم هذه البساتين [illegible] وأرميكم على الأعداء فى أرض خالية من الأشجار الطوال فقال له جرير افعل هذا فإنه الصواب والأمر الذى لا يعاب ثم إنهم ساروا خلف الخذروف طول الليل فى ذلك المدا فما طلعت الشمس إلا وقد صاروا من غربى الأعداء (قال الراوى) وطلع الغبار الذى ظللهم حتى أظلمت منه الأقطار وصارت الافرنج طالبة الغبار والقتام وقد ظنوا أن بعض ملوك الافرنج قد وصل إليهم من بعض جزائر البحار (قال الراوى) فلما وقعت العين وصحت الأخبار ونظرت الافرنج إلى قلة جيش العرب وهم فى تلك

البيداء وقد تقدموا فطمعت فيهم وحملت حملة الحنق فالتقتهم العرب بقلوب جريئة من غير فزع ولا قلق وتصادموا بالسيوف والرماح والدرق حتى فاض الدم من الأجساد وانهرق وانطبقت عليهم الافرنج مثل انطباق البحر إذا اندفق وماجت الجيوش فى بعضها البعض حتى ساروا مثل البحار الزواخر وانعقدت على رؤسهم الزوابع والغبار (قال الراوى) ونادى الغضنفر فى عشائره اجعلوا الطعن والضرب من كل جانب فاصدمت الفرسان والمواكب وخاضت الشجعان فى الكتائب وطارت الرؤس عن المناكب وحميت عنيترة فى ذلك اليوم وأظهرت العجائب وحمل من خلفها ياسر بن ميسرة وليث الميدان والديال بن العضبان وسبيع اليمن بن مقرى الوحش شجاع الزمان وعمرو ذو الكلاب ودريد بن الصمة شيخ مشايخ العربان ودثار بن روق وخفاف بن ندبة فتى الفتيان وكذلك فعل الملك زهير بن قيس فى ذلك اليوم فعلا يحير الأعيان وصاحت الافراد وصرخت الفرسان وبربرت الشجعان وطلع الغبار إلى العنان وتعبت الخيل من كثرة الجولان وحميت على بعضها بعض تلك الطوائف المختلفة والجموع التى هى غير مؤلفة (قال الراوى) وكانت بنو عبس قد داخلهم من كثرة الجموع القلق ولمع حسام الموت على رؤسهم وبرق وتقطعت الأكباد وتمزقت القلوب من كثرة الجزع وضاق بهم البر المتسع وصاح الصائح فلم يسمع (قال الراوى) لهذا الديوان هذا وقد نظر الغضنفر إلى كثرة الجيوش وازدحام الكتائب والعصائر فصار يضرب ضربا يرده الدروع ولا المغافر ولا تقية الزرديات ولا العدد ولا يخاف الموت إذا ورد ويطعن شجاع قادر يحرق به الزرد فتركهم كلهم مطروحين على الأرض مثل العمد وصارت الرجال بين يديه مثل الغنم وعمل فى ذلك اليوم عملا يحير الالباب والاذهان مع فرسان الحجاز والشجعان (قال الراوى) ولولا أن عشائر الافرنج كثيرة وإلا كانت كسرتها عشائر العرب وأحلت بها الدمار والعطب وكان هذا القتال كله والملك الجوفران واقف تحت الاعلام والصلبان كأنه شيطان من شياطين الجان وهو يقول وحق المسيح أن فرسان الحجاز هم ليوث الميدان وأبطال الزمان ولا بد أن برز غدا إليهم وآخذ فرسانهم وأفرشجعانهم وإلا فما أبلغ منهم مراد ولا تقع هيبتى فى قلوب العباد (قال الراوى) وكان جيش بنى عبس ثمانية آلاف وعشائر الملك الجوفران اثنين وستين ألف لأنه كان قد فرق عشائره على القلاع والحصون وأيضا سير ثلاثين ألف إلى انطاكية فساروا فى أسرع ما يكون وكان المقدم عليهم بطريق من بطارقة الافرنج وهو جسيم وسيم كأنه الفيل العظيم وكان الذى تبقى عند الجوفران على حصار دمشق هؤلاء الاثنين ألف فارس ما منهم إلا كل مدرع ولا يس وذلك لعلمه أن ما فى البلد من لفاء ولا له عدو يقصده ولا يطالب ملتقاه وأنه هو قاصد الأعداء ويريد أن يحل بهم الردى وبما كان تقول أن عرب الحجاز تقدم عليه ولا تسير بهذه العشائر إليه (قال

الراوى) ويحارب الطائفتان فى تلك البطاح إلى أن أقبل عليهم الظلام وهم على ما هم عليه من الحرب والكفاح وانفصلوا الطائفتان وتباعدوا عن بعضهم الفريقان ونزلوا إلى الميدان لراحة الأبدان إلى أن بزق الصباح وبان وأشرق نوره ولاح على الكثبان فتقدموا عند ذلك إلى الميدان يطلبون الحرب والكفاح راكبين على صهوات الجرد القداح وهم متقلدون بالسيوف ومعتقلون بالرماح قال الراوى هذا والصياح فى البلد قد علا حتى بلغ إلى وسيع الفلا وصاروا يدعون العرب بالنصر والجا ويطلبون لهم الظهر من رب الأرض والسما فلم تكن إلا ساعة ودقت فى عساكر الافرنج الفرات وعلت بينهم الضجات وقد أخذتهم الفرحات والمسرات وركب الملك الجوفران ونشرت على رأسه الرايات والصلبان وتقدمت بين يديه البرسان (قال الراوى) ولما اعتدلت الصفوف وترتبت المئات والالوف برز من عشائر الافرنج فارس فى الحديد غاطس راكب على جواد باق كبير الحدق له بين الخيول لزى وورونق متقلد بسيف أبتر نوره يأخذ بالبصر وهو معتقل بقنطارية خلنجية ثم أنه سار على ذلك الجواد الموصوف حتى بقى بين الصفوف وأشار بيده يطلب البراز ويسأل الانجاز فما استتم كلامه وما أشار به من مرامه إلا وقد برز إليه ياسر بن ميسرة وله همهمة قوة ومقدرة وهو راكب على جواد أجرد متقلد بسيف مهند ومعتقل برمح أسمر من عمل سمهر ثم أنه جال بجواده حتى صار مع الافرنجى فى الميدان وقاربه حتى سار الحصان فعند ذلك وقف ياسر وأنشد يقول هذه الأبيات :

سل السيوف وخوض الصفوف . وقرب الحتوف وضرب القلل
ونقع العجاجة فى الخافقين . تريك المنايا بروس الاسل
ألذ واشهى من الغانيات وشرب المدامه يوم الظلل

(قال الاصمعى) ثم أن ياسر حمل على الافرنجى حملة جبار لا يبقى ولا يذر وكذلك الافرنجى التقاه بقلب أقوى من تيار البحر إذا زخر وتطاعنا بالرماح حتى تكسرت وتضاربا بالسيوف حتى تثلمت وأخذ فى الحرب الشديد والقتال العتيد وأبعدا فى الكر والفر والهزل والجد والأخذ والرد والبعد والقرب والملاصقة والموافقة والمطابقة حتى قل من الافرنجى الحيل وضعف عن خصمه وحل به الويل فعند ذلك أطبق عليه ياسر وضربه بالسيف على عاتقه أطلعه يلمع من علائقه وقد انهد أساسه وخمدت أنفاسه قال الراوى فعند ذلك برز إليه أخو المقتول فما أمهله ولا تركه يجول حتى سعنه فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره ثم أنه وقف بالميدان ونادى يامعاشر الافرنج من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فما أنا خفى أنا أعرفه بنفسى أنا ياميسرة الفتى القسور صاحب الهمة والمقدرة فابرزوا إلى فرسانكم المذكورة وشجعانكم المشهورة (قال الراوى) فلما سمعوا منه ذلك الكلام لم يمهلوا دون أن برز إليه

فارس وهو لابس درعا حديدوهو كانه قصر مشيد فأمله ياسر يجول حتى تركه على الأرض بجدول وقد ضربه على هامه أرمى رأسه قدامه ثم أنه طلب البراز وسأل الانجاز فبرز إليه رابع فقتله وخامس فجندله والسادس أهواه والسابع أرداه والثامن عجل فناه والحقه برفقاه وتركهم مطروحين فى الفلا ولم يزل يخرج إليه فارس بعد فارس وهو يقرب دماره ويعجل بواره حتى قتل من الافرنج ثلاثين فارس وهم فرسان عوابس إلى ان قرب المسام واعتمت الدنيا وتخندس الظلام ورجعت الطائفتان إلى الخيام هذا الخيام هذا الملك الحوفران قد حار ولحقه الانبهار لما شاهده من فرسان العرب وكان كلما هم أن يبرز لياسره لم يمكنوه أرباب دولته وخواص مملكته وا بنو عبس فانهم فرحوا بياسر مفرح الا كبر وشكروه وأثنى عليه الملك الغضنفر وكذلك عنيترة بفت عنتر ثم قام الغضنفر وتولى الحرس بنفسه وقد أراد بذلك ان يفدى أبناء جنسه وقد اشعلوا النيران وتحارس الفريقان قال الراوى لهذا الديوان ولما أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء بنوره ولاح ركب الفرسال الحيول واعتقلوا بالذبوله وتقلدوا بالنصول وبعد ذلك اشهرت السيوف وتعدلت الالوف وقابلت المؤا كبه وترتبت الكتائب وصهلت الجنائب وهمت الطوائف أن تحمل بعضها على بعض وقد ارتجت من ركض خيلهم جنبات الأرض واذا بفارس قد برز من فرسان الافرنج وهو كانه قلة من القلل أو قطعة فصلت من جبل وهو بالحـــديد مسربل فجال فى الميـــدان يلعب بالرمح ساعة على ظهر الحصان ومسك العنان واشار إلى ناحية بنى عبس بطرف السنان وكانت اشارته انه يطلب البراز ويسال الانجاز فهم ياسر بن ميمره ان يبرز إليه فسبقه ليث الميدان بن مازن وحمل عليه وسار فى وسط الميدان وساوى الافرنجى فى موقف الطعان وكان عليه درع داودى ومن فوقه زردية فضية وعلى رأسه طاسة بيضاء عادية ترد مضارب السيوف الهندية وهو متقلد بصمصامة كسروية بشراب الموت مسقية وهو كما قال فيه وهب بن عطية هذه الابيات الشعرية

أتاك غداة الوروع شهم كانه ... من الله فى قبض النفوس رسوله
وكان على افرنجة مرج لحة ... يقاصر فى صحصاحه ويطول
إذا ما انتضى للسيف من جنباته ... فلابد من رءوس هناك تميل

(قال الراوى) وهو معتقل برمح يخرق صم الجلامد وعلى رأسه سنان ممدود وكانوا كيا على جواد من الخيل الجياد وقوى الاعصاب وقوائمه طوال وفى اجال صنور على ملاقاة الابطال فى ساحة المجال وهو على صهوته كانه الاسد الريبال وحمل على الافرنجى حملة الغضنب لكى يسقيه كاس العطب وهو ينشد ويقول

أعاذلى كفى ملامك اننى ... مشرق إلى نار لها الحرب تشعل

وشرب دما الابطال فى وهج الوغا ألذ من الصهباء والكاس ينقل
وصوت طنين المشرفى على الطلا ألذ وأشهى من حبيب يعلل

(قال الراوى) فاستتم ليث الميدان كلامه وشعره ونظامه حتى تقرب منه الافرنجى وصار قدمه وقد انقض عليه انقضاض القضاء والقدر وضربه بالقنطارية أسرع من لمح البصر ونظر ليث الميدان إلى القنطاريه وهى واصلة إليه فلم انه أن توانى عن نفسه قضت عليه فمال عنها أسرع من البرق إذا تناها ولحقها بالحسام طير أعلاها وعطف على الافرنجى وضربه بالسيف على رأسه فشق البيضة والرفادة والبطانه ونزل إلى السيف إلى حدر أسه فما عن الجواد وهو يخور فى دمه ويضطرب فى عندمه وبعد ذلك صال وجال وطلب البراز والقتال (قال الراوى) برز إليه فارس من خواص الجوفران وسار حتى ساواه فى حرمه الميدان وقيل انه كان من الفرسان المذكورة والابطال التى فى الحرب مشهوره وكان قد لقى وقعات كثيرة وله مواقف هائلات خطيرة لحمل على ليث الميدان وأخذ فى الضرب والطعان وتصادما بالابدان وتقاتلا بالسيف والسنان (قال الراوى) ولم يزالا فى حرب وكفاح حتى وتكسرت فى أيديهما الرماح وتثلمت من الضرب على الدرق الصفاح وانهما لم يزالا على ذلك الرواح إلى نصف النهار حتى كل الافرنجى ومل ولحقه الانبهار فرأى منه ليث الميدان التقصير وعرف ذلك منه معرفه فتمطى فى كعوب الرمح وطعنه فى صدره خرج السنان يلمع من ظهره ثم صال وجال وطلب البراز والقتال ونادى وقال هل من مبارز هل منا جز فلا يبرز إلى هذا المقام لا جبان ولا عاجز الامن يكون بطل الهزاهز فلم يزل يبرز إليه فارس بعد فارس وهو يقتل ويأسر حتى فعل ذلك بخمسة عشر فارس (قال الراوى) فعند ذلك حملت عليه الافرنج وحملت على ليث الميدان باذن الجوفران ولما نظرت بنو عبس إلى غدر الافرنج اللئام صرخ فيهم الملك الغضنفر الحملة الحملة يا بنى الاعمام فهذا يوم الحرب والصدام فعند ذلك أكبت رؤسها فى قرابيص سروجها وطلبت بنفوسها وطلقت أعنة حيولها تؤمل وترتجى بلوغ مأمولها والتقت قنطاريات الافرنج بصدورها وطعنتها برماحها فى صدورها ونحورها (قال الراوى) وقد التقت الاقران بالاقران والشجعان بالشجعان وطلع عليهم الغبار حتى حجبهم عن أعين النظارة وتقسطل النقع المواروزادمن القوم الافتكار وحمى على رؤسهم من حرارة الشمس النهار وقدحت الارض فى ذلك الوقت شرار النار واختلفت النفوس وذل الفارس العبوس وفر الجبان المنحوس وقاتلت الفرسان الشوس وعظمت الاهوال على الرجال وقل القيل والقال وتقصفت الرماح الطوال وجاء الجد وذهب المزاح والمجال وتجالدوا بالصفاح وسمحوا بالارواح بعدما كانوا بها شحاح ونادى الشجاع لا براح وتصايحوا أعظم صياح وتنا من شرب المنية اقداح وعدموا فى

ذلك اليوم الصلاح وسالت الدماء من الجراح وتقلعت المقل الصحاح ودام القتال وعظم النزال وارتجت الأرض بالزلزال ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى ولى النهار بأنواره وأقبل الليل باعتكاره ونادى منادى الانفصال في الفريقين ورجعوا إلى المضارب والخيام وهم سكارى من شرب كاس الحمام لأجل الراحة والمنام وتذكرت بنو عبس ما جرى لهم في يومهم من عظم القتال وما لاقوا فيه من الأهوال الثقال وكثر عدد الأبطال فقالت عنترة والغضنفر أن هؤلاء القوم ما لهم إلا البراز والنزال لعل أن تأخذ منهم الأبطال وأنا وأخي نفعل هذه الفعال ويأتوا على ذلك الحال وقد تناولوا الطعام وأخذوا الراحة بالمنام (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وما دبروا من المرام (وأما) ما كان من الملك الجوفران ومن فرسان الحرب والصدام فإنهم لما نزلوا من الحرب واستقر بهم المقام أخذوا يتسابقون في الحديث والكلام وقد رغبوا كما فعل بنو عبس في الراحة وأكل الطعام وقال لهم الجوفران لا بد من خروجي غداة غد إلى الميدان وأفعل بهم كما فعلت اليوم بالفرسان وأخذ منهم الأبطال والأقران والشجعان وإلا فما تنكسر حدتهم ولا يصغر لهم شأن ثم أن كلا منهم قام إلى منامه بعدما فرغ كل واحد منهم من كلامه ولم يزالوا على ذلك الرواح إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فعند ذلك اصطف الجيشان وتقابلت الفريقان ووقفوا ينتظرون من يفتح باب الحرب ويصول على الطعن والضرب ولما اعتدلت الصفوف وترتبت الألوف قفز من بين عشائر بني عبس فارس في الحديد غاطس راكب على جواد أبلق كبير الخلق له بين الخيول زى ورونق وهو متقلد بسيف أبتر نوره يأخذ بالبصر ثم أنه سار حتى بقى بين الصفوف وأشار يطلب البراز ويسأل الانجاز فما استتم كلامه وما أشار به من مرامه حتى ترجل من عشائر الإفرنج مقدار ألف فارس وبينهم فارس راكب والكل يمشون قدامه فلما صار في وسط الميدان عاد الكل عنه وقد نادى بلسان عربي طليق أنا الملك الجوفران وكان راكبا على جواد ما مثله في الخيول الجياد ومتقلدا بقنطارية خلنجة من صنعة معلمين الافرنج ذلك الزمان ثم أنه حمل على ذلك الفارس الذى ذكرناه والبطل الذى وصفناه فما هو إلا أن قاربه حتى طعنه بعقب تلك القنطارية ألقاه على وجه الأرض فتبادرت إليه الافرنج فشدوه كتافا وأوثقوا منه الأطراف (قال الراوى) ثم أنه صال وجال وافتخر على أبناء جنسه وقال يا فرسان الحجاز دونكم والبراز ومقام الانجاز إني أقسمت بالتوراة والانجيل والصليب والزنار أنى لا أدع أحدا منكم يعود إلى أهله والديار لأن البترك قد خبرني بوجيعة الشائع في الأقطار فليبرز إلى منكم كل فارس وبطل مغوار (قال الراوى) فلما استتم كلامه وما نطق به من مرامه حتى قفز إليه ليث الميدان وصوب إلى ناحيته بالسنان وحمل عليه حملا منكرة وزعق عليه زعقة لها هدير وزجرة

وصال عليه صولة من له على الحرب مقدرة فثبت له الجوفران ثبات من له عادة بلقاء الأقران. وتمثل عليه حتى جاوزه بالحصان وأخرج رجله من الركاب ورفس ليث الميدان أو رماه على وجه الصحصحان فانكب عليه رجلان فأخذوه في عاجل الحال اسير وقادره ذليل حقير وما زال الجوفران على حالة فى الميدان ويطلب براز الفرسان ولقاء الأقران فبرز إليه خفاف بن ندبة فما أمهله يجول معه سير صبر عليه حتى حاذاه فى الجولان ضايقه وساواه فعلق به وقبض على أطواقه وجذبه بمقدرته من ازياقه فاقتلعه من على ظهر الحصان وحذفه من يده على قاع الصحصحان فشده الرجلان اللذان خلفه كتاف وقووا منه السواعد والأطراف وقد أشرف على التلاف وبعد ذلك نادى الجوفران بلسان عربي يفهمه كل من حضر هل من مبارز هل من مناجز هذا مقام الخطر فبرز إليه دثار بن روق كأنه نار محرقة أو صاعقة مبرقة. فباره الجوفران بضربة صادقة فنزلت عليه كأنها بارقة وكانت الضربة بالسيف صفحا فلم يتمكن أن يقيم فى يده الطارقة فجاءت الضربة على البيضة كأنها صاعقة فانقلب عن الجواد إلى الأرض وإلم دفاسرعت إليه الغلمان من غير خلاف وأوثقوه كتاف وقووا منه السواعد والأطراف وقادره إلى الجيش أسير وهو ذليل حقير قال الراوى هذا وقد ضجت القسوس والرهبان ورفعت الأنجيل وشالت الروم صلبانها ثم أن الملك الجوفران جال وصال فى حومة الميدان وفشرك بجميع البطاريك وطلب البراز من فرسان وسأل الإنجاز حتى يشتفى من الأقران فتعجب العرب مما رأت من ذلك الشيطان من الفروسية وقوة الجنان وحسن قتالة الشجعان فعند ذلك برز إليه دريد بن الصمة على العزيمة والهمة وكان لما رأى فعل الجوفران بأصحابه قد اعتد للقتال ولبس آلة الحرب والنزال وسار حتى قارب الملك الجوفران وقد غيره الكبر وأوهنه طول الزمان مناداه احترز على نفسك ياشيخ من الطعان ثم أنه بعد ذلك الكلام انطبق عليه انطباق الغمام فالتقاه دريد بقلب أقوى من وصخر وجنان أجرى من تيار البحر إذا زخر وأخذا فى الكر والفر والانطلاق والمستقر والهز والجد والصد والرد وتطابقا وتضايقا وعاد افترقا بعدما كانا قد التصقا وافترقا عن بعضهما فى تلك الساحة ووقفا متقابلين لأجل الراحة قال الراوى فقال الجوفران لدريد لما رأى قتاله وما شاهد من حربه ونزاله ياشيخ المسيح ما طلع ظنى فيك صحيح فقال له دريد وما كان ظنك يافارس الفرسان وحق دينى وما اعتقد من عبادة الصلبان لما نظرت إليك وإلى كبرك ورأيت دموعك جارية على خديك ظننت أنك تموت من شدة خوفك من الحرب وكثرة فزعك من الطعن والضرب (قال الراوى) فناده دريد وقال له خاب والله أملك وأخطأ ما أملته من سهمك على أننى وحق البيت الحرام وزمزم والمقام ما أنا إلا غارق.

فى بحر فكرتك ومتحير فى أمرك وقضيتك فقال له وكيف ذلك ياشيخ فقال دريد لاننى أراك فصيح اللسان بكلام العرب وعندك فصل زائد وأدب وقد خالفت صفة الافرنج وبنى الاصفر فى اللون والزى والمخبر فقال له الجوفران اعلم أن الخالق الرازق قادر أن يخلق الابيض من الاسود والاسود من الابيض وليس عليه من ذلك معترض وأما كلامى فان أمى تعلمته وأتقنته وفهمته وانى أحب لسان العرب دون الافرنج محبة متكاثرة لان فيه معانى ظاهرة وأشياء فاخرة فقال له دريد بن الصمة يا فارس الخيل وأما سبب بكائى فما هو من خوف الموت ولا من ارتباك القوت لانى قد بلغت من العمر خمسمائه عام وأنا لا أشتهى إلا ضرب الحسام والخوض فى الظلام وما بكائى إلا على فارس كان فيما مضى من الزمان قد ساد على الفرسان وعلا بشجاعته على سائر الاقران وقتل بعيا وعدوان فلما أن برزت إلى حومة الميدان تذكرت فعاله وقتاله للاقران ثم أن دريد لما فرغ مما دار بينه وبين الجوفران من الكلام أشار ينعى عنترا بهذه الابيات ويقول

على شهم جليل القــدر ليث وحيد فى الزمان بلا مثال
فتى تبكيه جن الارض طردا وتنعيه الاكابر والموالى
فقد كان الحمى لجميع عبس وتخشاه الملوك ذووا المعالى

(قال الراوى) فلما فرغ دريد من شعره وذلك النظام اطبق عليه الجوفران كأنه الباشق إذا انقض على الحمام وهو من الاسد الغضبان وتضاربا بالقضب اليمان ضربات تتهدد منها مهد... الجان علا الغبار على رؤوسهما إلى العنان رسار تارة يظهر أن للعينان وتارة يغيبان عن أعين الفرسان وهما فى منازلة ومجاولة ومطاولة وقد أخذا فى الكد والصد والاخذ والرد والانطباق والالتصاق والبعد والاقتراب وقد اتسع عليهما المجال بالميدان وضاقت العينان ونظر دريد من الجوفران ما حير منه وكذلك نظر الملك الجوفران من دريد ما توقف به البنان ويذهل عقول الشجعان وكان فى ثانه قد غيره الكبر وما علم أنه مثل النسر المعمر إلا أن دريدا كل مل فى آخر النهار ووهى عزمه واضمحل فحمل عليه الملك الجوفران حملة جبار قد عارك الاهوال ومارس الاخطار ولاسقه وضايقه وسد عليه طرائقه وقبضه من جلباب درعه واقتلعه من سرجه وأخذه أسيرا وتاده ذليلا حقيرا وعاد به إلى خيامه وسلمه إلى غلمانه وحداله والليل قد أقبل بظلامه (قال الراوى) فعند ذلك انحلت عزائم العربان وخافته سائر الشجعان والاقران هذا والغضنفر قد لحقته الآلام والاحزان وما ذاق تلك الليلة شيأ من الطعام ولا التذ بمنام حتى طلع الصباح بالابتسام وولت كتائب الظلام وركبت الطائفتان تطلب القتال ومعاناة الحرب والنزال وتقدمت تطلب بعضها بعض انشروا فى جنبات تلك الارض (قال الاصمعى) الراوى لهذا الكلام ولما اكتملت

الصفوف وترتبت الآلوف وإذا بالملك الجوفران قد خرج للبراز فى الميدان بزيه المعروف وجواده الموصوف ونادى بلسان عربى يسمعه كل إنسان ولا يحتاج مع ذلك إلى ترجمان. فتكلم وقال هل من مبارز هل من مناجز فإن هذا يوم الهزاهز فلا يبرز فيه جبان ولا عاجز إلا من يكون فى الحرب بطلا وإن كان بقى فيكم بطل مقاتل فليبرز ويدع التكاسل وإن كنتم عجزتم عن الحرب والقتال وخفتم من الموت وقرب الآجال فسلموا إلينا الخيول والاسلاب واطلبوا لأنفسكم النجاة والذهاب وإذا لم تقدروا على البراز ومافيه من الأمور النفائس فابرزوا فارسا بفارس أو مائة لفارس أو ألفا لفارس وإن بيتم والبغى أتيتم فاحملوا بجمعكم على فانى بحربكم وفى بقتالكم ملى (قال الراوى) وما تم الجوفران من كلامه وما نطق به من مرامه إلا وعنيترة بنت عنتر قد سارت قدامه بعد ما تعلق بها أخوها الغضنفر فاقسمت بمن خلق الشمس والقمر وبحق تربة أبيها عنتر لا أدعك تبرز إلى هذا الشيطان إلا أن أموت وأقبر أو يكون الاسر على مقدور فذلك الوقت أفعل ما لديه تقدر (قال الراوى) فسمح لها بذلك أخوها الغضنفر فعند ذلك خرجت إلى الميدان أسرع من لمح البصر وحملت على الملك الجوفراز بقلب أقوى من الحجر وجنان أخرى من تيار البحر إذا زخر وكانت راكبة على جواد أحمر مليح المنظر دقائم المخبر وهو فى حدة إلا بحر الذى كان لأبيها عنتر ناعم الملمس أن حبسته انحبس وإذا ضايقته الخيول تركها واختلس وكان عليها يومئذ درع من دروع الأكاسرة من التى كانت عند أبيها عنتر مدخر وعلى رأسها خوذة عادية تزدأسباب المنية وتضرب بها الرجال المسمة وتدفع مضارب سيوف الهندية وبيدها صارم أبتر صقيل المتن بجوهر فى حده الموت الأحمر ومتقلد برمح اسمر من عمل مهر وعلى رأسها سنان يلتهب. كأنه عقرب أو قبس على مركب أو نار ذات لهب (قال الراوى) وحمل كل واحد منهما على صاحبه والتقى طعنه وضرابه وأبدى كل واحد منهما فى الحرب عجائبه وغرائبه واغتم عليهما مشارق الأرض ومغاربها وهدر كل واحد منهما كأنه الأسد الهدار أو البحر الزخار وعلمت عنيترة أن الجوفراز فارس مغوار وبطل كرار ليس فى الحرب عليه عيار وصرخا فى وجوه بعضهما بعض صرخات متواترات فكادت أن تزول من شدتهما الجبال الراسيات ولم زالا كذلك حتى تتابعت منهما الصرخات مع الهزات إلى أن بقيس القلوب مرتاعة وكانا فارسين تبطل عندهما الشجاعة وكان لها سادة وأى ساعة كشف الحق فيها قناعه وصرخا على بعضهما صرختين صرت الخيل لها آذانها وارتعدت أبدانها قال الراوى إلا أن عنيترة بينما هى فى شدة جولانها وإذا قد عثر بها حصانها فانقلبت من علية كأنها جذع نخل أو شجرة باسقة تكسرت أغصانها فانقض عليها الجوفران قبل أن تثور كانقضاض الباز على أضعف الطيور فاخذها اسيرة وقادها بعد أن وضع حائل سيفه فى رقبتها ذليلة حقيرة.

وسلمها إلى غلمانه وقد حلت بها الدهشة والحيرة وأقربوها إلى الاسرى وتحير الغضنفر مما جرى (قال الراوى) ثم أن الملك الجوفران بعد ذلك عاد إلى ساحة الميدان وهو كأنه الأسد الغضبان وقد اعجبته لما رأى نصرته على تلك الاقران وصولته على تلك الفرسان وبعد ذلك صال وجال وطلب الحرب والقتال ونادى وقال ويلكم ابرزوا يامعاشر الأبطال ودعونا من هذا التكاسل فقد طال بنا المطال فانى من أمرى على استعجال (قال الراوى) فلم يتم مقاله حتى صار عمرو ذو الكلب قباله بعد ان تعلق به الغضنفر فاقسم عليه بتربة أبيه عنتر أن يدعه قتال من برز هذا الفارس الوطر ثم أنه ميل على الجوفران بقلب من الحنق ملان وفؤاد غير فزعان وقد ذكرنا فرسية هذا الأمير عمرو ذو الكلب فى غير هذا الديوان فتلقاه الجوفران بقلب غير خائف ولا وجلان وانفسحا فى حومة الميدان وكانت ساعة بينهما تقشعر منها الابدان وقد صار الغبار على رؤسهما مثل الدخان وعايا عن الابصار وتعجبت مما جرى بينهما النظار ورأوا أن الوصول إلى بعضهما بعيد والدنو إلى ما بينهما صعب شديد فالقرا عند ذلك من أيديهما رماحهما وجذبا بعد ذلك سيوفهما كانت اعجل لقبض الارواح ووقع الجد بينهما وطال الكفاح وذهب من بينهما اللعب والمزاح وعلا منهما الزعاق والصياح ولم يزالا فى ذلك الأمر الآن تثلمت فى أيديهما الصفاح هذا وقد أرتعدت من قتالها قلوب الرجال وخرس الشجعان وانذهل الجبان وقد تعجبت مما حل بهما الأقران وأيقنا بحلول الاجل الاثنان إلى أن انقضى عليهما النهار ولبست الشمس حلة الاصفرار ولحقهما التعب والانبهار وأيقنا من بعضهما بالبوار ولم يزالا على ذلك الحال إلى أن ولى النهار واستحال وأقبل الليل بالانسدال ونادى المنادى بهما بالانفصال فافترقا على سلامة ولم يعلم أحدهما على صاحبه بعلامة وعاد كل منهما إلى جيشه وقومه وكل منهما يذكر ما لقى من خصمه فى يومه وكل واحد تلقاه رفقته وفرحوا به وهنوه بسلامته (قال الراوى) ولما رأى الغضنفر إلى ذلك تغنض بالمضض ولم يبلغ عمرو ذو الكلب من خصمه الغرض فاقسم بمن خلق الأرض والسماء وعلم آدم الاسماء لابرز فى غد إلى هذا الجوفران إلا أنا امل أن أظفر به وليستريح من التعب والعناء إن كانت الأخرى ولم تصل يدى إليه فتهيؤا كلكم فى أمر تعتمدوا عليه ثم انهم تناولوا شيأ من الطعام وأخذوا الراحة للمنام إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وطلعت الشمس على رؤس الروابى والبطاح وترتبت الطوائف تطلب الحرب والكفاح فعند ذلك الملك الجوفران برز به المعروف إلى ساحة الميدان واشتهر بين الفريقين وجال وصال حتى لين عريكة الحصان ينادى كما سبق له فى الايام الخالية من الزمان وسمعت نداءه العربى جميع الفرسان من شدة عزمه واهتمامه فلم يتركه الغضنفر يتم كلامه حتى برز إليه وصار قدامه بعد ما تعلق به عمرو ذو الكلب فلم يفعل وكذلك زهير بن

بقيس فلم يقبل ولأجل ما فى قلبه من الأهوال لم يسمع لاحد منهما مقال (قال الراوى) ثم أنه لما سار فى الميدان جال وصال حتى لين عريكة الحصان وكان عليه فى ذلك اليوم درع أبيه المانع وهو مقلد بسيفه الصامى القاطع وجال قدام خصمه فى ساحة الميدان ونادى وقال له ويلك يا قرنان يا ابن ألف قرنان يا كثير الفشل الهذيان دونك والحرب والطعان ثم مد إليه لسان السنان وصال وجال وترنم وأنشد وقال هذه الأبيات صلوا على صاحب المعجزات

ألم تعلموا انى همام عشيرتى	شديد القوى والحرب غاية مقصدى
فان ماجد فى القوم أبدى فخره	فجدى فيها باسق غير مفقد
وأنى من قوم كرام أعزة	تحامى عن الأخوان بالرمح واليد
وانى لقتال الرجال بصارم	فرى فى مجال الحرب ألف مهند
ولست من الحرب العوان بفازع	ولم أك رعديدا ولا رعش اليد

(قال الراوى) فلما سمع الجوفران شعر المضنفر شخر ونخر وتجبر واخذته الحمية ونخوة الجاهلية والعزيمة القوية وقد هاج كأنه الأسد القسور ونطق بالشعر لسانه وما قصر لانه تربية بنى الأصفر وأجابه على شعره يقول

أنا البطل الندب الذى شاع ذكره	ببذل المعالى واكتساب الرغائب
فمالى مبذول لكل مؤمل	وسيفى فى هام العدا والترائب
يعلى هام العالمين ذبابه	وما كنت رعديدا بكل الثعالب
فى السلم سلام وفى الحرب قاهر	وللجود مبذال وفى الحرب غالب
أنا الجوفران الندب سيد قومه	أبيد الاعادى بالسيوف القواضب

(قال الراوى) ولما فرغ الجوفران من شعره ونظامه سل فى يده حسامه وأبدى ماعنده من وجده وغرامه وحمل على الملك المضنفر حمله ليث اسور والتقاه الملك المضنفر بوجه أشوش أزهر وجنان أجرى من تيار البحر إذا زخر وتجاريا وارتطما بالرمحين وتماسكا فى أيديهما بالسيفين حتى تحيرت من فعالهما الطائفتان وقد كل من تحتهما الجوادان (قال الراوى) ودام بينهما القتال واستطالا فى الحرب والنزال ا ونظمت الأهوال وتضاربا بالنضال وتكسرت فى ايديهما الرماح الطوال واتلوا بالأهوال الثقال واصطدما بالأبدان كأنهما الجبال وطلع عليهم الغبار إلى العنان وتغيرت منهما الوجوه وخاب ما كانوا يؤملونه ويرجوه واشققت ألسنتهما من العطش وحار كل منهما واندهش ولم يزالا على ذلك الحال وهما فى حرب وقتال إلى أن أذن الله للنهار بالارتحال وأقبل الليل بالاسدال ورجعت الطائفتان إلى الخيام لأجل الراحة والمنام وقد التقى بنو عبس بالمضنفر وسألوه عن خصمه وما كان بينهما من ذلك الأمر المنكر فقال لهم وذمة العرب ما رأيت مثله فى الحرب

أقوى همه وقد تعبت فى هذا اليوم من قتاله وحربه ونزاله ولكن عداة غد يكون نهاية حربه وانفصاله ويكون النصر لواحد منا إمالى وإماله (قال الراوى) هذا ما كان من الغضنفر وأما ما كان من الجوفران فان أصحابه وأرباب دولته التقوه وسألوه عن خصمه وما رأى من شجاعته فقال لهم وحق المسيح ماهو إلا فارس مليح وهو جسور القلب فى طعنه وضرابه ولكن لولا المساء أدركنى ما كنت عدت الا به ثم انهم أحضروا إليه الطعام فأكل وبعد ذلك انسكا لأجل الراحة والمنام بعد ما أوصى أصحابه بالحرص ونام (قال الراوى) ولما كان الغد عند الصباح ركبت الطوائف تطلب الحرب والكفاح وركب فى مقدمتهم الملك الجوفران وسار قدام العساكر إلى حومة الميدان فرأى الغضنفر قد ركب وسبقه إلى الميدان ومكان الضرب والطعان فعند ذلك برز إليه الجوفران وناداه دونك والمبارزة فانى ما أبقيت عليك بالأمس الاحتى تنظر شجاعتى وتخبر من عندك من الفرسان عند مفارقتى فيشهدوا إلى أنى أوحد الزمان فى فروسيتى فزعق فيه الغضنفر بصوت مذعر وقال تقصير يدك عن هذا يا كلب بنى الأصفر ثم أنه أشار إليه بقول هذه الابيات

أنا الفارس القمقام يوم الكتائب ... أخا المجد والعليا كريم المناسب
أكر وأحمى الجار حقا ولا أرى ... لنفسى روعا عند وقع القواضب
ولا عجيبا فيما أقول لاننى ... أبيد كماة الحرب عند التضارب
فهيجنى ليث يصول مبادرا ... وعزمى فى الميدان ليس بكاذب

(قال الراوى) فلما سمع الملك الجوفران منه ذلك الكلام والنظام اندبق عليه كانطباق الغمام وأجابه على شعره يقول

لست بالحايد المحيد عن الحرب ... لاولا بالجبان عند الضراب
وإذا كانت النفوس جميعا ... تختشى من الفرسان عند الطلاب
وأنا الفارس المقدم فى الحرب ... كريم من سادة انجاب
ليس لى فى الحروب كفؤ وإنى ... لشجاع لاانثنى عن حراب

(قال الراوى) ثم بعد ذلك حمل الفارسان على بعضهما بعض واتسعا فى جنبات تلك الأرض وأخذوا فى معاناة الطعن والضرب حتى عقدت عليهما الضباب وبقيا عن أعين الناظرين فى حجاب وحارت مما وقع بينهما أولو الالباب وحكمت فيهما السيوف الرقاق وجرى لهما ما يبهر الأخلاق وحير الاحداق الا أن الغضنفر طعن الجوفران طعنة هائلة قاتلة وكانت إلى صدره واصلة وقال له خذها ملو فارس عبس وعدنان فوقعت فى كتف الملك الجوفران فابتل دمه وارتعد منها وصار فى رجعان ولكن قوى عزمه وهدى روعه وصبر عليه وطاول خصمه إلى أن أقبل الليل وعاد كل منهما عن صاحبه وهو يتأسف على خصمه ويتحسر وعاد الملك الجوفران وهو

مرتبك مما قد اعتراه فالتفت إليه أرباب دولته وصاروا ينشفون له دماءه وكانت الجراح قد أوهنته وعن المنام منعته فوضعوا له الرهبان عليها حشائش يعرفونها وشدوها شداً وثيقاً وقد زادت به الاشجان وبات وهو يقلق كأنه اتمر الحردان ولم ينم تلك الليلة مما ناله من الهيمان (قال الراوى) ومازال على ذلك الشان إلى أن أصبح الله بالصباح وما صدق الصباح أن يصبح حتى ركب وخرج إلى الميدان ونادى وطلب البراز وسأل الانجاز وإذا بالغضنفر بما به من الحنق قد خرج إليه مثل البرق أو الغيث إذا اندفق أو السهم إذا انطلق ثم أنهما حملا على بعضهما بعضاً وحالا طولا وعرضاً حتى تدكدكت من تحت أرجل خيلهما الارض وصار طويلا واعتركا وميلا وأخذا ميمنة وميسرة وصارت الخيل تجرى بهم تارة خببا وتارة تهقرى وشخصت لهم أعين الفريقين لانه جرى بينهما حرب تحيرت منه كل الطائفتين واندهلت الفرسان مما جرى لهؤلاء البطلين من شدة ماصار بينهما من القتال وما لقوا في ذلك اليوم من الاهوال وقد صار خاصرختين تتقطع منهما القلوب وكادت الاكباد منهما تذوب وجرى بينهما حرب شديد يحير منه البطل الصنديد ويشيب له الطفل الوليد ولم يزل الامر على ذلك وهما في حرب أكيد وقتال عتيد وهما على ماهم فيه من ذلك الحال إلى أن أقبل الليل بالاسدال وعزم النهار على الارتحال وعادعن بعضهما بسلامة ولم يبلغ أحدهما من صاحبه عرضه ومرامه ورجع كل واحد إلى أصحابه وقد زادت به أوصابه وكل منهما تلقاه قومه وأجناده وقد امتلأ بالحنق فؤاده وقال عمرو ذو الكلاب الغضنفر كيف رأيت خصمك في هذا اليوم الاغبر فقال لعن الله الكذب فانه يزرى بالرجل ولو كان من أكابر القوم والله ماهو إلا فارس عظيم وبطل جسيم ولقد لاقيت منه في هذا اليوم ثبات شهم جسيم وهو بذلك الجرح العظيم مثل مالاقيته منه بالامس وهو سليم وفى غداة غد يكون الانفصال بمشيئة الملك المتعال (قال الراوى) فهذا ما كان من الغضنفر وماتم له من الاحوال مع قومه وأما ما كان من الملك الجوقران فانه التقاه خواصه وقومه باحسن استقبال وقالوا له كيف رأيت خصمك فقال لهم وحق المسيح ومزمار دواد والحوارى المليح ماهو إلا فارس شديد وبطل صنديد وهو جيد الحرب والنزال وغداً يكون بينى وبينه الانفصال (قال الراوى) ثم أنهم تناولوا الطعام وأخذوا الراحة لاجل صحة الاجسام وباتوا تلك الليلة على ذلك الرواح إلى أن أصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح وركبت الطوائف تطلب الحرب والكفاح وترتبت الصفوف وتدلت الالوف وبرقت في أيديهم السيوف (قال القائل) فعند ذلك ركب الملك الجوقران وصار في عاجل الحال في وسط الميدان وطلب البراز وسأل الانجاز ونادى وقال هيا يافرسان الحجاز ابرزوا إلى فارسكم المغوار وبطلكم

الذى عندكم بطل الطراز فما تم الجوفران كلامه إلا والغضنفر حمل عليه وصار قدامه وكان قد خرج على مهل من غير انزعاج ولا عجل والجوفران يظن ذلك من الخوف فعند ذلك قصده الغضنفر وانطبق عليه انطباق الأسد القسور وقامت فى رأسه حمية أبيه عنتر فانشار يقول .

سلوا الخيل عنى حين اعلو سروجها ⁂ واسرى بها نحو الأعادى مسرعا
أليس أنا الموت المفجع للعدا ⁂ إذا اشتبكت زرق الاسنة طلعا
أبيدكاة الحرب فى حومه الوغا ⁂ وامنحهم فى السلم أفضل موضعا
أقوم بهم لاعطى الحرب حقها ⁂ اجندل منهم كل قرم تصدعا
ادير عليهم كاس حتف من الردا ⁂ تمازج سما فى الجوانب ناقعا

(قال الرواى) ولما فرغ الغضنفر من شعره وما أبداه من نظمه ونثره حمل على الملك الجوفران واطلق الجواد العنان وقوم بين أذانه السنان فالتقاه الجوفران بقلب أقوى من الصوان واوسع معه فى الميدان وأجابه على عروض شعره بفصاحة اللسان وقوى عزم وثبات جنان

الاسائلا عبس يوم الوغا ⁂ عداة التقينا جميعا معا
دهمتهم فى وسيع الفلا ⁂ على صافنات لها أربعا
جندلت بالبيض هاماتهم ⁂ وقطعت يوم الوغا من سعى

(قال الراوى) ولما فرغ الجوفران من شعره والنظام انطبقا على بعضهما بعض وأخذو المجال طولا وعرض وأخذ الغضنفر من الجوفران الحذر وكافحه الحسام الذكر وصار بينهما حرب تذكر ما طلعت الشمس والقمر وكان لها ساعة تقشعر منها الجلود وظن كل واحد أنه لا يعود وحملا على بعضهما بقوة وزمجرة وتصادما صدمات منكرة ورات الفرسان ومنهما فى ذلك الوقت ساعة عسرة وجالا جولانا طويل واعتركا غير قليل ولم يزالا فى كر وفر ومقام ومستقر واخذ ورد وهزل وجد وطعان ونزال حتى تحطمت من طعناتهما الملك القنطاريات الطوال وتثلمت فى أيديهما من كثرة الضرب السيوف الصقال ولم يزالا على ذلك الحال وهم فى مجاولة ومحاولة ومقاتلة حتى قاربت الشمس إلى الزوال وتيقن كل واحد منهما أنه لا يرجع إلى دياره مما اوقدوا فى الحرب عليهما من ناره وخاف الغضنفر أن ينقضى عليه النهار ولم يبلغ من خصمه ما يختار فلاصق الغضنفر الملك الجوفران وطابقه وسد عليه طرائقه وقام فى ركابه وتمطى بين يديه وأراد أن يضربه بالسيف يقضى عليه والجوفران قد احترز من ضربته واستتر بدرقته فمن قوة حنق الغضنفر قام بركابه وضرب الجوفران فعند ذلك انقطع به الركاب وقد سقط عن الجواد ووقع على التراب وقد انوهن بعضه فى بعض فانقض عليه الجوفران أسرع من البرق وعجل به قبل نزول الدق وأخذه من

على وجه الارض بسرعة وهو متوهن من تلك الواقعة وعاد به وهو فى صفة الاموات وقد علت من تلك الافرنج الاصوات ودقت الطبول والكاسات وصرخت الرجال ونعرت البوقات وحملت فرسان بنى عبس على الاثر وأيضا بنو هوازن وبنو قضاعة صاروا يرومون خلاص الغضنفر فالتقتهم الافرنج كأنهم السيل إذا انحدر وعمل بينهم الصارم الذكر ولعبت الخيل بجماجم الرجال كأنهم الاكر وعمل الشجاع أعمالا تحير البصر وانهزم الجبان وتقهقر ولم تزل الابصار حائرة خاسرة والسيوف أحكامها فى الابدان جائرة وأفاعى الرماح الى نهش الارواح متبادرة والوحوش الى جثث القتلى نافرة وقلوب بنى عبس على الغضنفر متطايرة (قال الراوى) هذا وقد عمل الحسام فى الروس والاجسام واختلفت رسل الحمام ولمعت نجوم الاسنة من تحت سحائب القتام وقامت عروس الحرب على الاقدام وانتشرت عليها جماجم الكرام ومازال السيف يعمل والدم يهدل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى الليل واسدل وانفصلت الطوائف عن الحرب والعمل وعادت فرسان العرب وهى تخوض فى بطون القتلى وقد حل بهم من أسر عنيترة والغضنفر البلا وما أحمى نار الحرب إلا عمرو ذو الكلب فانه هو الذى دفع عن قومه فى ذلك اليوم البلا ورجعت الطوائف عن بعضها بعض وفيهم من هو آمن وخائف وبات بنو عبس وما فيهم من استطعم زادولا تهنا برقاد ولاقوله فؤاد (قال الراوى) هذا وعمرو ذو الكلب يقول ما بقى الامر إلا فى غداة غد أبرز الى الميدان وأطلب براز الملك الجوفران وأبذل فى قتاله المجهود فاما أن أرجع بنيل المقصود أو أبقى معفراً فى الثرى ملحود وافترق الجمعان وباتت الطائفتان وتحارس الفريقان وبات عمرو ذو الكلب على هذه النية وقلبه وقلوب بنى عبس على حر النار مشويه (قال الراوى) هذا ما جرى لهؤلاء وما وقع لهم من الاحكام وأما ما كان من الملك الجوفران وما يريد أن يدبر من المرام فانه أقبل الى سرادقه وهو فرحان ومن حوله الابطال والفرسان ودار به القسس والرهبان وقد صلوا عليه صلاة الموتى بطيب الالحان وهو مما لاقاه من الحرب سكران قال الراوى وبات الحرس يدور بين الطائفتين الى أن أصبح الله بالصباح واسفر بنوره الوضاح فعند ذلك ركبت بنو عبس ومن معها من الطوائف واصطفت الصفوف واهتزت الذوابل واشهرت السيوف وفى ذلك الوقت أقبل على عمرو ذو الكلب ابن شيبوب الخذروف وقال له يا أميرنا لا بد لى إذا شننتم فى هذا اليوم بالحرب والصدام إن اختلط بالافرنج إذا عادوا أعود معهم الى الخيام وأتسبب فى خلاص أولاد عمى عنيترة والغضنفر ولو أنى ألاقى فى خلاصهم الموت الاحمر (قال الراوى) فقال له عمرو تخاف عليك أن تعرف فتهلك ويعدمك قومك وأهلك فقال له الخذروف يا أمير ما يكون من الرب العظيم إلا كل خير كثير ثم أنه خلع عنه أثوابه ولبس أثوابا تصلح لهذه

الاشتغال لأنه كان قد خلف أباه وفاق عنه وتكامل فى المكر والمحال ثم ألقى ساقيه للريح وطلب البر الفسيح وكان قد عصب رأسه بعصابة حرير ولبس فوقها كنوشا أسود كبير وشد وسطه بسير عريض ، أخذ فى يده عكازاً كبيراً غليظاً وافق مع تلك العصاة عصاة ألطف منها وشد الاثنين شداً وثيق وأخذ فى يده الأخرى قطعة خلنج وأبريق وعمل على صدره صورة صليب مزمك بعقيق ولبس برجليه ملابس بطاريق ونوبا يوى شماس عتيق وخرج من الجيش كأنه شيطان أو من بعض عمار الجان وأخذ فى عراض الجيش ودخل من بين البساتين كأنه الذئب الأغبر وقطع فى الفلاة ساعة زمنية إلى أن علم أنه صار أخلاف جيوش الافرنجية فعند ذلك عرج وأتى من خلفهم حتى أنه يتجسس ويدخل إلى جيوشهم (قال الراوى) وكان للاتفاق وقد ركبت الافرنج للقتال لما رأت بنى عبس قد اتحدت للنزال لأنهم طمعوا فيهم بعد أسر حماتهم عنتر وأخيها الغضنفر الأسد الريبال هذا وقد دار تهجت الاقطار وأظلم ضوء النهار وهتكت الاستار وذهلت من هول ما عاينت الأبصار وحار من شدة الحرب نظر النظار وحملت الصفوف على الصفوف وتلاطمت الألوف مع الألوف وتقطعت المناكب والكفوف وحكمت الأجسام الرماح والسيوف وقاتل فى ذلك اليوم عمرو ذو الكلب القتال الموصوف وجعل يكشف الفرسان عن قومه فى البطاح ويتلقى عنهم بصدره أسنة الرماح وأما أم عنيترة قناصة الرجال فانها حيرت بفعالها الشجعان وأذهلت بقتالها نظر العينان ونكست عن السروج الأقران من شدة الطعان وضربت بالسيف اليمان وهى إلى جانب أخيها عمرو كأنها الأسد الغضبان ولله در سبيع اليمن بن مقرى الوحش وما فعل فى ذلك اليوم العظيم الشان وسابق وأخوه لاحق بانه فعلوا فى حومة الميدان وكذلك الدال بن الغضبان فإنه حير بفعاله الرسان واذل الحيشان وثبت الفرسان وفر الجبان وهو منذهل العقل حيران (قال الراوى) ولله در الجوفران وما عمل فى ذلك اليوم بالأقران والشجعان وكان قد التقى بعمرو ذو الكلب آخر النهار وجرى بينهما حروب يحير النظار ويذهل الأبصار وافترقوا عند اقبال الظلام لطلب الراحة والمنام وكذلك افترق الجيشان ورجع عن القتال الطائفتان وباتوا يتحارسون الفرسان (قال الراوى) ونزل الملك الجوفران فى سرادقه وقد كاد الغيظ مما قاسى فى ذلك اليوم أن يخنقه وقد أشعلت الشموع بين يديه والبطارقة والحجاب دائرة من حواليه وهو يدير فيهم عينيه ويجلس خواصه ومن يعز عليه وينظر إلى الاسارى ويريد أن يقدموهم إليه فحانت منه التفاتة فنظر إلى الخذروف وهو واقف بين الصفوف وهو ينظر الى الخيمة التى فيها الأسارى بنظر خفيف فقال لبعض خدامه ائتونى بذلك الرجل الضعيف صاحب الجسد النحيف فما كان بأسرع من أن أحضروه بين يديه ولما حضر الخذروف بين يديه أومأ بالسلام عليه

وصلب على وجهه وكشف رأسه وسكبه والتراب قبل قال وركع الراوى فقال له الجوفران من أنت رمن أين تكون وما هو دينك من الأديان اصدق بالحق إلا وحق المسيح وماري حنا المعمدان ضربت رقبتك بهذا السيف اليمانى وأنزلت به الهوان فقال له الخذروف يامولاى أنت من بلاد الملك ساساوقد جار على الزمان ورمانى منه الحرمان وقد فقدت الأهل والخلان قال الراوى فقال له الجوفران ومن فعل بك هذا الفعال من أهل ملة الصلبان فقال له الخذروف يا مولاى وحق المسيح ودبرقته وصومعة الرهبان ما فعل فى هذا الفعال إلا هؤلاء الأسارى الذين هم أوشم العربان الذين فى قبضتك الآن وقد عملوا بى ذلك على زمن الملك خيلجان وأنت بنو عبس وعصبة العربان وهم فى عزمة وهمة وخلصوا الاسارى مع هذا الشيخ الذى يسمى دريد بن الصمة الذى فى قلبى منه ألف رزية وغمة ولو حصل هذا الشيخ فى يدى يامولاى لأكلت لحمه وشربت دمه لأنهم قتلوا إلى ثلاثة أخوة وولدى وقد فطروا فؤادى وكبدى وقد هدوا قواى وجسدى وكانوا قد أخذونى معهم أسير بحالة الوبل والتنكيد والتعسير وكنت قد بقيت معهم أسوق الأموال والنوق والجمال ووصلت معهم وقد قربت من هذه البلاد فهربت منهم وبقيت مشتتا وحيداً على حالة الانفراد وبعد ذلك توصلت إلى أن دخلت القسطنطينية وخدمت فى بعض مسكنائس لأهل ملة النصرانية إلى أن أتت هذه الايام وسمعت أنك أيها الملك الهمام والبطل الضرغام قد استأسرت من بعض بنى عبس أقوام فاتيت إلى ههنا لأنظرهم النظر التام ولئن قتلت منهم أحداً أيها الملك وأبدت عزمه وشويت لحمة أكلته والطخت بدمه (قال الراوى) ثم ان الخذروف أظهر الحسرات وتصاعدت منه الزفرات وأسال العبرات وأشار يقول صلوا على طه الرسول

لا تعجبا من عبرتى ونحيبى	يا صاحبى فليس ذا بعجيب
وتخوفا يوم الفــراق ذاته	لا شىء أعظم من فراق حبيب
ترك الفراق العاشقــين كأنما	أجسامهم خلقت بغير قلوب
من لم يكن عرف الغرام وذاقه	فلقد أخذت من الهوى بنصيبى
أرأيت يا هــذا أشد بلية	كتبت على بشر فــراق حبيبى

(قال الراوى) ثم ان الخذروف أظهر البكاء والأحزان وأجرى دموعه من الاجفان حتى رحمه الملك الجوفران وبكى كل من كان حاضراً فى ذلك المكان وقال له الملك الجوفران ياهذا أقلل من بكائك فنحن نأخذ ثارك ونبلغك مناك وأمرك أن تضرب منهم اشقاب وترمى لحومهم إلى الكلاب فقم وادخل إلى الخيمة واصنع بهم ما شئت من العذاب ولكن لا تقتل منهم أحداً حتى انى أوبخهم وأعاتبهم فقد وكلتك بهم حتى انك تعذبهم (قال الراوى) فنهض

الخذروف إلى خيمة الاسارى التي جعلت لهم فى ذلك المكان وكانت إلى جانب سرادق الملك الجوفران فرفع سجاف الخيمة ونظر إليهم من خلف ظهورهم وإذ بكل مقيدين حيارى فى أمورهم لما حل بهم من ذلك الامر الذى قافت منه صدورهم فعند ذلك تقدم إليهم الخذروف حتى أنه قارنهم بعزيمة وهمة فوقعت عينيه على دريد بن الصمة فصرخ عند نظره إليه صرخة عظيمة وقد زاد له السب والشتيمة وقال له وحق المسيح وما مسح وحق البيعة الكبيرة والمذبح ان هذا هو شيخ الذى قتل ولدى وأحرق عليه كبدى وأضنى بفراقه جسدى ثم أنه فى عاجل الحال تقدم إليه وطعنه بين كتفيه وسار يعض اذنيه ويضربه بهاتين العصاتين اللتين فى يده على يديه ورجليه هذا والملك الجوفران يضحك عليه ودريد يصرخ فيه ويقول يا ابن الملعونة أوضح لى معرفتك فلعن الله مرضعتك واهلك وقومك وعشيرتك. قال الراوى فتبسم الخذروف لما سمع من دريد ذلك الكلام فعرفه الغضنفر معرفة تامة وقال لدريد يا أبا النظر لا تشتمه فانه ابن عمى الخذروف وما أتى إلا ليسعى فى خلاصنا من هذا الامر المنكر ويتسبب فى أطلاقنا مما نحن فيه من العبر قال الراوى فقال له دريد يا هذا ومن أين الخذروف يقدر أن يأتى إلى هذا المكان وإنما هذا رجل قد افقره الزمان وهو من فقراء مدينة ساسان إلا أنه قد احرق ظهرى بالضرب هذا الآف قران ثم تحقق فيه بنظره فعرفه فقال له يا ابن الملعونة قد قطعت لحى باسنانك ومتى قتلت أنا ولدك ونهبت مالك وبددت شانك فتبسم الجوفران وغمز دريد بن الصمة فزاد فى شتم الخذروف وفى سبه والملك الجوفران يضحك عليهم هو ومن حوله من الرجال فبينما هم على ذلك الحال وإذا بضجة قد أقبلت وعشرة جوار قد ارتحلت وعلى الملك الجوفران سلمت وبينهن جارية صاحبة جلال وافتخار ولها هيبة ووقار وعليها حلة سابلة معقودة بالجواهر الكبار (قال الراوى) ولما قربت من الجوفران قام لها على الاقدام وكذلك كل من كان حاضرا فجلست إلى جانبه وهى كانها من خيار قومه وأقاربه وليس هذا عند الافرنج بقبيح فانهم يجلسون بين الرجال بالزى المليح فلما جلست واستقر بها المقام بادرته بالكلام وقالت له مالى أراك أيها الملك ضحكك صار عاليا بزيادة وما عهدت منك أراك بهذه عادة فقال لها يا أما أضحكنى هذا الرجل الساسانى فى خدمة الملوك فانه ليس له فى خدمة الملوك ثانى قال الراوى ثم أنه قص عليها بمجىء الخذروف وقصته وما سمعه من كلامه وحيلته قال الراوى وكانت نازلة بعيدا عنه فى غير ذلك المكان واتفق أنها جاءت إليه فى ذلك الوقت والاوان فقالت له وأين هذا الرجل الساسانى الذى ذكرته فقال لها عند هذه الاسارى الذين قد أسرتهم فقالت على به وأمرت أن يحمل إليها فاتوا به وأحضروه بين يديها فرمقت له وميزت إليه بالنظر وحققت فيه العينان ثم التفت إلى الملك وكلمته باغسان فلما سمع كلامها عند ذلك التفت إلى الخذروف وأمر بالقبض عليه

قال الراوى وكانت قد قالت له ياولدى أعلم ان هذا الرجل سلال قد أتى يطلب أن يخلص منك الاسارى بالمحال فوحق المسيح لولا وصولى فى هذه الساعة لكان قد تم عليك محاله وخداعه فعند ذلك أمر الملك الجوفران بأن يوثقوه كتافا بالحبال وهو بذلك الزى الموصوف ولما رأى روحه على ذلك الحال لحقته الحيرة والانذهال وكذلك دريد وعنيترة والغضنفر وما منهم إلا من انذهل وتحير مما رأوا فى أمورهم وضاقت من تلك الفعلة صدورهم وكذلك من معهم من الفرسان وهم ثار وخفاف وباسر وليث الميدان لأنهم كانوا قد أملوا به الخلاص من الذل والهوان . بعد ذلك قدمه إلى بين يدى الملك الجوفران وقال له يا ملعون أصدقنى فيم جئت فى هذا الأمور والشان والاوحق المسيح ومزمار داود والدين الصحيح ضربت رقبتك وتركت دمك فى هذه الساعة على الأرض يسيح قال الراوى فقال له الخذروف يا ملك النصرانية لا تفعل فانى ما تكلمت بين يديك إلا بالصحيح وما أنا إلا رجل من بنى ساسان وحالى وضيح وقد رمانى لزمانى بالذل والحرمان وهذا من تمام الذل والهوان قال الراوى فبقى الملك الجوفران من كلام الخذروف حيران ثم أنه نادى ببعض حجابه وأمرهم باحضار الغضنفر إليه ففى عاجل الحال أتى به واحضروه إلى بين يديه فقال الجوفران يا هذا قد صح عندى أنك شجاع والكذب لا يليق بالشجاع والصدق أحسن ما يزين به الرجال فبحق ما تعتقده من رب زمزم والمقام وبحق البيت الحرام والمشاعر العظام هل تعرف هذا الولد لسل الزنا وابن اللئام قال الراوى فعند ذلك قال الملك الغضنفر وقد تعجب مما حلفه به من تلك الايمان وتحير وقال له يا ملك لا تسبه فان الكذب قبيح وما أقول والله إلا الصحيح أنه ابن عمى ولحمى ودمى ومفرج همى وغمى وقد أتى ليخلصنى بالحيلة فوقع فى يدك بهذه الوسيلة قال الراوى فلما سمع الخذروف كلام الغضنفر قال الذنب ما هو لكم ولكن الذنب لمن أتى خلفكم يشمر ويروم خلاصكم من هذا الأمر المنكر فقال له الغضنفر ويلك يا خذروف فانا ما كنت أكذب وأنا قد صرت بين العرب معروف وهو قد حلفنى برب زمزم منى المستحق الحمد والثنا فقال له الخذروف لا تكذب يا ولد الزنا بل أنت سلكت طريقة أبيك عنتر العبد الزنيم واوقعتنى بصدقك فى هذا الهول العظيم فقاسوا الذل والهوان والعذاب الأليم ولعن الله الحاكم أجمعين قال الراوى هذا الملك الجوفران قد تعجب من فصاحة الخذروف وجسارته وصدق الغضنفر وهم فى مقام الخطر وقوف ثم أنه قال للخذروف يا ولد الزنا وتربية الأمة اللخنا لابد أن أعذبك العذاب الأليم الشديد وأربطك مع الكلاب فى القيود الحديد بتهجمك على مقامات الملوك وأنت فقير صعلوك ثم أمر أن يقيد بقيد ثقيل وثيق ووكل به والاسارى عشرين بطريق كل واحد منهم مثل حجر المنجنيق وأوصاهم عليهم بالاعتراز لكونه ثبت عندهم فرسان الحجاز (قال الراوى) وبعد

ذلك أمرهم بالانصراف من بين يديه وقام إلى منامه لأجل الراحة إلى بدنه فلما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وركبت الطوائف وتقابلت بعضهم البعض وانتشرت الفرسان فى جنبات تلك الأرض وحملت الشجعان واتسعوا بالجولان فى الميدان وتضاربوا بالبتار وطلع عليهما الغبار حتى غطى الأقطار وصار وسطا السيف فى حكمه وسيار ونثرت الرؤس من الأبدان وثبت الفارس الكرار وولى الجبان الأدبار وركن إلى الفرار وجرى بين الجيشين العجايب وشابت الذوائب واهتزت الأرض من تحت أرجلهم الأرض وركض الجنايب وعدم الحبيب الحبايب ودارت عليهم الدوائر وقد اصطدمت عليهم العساكر واختلطت العشائر حتى صار الأول منهم ما لحق الآخر ولم يزالوا على ذلك الحال وهم فى قوة الزلزال ومدافعة وجدال حتى حطت الحرب أوزارها وأوقدت الحرب نارها وطابت كل طائفة الأخرى بثارها ونادت بنو عبس بكنانها وافتخارها وكذلك بنو قضاعة وفارسها الأمير عمرو ذو الكلاب وأخته قناصة الرجال أثاروا والحرب غبارها وخاضوا قساطلها وقتارها وعمت منهم الرماح فى الأشباح ويبست الأجساد من الدما وشاح ونادى المنادى بلا جناح وصاح وتمنى الفارس أن طير بلا جناح وبيعت الأنفس بيع السماح وتساوى فى أعين الفريقين المساء والصباح وبأت فى وجوههم شخص الموت ولاح وعبست الوجوه الصباح وضجت الفرسان من ألم الجراح ضجيج النوق عند الرحيل والرواح وزعق غراب البين وناح وفر الجبان وطلب الروح وضاقت على الهارب الأماكن الفساح ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ولى النهار وارتحل وأقبل الليل والسدل وقد تحير الملك الجوهران وتبلبل من قتال بنى عيس وما عملت فى ذلك اليوم من العمل لأنه ما ظن أنهم يثبتون بين يديه لضرب السيوف ولا علم ان كل واحد منهم يعد بألوف لاسيما وقدمهم الأمير عمرو ذو الكلب البطل الموصوف وأخته قناصة الرجال وهى كأنها اللبوة إذا فقدت أشبالها وعادت الطائفتان عن الحرب والطعان وكل منهم ما يصدق بالخلاص من الميدان (قال الراوى) واعجب ما جرى فى هذه القصة الحجازية من أحاديث العرب ان أن الملك الجوهران لما نزل فى سرادقه وأحاطت به البطارقة والرهبان من كل جانب ومكان أقبلت أمه على مجرى عادتها ومن حولها أكابر دولتها وأرباب خبرتها وكان قد انحرف عنها لأجل الكلام وما لاقى فى ذلك اليوم من الحرب والصدام وقد خلت إلى الأسارى فوجدتهم بما حل بهم من الأسر حيارى فتعجبت من أمرهم وأهالها عظم صبرهم فقالت لهم من أى البلاد انتم ومن أى القبائل ومن أى العرب قد تجمعتم (قال الراوى) فقال لها دريد بن الصمة يا ملكة أما نحن فمن قبيلة واحدة وان قبائلنا من بعضها متباعدة ونحن من ثلاث قبائل ولكننا من قوم كرام أصايل أنا من هوازن وجشم

وهذا الفتى ورفيقه ينتسبون إلى بأولاد عمى وأشار إلى دنار بن رزق وخفاف بن ندبه وكانت رحمتهم الملكة مما حل بهم من تلك الأمور الصعبة وهؤلاء الأربعة من بنى عبس وعدنان وأشار إلى الغضنفر وعنترة وياسر وليث الميدان وكذلك هذا الولد ابن الونا وأشار إلى الخذروف وأنه من دوننا بالمكر والخداع موصوف (قال الراوى) فعند ذلك تقدمت الملكة أم الملك الجوفران ووقفت على رأس الغضنفر وكذلك أم الزعازع عنيترة بنت عنتر وقالت له يافتى أنت من بنى عبس كما تقرر فما يكون منك ابن شداد عنتر فقال لها ياسيدتى هو أبى كان فقالت ما أصابه من غدرات الزمان فقال الغضنفر قتل ظلما وعدوان فقالت له وابنه جيلة ما فعل بها الزمان فقال لها قد قتلها شخص من بنى عامر وأحل بها الهوان وكان يقال له عامر بن الطفيل ولكن كان من شجعان الزمان وقد تزوجها بعد أبى ورحلته لما قتل وحانت منيته (قال الراوى) ثم حدثها بالحديث على جليته فقالت له وأنت أمك تزوج بها أبوك من دونهن عند الملك قيصر قال بل أن أمى أقرب ما يكون إلى الملك من دون البشر وهى بنت أخيها وتسمى الملكة مريم وكان قد تزوجها من الملك قيصر بحضور أخيها بالمقام وكان ذلك منه للاكرام لما أتى إليه فى مدينة الكبرى وله فى حمايتها خدم لما سطا عليه الملك بمند أخو الملك خيلجان الذى قتله أبى عنتر فى بلاد العجم وكان ذلك منه فيما تقدم فقالت له وما تكون منك هذه الفارسة السمرة اللون المليحة المنظر والكون فقال لها ياملكة هذه أختى من أبى وقد حل بها من قتل والدى ما حل بى وهى تسمى أم الزعازع ولبوة الوقائع وجامعة نملنا وحاميتنا كلنا فقالت له وأمها تزوج بها أبوك بعد رجوعه من بلاد الروم فقال كذلك أنه عاد إلى الحجاز وتلك الرسوم وأمها تسمى الهيفاء قناصة الرجال أخت الأمير عمرو ذو الكمال الفتى الريبال فقالت وهؤلاء الفرسان الآخران ما يكونان يافتى منك فأخبرنى بالصدق وأبشر بزوال الضيق عنهما وعنك وكانت قد عنت باشارتها على ياسر وليث الميدان وكانت قد ظنت فى نفسها أنهما أخوان (قال الراوى) فقال لها الغضنفر ياملكة أما هذا فهو ابن أخى ميسرة بن عنتر وأما هذا فهو ابن عمى مازن أخى أبى وكان الأصغر وأننا ما اجتمعنا عليهم إلا بعدة لأبى واندثر لأمهما وبقيا عند الملكة حليمة بنت صاحب الشام وكانه أوهما قتل قبل أبى وبعدها فقتاهما ولكن عندها وعند أخيها الملك عمرو وفى خيرات ولنعام (قال الراوى) فقالت له الملكة وهذا السلال هو ابن عمك شيبوب فقال نعم هو ذلك ياقوت القلوب فقالت له وعمك شيبوب ما كان منه فقال لقتل وانقبر قبل أبى بثمان سنين أو أكثر فقال لها الغضنفر ما أراك ياملكة إلا عارفة بغاية المعرفة وتصفى أنسابنا بهذه الصفة فمن أين لك علم ومعرفة بهذه الاخبار فقالت له أنه كم كانت تصل إلينا مع السفار ولكن طيبوا قلوبكم فأنا إن شاء الله أكون السبب فى خلاصكم وإزالة كروبكم وأسيركم إلى بلادكم وأنتقى من جيوشكم وأجنادكم وأجتهد فى خلاصكم (قال الراوى) ففرح الجماعة بمقالها وشكروها على ما أبدت من

جميل فعالها ثم أنها مضت من عندهم بعد ما وعدتهم بخلاصهم من ضيق سجنهم وأرسلت مأكولا ومشروبا من الطعام ثم إنها أقامت إلى أن انفصل القتال فى اليوم الثالث وقد خافت من ولدها أن يحدث فى حقهم شيئا من الحوادث (قال الراوى) وبينما هم على هذا الحال وقد انفصلت الطوائف عن القتال ورجع كل جيش إلى مقامه وأقبل الجوفران إلى سرادقه ومحل منامه وغلمانه وخدامه يمشون قدامه وقد أتى وهو ممتلىء غيظا وحنقا كيف لم ينل من كسر جيوش بنى عبس مرامه فما أكل طعاما ولا غسلت يده إلا بشىء قليل من المنام فرأى فى منامه ما أزعجه وأبهره فضاق صدره وزاد تكدره وصار من تلك الساعة لا يأخذه منام ولا التذ بأكل طعام ولم يزل على ذلك الحال حتى طلع الصباح وأضاء بنوره ولاح وبطل فى ذلك اليوم القتال القتال حتى ينظر ما يكون له من الأحوال ويفسر ما رآه والمنام على أحد يكون يعرف فى تأويل الأحلام وكان من أمره ومنامه عجيبة وكل ما يأتى على الإنسان له سبب وذلك أنه لما أصبح الله بالصباح وجلس فى مقامه وطلب أن يفسر ما رآه فى منامه وقد انزعج لذلك وضاق صدره وزادت آلامه أمر باحضار القسس والرهبان حتى أنهم يعبرون له رؤياه فحضر قسيس ومطران وأحضر أيضا البترك الكبير والمعمدان فقالوا له أيها الملك أبد لنا ما رأيته فى منامك ولذيذ أحلامك وأعلمنا ما هو الذى أزعجك من أحلامك (قال الراوى) فأقبل عليهم يحدثهم بما رآه ويبدى لهم ما نظره فى نظره فى رؤياه وقال لهم إنى رأيت كأنى أقبلت إلى سرادقى هذا وجلست على سريرى كذا وإذا أنا بكتفى اليمين قد اختلج اختلاجا عظيما قد طلع منه يد مثل يدى هذه ولها ساعد مستقيم وامتدت من أصل كتفى حتى أنها لحقت بأصابعى وكفى فقلت فى نفسى وحق المسيح لقد بطلت همتى عن القتال وقد عجزت عن مكافحة الحرب والنزال وإنى خائف من هذه الأحوال وإذا بها قد التمت وصارت يدا واحدة وعادت إلى ما كانت عليه وبقيت فى أمورها متساندة وانتبهت بعد ذلك من منامى واستيقظت من أحلامى وأنا خائف مرعوب متكدر الخاطر وفى أمرى مكروب من عاقبة ما رأيته من أحلامى فبينوا لى شرح ما أنا لكم قائل إن كان أحد فيكم عارف بتفسيره عاجل فبينوا لى هذا المنام وفسروه قوام (قال الراوى) فتعجبوا الجميع من ذلك المنام وعجز الكل عن تفسيره وبلوغ المرام فقالوا له بأجمعهم يا ملك النصرانية وسيد أهل ملة المعمودية اعلم أننا ما لنا علم بتفسير المنامات ولا نعلم بهذه الكائنات وحق المسيح والسبع كلمات وتربة الراهب ساحات الذى قعد أربعين سنة فى دير الزرزور ولم يغسل وجهه إلا من المعموديات ما عندنا علم بتفسير هذه المنامات

(تم الجزء الرابع والخمسون ويليه الجزء الخامس والخمسون)

الجزء الخامس والخمسون

(من سيرة عنتر بن شداد)

(قال الراوى) فاغتاظ الملك الجوفران غيظاً شديداً ما عليه من مزيد من خطابهم وما أبدوا الرهبان من جوابهم فبينما هو على ذلك الحال الذى قد حصل إليه وإذا براهب من بعض الرهبان قد قام على قدميه وتقدم عنده وقبل الأرض بين يديه وقال له يا ملك الزمان أن أردت أن تعلم تأويل هذا المنام وما فيه من البرهان فأحضر الاسارى الذين عندك من هؤلاء العربان واستخبرهم فإنهم عارفون بمثل هذا ويبدون لك ما يكون من التأويل وما كان (قال الراوى) فاستصوب الملك كلام ذلك الراهب من دون الرهبان ثم أمر بإحضار الغضنفر وأصحابه اليه فمضى الحاجب وأحضر جميع الاسارى إلى بين يديه (قال الراوى) وكان من القضاء والقدر ومن جملة الأمر الذى فى علم الله مدبر أن الغضنفر أيضاً رأى مناماً فى تلك الليلة وهو منه فى هم وقعد فى ذلك الوقت يفسره على شيخ العرب دريد بن الصمة وليس عنده فى ذلك الأمر حيلة فقال له يا أبا النظر لقد رأيت الليلة فى منامى أمراً عجيباً وأرجو من الرب القديم أن يكون عاقبته إلى خير قريب فقال له دريد بن الصمة حامية عبس ما الذى رأيت أبده ولا تخفيه لعل أن أعرفه وأبين لك معانيه فقال له اعلم أنى رأيت كأنى فى حفيرة على صفة القبر وهى حربة مدثورة وكان اقواماً يهددون بالقتل وقد ألقونى فى تلك الحفيرة ومضوا حتى وتركونى فيها فقمت وقفت على أقدامى أريد الخروج منها فرأيت الحفيرة منطقة من ذهب أحمر مرصعة بأنواع الدر والجوهر فمددت يدى اليها وقد مسكتها ومن الأرض على ساعدى رفعتها وتأملت فيها وتبينتها وإذا بها قد صارت منطقتين فشددت وسطى بهما الاثنين ثم تميزتهما وإذا بهما قد صارا منطقة واحدة وهذا منامى فبينه لى عسى أن يكون فيه الفائدة يا أبا النظر لأنه عبرة لمن اعتبر قال الراوى فقال دريد وحق الإله السميع المجيب أن تفسير منامك هذا يدل على أن يظهر لك أخ عن قريب فقال الغضنفر يا أبا النظر أن هذا لا يصير ولا يتم ومن أين يتفق هذا وأبى قد عدم فقال دريد على طريق الملاعبة والمجون أنا أخبرك عن هذا الامر بما يكون وما فى الامر إلا أمك الملكة مريم لتزوج ببعض وترزق منه ولداً فيصير أخاك (قال الراوى) فقال له الغضنفر أى شىء هذا هذا القول المنكر يا أبا النظر فقال لهم الحذر وف وقد زاد به الغضب وامتلأ غيظاً وأنت ربما أن يكون هذا الملك الجوافران أخاك وقد حملت به بعض النساء من أبيك فملك نفسك بهذه الافعال لانه يشابهك فى الزى واللون والقد والهيكل (قال الراوى) فعند ذلك

أجابهم دربد بكلام مذعر وقال وحق البيت والحجر والركن اليماني المطهر أن هذا الملك الجوفران أشبه الخلق بالملك الغضنفر وقد ضحك الخذروف من هذا الكلام فقال لاز لتم تعللون أنفسكم بالمحال والخلاص من القيود والأغلال (قال الراوى) فبينما هم في المشاجرة والكلام الذى هم عليه وإذا بحاجب الملك الجوفران قد دخل عليهم وأمرهم بالحضور إلى بين يديه فامتثلوا أمره وقاموا إلى الملك الجوفران ودخلوا عليه وقبلوا الارض بين يديه ووقفوا مع جملة الحجاب القيوم فامرهم بالجلوس ليقص عليهم ما رآه فى المنام وسألهم عن تفسير تلك الأحلام وذكر لهم الرؤيا كما وصفناها على جملتها (قال الراوى) فقال له دربد أيها الملك أن الذى قد ظهر لى من تعبير أحلامك وتفسير ما رأيته فى منامك أن يظهر لك أخ ويكون له جيش مثل جيشك وأجناد مثل أجنادك أو يتغلب عليك بعض الملوك ويأخذ منك بلادك ويقهر جميع أجنادك فقال الملك الجوهران ياشيخ أبى قد مات وأمى ما بقيت تتزوج أبداً على مدى الأوقات وما هو إلا قد ذكرت أن يتغلب على بعض الملوك الذين هم لى من جملة الاعداء فقال له دربد هذا ما عندى من شرح ذلك المنام (قال الراوى) ثم أنه لما سمع من دربد ذلك الكلام وسمع تفسير المنام أخذه هم كثير ووسواس حتى ضاقت منه الأنفاس وقال فى نفسه ما فى الأمر إلا أنى أرمى رؤس الذين أسرتهم إلى أصحابهم حتى تنحل عزائمهم وأعمل بعد ذلك على عشائرهم وأبيد عساكرهم وأعود إلى بلادى من قريب قبل أن يظهر لى عدو غريب (قال الراوى) ولما قويت همته على ذلك عول أن يضرب رقابهم ويسقيهم كاس المهالك ثم أنه فى عاجل الحال دعا بسيافه وأمره أن يضرب رقاب الاسارى ويسقى كلا منهم كاس اتلافه فقال له الخذروف لا ستر الله عليك واحل بك الارتباك هذا يكون جزاؤنا منك على تعبير رؤياك ثم أنه التفت إلى دربد وقال له وحق البيت الحرام ما جلب لنا هذا البلاء والانتقام إلا انت بتفسيرك لهذا المنام وقد خاف على بلاده لما سمع تفسير منامه وقال فى نفسه إذا نحن قتلنا انكسرت عشائرنا قدامه فقالت لهم عنيترة سلمنا امرنا إلى رب العباد ومنشىء السحاب الذى إذا دعى اجاب هذا والملك الجوفران قد صرخ فى سيافه بصوت مريع وامره بضرب رقاب الأسارى الجميع فاقبل عليهم السياف واول ما وقف على راس الغضنفر واشهر فوق راسه حساما ابتر ورفع يده لينزل بالضربة عليه وإذا بام الملك الجوفران قد وصلت إليه وفى عاجل الحال حصلت بين يديه لأن الخبر قد وصل اليها بما قد عول عليه فى ساعة الحال اتت والى نحوه سمت واشرعت فنهض قائما اليها واجلسها إلى جانبه وسألها عن سبب مجيئها فقالت له ايها الملك على ماذا عولت فانى اراك فى همة فاخبرنى على ما عزمت عليه من تلك الملمة فقال لها قد عولت على قتل هؤلاء الأسارى الذين فى قبضتى وارمى برؤسهم إلى اصحابهم واشفى بذلك علتى حتى تنحل عزائمهم واحمل عليهم وافرق جمعهم واطرحهم على الصعيد واطحنهم

طحن الحصيد وأبلغ منهم ما أريد وأرجع إلى بلادى عن قريب غير بعيد فقالت له أمه ياولدى ماهذا صواب وربما ينفتح من هذا أبواب لأنك تعلم أن وراء هؤلاء من لا يغفل عنهم وأن قبلت الراى فلا تقتلهم إلا إذا وصلت بهم إلى بلادك وجزائرك ومعك جيوشك وأجنادك حتى علم سائر الطوائف الذين كانو يترقبون عارك وانك قتلت الذين يعاروك بهم وانك قد اخذت بثأرك (قال الراوى) فلما سمع الملك الجوفران من امه ذلك الكلام حتى قال لها وحق المسيح ما بقيت استطعم فى ليلتى هذه بطعام ولا اذوق طعم منام حتى ارى رؤسهم عن الأجسام فقالت له يابنى لا تفعل فربما تندم ويحل بك الندم فغضب لما سمع منها ذلك الكلام الذى يوجب الخلاف وغضب عند ذلك ولح على السياف وامره ان يضرب رقابهم ويحل بهم التلاف والسياف يتقدم فى ذلك ويتأخر ويترقب كلامها لما رآها قد اكثرت فى ذلك اهتمامها ثم انها لما راته مصمما على قتلهم تقدمت إليه وقد علمت انها إن توانت عليه قتلهم وفعل ما عزم عليه فعند ذلك تذكرت جميل عنتر وإحسانه إليهم وما صنع معهم من المكرمات وتفضلاته عليهم وكيف قتل عدوهم الملك ضافات وكيف سلموا إليهم جزائر الواحات فعند ذلك اقبلت بلسان الافراج على الملك الجوفران ولطفت له فى الكلام حتى أتته لأن وقالت له ياولدى كيف تطيب نفسك ان تقتل اخوتك واولاد عمك (قال الراوى) فلما سمع ولدها كلامها سارت عيناه مثل لظى الجمر وصار كأنه قد شرب كثيراً من الخمر وقال لها ومن هم اخوتى واولاد عمى وماهذا الكلام وما اظنك إلا فى اضغاث احلام فقالت ياولدى وحق الإنجيل المكرم والمسيح المعظم وحق السيدة ام النور مريم ان هؤلاء الاثنين اخوتك ونسبتهما لاحقة بنسبك وابوهما عنتر ابوك وهذه عنيترة اختك وهذا الغضنفر اخوك (قال الراوى) فلما سمع الجوفران كلامها وما ابدته له من مرامها قامت عيناه فى ام راسه وخاف من سطوته جميع جلاسه وقال لها من شدة ماضاقت انفاسه ويلك ياملعونة اليس ابى الملك كوبرت فقالت له ياولدى اسمع ما به إليك اشرت فان حديثى عجيب وامرى مع ابيك غريب لأنه لو كتب بالذهب على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر وموعظة لمن تبصر ثم انها انعطفت عليه وتقربت بنفسها اليه وابتدات تحدثه بحديثها وكان الكلام بينهما بلسانها وحكت له من اول الأمر إلى آخره وعرضت عليه باطنه وظاهره وماجرى لها من اول الزمان وماسبق حديثه فى هذا الديوان من امر عنتر بن شداد وماجرى له مع ملك قيصر لما حضر عنده القسطنطينية وتلك البلاد وكيف اهداها له الملك قيصر لأبى الفوارس عنتر وكيف باتت عنده ليالى كثيرة وكيف كان قد لحقها من رؤيته الانبهار والحيرة وكيف اراد شيبوب قتلها والأمر الذى كان بين كوبرت وبينها وكانت قد علقت من عنتر لما اهداها له الملك قيصر وايضاً اخبرته بمسير ابيه عنتر مع هرقل ابن الملك قيصر وقتله للملك اليلمان وابنه سرجوان وزواج الملك هرقل

بالملكة مريمان ابنة البلبان وأيضاً حدثته بحديث المرج والقصر وما جرى لها مع شيبوب وما كان وأظهرت له سرها وبان الكتمان وقالت له ياولدى والآن قد صح الخبر وبان الامر واشتهر وأنت بعد هذا ورأيك أخبر وقد أطلعتك على ما كان من الامور الخفية ولم أكتم عنك شيئاً من هذه القضية (قال الراوى) ولما سمع الجوفران من أمه هذه الأخبار أخذته الحيرة والانبهار وقال لها ياأماه ما كان من هؤلاء القوم أحد معكم فى ذلك الزمان حاضر حتى أسأله من حديثكم أولا وآخر ويكون الذى قلتيه له عندى تأكيد وبيان وتقوم لك بذلك الحجة والبرهان فقالت له آه ياولدى وحق المسيح لقد قلت قولا صحيح أعلم ياولدى أن من صحة الخبران أباك الأمير عنتر لما دخل الجزائر ما كان معه إلا هرقل الملك قيصر وأخوه شيبوب وكذلك هذا ابنه الخذروف الآخر فقال لها ومن هو بين هؤلاء الجماعة الخذروف فأشارت اليه وقالت له هاهو هذا السلال الذى هو بالصوصية والخداع موصوف وهو الذى أتى بتلك الحيلة ليخلص منك الرجال من الشدة والاعتقال (قال الراوى) فعند ذلك أمر الجوفران باحضار الخذروف اليه فقدم فى ساعة الحال إلى بين يديه وجميع جوارحه تخفق الخوف اليه فقال له الجوفران أنت الخذروف فقال له نعم أنا ابن شيبوب الذى أخوه عنتر بن شداد المعروف فقال له الجوفران ويلك ياخذروف أبوك شيبوب قد دخل إلى جزيرة الكافور وحضر مع عمك عنتر فى فتح قلعة البلور كان كذلك فاشتهى منك أن تخبرنى كيف كانت هذه الامور (قال الراوى) فلما سمع الخذروف من الملك الجوفران هذا الخطاب خاف من عاقبة هذه الاسباب وقال فى نفسه ربما يكون عمى قد قتل الملك الجوفران من يقربه اليه فيريدان يأخذ بثارة منا ويقضى علينا فبقى مرتبكا فى أمره وقصته ولكن قد علم أن لا بد له من إجابته فقال له نعم يا مولاى كان ذلك من عمى عنتر قبل موته (قال الراوى) ثم أن الخذروف تذكر أيام أبيه شيبوب وعمه عنتر فجرت دموعه على خديه كأنها المطر وتنهد وتحسر وكذلك أولاد عمه عنيترة والغضنفر (قال الراوى) هذا والملك الجوفران قد أخذه عند بكائهم الدمع والرجفان وقال للخذروف هل تعرف أحد إذا رأيته من أهل ذلك المكان من الرجال أو من النسوان فقال والله يامولاى ما أعرف غير الملكة مريم والملك كوبرت وكنت من نحو خمسة وعشرين سنة من عندهم قررت فقال له الملك الجوفران وأنت إذا رايت الملكة مريم فى غير جزيرة الكافور اتعرفها فقال له الخذروف نعم يامولاى وحلاها واوصافها فقال له الملك الجوفران فهل اجتمعت عليها فى جزيرة الكافور فقال له نعم يامولاى وفى مدينة القسطنطينية ومضى لنا فيها ايام ذات بهجة رضية (قال الراوى) ثم انه ابتدا يحدثه بالقصة من اولها إلى آخرها وشرح له فيها جميع باطنها وظاهرها وما جرى لعنتر وللملك كوبرت وقال له هذه حكايتى فلما سمع كلامه وافق كلام الملكة مريم وما حكت

له عليه فصح عند الملك الجوفران أنه ابن عنتر وأنه من بنى عبس وعدنان لما بانت له تلك العلائم والبرهان فعند ذلك قال له يا خذروف والجارية مريم فى ذلك الزمان كانت قد حملت من عنتر قال أى وحق خالق البشر ولأجل هذا كان يريد قتلها عمى عنتر حتى لا يخلف منها فى بلاد الأفرنج ولد (قال الراوى) فعند ذلك أمر الجوفران باحضار عشر جوار وقال لامه اذهبى واخفى نفسك عن هؤلاء الرجال الحضار فاذا طلبتك اتى إلى ويكون صحبتك هؤلاء العشر جوار ويكون ملبوسكم ملبوساً واحداً حتى يكون ذلك أقوى برهان وأعظم شاهد فأجابته بالسمع والطاعة وقامت من حضرته فى تلك الساعة ثم أن الملك الجوفران من وقته وساعته أمر بإحضار الجوار إلى حضرته وكان لهم كما أمرهم لبس واحد وزى واحد وصفة واحدة فاتين إليه ووقفن صفاً واحداً بين يديه وصاح عند ذلك على الخذروف وقال له يا هذا هدىء روعك وارفع عنك الفزع والخوف واخبرنى من هى الملكة مريم فى هؤلاء الجوار (قال الراوى) فرمقهم الخذروف وحققهم بالنظر وناداه يا مولاى وحق العزيز الغفار أن الملكة مريم ماهى بين هؤلاء الجوار وحاشا تلك الملكة أن تتمثل إلا بنساء الملوك الكبار وهى ملكة وزوجة ملك صاحب قلاع وأمصار فتبسم من كلامه الملك الجوفران وطاب قلب الخذروف من تبسمه وأيقن بالامان (قال الراوى) هذا كله يجرى والغضنفر عنيترة بنت عنتر ودريد بن الصمة وبقية الفرسان الآخر قد حاروا فى أمورهم وتقطعت من شدة الخوف من القتل ظهورهم بعد ما كانوا قد صبروا أنفسهم على مرارة القتل والهوان كل هذا السياف واقف على رؤسهم ينتظر أمر الملك الجوفران (قال الراوى) ثم أنه استدعى بأمه فى تلك الساعة فحضرت كما أمر فى جملة عشر جوار آخر وقد لبست الجميع حلل الافتخار ووقفن بين يدى الجوفران بذلك الزى والملبوس بعد ما سلمن وحدهن وأمرهن بالجلوس ثم ألتفت إلى الخذروف وقال له بعد أن قعدت الجوار من الوقوف أيتهن الملكة مريم من بين هؤلاء الجوار فقال له أؤمرهن أن يكشفن لى وجوههن لاتحقق الأخبار (قال الراوى) وأمرهن بذلك فكشفن عن وجوه مثل الأقمار فاطال الخذروف فى وجوهن الانتظار إلى أن أتى تسعة من الجوار وآخرها كشف عن وجهها الملكة مريم فكان وجهها شمس النهار (قال الراوى) فلما نظر إليها اضطرب بل ورأسه وقد زال عنه الخوف والفزع وكاد من شدة الفرح أن يغشى عليه ويقع وقال له يا ملك وحق البيت الحرام وبئر زمزم والمقام هذه هى الملكة مريم زوجة عمى عنتر البطل الهمام قال الراوى فعند ذلك أمر الملك لبعض البطارقة الوقوف أن يتقدموا ويحلوا وثاق الخذروف فعند ذلك قام الخذروف على قدميه وتقدم قدام الملك الجوفران ووقف بين يديه فنظرت إليه الملكة مريم بعيون أحد من السيف فانكب على يديها وهو بقلب ملهوف وصار يقبلها

وقد استقر منه فؤاده المرجوف قال الراوى فعند ذلك دمعت عين الملك الجوفران وأخذته حنانة الإخوة ولحقته الرعدة والرجفان وطار قلبه إلى إخوته عنيترة والغضنفر فقام فى عاجل الحال بنفسه وهو مثل الأسد القسور وقد أخذ السيف من يد السياف فعند ذلك أيقن الأسارى بالتلاف لأنهم لم يعرفوا ما وقع بين الملك وبين والدته من الاختلاف وما ذكرناه من تلك الأوصاف أنه تقدم إلى أخيه الغضنفر وحل كتافه من يديه وفك قيده من رجليه وكذلك فعل بعنيترة وأمرهما بالقيام فقاما على أقدامهما وكأنهما قاما من مقبرة وقد قبض على يد الملك الغضنفر بيده اليمنى وقبض على يد عنيترة بيده اليسرى وأجلسهما معه على السرير وقد نال بذلك الفرح والتبشير ثم أنه قدم بقية الأسارى بين يديه وقد أزال من عليهم الوثاق والقيود وهم لا يعلمون لذلك سبباً محدود وكل منهم قد أقر بذلك عينيه ولا يعرف من أين الفرج أتى إليه (قال الراوى) ثم أن الملك الجوفران قال لأمه يا أمى اشرحى حديثك لهؤلاء الفرسان كما حدثتيني فى الأول بهذا الشأن فأخبريهم كما أخبرتيني ليزدادوا بذلك يقيناً وبرهانا (قال الراوى) فعند ذلك شرعت الملكة مريم دريداً والجماعة المأسورين بلسان عربى فصيح وأخبرتهم بحديثهم من أوله إلى آخره وما كان من ذلك القول الصحيح والخذروف يصادقها على ذلك بالتصريح وفى آخر الحديث قالت إن هؤلاء الأميرة عنيترة وأخوها الغضنفر إخوة ولدى هذا من أبيهم عنتر (قال الراوى) وأعجب ما فى هذا الديوان أن الخرزة التى كنا ذكرناها فى كتابنا من قديم الزمان التى كانت أعطتها مريم لعنتر عند دخوله القصر من أجل الطعام المسموم لما جرى بينه وبين الخذروف ما جرى من ذلك الكلام المعلوم وكانوا ثلاثة فأعطت لعنتر واحدة والخذروف واحدة وادخرت الثالثة عندها لأمور تكون عائدة وكان عنتر لما تزوج بالقناصة وجرى له ما جرى أعطاها تلك الخرزة وأوصاها بحفظها وأعلمها بما يكون منافعها فلما وضعت بنتها عنيترة بنت عنتر وظهر منها ما ظهر خافت عليها من مكايدة العرب وعواقبها فوضعت تلك الخرزة فى عنقها وأوصتها عليها وأعلمتها بمنافعها قال الراوى وفى تلك الساعة نظرت الملكة مريم بعين الخبرة فرأت الخرزة فى رقبة عنيترة فصاحت صيحة عالية وقد بان لى فى هذا الوقت الأمر الصحيح فقال لها وما هو هذا التلويح فقالت أن الخرزة التى أعطيتك إياها وأمرتك أن تجعلها فى عنقك لتقيك من كل أمر محذور كنت أعطيت لأبيك عنتر خرزة مثلها وها هى فى عنق أختك عنيترة وقد بان الحق وظهر ثم أنها قالت لعنيترة يا ابنتى أرينى هذه الخرزة التى فى عنقك لعل أن يكون كمال إظهار الحق ببركتك قال الراوى فنزعتها عنيترة وناولتها للملكة مريم وسألت عن الخذروف على الخرزة التى ذكرها تقدم وما صنع بها من الأمر المحكم فحدثها بحديث رواجه بأمية الضمرية وكيف أعطاها لها ليلة دخوله عليها وما جرى لها من تلك الأمور المبقية وكيف لبست حلتها وما

جل بها من السبي وما أصابها من الرزية قال الراوي وما جرت هذه الامور في تلك الساعة حتى أيقن الجوفران وتحقق أنه ابن عنتر فوثب قائماً على قدميه وقبل وجوه إخوته عنيترة والغضنفر وبان الامر له ولكل من في ذلك المقام حضر ثم أنه عاتق دربدو بني عمه كذلك بني عبس السادات وفي دون ساعة دقت الكؤسات ونعرت البوقات وزادت الضجات وعظمت المسرات فسمع بنو عبس أصوات الامور وحس النقار بات وصهيل الخيل الصافنات فركبت الرجال والفرسان وركب عمرو ذو الكلب وأخته الهيفاء وجميع الشجعان وركب زيد بن عروة والديال بن مضبان وقالوا ما هذه الفرحة التي في جيوش أهل ملة الصلبان إلا أنهم قتلوا أصحابنا وسقوهم كاس الهوان قال الراوي ونظرت الافرنج إلى خيل العرب وقد ركب والرجال على القتال قد عولت فأخبروا الملك الجوفران بما قد جرى فأمر ابن عمه الخذروف أن يسير إلى بني عبس ويعلمهم بما جرى وأن الملك الجوفران قد بان أنه ابن عنتر وهو أخو عنيترة والغضنفر فما كانت إلا ساعة كلمح البصر حتى صار الخذروف بين يدي عمرو ذو الكلب وهو كأنه النار ذات الشرر فوجده طائر العقل وهو في غاية الخوف والحذر فناداه يا أمير ليزول همك ويطمئن قلبك فاشكر إله السماء على ما أوصلك من الفضل والنعمة فقال له عمرو اكشف لنا صحة الخبر وأزل عن قلبي هذا الفكر هل خلص من الاسر عنيترة والغضنفر فقال له نعم يا أمير الامرا وابشر لا ببشارة أخرى تسرك وتزيل عن قلبك الضرر وتبقى في الكتب تؤرخ وتذكر وقد صح الخبر بأن الملك الجوفران قد ظهر انه ابن عمي عنتر وهو اخو عنيترة والغضنفر فلما سمع عمرو ذو الكلب هذا الخبر قد لحقه التعجب والفكر فقال اخبرني عاجلا واوضح لي عند هذا القول المشتهر فقال له الخذروف هو صحيح ما قلته لك وحق البيت العتيق المطهر وحق زمزم والمقام والركن اليماني والحجر قد صح ان الملك الجوفران اخو اولاد عمي عنيترة والغضنفر وقد أبان هذا الامر واشتهر قال الراوي ثم أن الخذروف ابتدا وشرح لعمرو ذو الكلب بما جرى وكان وأوضح له عن طريق الهدى والبرهان فزادت سماع تلك القصة أفراحه وكثرت مسراته وزاد انشراحه واشتاق إلى رؤية أم الزعازع عنيترة وأخيها الغضنفر والجوفران ومن معهم من الفرسان فركب مع الملك زهير وزيد بن عروة وسبيع اليمن والديال بن المضبان وسادات بني عبس ومن معهم من بني قضاعة الشجعان وركبت الهيفاء قناصة الرجال قد اشتاق قلبها إلى رؤية ابنتها أم الزعازع قتالة الابطال وساروا إلى ملتقى بعضهم بالسرور والاقبال بعدما كانوا عازمين على الحرب والقتال ولم يزالوا سائرين والخذروف أمامهم حتى وصلوا إلى سرادق الملك الجوفران ونظر الغضنفر إلى الملك زهير وإلى عمرو ذو الكلب وسادات بني عبس وعدنان وقد أقبلوا وجوههم متباشرة بالقبول والرضوان فقال للجوفران يا أخي هذا

الملك زهير سيد بنى عبس وغطفان وهذا الذى بجانبه الأمير عمرو ذو الكلاب سيد بنى قضاعة إلى حد بلاد السودان فعند ذلك قام لهم الملك الجوفران وتلقاهم بالفرح والهناء والاطمئنان وخدم الملك زهير تلقاهم أحسن الملتقى وزال عن الطائفتان تعب الحرب والبؤس والشقا وكذلك عنترة والغضنفر التقوا بعمرو ذو الكلاب ومن معه من الفرسان وأخته قناصة الرجال وظهر الحق وبان الكتمان وزال الشك واتضح البرهان وجلس الملك زهير إلى جانب الملك الجوفران بعدما سلمت الفرسان على الفرسان ثم أنهم اجتمعوا فى السرداق وحققت لهم الحقائق وبلغوا من بعضهم البعض المراد وزالت من قلوب الطائفتين الأضغان والاحقاد (قال الراوى) هذا والملك عمرو بن الوهاب وأخته حليمة على أسوار دمشق وقد أخذهم الخوف وهم يظنون أن بنى عبس قد اصطلحوا مع الافرنج على تخليص الاسارى وضاقت صدورهم وبقوا متبكين وفى أمورهم حيارى وما خفى حالهم على الغضنفر فأرسل إليهم السور ونادى وأعلن بالفرح والسرور وصاح بأعلا صوته أنا الخذروف بن شيبوب وقد عاينتكم بما يسر القلوب ويزيل الكروب فعند ذلك فتحوا له الباب وفى عاجل الحال أحضروه إلى بين يدى الملك عمرو بن الحارث الوهاب وأخته حليمة قد أخذها من ذلك الأمر الذى حصل الخوف والارتباك وكذلك أخوها وعن عنده من الحجاب وقد أوقدت من قلوبهم نار الالتهاب فقال لهم الخذروف يا ملوكنا يهنيكم الفرح والسرور وإزالة المحذور ثم أنه ابتداء حدثهم بجميع أموره فهنا لك دقت الكاسات ونعرت البوقات وزادت الفرحات وعظمت المسرات وأمر الملك بفتح أبواب البلد وأظهر والزينة والسلاح والعدد وفرقوا الصدقات على الأيتام والأرامل وزالت عنهم المخاوف وفى عاجل الحال ركب الملك عمرو فى خواص قومه وحجارته وقرائبه وأصحابه وساروا إلى خدمة الملك الجوفران وأخيه الغضنفر وأختهم أم الوعازع الأميرة عنيترة بنت عنتر وقد لبسوا ألوان المنسوجات من الثياب والتقوا الملوك فى أطراف الخيام والاطناب وسلموا على بعضهم البعض بعدما حققت الحقائق واستقر بينهم الحال وانقطع القيل والقال قال الراوى كان السبب فى طلوع الجوفران وفى هذه الأحوال وأصل هذا القتال سبباً عجيباً وأمراً مطرباً غريباً لأنه هو وأخوته أصل هذه السيرة وأخبارها وفروعها وبسبب أبيهم كان وقوعها حتى تكمل لهم لذة الكمال وذلك أن عنتر لما كان أتى إلى عند الملك قيصر وفعل ما فعل من ذلك الأمر تحرر وكيف أهدى له الجارية مريم وبات معها ليالى عديدة كما تقدم وكانت قد حملت من عنتر وما أراد أن يظهر له منها فى بلاد الروم ولد ذكر وكان مشيئة الله وإرادته أقوى وأقدر وأذن الله تعالى أن يظهر له ولدان ذكور ويكون لها أمراً مشهوراً ويحدث من بعد الأمور أمور وأرسل شيبوب إلى خلفها حتى

أن يقتلها وكان الله تعالى قدأراد سلامتها وقد ضربها شيبوب بالخنجر ولم تعمل ضربته فيها بالخنجر فجرحها واخذها كوبرت ونزل بها فى المراكب وسافر بها إلى جزيرة الكافور ونواحيها واتفق أن عنتر سافر هو وهرقل ابن الملك قيصر إلى الكافور ونامه البلور وقتل الملك الليلمان وكذلك ابنه سرجواز وملكوا ابنته الملكة مريمان وجرى له فى تلك الديار ماقدشرحناه من الكلام وأعطا هذه الجارية مريم الزمام وسافر بها إلى جزيرة الواحات وملكها بعدما قتل الملك صافات وكانت غيبة عنتر عشر سنين معدودة وأشهراً معلومة مفهومة فوضعت مريم هذا الولد بعد مضيه إلى جزيرة الواحات وكان الملك كوبرت قد تخلف عن المسير معه ليستعد لهم بالعلوفات ويلحقهم بها إلى مدائن الواحات فولدت مريم هذا الولد وهو أسمر زائد السمار وكان يضرب لونه إلى احرار (قال الراوى) فلما نظر الملك كوبرت إلى صورته نفر قلبه من رؤيته وقال لها يامريم أنا أبيض أشقر وأنت كذلك بهذا اللون وأحمر فمن أين هذا الأسود وصل إليك بحق المسيح إن لم تخبرينى وإلا قتلتك فقالت له ياملك اعلم أن هذا الولد من عنتر بن شداد الذى أنعم على وعليك بهذه البلاد فقال لها كوبرت صدقت فى قولك وأنا أعلم أنهم عليه غصبوك ولكن هذا الولد إن خليناه عندنا نصير به معيرة بين الملوك فقالت له كيف يكون التدبير فقال لها نقتله وتستريح الوبنا من معيرته عند الكبير والصغير فقالت إن كان ولا بد فامهل على حتى أرضعه وبعد ذلك أفعل ماتريد فإن قلبى ليس راضياً أن ترميه ولا يضيعه فى البلد فلعل قلبى بعد الرضاع يساره وعنه يرجع يجفوه (قال الراوى) هذا يجرى وصاحب الأمر يدبر الأمر بحسن الإرادة وهو الذى يكفل الولد فى بطن أمه إلى حين الولادة فأخذت الطفل إلى حجرها وألقمته ثديها ورضع وفتح لها عينه فوقعت الحنية فى قلبها عليه وكثر عليه تأسفها وزاد لأجل قتله تلهفها وتناثرت دموعها على وجنتها وبكت بوجدها وحرقتها فنظر إليها الملك كوبرت وكان يحبها فتقدم إليها ولاعبها وزاد فى قربها وقال لها ما أبكاك ياملكة أوقاك الله تعالى كل بؤس وهلكة فقالت له إعلم أن بكائى على هذا الطفل الصغير وما عندى علم من التدبير وهو على كل حال ولدى وقطعة من كبدى وأنا ياملك مايهون على قتله من أجل أمرين أحدهما أنه كما تعلم ولدى وقلبى قد تعلق به والثانى أن عنتر بن شداد أمير بنى عبس وقردان رجع من جزيرة الواحات وعبر علينا فمايخفى عليه هذه الحالات وربما أخبره بذلك الجوار والخدام ليأخذ به عنده وجها وأنت أعرف الناس به من دون العباد فإن قتل ولدى منه كان يخرب هذه البلاد ويسبى النساء ويقتل الأولاد وإن كان ولا بد من قتله فاقتلنى أنا الأخرى قبله ولاترينى قتله (قال الراوى) ثم أنها بعد ذلك أكثرت من البكاء والأنين والاشتكاء وكان الملك كوبرت يحبها كما ذكرنا فى الأول فرحمها لما رأى دموعها تجرى غزار وخاف من عنتر ومعرفته

به أنه بطل كرار فأبقى على الطفل الآثار فأخذته مريم وسلمته إلى الدادات وأقامت له السرارى والجوارى المرضعات ولم يعلم بقصته أحد لا أبيض ولا أسود وكانوا لا يقولون إلا أنه الملك كوبرت ولم يزال عندها حتى مضى عنتر إلى ما كان فيه وقضى الأشغال وعاد من الحرب والقتال وكانت غيبته ثلاث سنين كوامل لأنه كان قد مضى وتركها حامل ولم يعلم بشيء من تلك الأمور ولم يدر ما هو فى الكتاب مسطور ولما رجع من سفرته كان الولد عندها وفى خبايانها مدخور (قال الراوى) ولم يزل هذا الولد يكبر وينشى ويد القدرة تكتنفه كلما قام ومشى وهو يربى حتى ركب الخيل والجنائب وبقى حوله المماليك والبطارقة والحبايب وكل من يخدمه ويتقرب له ويسير فى خدمته ولا راعب ولم يزل فى ذلك الحال حتى مات الملك كوبرت وشرب كأس الوبال وشاعت أخبار موته فى تلك الديار والجزائر والعربيات فمست عليهم أهل جزائر الواحات وتجهز ملكها فى عالم عظيم وسار يطلب جزيرة الكافور وقلعة البلور وما حوليها من الأقاليم ووصلت الأخبار إلى الملكة مريم فخافت من الحضار فأحضرت من أصحاب الملك كوبرت المقدمين الكبار وأعلمتهم بما كان من أهل جزيرة الواحات وما بلغها من المقال ثم أنها أخذت رأيهم فى أمر القتال فرأتهم كما تحب وترضى وهم لها طائعون ولقولها سمعون فأمرتهم أن يأخذوا أهبتهم إلى السفر وخرجت فى جيشها ودساكرها وهى على غاية من الحذر وأخرجت الاموال وأنفقت على الرجال واستخدمت الابطال وكان ولدها الجوفران معها صغير ولكن همته عظيمة ونفسه نفس ملك كبير (قال الراوى) ولم تزل الجيوش متبارة وهى مع بعضها بعض وهى طالبة فسيح الأرض وهى سائرة طولا وعرض إلى أن وقعت العين على العين وهمت بالحملة على بعضها جميع الطائفتين وأراد أن يلتقى الجيشان فمنعتهم من ذلك الرهبان والقسوس ودخلوا بينهم بالصلح وطيبوا منهم النفوس ويستقر الامر بينهما بأن الملكة مريم تحمل الاموال فى كل عام وأن يبطلوا الحرب والصدام ويكون حمل المال إلى الملك شمروط بن دامات الذى هو فى ذلك الزمان صاحب جزيرة الواحات فلما تم الامر واستقر عاد الملك شمروط طالب بلاده وقد كثرت عشائره وأجناده وقد ضيق على الملكة مريم البلاد وقد دانت له العباد (قال الراوى) وقد نشأ الجوفران نشأة الفرسان وتفرس على ظهور الصافنات فى الميدان وعلم على الشجعان وجندل الأفراد وارتفع ذكره فى بلاد الافرنج الخاص منهم والعام والقريب والدان وخافت منه جميع عبدة الصلبان وهابوه الملوك والسادات وحملوا إليه العقازات حتى لم يبق عليه إلا جزيرة الواحات (قال الراوى) ثم أن الملك الجوفران كان جالسا فى بعض الأوقات وإذا قد جرى بين يديه ذكر مدينة الملك صافات وأنه كان يحكم على مدينة الواحات ولما قتل دومات تولاها من بعده أبوه الملك كوبرت وقعد تحت حكمه سنين معدات ولما مات

تغلب عليهم الملك شمر وط بن دامات وملكوا منهم غصباً بعدما كان فيها ثابتاً فأخذها بغير استحقاق قال فلما سمع الملك الجوفران هذا الكلام صار الضياء في عينيه ظلام وأمر في الحال بتجهيز العشائر وإخراج الدساكر وصار يفرق عليهم أموال وآلة الحرب والقتال بعد ما جمع الفرسان والأبطال وسار طالباً جزيرة الواحات ومن حوله الحجاب والسادات وهو في عزمة قوية وهمة زائدة فوصلت الأخبار إلى شمر وط بأن الملك الجوفران واصل إليه وقام عليه فلم يعتن به ولا عنه سأل وأمر الآخر في عاجل الحال بتجهيز العشائر وإخراج الدساكر وكان ذلك في أقل من سبعة أيام وكان ذلك من كثرة ما عنده من الخيرات والأنعام وسار بين يديه الأبطال والأقران ليلتقي بهم الملك الجوفران قال الراوي ولم يزالوا سائرين حتى التقت العشائر بالعشائر والدساكر بالدساكر وقد ملأوا الأرض طولا وعرض وأوسعوا في تلك الأرض فعند ذلك قاتلوا قتالا شديداً ما عليه من مزيد وتقابلت الشجعان وأوسعوا في الميدان وسالت دماء الأقران وصارت الأرض وردة كالدهان مما سال عليها من أدمية الفرسان وتقابلوا حتى جرى الدم وساح وتكسرت العدد والسلاح وتطاعنوا بالقنطاريات وتضاربوا بالصفاح وامتدت الجثث في البطاح وسمحت الفرسان بالارواح بعد ما كانوا بها شحاح وعدموا أيام السماح وتقدم الشجاع وطاح وجال الفارس الجحجاح وتأخر الجبان وطلب الهرب والرواح وتمنى أن يكون له جناح ولم يزالوا في حرب أكيد وطعن شديد يفر منه البطل الصنديد إلى أن فرق بينهم الليل ورجعت الرجال والخيل وانفصلت الطائفتان وتحارس الفريقان إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فعند ذلك ركبوا الجواد القداح وعولوا على الحرب والكفاح وقد جردوا البيض الصفاح هذا والملك الجوفران قد سطا على أعداه وبلغ منهم مناه والتقى بذلك شمروط في وسط المعمعة وهو ينكس الأبطال ويطعن في صدور الرجال طعنا يقصر الأعمار الطوال فحمل عليه حملة بطل قدلاقى الأبطال وقاسى الأهوال ولاصقا وضايقه وسد عليه طرائقه وضيق عليه الرياح والبطاح وصاح في وجهه أعظم صياح وضربه بسيفه وإذا برأسه عن جثته قد طار وجرى دمه على الأرض وساح وحمل بعد ذلك على صاحب العلم الأخضر والصليب الجوهر وضربه بالسيف على صدره وخرج يلمع من خرزة ظهره فوقع على الارض وقد مال العلم فأخذ الجوفران قبل أن يقع على الصحصحان وبعد ذلك صار يطعن به في صدور الفرسان ويرمي رؤسهم من على الابدان وحملت من خلفه بطارقته والشجعان وعاونوه على الحرب والطعان وكان لهم ساعد تقشعر منها الابدان وتعد من ساعات الزمان مما قد سال فيها من أدمية الفرسان هذا والعشائر لما نظرت إلى قتل ملكهم شمروط وقد صار مرمياً في الميدان علموا أن ما ليس لهم على الجوفران ولا بحربه طاقة ولا بحربهم استطاقة

فولوا الادبار وركنوا إلى الفرار ومنهم من ترجل إلى الجوفران وطلب منه الأمان فأمر برفع السيف عنهم ولم يقتل واحداً منهم وقد ملكوا أموال الملك شمروط واثقاله ودخلت تحت طاعته جميع رجاله فعند ذلك فرق الملك الجوفران الخلع على الابطال وقسم عليهم تلك الأموال ووهبهم النوق والجمال وألف قلوب الرجال ورحل طالباً جزيرة الواحات وقد رفعت على رأسه الأعلام والرايات ودقت بين يديه النواقيس بأصوات مرتفعات ولم يزل كذلك حتى وصل إلى جزيرة الواحات ودخلها في يوم مشهور وقد زاد به الفرح ومسرور بما ناله من تلك الأمور وترجلت بين يديه عشائره وأرباب دولته ودخل القصر وجلس على كرسي مملكته وقد زادت فرحته وقعد بعد ذلك يزور في تلك الأماكن والقسور وأخذه الفرح والسرور وطابت له تلك البلاد وانت له العباد فعند ذلك أرسل خلف والدته الملكة مريم فلما وصلت بين يديه فرحت له بما وصل إليه وما ناله من تلك النعم وكان الملك الجوفران يتفرج في تلك الأيام في قصر الملك اسكندر وهو يدور في جوانبه وينظر ما في المكان من عجائبه ومعه وجوه قومه وأصحابه وأمراؤه وحجابه ونوابه وكان الجوفران إتخذ له من جزيرة الواحات وزيراً عاقلاً وكان رئيساً فاضلاً فانتهى الملك الجوفران وذلك الوزير معه وهو يتفرج ويتأمل في حيطانه ونواحيه وأركانه ولا يمر بمكان ولا بباب ولا بجدران إلا ويسأل الوزير عنه وهو يخبره بأموره وما كان منه ومازالوا ينتقلون حتى وصلوا إلى قبة الأقفال التي قدمنا ذكرها فيما سبق لما حضر أبو عنتر إلى ذلك المكان ولم يقدر على فتحها من دون الجماعة إلا عنتر كما اتفق لما وجد الفرس الذي هو ملك الجن بما كان فيه من القيود والأغلال وأعانه على أخذ ثار ولده الغضبان لما وقع له ماوقع من الجن من الحرب والقتال كما تقدم (قال الراوي) فلما وصل الجوفران إلى هذا المكان أمر بفتحه في عاجل الحال فازالوا ما عليه من الأقفال وفتحوه ودخل الملك الجوفران لينظر من بعد فتحته ما قد تجدد فنظر إلى صورة راكبة على ظهر فرس أسود فحار الجوفران من أمرها وسأل الوزير عن تلك الصورة وسبب وضعها فأخبره الوزير يخبرها ثم أنه دخل مخدعاً من جملة المخادع فوجد فيه صندوقاً كبيراً ففتحه فوجد فيه ثوباً حريراً في وسط ذلك الثوب لوح من ذهب وعليه نقوش وكتابة يكاد نورها يلتهب فقرأها الوزير فرأى فيها اسم يأتي هذه المدينة وأنها تفتح على يد فارس أشبه الخلق بهذه الصورة وهذا أحاديث عن الأقدمين منقولة ومخبوره (قال الراوي) ثم أن الوزير جعل يشرح للملك الجوفران ما كان من قديم الزمان وما جرى في هذا المكان امنة وحديث هرقل ابن الملك قيصر وأخبره عن أصل مسيره إلى تلك الجزائر وكيف كان حديث كوبرت وقتل عنتر لغمة الخاجان وأيضاً ماجرى مع سوبرت ونوبرت والملك الصليان وكيف قتل بعده ابنه سرجوان وكيف تزوج هرقل بعد ذلك ابنته الملكة مريم ان

لما دخل إلى هذا المكان وكيف شد مع الملك قيصر وفعل تلك الفعلات وقتل الملك صافات وملك جزيرة الواحات وكيف سار بعد ذلك إلى جزائر الأندلس وحدثه بكل ما جرى من تلك الحكايات الماضية قال فلما سمع الجوفران ذلك القول من الوزير قال له أيها الأب الكبير وهذا عنتر بن شداد أين يكون من البلاد حتى أنى أسير إليه وأقتله وآخذ منه بالثار وأكشف بقتله عن ملة النصرانية العار فقال الوزير أيها الملك هذا فى بر أغبر ومسلك وعر أغبر يقال له بر الحجاز وهو كثير الخطر صعب المفاز فقال له الجوفران والطريق من أين إلى تلك البلدان فقال له الوزير من بلد يقال لها دمشق الشام فقال الجوفران دمشق لمن تكون من الحكام فقال له الوزير هى من تحت حكم قيصر ملك الروم قال الراوى فعند ذلك حلف الجوفران وشدد فى الأقسام وقال وحق الإنجيل والصلبان ومارى حنا المعمدان لا عدت أشرب مداما ولا التذذت بمنام حتى أنى أخرب القسطنطينية وأقتل الملك قيصر وأملك الشام وأرحل بجيوشى بعدها إلى الحجاز وأقتل أهله بحد الحسام الصمصام وأقتل هذا الذى ذكرتم لى أن اسمه عنتر بن شداد وآخذ بثار عمى ومن قتل له من الأولاد وأهلك من لنا من الأعداء والحساد (قال الراوى) ثم أن الملك الجوفران لما فرغ هو والوزير من ذلك الكلام أمر جيشه بالرحيل ودق كاسات التحويل وأخذوا أهبتهم فامتثلوا مقاله ومامضى على ذلك الأمر إلا مقدار عشرين يوما حتى فرغ من جميع أشغاله وسار فى دساكره وأبطاله وسافرت والدته الملكة مريم فى صحبته وذلك خوفا عليه وشفقة منها إليه ولكن لم تعلمه بشيء من قصته حتى تعرف آخر فعلته قال ولم يزل الجوفران سائرا إلى أن وصل إلى شاطىء البحر وأطراف الجزائر ونزل فى المراكب بجميع ما حاز من تلك الدساكر وقد طاب لهم الريح بإذن العزيز القادر حتى وصلوا إلى ساحل طرابلس وطلعوا إلى تلك البرارى كما قدمنا ووصلوا إلى مدينة الشام كما ذكرنا وملكوا البلاد على حسب ما شرحنا وسارت الملكة حليمة إلى بنى عبس واستجارت بهم فأجاروها كما وصفنا وساروا فى صحبتها وجرى من الأمر والقصة ما قدمناه وعرف الجوفران أخته عنيترة والغضنفر وأنهم الثلاثة أولاد عنتر وعدنا [illegible] الحديث والخبر قال الراوى ولما اجتمع الملوك فى السرداق عند الملك الجوفران [illegible] الخلع الغالية الأثمان وأركبهم الخيل البحرية التى لم يوجد مثلها عند الملك كسرى أنوشروان وعرفه أخوه الغضنفر بموت أبيهم عنتر ثم أنه شرح له ما كانوا عليه عازمين وعلى أخذ ثاره قادمين فأتمت إليهم حليمة واستجارت بهم فأجاروها وحكت إلى الملك الجوفران كيف أتوا معها فى صحبتها بنو عبس لأجل أن ينصروها وأخبرته بالقصة التى جرت وأيضا سأل المقدمين عن أبيه عنتر فحكوا له ما وقع به من الأمر المنكر فعند ذلك حلف الجوفران وشدد بالأقسام وقال لآخذن عظام أبى وأتركها فى قطع قديم وأخيط عليها وأحلف أنه

ما أدفنه دون ما نأخذ بثاره من سائر العرب الذين قتلوه ونأخذ بثار بني عبس من القبائل التي اجتمعت عليهم لأنهم فقدوه قال فلما سمع الملك الغضنفر كلام الجوفران أخيه أمر بإحضار الثوب الذي عليه دماء عنتر أبيه وكان دم عنتر من يوم أن قتل لا يفارقهم لا في السفر ولا في الحضر فعند ذلك أحضروه في الحال بين يديه وهو في ثوب أديم مخيط عليه فبكى الجوفران وتباكت الرجال من حواليه وصارت الرجال تقربا إليه هذا وشيخ العرب دريد قد ناله أعظم منال وكذلك عمرو ذو الكلب فعل مثل ذلك الفعال فعند ذلك نهض الجوفران قائماً على رؤس الملوك والفرسان ونادى يا ملوك الزمان اشهدوا على أني وحق مكون الأكوان وخالق الإنس والجان لا بقيت أذوق الشراب ولا ألبس من الحرير أثواب حتى آخذ بثار أبي من جميع العربان وأول ما أبدأ بهؤلاء الذين يقال لهم بنو نبهان ثم أنه أشار إلى شيخ العرب دريد بن الصمة دون من كان حاضراً في ذلك المكان لما ظهر عليه من الكبر وعلو الشأن وقال له يا شيخ أكتب لي أسماء القبائل التي اجتمعت بعد قتل أبي على هلاك بني عبس حتى أسير إليها وآخذ منها بالثار ولو صلت إلى مطلع الشمس قال فعند ذلك ابتدأ الأمير دريد وجعل يذكر له القبائل ويخبره عنهم الفارس والراجل وأول ما كتب بني جشم وهوزان ولم يكن في ذلك الأمر متهاون لأنها كانت شاركت العرب فيما فعلت وكان دريد نهاها عن ذلك فما انتهت قال ولما فرغ الجوفران ودريد من كتابة القبائل ولم يفته منهم لا فارس ولا راجل فعند ذلك استدعى الجوفران بخازن السلاح فحضر إلى بين يديه فأمره أن يعرض خزائن السلاح وقال ائتني بالدروع السوابغ التي هي برسمي فأحضرت إليه وكانت مغموسة بالذهب الأحمر وقال لهم ائتوني بالدروع التي بخزانتي ففي عاجل الحال أحضرت فصار يأخذ منها درعا بعد درع ووجه لذلك الفعل عابس وصار يتركها في الخل فتصير سوداء مثل الليل الدامس وكذلك فعل بالخوذ وسائر الملبوس والزرد هذا كله يفعل والملوك شاخصة بأبصارها إليه ولم يقدر أحد ممن ينظر هذا الفعل أن يسأله عليه ثم أنه بعد ذلك دعا بالثياب الكتان المصبوغة بالأسود وفصل منها ثوباً وعمائم تكفي عرب البر والفدافد ثم أنه بدأ بنفسه وخلع ما كان عليه من الملبوس النفيس ولبس عوضاً عنه ثوباً خاماً أسود وعمامة سوداء وغير حالته حتى بقي في حال مهول وحلف برب مكة والحجر الأسود أنه ما بقي يخلع لباس السواد حتى يأخذ بثار أبيه عنتر بن شداد قال فأول من وافقه على ذلك الغضنفر وأخته أم الهوازع عنيترة بنت عنتر ولبسا من السواد وتظاهروا كلهم بلبس الزرد ومن فوقه أثواب السواد وكذلك فعل ياسر بن مسرة وابن مازن ليث الميدان وزيد بن عروة والديال بن الغضبان وكذلك فعل مثلهم عمرو ذو الكلب وابن مقرى الوحش سبيع اليمن وكذلك وافقهم الملك زهير ومن معه من بني عبس الشجعان وتقدم دريد بن الصمة ليوافق القوم على ما هم فيه من تلك الفعلة فأقسم عليه الجوفران أنه

لا يفعل لا هو ولا بنو عمه شيئاً من ذلك الفعل وقال له يا أبا النظر أهل الميت أولى بالبكاء ولا بهذا الفعل نريد منك جزاء ثم أن سائر الملوك وسائر الكبار والصغار لبسوا السواد وتظاهروا بالحداد ثم أن الملك الجوفران نصب له بيتاً من الشعر الأسود الحالك وبنو عبس وبنو قضاعة جعلوا مضاربهم كذلك وفعلت الافرنج جيوش الملك الجوفران مثل ذلك وبعدها أقاموا على دمشق عشرة أيام وبعد ذلك عزموا على ذلك الارتحال فبينماهم على ذلك الحال إذا بغبار رومية قد طلعت وأعلام قيصرية قد بدرت وكانت هذه الغبار غبار الملك هرقل بن الملك قيصر وكان السبب فى مجيئه إلى هذا المكان عمرو بن الحارث سيد بنى غسان وذلك أنه صح عنده الملك الجوفران بن عنتر فارس بنى عبس وعدنان اصطلحوا وطابت قلوبهم بذلك لشأنا ما نفذ على اجنحة الطير واعلم الملك قيصر فخار قيصر هو وأولاده من ذلك الخبر وأخذه الوسواس والمكر لأنه كان حمل على قلبه هماً عظيما بسبب الجوفران وظهوره من تلك الأقاليم فانفذ ولده هرقل بهدية حسنة للجوفران وأخيه الغضنفر لما سمع أنهما أولاد الأمير عنتر وانفذ إليهما وأمرهما بالمسير إلى القسطنطينية ليكمن عهداً بهما ويزيدهما من العطية قال فعند ذلك ركبت الملوك والأمراء والفرسان إلى ملتقى الملك هرقل من أبعد ملاقاة مكان وترجلوا له وعظموه ومشت بنو عبس بين يديه واحترموه وهم كأنهم الغربان السود فسألهم الملك هرقل عن حالهم وما هم فيه من ذلك الشأن فعند ذلك أخبره الملك عمرو بن الحارث بحالهم والإيمان التى حلفها الجوفران فتعجب من فعالهم وبعد ذلك نصب لهم الملك عمرو سرداقاً عظيما من الحرير المختلف الالوان وانزلهم بعد ذلك إلى الصبح فى الميدان ولما كان من الغد استأذن الملك هرقل فى الدخول إلى البلد وكذلك الجوفران وأخوه الغضنفر فأجابوه إلى ذلك ودخلوا دمشق وأدخلهم إلى القصر وهو لا تسعه الدنيا مما حصل له من الفرح بالقصر وبقى معهم الملك هرقل عشرة أيام وهم يرتعون فى حلل الافتخار والانعام وبعد ذلك أمرهم الملك هرقل بالمسير معه إلى مدينة القسطنطينية فأجابوه بالموافقة على تلك النية ورحل معه من الشام أولاد أبى الفوارس عنتر وهم الجوفران والغضنفر قال هذا والملك هرقل قد سير قدامه بشيراً يعلم أباه الملك قيصر فلما بلغ قيصر ذلك الخبر فرح واستبشر وأمر بتزيين البلد وقد نادى المنادى فى المدينة أنه لا يبقى أحد من النساء ولا من رجال إلا ويطلع إلى لقاء الملك هرقل وفرسان الحجاز الابطال وركب أيضاً الملك قيصر فى عساكره وحجابه وسائر خواصه ووزرائه وسار من البلد مسافة يوم كامل وهو بتلك المشاير والجحافل حتى لاح لهم غبار الملك هرقل ومن معه من الفرسان وانكشف عنهم الغبار وبانوا للعيان ونظر بنو عبس إلى رايات الملك قيصر والصلبان فأسرعوا إلى أن

تقربوا من الملك ودنوا من بعضهم الطائفتان فعند ذلك ترجل الملك قيصر وكذلك فعلت فرسان بني عبس مثل ما فعل وترجلت أمراء الفرسان والعربان وترجل الغضنفر وأخوه الجوفران وكذلك أم الوعازع وليث الميدان وياسر بن ميسرة والديان بن العضبان وكذلك شيخ العرب دريد بن الصمة وخفاف بن ندبه ودثار بن رزق ومن معهم من الشجعان وأقبل أكابر الجميع إلى بين يدي الملك قيصر ملك عبدة الصلبان وقبلوا رجله في الركاب وبدؤه بالسلام والخطاب إلا الملك الجوفران وأخاه الغضنفر فانهم لم يفعلوا ذلك الحال لأن أنفسهم أنفس الجبابرة من الملوك الموالغير أنهما بداه بأيديهما بالسلام فعند ذلك التقاهم أحسن ملتقى وتبسم في وجوههم وقد أخذه العجب من زيهم وملبوسهم وسال ولده هرقل عما هم فيه من ذلك السبب فأعلمه بما جرى منهم وما اتفقوا عليه فتعجب غاية العجب قال ولما فرغوا من السلام على بعضهم عادوا راجعين إلى القسطنطينية وقد انتشروا في فسيح تلك الأرض حتى أشرفوا على المدينة وأمرهم الملك بالدخول إلى البلد ليشرفوها وهم بتلك التجملات وتلك الزينة فابوا عن ذلك الشأن وقالوا يا ملك الزمان نحن علينا عهود وإيمان أننا لا ناوي إلى الجدران ولا نستظل بسقف ولا حيطان ولا نحضر شرب مدام ولا نفارق لبس الخام ولا نلتذ بمنام حتى أننا نأخذ من جميع العدى ثارنا بحد الحسام ونفني جميع أعدائنا اللئام فقبل الملك قيصر عذرهم بذلك الشأن وأنزلهم في مرج على باب القسطنطينية وأخرج لهم الزاد والعلوفات وأقاموا امدة والملك كل يوم بنفسه يخرج ويزورهم وينزل عندهم في ذلك المرج ويسألهم عن أمورهم ويذكر لهم الأمور التي تشرح بها الصدور إلى أن كان آخر يوم حضر الملك قيصر وباسطهم بالحديث وقد زادهم في علو الشأن فعند ذلك نهض الملك الجوفران قائماً على قدميه دون كل الناس وقال للملك قيصر يا ملك الزمان أن أردت أن تنفذ من نوابك من تختاره إلى جزيرة الكافور وقلعة البلور وجزائر الواحات وأعمالها من تلك المقامات فافعل فليس لي حاجة م تلك البلاد وما بقي لي رغبة في سلطنة ولا حكم على أحد العباد ولا بقيت أقدر على فراق أخوتي وبني عمي الذين ينفرج بهم همي وغمي قال ففرح الملك قيصر بذلك الكلام وأجابه إلى ذلك المرام وفي عاجل الحال أحضر لهم الأموال العظام والثياب الفاخرة التي يلبسونها حين يفرغون من ذلك الاهتمام ومدهم بالخيل المسومة والرايات والأعلام وانعم عليهم غاية الانعام ثم أن الملك قيصر قال للملك الجوفران أعلم أن جميع خزائنك وأموالك التي في البلاد فهي لك وإذا طلبتها أرسلها إليك وأنا وأولادي وسائر بلادي بين يديك ولا تبخل بشيء منها عليك قال فشكره على ذلك الجوفران وعنترة والغضنفر وسائر العربان ثم أنهم طلبوا الإذن في الرحيل فعند ذلك قال له الملك قيصر يافارس الزمان دع كل شيء على حاله إلى أن تأخذ ثار أبيك وتواريه إلى ترابه وارجع إلى أهلك وبلادك لأنك

قدملكتها بعد أبيك بقائم حسامك وما لنا إلا رضاك رحم الله أباك (قال الراوى) فشكره على ذلك الجوفران وقبل يده وأثنى عليه ثم أنهم طلبوا الإذن فى الرحيل فأذن لهم وأمرهم بسرعة التحويل فباتوا تلك الليلة إلى الصباح ثم اهتموا وعزموا على الرواح وساروا طالبين بلاد الشام وقد سار معهم هرقل بن الملك قيصر لأجل وداعهم ثلاثة أيام وبعد ذلك حلفوا عليه وردوه بالعنف والإرغام ولم يزالوا سائرين ليلا ونهاراً يقطعون تلك البرارى والقفار إلى أن وصلوا إلى دمشق الشام ونزلوا فى تلك البروج الفياحة واستقر بهم المقام وأخرجت لهم الملكة حليمة الإقامات والعلوفات وأنواع الطعام وأكرمتهم هى وأخوها غاية الإكرام وبعد ذلك أحضر الملك الجوفران ما تحت يده من العشائر وجهز أحوالهم بالسفر إلى ناحية بلادهم وأماكنهم وذلك المستقر ثم أن الملك الجوفران قال لوالدته الملكة مريم يا أماه هل تختارى معى السفر مع إخوتى عنيترة والغضنفر والا ترجعى إلى جزيرة الكافور وتقيمين على ملكك وما تحت يدك من الجيش حتى آخذ ثارو الدى من العدو وأقر بعد ذلك وأهدى فقالت له يا ولدى وحق المسيح ليس لى على فراقك مصطبر لأنك أنت السمع والبصر ثم أنهما بعد ذلك عزما على المسير وسرعة التشمير إلى ناحية بلاد الحجاز لينجزوا ما هم عازمون عليه من أخذ الثار غاية الانجاز فعند ذلك تقدم الغضنفر بين يدى أخيه الجوفران قبل أن يركب وقدم له مركوب أبيه كوكب والمهر غيهب وقدم له الدرع الداودى والدرع المذهب وقال له يا أخى هذا مركوب أبيك وهذا سيفه الضامى وسلاحه وأنت أحق به منى لأنك أنت ولده الكبير وأنا الأصغر لأن أختى عنيترة قدمت لى ذلك وأنت أحق به منى فقال له الجوفران وحق من خلق الشمس والقمر وأنبع الماء من الحجر انى ما أركب جوادا أنت علوته ولا ألبس ثيابا لبستها ولا سلاحاً قد تقلدت به فها أنت والله أخى ابن الأمير عنتر أبى ومشاركى فى حسبى ونسبى ثم ان الجوفران تقدم ومسك ركاب أخيه الغضنفر واقسم عليه برب الركن والحجر انه يركب كما امر وبعد ذلك ركب الجوفران الآخر وركب سائر العربان وبقية العشائر وساروا طالبين البر الأقفر وقد نشرت راية العقاب على راس الملك زهير وقد حفت به السعادة والخير وعاد عز ملك بنى عبس كما كان وصار اقوى واعظم صولة واثبت واعلى شأن وصاروا طالبين ارض الحجاز وذلك البر والمفاز لأجل اخذ الثار وكشف العار وعنيترة والغضنفر افرح الخلق بأخيهم الجوفران الذى ظهر أنه ابن ابيهم عنتر وساروا الثلاثة كل واحد منهم مقدم جيشه (قال الراوى) ولما تمادى بهم المسير افتكر عمرو ذو الكلب فى تقلبات الزمان وما يفعل بالإنسان وتذكر وأيضاً مصاحبته لعنتر وما كان فيه من ذلك الشأن وكذلك شيخ العرب دريد بن الصمة تذكر ما كان لعنتر عليه من الأيادى.

ع الاحسان فتجددت عليهم الأحزان ولكن زادت أفراحهم بأولاد عنتر هؤلاء الثلاثة وسلام فرحهم عما هم فيه من الأضغان فعند ذلك حلف الملك الجوفران على شيخ العرب دريد بن الصمة أنه لا يتعب نفسه معهم لأخذ الثار بل يسير من هنا إلى دياره والأوطان فعند ذلك أجابه دريد إلى ما أمر وترك عنده خفاف بن ندبة ودثار بن روق والعباس بن مرداس ومن معهم من الناس وساروا إلى دياره فلأن أولاد عنتر جدوا المسير ليلا ونهار يقطعون البرارى والقفار والسهول والأوعار وقد اتفق بينهم الحال أنهم إذا عزموا على الحرب والقتال يجعلوا غزوهم على ديار بنى نبهان حتى يأخذوا منهم بثارهم ويقلعوهم غاية القلعان (قال الراوى) فبينما هم سائرون وفى سيرهم يجدون وإذا قد ظهر من بين أيديهم غبار حتى أسودت منه الأقطار وتكدرت تلك البرارى والقفار من أعظم ذلك الغبار الذى أذهل النظار وحير الأفكار وأشغل الأسرار قال فتوقفت بنو عبس عن المسير فى ذلك البر والفدافد وقد اشتغلوا بذلك الغبار الذى أتى نحوهم وبعد ساعة انكشفت تلك الغبائر وتمزقت وإلى السماء تعلقت وبان من تحتها أسنة رماح اللمع وبيض تشعشع وسهيل خيولهم قد ارتفع فعند ذلك أشار الملك الغضنفر إلى عمه جرير وابن عمه الخذروف وقال لهما كشفا عن خبر هذا الغبار الطائر وذلك الجيش العابر وانظروا إلى أين هم قاصدون فى هذا القفار وهم واردون من أى ديار وعودوا إلينا بيقين الأخبار قال فلم تكن إلا ساعة من النهار حتى وصل إليهم الخذروف وعمه جرير وقد تحققا ذلك الجيش الكثير فوجدوهم كلهم سودان وكلهم من أولاد حام وهم دهم الألوان كأنهم الغربان فعند ذلك تبادر إليهما منهم جماعة كأنهم العقبان واحتاطوا بجرير والخذروف وأحضروهما بين يدى مقدم السودان والزنج والحبشان فناداهم حاجب الملك من تحت الرايات والأعلام وقال لهما إن الملك يقول لكما لا تخافا ولكما الامان والذمام إن صدقتما الكلام يا ولاد الأعمام وأخبرتموه عن هذا الجيش القادم من أرض الشام وإلى أين قصدهم والمرام ومن هو الحاكم عليهم فى النقض والإبرام فعند ذلك قال لهم جرير يا أولاد الخالة الكرام والله إننى أخبركم بالصدق فى الكلام وأعلمكم بأن هذا الجيش السائر من أكرم القبائل والعشائر وهم بنو عبس أصحاب العز والثناء والمفاخر والمقدم عليهم الفارس القسور والبطل الغضنفر ابن أبى الفوارس عنتر وأيضا قاتل الفرسان ومبيد الشجعان أخوه الملك الجوفران وأختهم أم الزعازع ولبوة الوقائع الضاربة بالحسام الذكر عنيترة بنت عنتر وكذلك يجندل الاقران والحائزون قصب الرهان الأمير ياسر وليث الميدان وأسد الفرسان والديال ابن الغضبان وأما سبب مجيئهم من أرض الشام وتلك البلدان فهو أنهم طالبون ثارهم من سائر العربان وقد جعلوا أول قصدهم إلى بنى نبهان (قال الراوى) فوالله ما أتى جرير على آخر ما أبدا من الكلام إلا وصرخة عظيمة قد بدت من تحت الأعلام

وفارس قد ترجل عن جواده من بين تلك الصفوف وسار على عجل حتى سار قدام جرير والخذروف ونادى وقال وحق الركن والحجر والبيت العتيق المطهر إن هذا جرير أخو عنتر فعند ذلك حار جرير من معرفته وتعجب من أمره وقصته قال ثم أن المتكلم قال له يا فتى أما أنت جرير بحق اللطيف الخبير قال نعم وحق الرب القدير (قال الراوى) وكان هؤلاء السودان جميعهم قد ترجل وكل منهم عن جواده قد نزل كرامة لهذا الفارس الذى نزل فى الأول ثم أنه ناداه يا جرير ما أظنك حققت معرفتى فقال جرير لا والله يا مولاى إنى قد أشكلت على قصتك فقال له أنا الملك صفوان بن معدان صاحب بلاد السودان وأنا خالك وخال أخيك عنتر بن شداد وسبب وصولنا إلى هذه البلاد أنه قد وصل خبر أخيك عنتر إلينا وأخبار اجتماع العرب عليكم فصعب ذلك الأمر علينا ووصل بعد ذلك إلينا خبر عنيزة أم الوعازع وما فعلت من الوقائع وما تجمع عليها من العشائر كم أبادت من العساكر وظهور أخيها الملك الغضنفر وكيف أنه ظهر أنه ابن عم عنتر فلما سمعنا ذلك فما فينا إلا من فرح واستبشر ولعلنا بوجود هؤلاء النصر والظفر وأيضاً قد وصلت إلينا الأخبار أنهم قد اجتمعوا وقصدوا أخذ الثأر وكشف العار فسر فى ذلك فأتيت إلى معونتهم فى هذا الجيش الجرار وقد جمعت عشائرى وأجنادى وملوك أرضى وبلادى وقد أتيت بهم لآخذ ثأر ابن أختى زبيبة وأعوعنى ما نزل بى من المصيبة قال فعند ذلك فرح جرير الفرح التام لما سمع من خاله ذلك الكلام وقال له والله يا خال إنى أعلمك بشىء يزيد فرحتك وعلو شأنك وتزداد به يقيناً وبرهاناً وذلك أنه قد ظهر لأخى عنتر ولد يسمى الجوفران وقد صار ملكاً من ملوك الرومان وقد ترك ملكه وما هو فيه من تلك الأيسار وأتى معنا يساعدنا على أخذ الثأر وكشف العار قال فلما سمع الملك صفوان من جرير والخذروف تلك الأخبار أخذه الفرح والاستبشار وعاد جرير والخذروف على الآثار وهما كأنهما شعل النار حتى وصلا إلى بين يدى الملك الغضنفر وأخيه الملك الجوفران وأخبروهما بخبر أخو العم السواد ان وقالوا لهما لقد عظمت أخوالكم وزادت أفراحكم وقد تمت آمالكم بقدوم صفوان ملك السودان خالكم فها هو قد أتى إليكم يساعدكم على أخذ ثأركم فقال: الجوفران أوضح لنا يا عمك من البرهان وبين لنا صحة هذا الكلام وأخبرنا جئت فيه والسلام فقال جرير إعلم يا ابن أخى أن هذا الجيش القادم هم أخوال أبيك عنتر والمقدم عليهم أخو ستك زبيبة أخت الملك الأكبر وهذا الملك صفوان بن الملك معدان وقد أتى فى عشائر السودان ليعينكم على أخذ ثأركم من العربان ثم أنه أخبرهم بالخبر وأطلعهم على ما خفى وما ظهر فما منهم إلا من فرح واستبشر وزاد ببنى عبس الفرح والسرور وتطايرت الفرسان إلى بعضها مثل الطيور وتوصلت عشائر السودان وترجلت الملوك للملك صفوان بن معدان وترجلت أيضاً فرسان بنى عبس وعدنان واعتنقت بعضها بعضاً الطائفتان وانتشروا فى فسيح تلك

الأرض والمكان (قال الراوى) هذا والملك زهير قد أقبل مثل الأسد الوثاب وعلى رأسه راية أبيه وجده العقاب وطلب أن يترجل فلم تمكنه عنيترة من النزول إلى صفوان ليكون ذلك أعلى له قدراً وأرفع شأن وكذلك الملك الجوفران لم يترجل لأنه جبار من جبابرة الزمان ونفسه نفس مرتفع القدر وكذلك أخوه الملك الغضنفر بل أقبلوا على بعضهم جميعاً وهم ركاب وسلموا على بعضهم سلام الأحباب للاحباب وضربت السرادقات والأطناب ونزلوا فيها وقد تذاكروا من قتل لهم من الأصحاب وعظم البكاء والانتحاب (قال الراوى) ولما قر بهم المقام أخذوا فى الراحة ثلاثة أيام ثم أجمعوا أمرهم ورأيهم على المسير لأخذ الثار فقال الملك ما الرأى إلا أننا نسير إلى الديار حتى نولفيها ويقر بنا القرار وتستأنس الديار بالسكان وتجتمع فيها الخلان وينظرها ابن عمنا الجوفران وكذلك خالنا الملك صفوان بن معدان ويجتمع علينا أيضاً من يحبنا من العربان فقال له سائر الملوك إن هذا هو الرأى والصواب والأمر الذى لا يعاب ووافقوه كلهم هذه المآرب رحلوا فى اليوم الرابع يقطعون البر والسباسب (قال الراوى) ولم يزالوا يقطعون الأودية والقفار ويجدون فى المسير ليلا ونهار حتى إنهم وصلوا إلى الديار ونزلوا فيها واستقر بهم القرار ونصب بنو عبس وعدنان البيوت الشعر التى اصطنعها لهم الجوفران وأنست تلك الديار بالسكان والأوطان بالقطان وصارت الديار أعمر مما كانت وأكثر رجالا وفرسان لان قبيلة بنى عبس كانت عدتهم فى سالف الازمان أربعة آلاف عنان وكلما افتقد منهم واحد ينشئ عوضه من الشبان فلما انتهى بهم الامر إلى هذا الاوان اجتمعت فرسان بنى عبس الذين كانوا افترقوا فى الجبال والوديان لما كانت اجتمعت عليهم قبائل العربان وفعلوا فى حقهم ما فعلوا من ذلك التشتت والهوان وقتل فى الملك المرة حصن بن حذيفة وابن أبى حارثة سنان لما كان أشار الملك قيس على بنى عبس بعرقبة الجمال وذبح الفصلان وخرجت بنو عبس وهجت فى الصحارى والوديان ولم يزالوا إلى أن أتى عليهم هذا الاوان وجلست إليهم تلك الملوك والفرسان وقد اجتمعوا من كل جانب ومكان وأقاموا تحت ظل الامير عنيترة والغضنفر والجوفران فكانت عدتهم ثلاثة آلاف عنان وبنو قضاعة أربعة آلاف من الشجعان والملك صفوان بن معدان فى خمسة آلاف من السودان واجتمع عليهم من أصدقائهم وحلفائهم أربعة آلاف عنان فصارت عدتهم ستة عشر الف حتى ضاقت بهم تلك الصحارى والوديان ونصبوا للملك الغضنفر وأخيه الجوفران على العلم السعدى راياتهم وصار لهم عز وشأن وقول وإمكان وأقامت بنو عبس تصنع الولائم ويرتفع فيها القائم والقاعد وقد اخلف عليهم الزمان عوضاً من عنتر بن شداد وصارت احسن ما كانت ابيات بنى قراد وانضاف إلى عنيترة الخذروف وجرير وزخمة الجواد وزيد بن عروة وسبيع اليمن بن حقرى الوحش وياسر وليث الميدان والديالمينى الغضبان وكان قد نشأ المنصوب ولد فى بنى

قضاعة يقال له أسد الفرسان وكان بطلا مداعسا انضاف إلى عنيترة مع جملة الفرسان لأنه كان يعد بجماعة من الأقران وكان كل واحد من هؤلاء الفرسان بخيام ومضارب وخيل وجنائب وأموال ونعم وأصحاب وأحباب وكان بنو زهير قد انقرضوا ولم يبق منهم إلا زهير ابن قيس وكانت عنيترة توقره هي وأخوتها ولا يردون عليه كلمة واحدة ولا يعدوه إلا من الملوك الكبار مثل ما فعل مع أبيه قيس إذ كان يوقره غاية الوقار وأما بنو زياد فإنهم انقطعوا عن آخرهم ولم يبق منهم إلا ديار ولا نافخ نار ولم يبق منهم إلا الشمر بن زياد الذى قتل الحسين بن على بن أبى طالب فى أرض كربلاء ومات بدعوة كانت قد سبقت عليه من رسول الله ﷺ وكانت بالمعطش فصار يشرب كل يوم عشر راديات ولا يروى حتى انقطعت أمعاؤه وانقطعت بطنه ومات وشرب كاس الممات (قال الراوى) وبقيت هذه الثلاثة حماة لبنى عبس وبنى قضاعة ومن معهم من العرب الأنجاد كما كان أبوهم على بنى عبس عنتر بن شداد وقد دار بينهم الكلام والأمير الجوفران يسمع ما جرى على أبيه وعلى قيس وإخوته فى بنى نبهان والإعادة ليس لها إفادة وكان الذى يقص هذه الأخبار الأمير ورقة بن الملك زهير (قال الراوى) فلما سمع زهير قيس كلام عمه ورقه بكى بكاء شديداً فقالت عنيترة مالك أيها الملك لا أبكى الله عيناك ولا شمت عداك ولا الحساد وكيف تبكى ونحن حولك مثل الآساد وكلنا لك من جملة الغلمان وكل فارس منا مقاوم بجماعة من الفرسان فدع عنك البكاء والانين والاشتكاء ومر بنا إلى بنى نبهان حتى نأخذ بثار أبيك وأبى سيد الفرسان وأخلى ديارهم مثل أمس كان ثم أن عنيترة التفتت إلى خالها عمرو ذو الكلب وقالت له يا خال خذ أهبتك إلى الطعن والضرب فعند ذلك قال الجوفران لعمه جرير أريدك أن ترينى قبر أبى عنتر حتى أنظره وأشاهد مضجعه ومقبره فقال له جرير اتبعنى وأنا أريك ذلك ثم أنه صار قدامه والجوفران وأخوته من ورائه إلى أن وصلوا إلى قبر أبى الفوارس عنتر فعند ذلك نزل الجوفران عن ظهر جواده وقد أكثر من بكائه وتعداده وقال واحزناه عليك يا والدى ليتك كنت بالحياة وتنظر إلى أخذ ثارك وتنصر ما يجرى للعرب ولكن وذمة العرب وشهر رجب والذى إذا طلب قلب لا آخذ ثار إلا وأنت تشاهد وتبصر حتى تنظر من ينصر منا ومن يخسر ثم أنهم ركبوا وعادوا إلى خيامهم فعند ذلك أقبلت عنيترة على أخيها الجوفران وقالت له ما الذى عولته لأنك أقسمت أن لا تأخذ لأبيك بالثار إلا وهو فى جملة النظار فبين هذا الكلام وكيف أقسمت بتلك الأقسام فقال سوف ترون ما أفعل ثم صبر لثانى يوم وركب وسار وإخوته معه إلى أن وصل إلى قبر وأخرج منه جثة من فعاله فعند ذلك أمر عمه جرير أن يحفر قبر أبيه لحفره وإذا بها عظام بالية قام ينطع من الأديم وإن يدرج فيه عظام أبيه عنتر فسأله إخوته من الخبر فقال لهم أنا أريد أن أجعل أبى قدامنا على جمل وكلما قتل أحد من الأعداء أعرضهم عليه وهو

يشاهد ذلك بعينيه فقالت عنيترة يا أخي هذه عظام بالية لا أدري ما الخبر فقال وحق ذمة العرب إن لم تطاوعوني على ذلك قتلتكم وقتلت روحي بعدكم فعند ذلك سكتوا ثم جاوبوه قال الراوي ثم أن عنيترة صرخت في بني قضاعة وقالت للخيل يا أرباب الخيل وأيضاً الجوفران صرخ بالعبيد فقدموا الجواد الندبة فركب وركبت لركوبه جميع الفرسان وساروا طالبين ديار بني نبهان فقال والله لا بد أن أشمت شماهم فى جنبات الملا ثم سار بنو عبس وبنو قضاعة من ورائه وجدوا فى المسير من تلك الساعة ولم يزالوا سائرين الليل والنهار وهم يقطعون البرارى والقفار إلى أن وصلوا إلى أرض بنى نبهان وأخذوا اهبة الضرب والطعان وباتوا تلك الليل على رمل عالج ونيرانهم فى الرهايج إلى أن أصبح الله بالصباح فعند ذلك لبسوا آلة الحرب والكفار ولما تضاحى النهار وقاربوا المراعى والديار أخذت عنيترة معها ألف فارس وأغارت على أموال بنى نبهان وساقت كل ما هناك من الخيل والجمال وجميع ما نظرته أمامها ولم يبق إلا الحجارة الحصنى وكانت فى بنى نبهان خيول لا توجد عند سائر العربان وألقت عنيترة الضرب فى أقفية العبيد وقتلت كل بطل صنديد فعندها وقع الصباح فى بنى نبهان وقد ركب سائر الفرسان وفى أوائلهم المهلهل أبو زبد الخيل ومعه كل فارس قيل وكان أبو زيد الخيل ضعف ضعفا شديدا وهو فى خال عنيد وكان بنو نبهان فى سبعة آلاف فارس وقتلت كل بطل مداعس وضربت عنيترة فيهم يمينا وشمالا وقد أفنت الأبطال والرجال وحمته تلك الألف فارس كما تحمى اللبوة الأشبال وما زالت كذلك إلى أن أدركتها فرسان بنى عبس وبنى قضاعة وكانت لهم ساعة يا لها ساعة كشف الموت فيها قناعة بعد ذلك علا الغبار وحمل البتار وقل الانتصار هذا وعنيترة تضرب فيهم ذات اليمين وذات الشمال وحار الأبطال من قتالها ونزالها وقاتلت الفرسان وصبرت الاقران وقل الكلام وثقل اللسان ورأيت فرسان بنى نبهان من فرسان بنى عبس وقضاعة قتالا ما نظر وامثله من فرسان ذلك الزمان وقد ملؤا من قتلاهم الميدان وحار من خمرة القتال مركان سكران وقضى عليهم بالفناء من لا يشغله شان عن شان الذى إذا قال للشيء كن فيكون وتقهقرت بنو نبهان وقد لزمهم بنو عبس إلى ديارهم والاطلان وفعلوا فيهم كما تفعل النسور بالعقوب وقد إذاقوهم كاس الهوان ولم يزالوا إلى أن أظلم الظلام ومنعهم عن ضرب الحسام وقد افترق الجمعان وتحارس الفريقان وجمع المهلهل سادات قومه وأكابر عشيرته وقال لهم اعلموا أن هؤلاء بنى عبس كان أسمهم بين العربان فرسان المنايا والموت الزؤام وقد مات حاميهم عنتر وذاقوا بعد موته البلاء المنكر وهجوا فى البلاد وشمتت فيهم الحساد والآن قد انتشت فيهم هذه المقطوعة النخاع عنيترة التى قهرت كل بطل شجاع وقتلت كل قرم مناع وأسرت ذو الخمار وعمته زرقاء اليمامة وقتلت سبيع الفلا وردت بنى عبس إلى أرض الشربا وما كان تعرضنا لهم صواب وكانوا

اعنتر أربعة آلاف وهم الآن فى سبعة آلاف وفيهم عنيترة وعمر ذو الكلب وقناصة الرجال وزيد ابن عروة وزهير بن قيس والخذروف بن شيبوب وجرير الذى ما له فى الأرض نظير وما لنا أوفق من البراز لعلنا نلتقط فرسان الحجاز فلما سمع كبار العشيرة ما قاله المهلهل سيدى القبيلة بقى كل واحد منهم فى حيرة فقالوا له أيها الملك من فى عشائرنا يقاتل عنيترة أو خالها عمرو وزيد بن عروة وعنيبة بن حصن وزهير بن قيس وهؤلاء فرسان البيداء وشجعان الفلاء ولولا أن يكونوا كذلك ما رجعوا إلى أرض الشربة والعلم السعدى وخافتهم جميع العرب ولا قدر أحد منهم أن يعيد ولا يبدى فعند ذلك نهض من بين القوم شاب مليح الثياب اسمه جابر بن وزر الذى قتل عنتر وقال للمهلهل يا سيدى بنى نبهان وحق ذمة العرب إلى غد أبرز إلى بنى عبس واقتل حاميتهم عنيترة كما فعل أبى بأبيها وأسكنه المقبرة واقتل ابن عمها الخذروف وعمها جرير ولا بد من قتل أخيها الغضنفر وافعل به فعلا منكر ولا أخلى من ذرية عنتر لا كبير ولا صغير فلما سمع ذلك الكلام المهلهل فرح واستبشر وقال من تشبه بأبيه فما ظلم ثم أن القوم تفرقوا للمنام إلى أن أصبح الصباح وركبت الفرسان واصطفوا فى الميدان فأول من برز وطلب القتال وتقدم للحرب والنزال هو جابر بن وزر ونادى برفيع صوته من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فما بى خفا أنا جابر بن وزر بن الأسد الرهيص فلا يبرز لى إلا عنيترة بنت عنتر حتى أذيقها الموت الأحمر فما استتم كلامه حتى برزت عنيترة وسارت قدامه وقالت ويلك يا كلبا أجرب وأخس من مد فى البيداء طنب أنت ممن يطلب فرسان العرب ثم أن عنيترة حملت على جابر وكان من الفرسان المذكور والأبطال المشهورة (قال الراوى) فما وقف جابر بين يدى عنيترة غير ساعة حتى صدمته الأسد وضربته بحسامها المهند فوقعت الضربة على عاتقه طلع السيف يلمع من علائقه وسقط عن جواده إلى وجه الأرض وسار يختبط طولا وعرض إلى أن فارقت روحه جسده وعنيترة واقفة عنده ولما مات طلبت عنيترة البراز وسألت الإنجاز فلم يبرز إليها أحد لا أبيض ولا أسود فعند ذلك أشارت إلى بنى عبس وبنى قضاعة بالحملة فحملت على بنى نبهان وعمل بينهم السيف والسنان والتقت الأقران بالأقران والفرسان بالفرسان وما كنت إلا ساعة من الزمان حتى انهزمت بنو نبهان وطلبت البرارى والغيطان وعمل فيهم الطعن بالسنان وما زالوا بنو نبهان هاربين وبنو عبس لهم طالبين إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وردت بنو عبس وبنو قضاعة فى خيام بنى نبهان وقد ملكوا المال والنوال والنوق والجمال والنساء والعيال وكان قد قتل من بنى نبهان أربعة آلاف من الشجعان وكلهم أبطال وفتيان وجرح المهلهل جرحا وثيق وقد عدم السعادة والتوفيق ولما أصبح الصباح نهبت بنو عبس وبنو قضاعة جميع ما كان فى ديار بنى نبهان فى أقل من ساعة وما بقى غير بيت مقطوع ووتد مكسور وبقيت منازل بنى نبهان

خراب ومنازل البوم والعقاب قال الراوى ثم رحلت بنو عبس طالبين ديارهم وقد اشفوا غليلهم من أعدائهم وبردت عليهم نارهم وفضالة بن قيس راكب على جواد من خيل بنى نبهان ما يوجد مثله فى هذا الزمان وإلى جانبه عنيترة بنت عنتر وإلى جانبه الآخر عمرو وذو الكلب وزيد بن عروة وعتيبة بن حصن والخذروف بن شبيوب وجريرهم راكبون على الخيول العربية وهم سائرون ومعهم من الأموال والغنائم ما سد الفضاء فرحين بما أعطاهم الرب القديم من النصر والظفر وما منهم إلا فرح واستبشر وقد هابت العرب فى عهد بنى عبس وبنى قضاعة وخافت من عنيترة جميع العربان واذعنوا لها بالطاعة فعند ذلك دارت بينهم المشورة فى الكلام إلى أى عرب يقصدون أولا حتى يأخذوا منهم بالثار ويفنوهم بالصارم البتار ويفعلوا بهم كما فعلوا ببنى نبهان فاتفق رأيهم أن يجعلوا اقصدهم إلى بنى جبهان ثم أنهم لم يزالوا سائرين وفى سيرهم مجدين حتى أنهم وصلوا إليهم وأغاروا عليهم وساقوا أموالهم من المراعى ولم يتركوا من رجالهم ساعيا ولا راعى فنفرت إليهم بنو جبهان وقد حققوا ذلك عيان وعرفوا أنهم من بنى عبس وعدنان فتقدمت بنو جبهان وفى مقدمتهم زيادة بن عامر الجبهانى الذى ماله فى زمانه ثانى فلما علموا أنهم من بنى عبس والمقدمين عليهم أولاد عنتر تقدمهم أم الزعازع عنيترة بنت عنتر وإخوتها الجوفران والغضنفر لأنهم قد شاع ذكرهم فى القبائل واشتهر فتلقاهم بنو جبهان بحد السيف ورأس السنان والغضنفر قد أخرج يده من جلباب درعه وهو يزعق يا عبس يا عدنان الثار الثار هذا يوم كشف العار والطعن بالأسمر الخطار قال الراويه ولما وقعت العين على العين وتقابل رجال الطائفتين انطبقت بنو عبس على بنى نبهان من غير كلام ولا أرزان فالتقاهم القوم بقلوب صلاب وأخذوا فى الطعان والضراب وصار الغضنفر يبرى الرجال هبرا ويجزرهم جزرا ويرميهم إلى الأرض خمسا خمسا وعشرا عشرا حتى فاضت الأرض بالدماء وامتلأت القتلى وكلما قتل قتيل ينادى يا لثارات بنى عبس فإنهم أفديهم بالروح وبالنفس والدماء تسيل من حسامه والأبطال ينهزمون من قدامه وكذلك فعل أخوه الجوفران وقد سطا على الفرسان وأهلك الأقران وأما أختهم عنيترة فكان لها هدير وزمجرة وكان ساعة عمر ما فيها من الشجعان يصبره هذا وفرسان بنى عبس أحلوا ببنى جبهان التعس والنكس وزيول الأمر كذلك حتى مضى النهار بابتسامه الضاحك وأقبل الليل بظلامه الحالك فعند ذلك افترق الطائفتان وأبعدوا عن بعضهم الطعان وكان قد قتل من بنى جبهان ألف ومائة فارس من الفرسان وهزموهم بنو عبس إلى الخيام ولولا قدوم الظلام ما بقى منهم شيخ ولا غلام فعند ذلك تحارس الجمعان وأوقدوا النيران ولم يزالوا إلى أن أصبح الله بالصباح وركبت بنو جبهان وقد افترشت فى الصحصحان من خوفهم من الهلاك والقلعان وركبت بنو عبس وبنو قضاعة ومن يقدمهم من الأبطال وقد استعدوا للحرب والقتال

وإذا بزائد من بنى جبهان قد برز إلى وسط الميدان واشتهر بين الفريقان وطلب البراز وسال لا مجاز وماتم كلامه إلا والغضور قد صار قدامه وحمل عليه حملة منكرة وصدمه صدمة مذعرة فتلقاه زائد فارس من بنى جبهان واقتتلا الاثنين فى الميدان وثار الغبار إلى العنان وأخذا فى أسباب الضرب والطعان ولم يزالا كذلك ساعة من النهار ثم أن الغضنفر طعنه بالأسمر البتار فخرج من ظهره سبعة أشبار فوقع عن ظهر جواده وقد عدم صلاحه ورشاده وانمحت منه الآثار وبعد قتل مقدمهم لم يكن لهم اصطبار ثبات ولا قرار بل حملت عليهم بنو عبس وحمل الجوفران كأنه الأسد الهدار وكذلك أخته عنيترة قد اقتحمت الغبار وأما ياسر فإنه مزق الدروع والمغافر وضرب فى القوم ضربا وافر وابن مقرى الوحش سبيع اليمن قد أنزل بهم المحن ونثر الرأس عن البدن وأما ليث الميدان فإنه خبل الفرسان وأباد الشجعان وسقاهم كاس الموت ألوان وأما عمر وذو الكلب فإنه قد تجود للضرب والطعن وأدمى الصارم العضب وأما دثار بن روق فإنه ساق الفرسان بين يديه سوقا وأى سوق وأما خفاف بن ندبه فإنه أحل بالفرسان كل بلية ونكبة وأما الملك زهير فإنه قد حمل عليهم سيف النقمة وأما ملوك السودان فإنهم أحلوا بهم الذل والهوان فهنالك طارت النفوس وزعقت النفوس وتكاثرت الأبطال والليوث من كل بطل عبوس وليث شروس وكان وقتهم وقتا منحوس وتقاتلوا بالروح والدبوس ولم يكن غير ساعة حتى قتلوا من الأعداء الفا [illegible] أربعمائة قتيل والذين نجوا من الحرب والقتال تفرقوا من بين أيديهم فى بطون الأودية والجبال وبعد ذلك تقررحالهم واتفقوا فى المقال على غزو بنى هلال فساروا إليهم وهجموا عليهم وأوصلوا الأذية إليهم وحمل الغضنفر فى أوائل القوم وينادى القوم ولا كل يوم فى مثل هذا اليوم يزول العتب واللوم والملك الجوفران صاح وبذل فيهم الطعن بالرماح وحمل زخمة الجواد وحملت معه فرسان بنى قراد فلله درهم كأنهم كفوا ومعاصم والقوا منا اكفف بجماجم وكم أثاروا من غبار وقتلوا كل فارس كرار وكشف الغضنفر فى ذلك اليوم العار وأخذ الجوفران لأبيه عنتر بالثار وفعلت عنيترة فعل الجبابرة الكبار وقتلوا من بنى نمير الفين وستمائة فارس كرار فلم يكن لهم على قتالهم اصطبار فولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار وأخلوا منازلهم والديار وسار بنو عبس من ديار بنى نمير هذا ما أحاطوا بهم البلاء والتدمير ولم يزالوا سائرين فى ذلك السير الطويل حتى وصلوا إلى بنى هزيل فحمل عليهم الغضنفر الأسد الرئبال ونادى على بنى عبس دونكم وهؤلاء الأنذال ابذلوا فيهم السيوف الصقال فلما سمعوا من بنى عبس ذلك المقال أجابتهم الشجعان والأبطال وحمل عند ذلك الملك الجوفران وكذا أخته عنيترة قاتلة الفرسان وحمل ياسر بن عنيترة وليث الميدان وسبيع اليمن والدبال بن الغضبان وحمل زخمة الجواد وحمل العباس بن مرداس وخفاف بن ندبة ودثار

ابن رزق وقد ساقوا الأعداء سوق وأي سوق وأما دريد بن الصمة فانه في هذه الوقعة ما كان حاضرا بل الغضنفر كان قد حلف عليه وصرفه وطيب خاطره وقال يا أبا النظر عد من هناك إلى ديارك وأوطانك لأنك قد لقيت من أمرنا ما كفاك فسار إلى دياره وترك عندهم خفاف بن ندبة ودثار بن رزق والعباس بن مرادس وهولاء الثلاث كما ذكرنا كانوا من أقوى الناس فهنالك اختلط الجمعان وعمل السيف والسنان وحمل الملك الجوفران حملة الأسد الغضبان وضيق على الأعداء الميدان وأبلوا الأعداء بالذل والهوان فعند ذلك اشتد الحذر وصاح كل ليث قسور وعمل الحسام الأبتر والرمح الأسمر وطارت الرؤس مثل الاكر هذا وقد تصاممت الخيل وجرى الدم مثل السيل ولم يزل بنو عبس يقتلون في بني هذيل حتى قتلوا منهم ثلاثة آلاف قتيل ولما رأوا أن ليس لهم ببني عبس طاقة ولا على حربهم استطاقة ولو من بين أيديهم الادبار وركنوا إلى الفرار فعند ذلك رجع بنو عبس عنهم وساروا طالبين ديار بني زبيد فار تبكوا في أمرهم وتجمعوا من كل قفر وبيد واجتمعت عليهم بنو طي وبنو مراد وقد ركبوا في أوائلهم عمرو بن معديكرب البطل الجواد وهو في أوائل الفرسان وعزموا على ملاقاة بني عبس وعدنان لأنها كانت فرقة من بني زبيد مقدن ثمانمائة فارس قصدوا إلى بني عبس وقد تشاركوا في دمائهم فلما أقبلت التقتهم بنو عبس في ذلك اليوم بذلك الجمع من العرب والسودان وفي مقدمتهم أم الوعازع عنيترة قتالة الشجعان وأخوتها الغضنفر والملك الجوفران فعند ذلك احتاج عمرو أن يدافع عن نفسه وبني عمه فعند ذلك برز إلى الصفين واشتهر بين الفريقين وقد طلب البراز وسائل الانجاز فبرز اليه الجوفران وقد انقض عليه بقلب من الحنق ملآن وتلاحما وتكافحا وتجاربا وتباعدا وتطاعنا وتضاربا وأخذا في الكر والفر والصد والرد والهزل والجد والمطاولة والمجاولة وأوسعا في الميدان وساقوا الجوادين حتى عابوا عن الأعيان واختلف بينهم طعنتان واصلتان فكان السابق بالطعنة الملك الجوفران فطعن عمرو في جانبه فقلبه وقد يذل بتلك الطعنة دمه وكاد أن يعدمه روحه (قال الراوي) ولما رأت بنو زبيد إلى فارسهم وحاميتهم قد تمدد في تلك المهاد أطلقت الاعنة وقومت الأسنة وقد داروا بالجوفران من كل جانب ومكان واشتغلوا عن أسر عمرو وخلصوه من بين يديه وقد نصحوا تلك الساعة في الحرب والجلاد وأركبوا عمرو على ظهر الجواد فاخذ عما نابا وحمل على بني عبس وعدنان فحملت أيضا بنو عبس وبنو قضاعة وكان قدام الفرسان الملك الجوفران وحملت أيضا السودان وحمل الغضنفر قدام الاقران خوفا على أخيه من نكبات الزمان وحملت عنيترة مع جملة الفرسان وحمل عمرو ذو الكلاب وزين بن عروة وسبيع اليمل وياسر وليث الميدان والديال بن الغضبان وكان لهم ساعة من ساعات مزمان فأبادوا من بني زبيد الرجال وأفنو الابطال وعطاة

الزلزال وسطت بنو عبس على بنى زبيد واحلوا بهم البلاء والتنكيل وصارت القتلى بين أطناب الخيام وقد سقوهم كاسات الموت الوان وخرجت المخدرات وقد تشتتن فى الفلوات وعلا منهم الانتحاب على من قتل لهم من الأصحاب وكان لهم ساعة يالها من ساعة وكان بنو زبيد قد بلوا بما لا يطيقوا له طاقة ولم يجدوا لهم على ملاقات فرسان بنى عبس استطاقة فولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار وخلفوا غنائمهم وأموالهم ونوقهم وجمالهم فعند ذلك الأمر الجوفران برد النسوان والأطفال وأمر بسوق الأموال والجمال قال الراوى وكان الجوفران سيف بنى عبس والمشار إليهم فيهم فى ذلك الزمان وعنيترة هى فارسة الفرسان والغضنفر حاميتهم من عوارل الحدثان وهو المقدم على كل من لهم من الفرسان فهذا كله يجرى من هذا الأمر الذى تحرروجرير الخذروف واقفان بالجبل الذى عليه عظام عنتر ويقولان له أسمع ياأبانا مانقول لك وابصران كان لا يرضيك فعالنا فنحن نفعل مثلها واكثر وهى عظام بالية لاترد جوابا ولا سؤالا فعند ذلك يقولون أبونا مارضى بهذه الفعال ولم يقنع بمن قتل من الفرسان وهو إلى الآن لم يزل غضبان ثم يسيرون إلى غزاة العربان (قال الراوى) ثم أنهم بعد مافعلوا فى بنى زبيد تلك الفعال ساروا طالبين البرارى والجبال وقد تقدم الجوفران قدام الفرسان وهو بما فعله فرحان فأشار ينشد ويقول هذه الأبيات :

إلا بلغ زبيدا وعمروعنا	باننا كيف نفعل بالرجال
تركناهم على البيداء ترعى	ونسوتهم ترددن العوال
وأردفنا النوارس من زبيد	يجمعهم على ظهر الجمال
وعمرو قد تركناه جريحاً	يمج نجيعة تحت العوال
ولولا الليل ماردت زبيد	إلى أبياتها يوم النزال

(قال الراوى) فلما فرغ الجفران من ذلك النظام ساروا يقطعون البرارى والاكام حتى وصلوا إلى ديار بنى همدان وأغاروا عليهم وانزلوا بهم الذل والهوان ولم يزل الغضنفر وعنيترة والجوفران يقتلون منهم الشجعان ويدمرون الاقران وكان لهم ساعات من ساعات الزمان فولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار وقد قتلوا منهم الفين فارس كرارو أغاروا من بعدهم على بنى جديلة وأحلوا بهم نوبة وبيلة وقاتلوا فيهم وأظهروا الحتوف حتى تثلمت فى أياديهم السيوف وتجددت المطامع وصمت المسامع هزاوفرسان بنى عبس صارت تضرب الأعداء الضرب الوجيع حتى أسالوا من الفرسان الدم النجيع وجندلوهم على الصعيد حتى أفنوا كل بطن صنديد وأغاروا على فرقة من بنى شيبان وانزلوا بهم الذل والهوان وطرحوهم على الصحصحان وقاتل فيهم الغضنفر وأخوه الملك الجوفران وعنيترة بمن معهم من الرجال والاقران وعملوا فيهم عمل النار فى الحطب وافتخروا بفعلهم على سائر العرب وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وفعلوا فى

حقهم فعالا ذميمة وأغاروا من بعدهم على بني نمير وأنزلوا عليهم العذاب الأليم وتركوا في ديارهم الأكل رمم وأحلوا بهم الوساس وقتلوا منهم ألفا وستمائة فارس ثم أنهم أغاروا على بني معاقل وأحلوا بهم البلاء النازل ونظروا منهم العظائم حتى لطمت عليهم اللواطم وقد مددوا الرجال على التراب وقتلوا منهم ألفا وتسعمائة من الأصحاب وأغاروا بعد ذلك على بني غيلان وأنزلوا بهم الذل والهوان وسقوهم من كاسات العذاب ألوان وقتلوا منهم الف فارس من الشجعان ثم أنهم أغاروا على بني ضبية وأحلوا بهم الرزية وسقوهم من الموت شربة غير هنية وقتلوا منهم ألفا وثمانمائة وأغاروا بعد ذلك على بني ضبيان وشتتوهم في البراري والقيعان وقتلوا منهم الشيوخ والفتيان (قال الراوي) هكذا كان يجري والجمل الذي عليه عظام عنتر واقف في الميدان وكلما قتلوا قبيلة تأتي اليه عنيترة وإخوتها الغضنفر والجوفران وينادون ياأبانا هاقد أفنينا العربان وأبدنا الفرسان يكفي ما ترى يا زين الشجعان وإلا نعود على ما كنا عليه فلم ينطق بلسان لأنه عظام بالية من سنين وأزمان فيقولون أن أبانا لم يزل غضبان وأنه ما اشتفى قلبه من العربان إلى هذا الآن سيروا بنا حتى نفنى بقية العربان فهذا كله من جهل جاهلية العرب في ذلك الزمان وما زالوا في ضلال وعدم رشاد وطغيان (قال الراوي) ثم أنهم أغاروا على بني فرع وأحلوا بهم النغم والفزع وفعلوا فيهم فعلا وبيل وقتلوا منهم ألفا وخمسمائة قتيل وبعدهم أغاروا على بني يربوع وأخلوا منهم الأطلال والربوع لأن عتبة بن شهاب مخلي عنهم وقال لهم أنتم حضرتم وقعة بني عبس بجهلكم فاحضروا أرواحكم لحربهم ولاقوا البلاء الذي نزل بكم ثم أنزل عنهم فحملت عليهم بنو عبس وأحلوا بهم التعس والنكس وحملت أولادهم الغضنفر وعنيترة والجوفران وحمل عمرو وذو الكلب وبقية الفرسان وأنزلوا بهم الذل والهوان هذا وقد ضاقت على الاعداء المواضع وتركوا الطيور في لحومهم رواتع ومكنوا منهم السيوف البواتر وقتلوا منهم ألفين من الفرسان الاكابر ثم أنهم أغاروا على من بقي من بني عامر وأداروا عليهم الدوائر ومكنوا منهم السيوف البواتر وقتلوا منهم الفا وأربعمائة ثم أنهم أغاروا على بني بارق ومسكوا عليهم المضايق ومكنوا منهم الرماح الخوارق وبان الكاذب من الصادق ودار عليهم الدوائر ولم يدعوا منهم لا باديا ولا حاضر وقتلوا منهم ألف قتيل مشاهير ثم أنهم أغاروا على بني ضرار وأحلوا منهم الدبار فتلقتهم بنو سليم وبنو ضرار في الف فارس من الابطال لله درهم من الرجال أقيال أجادوا معهم في القتال واشتد منهم النزال وعظمت الاهوال فعند ذلك سالت الدماء من المناكب وحلت بهم المصائب ودارت على بني سليم وضرار الدوائر والنوائب وتمكنت منهم المضارب ولم يبق منهم لا ماش ولا راكب فلله در الامير الغضنفر وعنيترة والجوفران وعمرو وذو الكلب وياسر وليث الميدان وزيد بن عروة وسبيع اليمن وأسد الفوارس والديال

ابن الغضبان على مافعلوا بالفرسان الأخيار من بنى سليم وبنى ضرار وقتلوا منهم ثلاثة آلاف قتيل من الرجال الأخيار وأغاروا بعد ذلك على بنى القين وأنزلوا عليهم العذاب المبين وقتلوا منهم ألفاو مائتين (الأصمعى) وأبو عبيدة الراويان لهذا الكلام ولولا الإطالة لذكرت كل قبيلة بوقعتها وحربها وماجرى عليها من قصتها وكان عدد القبائل الذين أغاروا عليهم وأفنوا رجالهم وقتلوا أبطالهم قد بلغ مائة وسبعين قبيلة مامنهم إلا كل بطل محارس قال ولما تسامعت بهم بقية القبائل وأنهم فعلوا بالعرب هذه الفعائل تعلقوا برؤس الجبال ومنهم من اختفى فى بطون الأودية والخوال ولما أشفوا الغليل وفعلوا بالعرب ذلك الفعل الوبيل عادوا راجعين إلى ناحية العلم السعدى وأرض الشربة ليجتمعوا بمن هناك من الأحبة والملك زهير بن قيس بين أيديهم كأنه الأسد الوثاب وقد نشرت على رأسه راية العقاب وإلى جانبه الأميرة عنيترة وإخوتها الغضنفر والجوفران وما منهم إلا كل ليث قسور وهم فرحون بالنصر والظفر وبين أيديهم حريم الخذروف وبقية الفرسان ومن خلفهم الملك صفوان ولم يزالوا سائرين والخيل بينهم تجرى حتى وصلوا إلى أرض الشربه والعلم السعدى ولما وصلوا إلى أرض الشربه واجتمع الأحباب بالأحبة فعند ذلك نزلوا فيها واستقر بهم القرار وأنست بهم الديار فعند ذلك بسطوا البسط والمفارش وجلسوا بالمضارب والخيام وأقاموا هناك خمسة أيام إلى أن خلا بالهم من الضرب والصدام فعند ذلك أمر الغضنفر والجوفران بحضور جماعة من العبيد الأعيان العارفين بمنازل العربان لحضروا فى عاجل الحال إلى بين يديه فأمر زيد بن عروة أن يكتب الكتب ويسلمهم إليهم وأمرهم أن يسيروا بها إلى قبائل العرب وحماتها الذين اشتركوا فى دماء بنى عبس يوم إقبالها وقد داروا عليها وأخذوا منهم بالثار وكشفوا ما كان عليهم من العار (قال الراوى) وكانت نسخة الكتب وما تقرر بأن أمر الملك الجوفران وأخوه الغضنفر وأختهم أم لزعازع عنيترة بنت عنتر وكذلك الملك زهير بن قيس مالك عبس المفتخر بأن يأتى المقدمون منكم والأبطال وكبار القبائل ويأتوا معهم بالنوق والجمال لأجل أن تنحر على قبر أبى الفوارس عنتر بن شداد وأن تسرعوا فى المجىء لأجل الفداء حتى تحضروا العزاء ومعه جملة من له من الأولاد ولا تعطوا تهاونا ولا احتجاجا ولا بعاد وكل من تكبر على المجىء أو اعتذر فنحن نعود بالغزو عليه ونوصل الأذية إليه ونأخذ روحه من بين جنبيه وقد أنذرناكم ومن لا يصدق لايسأل عما يجرى عليه (قال الراوى) لهذا المقال الذى ما يفعله إلا كل جاهل من الجهال ثم أنهم سيروا الكتب مع العبيد إلى سائر الحلل والقبائل وكلما وصل كتاب إلى قبيلة تجيب بالسمع والطاعة وترحل فى عاجل الوقت والساعة ويرحل أميرها فى كبراء عشيرته والمقدمين من قبيلته ووصلت الكتب إلى سائر القبائل ورجعت العبيد فى أيام قلائل فعند ذلك رحلت القبائل وهى طالبة أرض الشربة وتلك

الاطلال وقد أكثرت فى صحبتها من النوق والجمال وجمعت من الهدايا والتحف العوال خوفا من أولاد عنتر بن شداد ومنهم من أتى محبة ووداد فكان أول من قدم عليهم دريد بن الصمة وفى صحبته جماعة من كل ليث ذو همة وأتى سبيع بن الحارث فى سادات بنى حمير وكل منهم يتقرب بالمجىء إلى أولاد عنتر وأقبل بنو عامر وبنو كلاب مع عامر بن الطفيل وأقبلت بنو نبهان يقدمها المهلهل وزيد الخيل وأقبل بعدهم الامير عمرو بن معدىكرب الزبيدى وأقبلت بنو شيبان يقدمها الامير هانىء بن مسعود الكريم الآباء والجدود وأقبلت بنو يربوع يقدمها عتبة بن شهاب وأقبلت بنو ذهل وبنو مشاجع وبنو مذحج وبنو عاملة وبنو باهلة وبنو تميم وبنو قشير وبنو ضبية وبنو رياح وبنو وشاح وبنو الطماح وبنو شمراخ وصارت العرب تتلاحق بعضها البعض وتقصد أرض الشربة والعلم السعدى حتى ضاقت بهم تلك الأرض وانفرشوا فيها طولا وعرض وصارت كل قبيلة إذا قدمت وتوطنت تأخذ بنو عبس عددها وسيوفها وسائر رماحها وجميع سلاحها (قال الراوى) وكان هذا من جملة تدبير جرير والخذروف لانهم خافوا عليهم من الاعداء إذا اجتمعوا انكثرتهم أن ينزلوا بهم الحتوف وبما على غفلة منهم يفعلون بهم. فعلا يقعوا به فى المهالك وصاروا يأخذون سلاحهم ففرح الغضنفر والجوفران بذلك ثم أنهم أقاموا ألف فارس بالسلاح كل يوم بالنوبة تكون زاكبة خيولها مشهرة فى أيديهم السيوف والرماح قائمة فى الخدمة برسم حفظ القبيلة خوفا من المذمة والافتضاح كيلا يبدو من العرب أمر الاسور فتتعب من أجله القلوب والصدور وكانت فرسان بنى عبس الذين عليهم المعتمد لابسة سلاحها والزرد وسيوفها مشتهرة على ركبها فى الميدان مثل الغضنفر وعنيترة والجوفران وياسر وليث الميدان وأسد الفوارس والديال بن الغضبان وزيد ابن عروة وصبيح اليمن شجاع الزماد وعمرو ذو الكلاب فارس الزمان والملك زهير ملك بنى عبس وعدنان ومن يجرى مجراهم من الابطال والشجعان وذلك كله لأجل احتقار العربان (قال الراوى) ولم تزل قبائل العرب تتواصل مدة عشرين يوما ثم انقطع المدد وقد علموا أنه لا يقدم عليهم أحد فعند ذلك شرعوا فى حفر قبر عنتر ودفنوا عظامه وواروه فى الحفرة هذا وقد تقدم قدام القوم الملك زهير بن قيس ونحر ما تى ناقة ولم يقل لالم ولا ليس ثم بكى بكاء عظيما بدمع مهطول وأنشد وجعل يقول .

أمن الحوادث والمنون الاروع	وأبيت ليلى كله ما اشجع
لازلت ذا حزن وأبكى عنترا	ولمثله تبكى العيون وتجزع
ولقد علمت بأن كل مؤخر	يوما سبيل الاولين سيتبع
جاد ابن شداد الكمى بنفسه	ولقد ترى أن العزى لاينفع
يا ابن الكرام أولى المفاخر والعلا	قد كنت فى الفرسان سيفا يقطع

يا آل عبس اجمعوا ثم اندبوا ... من كان يحمينا بأرض تفزع
يا آل عبس قد شفت بكم العدا ... من بعد عنتره الكمى الاروع
يا آل عبس احزنوا طول المدا ... من أجل فارسنا الشديد الأشجع

(قال الراوى) ولما فرغ الملك زهير من أشعاره تأخر وقد بلغ من الأحزان كل اوطار وتقدم من بعده دريد بن الصمة وقد مزق ثيابه وحثا التراب على رأسه وتصاعدت أنفاسه وكسر سيفه وقناته ونحر على قبر عنتر من اثنين وخمسين ناقة وباحقه فى ذلك منها تماون ولا عاقة وتقدم عند القبر وبكى وأن واشتكى وجعل يقول صلوا على طه الرسول :

وهى جلدى من نوحة أى نوحة ... لفقد همام ضيغم ذا حميــة
لفقد شجاع لو دعى سيدع ... يصول على الأعداء بعزم وهمة
فيا مقلتى جودى عليه بحرقة ... ولا تبخلى بل ساعدينى بدمعة
بكته ملوك الخافقين بأسرها ... وعم الأسى والحزن كل البرية
وبيض الظبا والهند والورد الذى ... تدرعه فى كل يوم كريهــة
فقد مات مات الفخر والجود والعلا ... لفقد الذى قد كان سامى العزيمة
أبا جوفران القيل صبراً لفقده ... فحكم قضاء الله عند المشيــئة
يعز علينا أن تعازى بسيفه ... وسند قوم كان عزى قبيـــلة
فلا زلت فى عز يدوم ونعمة ... على حالة تعلوا على كل حالة

(قال الراوى) وما فرغ دريد بن الصمه من شعره حتى نهض له زهير بن قيس وشكره وأجلسه فى مرتبته وقام من بعده ذو الخار وقد باح بالأسرار ونحر من النياق مائتين وعشر أبكار بعد ما فرق ما عليه من الأطمار وكسر سيفه البتار وأجرى دموعه الغزار وتقدم إلى قبر عنتر وجعل يرثيه بهذه الأبيات :

أيا عين أبكى لعنتر بن شداد ... بكا حزين غدا فى شجوه باذى
يا من رأى فارسا قد بت أرمقه ... إذ مات ذو الأسد المعروف بالصاد
أبو الفوارس ليث الموت أخوه ... قد كان حصنى وركنى عند أسدادى
جميع أهل رعاة الخيل قد علموا ... زين القرين وخصم الظالم العادى
أيا زبيبة لا تخشى فكل فتى ... يصير رهناً لأسياف وأسوادى
فلا وعينك ما أسلوك يا أمــلى ... حتى أعود إلى رمس ابن شداد
والله لا زلت أبكى عنترا أبدا ... ما سارت النجبا يجرى بها الحادى

(قال الراوى) وما فرغ ذو الخار من تلك الأشعار حتى تباكت الحضار وقام إليه الجوفران وأجلسه فى أعز مكان ونهض من بعده عامر بن الطفيل وكان تدقتل جلده والحيل وأجرى

دموعه كأنها السيل ونحر ثلثمائة ناقة وجمل وقد أراد التقرب إلى قلب أولاد عنتر بهذا العمل ومزق أثوابه وعلا بكاؤه وانتحابه وكسر سيفه وقناته وقد تغيرت من البكاء جميع حالاته وتقرب إلى القبر وجعل يقول :

دمع كما حكم التفريق مهتون ... ومغرم قلبه بالبين محزون
ياقبر عنتر ها قد صح ما زعموا ... مات الشجاع وأضحى وهو مرهون
وبلاه ويلاه يامولاى لو نظرت ... عيناك عبدك لا دنيا ولا دين
مات الأمير ومات الجود واندثرت ... عين الشجاع وعين الصدق مغبون
مات الذى لم تزل راياته أبدا ... وسعده بلقاء العز مقرون
مات الذى كان من جود ومن كرم ... كمثل من سبقوا والقلب محزون
أعز أبلج محمود خلائقه ... وعزمه المنتقى والوجه ميمون

(قال الراوى) فما أتم عامر إنشاده حتى تقطعت القلوب والأكباد من كثرة البكاء والنواح والتعداد وقام إليه الغضنفر وأجلسه فى مكانه المعتاد وشكره وأثنى عليه وإذا بصوت قد أزعج الكبود فى بكاء له دمدمة ورعود وهو مسربل بأثواب سود فقتيبة القيام والقعود وإذا به هانئ بن مسعود الكريم الآباء والجدود وكان قد قدم ومعه مال ممدود حتى بنحره على قبر عنتر الفارس المفقود وشمر عن ساعديه والزند ونحر ثلثمائة ناقة وخمسين قعود ومزق ثيابه وحثا التراب على رأسه وكسر قناته وسيفه وأشار يقول صلوا على طه الرسول .

عم المصاب وطاشت الأحكام ... وتنكست لوفاته الإعلام
فقد كنت أرجو منك عنتر نظرة ... فاذا دهت بوفاتك الأيام
يامن إذا جرت الملوك إلى العلا ... فنصيبه التقديم والاعظام
يا واهب الآلاف مثلك لم نجد ... أبدآ وهل يجدى جداك كرام
يامن للعشائر والجيوش إذا انتخى ... يوم الكريهة للكفاح حسام
من للكتائب والمواكب ناصرا ... إذ صالت الإعداء وهو إمام

(قال الراوى) ثم قام من بعده الأمير عمرو بن معديكرب وقد أنشد أبيات تقتضى الحزن والحسرات وما بقى أحد فى ذلك اليوم من الفرسان الأجواد إلا ورثى الأمير عنتر بن شداد تقربا لقلب من له من الأولاد ولولا خوفنا من الإطالة وملال السامع من المقالة لشرحنا ما أنشدت العرب ومارثته به السادات من ذوى الرتب وكان منهم من أنشد ورثى حزنا ومحبة ومنهم من رثاه خوفا وفزعا مما صار لأولاده من الهيبة (قال الراوى) وبعد ماصار لهم من الاشجان قعدوا على بسط العزاء والأحزان والعرب تقدم عليهم من كل جانب ومكان نوعنيترة والغضنفر والجوفران لا يقطعون التفجع والبكاء بلا صبر ولا سلوان فبينما هم فى

ذلك الشأن وإذا بغبار قد ثار وبعد ذلك انكشف الغبار وبان عن فرسان كأنهم العقبان فلما عاينوا بني عبس وعدنان وتلك العربان ترجلت في عاجل الحال الفرسان وأسرعت نحو الغضنفر والجوفران وقبلوا الأرض بين أيديهم وسلموا عليهم وقالوا لهم يا ملوك الزمان قد ورد عليهم هرقل بن قيصر حتى يحضر عزاء والدكم عنتر سيد الفرسان قال وكان السبب في قدومه إلى أرض بني عبس وعدنان هو عمرو بن الحارث ملك بني غسان فإنه كان كل قليل يأخذ أخبارهم ويكشف آثارهم فسمع أنهم قد أفنوا العرب ونهبوا الفرسان وأن ما بهم القريب والبعيد مما عاينوا منهم من ذلك الهول الشديد فعند ذلك أرسل أعلم الملك قيصر بجلية ما عنده من الخبر قال فلما سمع الملك قيصر ما صح له من أخبارهم أرسل ولده هرقل يعزيهم في أبيهم عنتر ويهنيهم بأخذ ثارهم بعد العزاء أن يخلع عليهم جميعاً على قدر أحوالهم وكل واحد منهم على قدره الكبير منهم بكبره والصغير بصغره فأجابه ولده بالسمع والطاعه وخرج بالخزائن والأموال من تلك الساعة واستصحب معه الرجال والهديات والجواري الروميات والخيول العوال وكان ذلك شيئاً كثيراً مما يبهر البصر ويحير الفكر وسار ليلا ونهاراً إلى أن وصل إلى دمشق الشام وأقام بها أياماً حتى استراح ورحل منها فرحل معه عمرو بن الحارث وتبطنا في تلك البراري والبطاح ثم سار إلى أن قربا من الديار وبانت لهما الآثار فأرسلا هذه الفرسان يخبروا بني عبس بقدومهم قال ولما صح هذا عند الغضنفر والجوفران التقوا بملوك العربان وأمروهم بالركوب إلى ملتقى الملكان فركب شيخ العرب دريد بن الصمه وذو الخمار والعباس بن مرادس وعمرو بن معديكرب والأمير هانىء ابن مسعود وعتبة بن شهاب اليربوعي وكان قد أتى عقب الناس وركب أيضاً زيد الخيل والملعون عامر بن الطفيل وركبت ملوك السودان وفي مقدمتهم خال عنتر الملك صفران بن معدان وسار إلى لقائهم حماة القبائل وفرسان العربان والتقت الفرسان بالملك عمرو بن الحارث وهرقل بن قيصر ودعوا لهما بطول العمر والبقاء واعتذروا لهم عن لسان أولاد عنتر ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى العلم السعدي ونزلت الجيوش ونزل الملك هرقل قريباً من قبر عنتر ومشى حتى صار واقفاً بجانب القبر واتكأ على جانبه وبكى لما وصل إليه أربا ألف ناقة كانوا قد ساقوها معهم لذلك ونحروها عليه (قال الراوي) ثم بعد ذلك بكى بكاء شديداً وأقبل راجلا يمشي على وجه الصعيد ومن خلفه الملك عمرو بن الحارث فعند ذلك ركب الملك زهير والملك الغضنفر والملك الجوفران والأمير عمرو وذو الكلاب زيد ابن عيينة وعامر وليث الميدان وجميع من كان حاضراً ومنهم من مشى والتقى بالملك هرقل إلى قدام وقد أجلسوه في أعلى مكان وجلست بين أيديهم جميع الفرسان وأقاموا ذلك اليوم جميعهم يتحدثون فيما صار لهم من الشأن وما فعلوا في غزو العربان قال ولما أصبح

الصباح وأقبلت عليهم العبيد والرعيان وأتوا إليهم من أبعد مكان وأخبروهم أن قد لاح لهم من الشرق غبار حتى سد الأقطار فأرادوا أن يرسلوا من يكشف لهم الأخبار وإذا بمائة فارس قد قصدوهم ولما تقربوا منهم تبينوهم فعرفوا أنهم من بنى لخم وجزام وبنى شيبان ومن ورائهم الملك المنذر بن النعمان فخرج إليهم الملوك والأمراء والفرسان وترجلوا إليهم وتلقوهم من أبعد مكان فعند ذلك أمروهم بالركوب مع جميع الفرسان والأمراء وقالوا لهم أركبوا وسيروا والتقوا بابن الملك كسرى قال وكان لمجىء هؤلاء الملكين سبب عجيب وأمر مطرب غريب وذلك أنه وصل إلى كسرى أخبار خارجى قد خرج على الدولة الكسروية وقد ملك البعض من البلاد الخراسانية فعند ذلك أحضر الوزراء والحجاب واستشارهم فيما يفعل من تلك الأسباب وكان يقال لهذا الخارجى بيرديك بن مردشان فـ أشار عليه أحد بشىء إلا وزيره الموبذان وقال له ا ملك الزمان أعلم أن ثبات ملك الأكاسرة كان من قديم العصر والأوان إلا أن أباك كان إذا عصت عليه العرب ردها بالعجم وإذا سطت العجم ردها العرب وأنزل بها النقم والرأى أنك ترسل إلى نائبك على العربان المنذر بن النعمان وتأمره أن يسير إلى سائر البلاد لاسيما وقد سمعنا أن عنتر بن شداد قد ظهر له ثلاثة أولاد فيهم أميرة تسمى عنيترة وقد فاقت على سائر الأقران وقهرت الأبطال وأحدهم يسمى الملك الغضنفر والآخر تسمى الملك الجوفران وقد تيسر الأمر وانقضى الشغل وهان فلما سمع الملك كسرى من وزيره ذلك القول والبرهان أمره أن يكتب إلى الملك المنذر بن النعمان أن يسير إلى أولاد عنتر عنيترة والغضنفر والجوفران وكل من فى أرض الحجاز من الفرسان فلما وصل الكتاب إلى المنذر أمر برد الجواب بحسن الايراد بأن جميع فرسان الحجاز عند أولاد عنتر بن شداد ولهم مدة ثلاثة أشهر يعملون فى عزاه وكل من فى تلك البلاد توجهوا إلى النادى فلما وصل الكتاب إلى الملك كسرى وعلم بما تم من ذلك الأمر وما جرى قال وحق النار والنور وتربة جدى سابور يجب علنا أن نعزى غلماننا ونقيم بجاه أصحابنا لان عنتر كان له علينا خدم كثيرة وعلى آبائنا فقال له الوزير هذا رأى صائب فعند ذلك أمر بتجهيز العشائر والكتائب ورسم لهم بالتشاريف والخيول الخاص والجنائب بمراكب الذهب لأجل أولاد عنتر وخلع خلعا كثيرة لأجل الفرسان ثم أمر ولده وكان يقال له جرد برد باز يسير إلى الحيرة ويأخذ المنذر ويصير هو وإياه إلى بنى عبس لأجل العزاء لأولاد عنتر ويهنيهم بأخذ ثارهم ويخلع عليهم الخلع السنية ويهنيهم بما ظهر لهم من علو المنزلة والشجاعة فعند ذلك أجابه بالسمع والطاعة تجهز ورحل من تلك الساعة وقد رفعت على رأسه الأعلام والرايات ودقت وبين يديه الطبول والكاسات ونشرت له الرايات والازدهارات ولم يزل سائراً حتى وصل إلى الحيرة وهو بتلك الصفات فخرج الملك المنذر إلى لقاه وقد دارت من حوله أكابر دولته وترحيب كل به وحياه

ونزل عنده فى قصر المملكة وأقام فيه ثلاثة أيام والملك المنذر يريد له ولجيشه فى الضيافات والاكرام وبعد ذلك رحل طالباً أرض الحجاز ومنازل بنى عبس وتلك المقفار التى هى موصوفة بأرض الشربة والعلم السعدى ولم يزالوا فى سيرهم مجدين حتى قربوا من ديار بنى عبس وهم على ذلك المعنى وسبق المنذر إليهم وبشرهم كما ذكرنا فقامت الملوك والأمراء وساروا الجميع إلى ملتقى ابن الملك كسرى واقبلت الجيوش والعشائر من العرب والعجم لانه فارس مقدم وملك محتشم (قال الراوى) فعند ذلك دقت الكوسات والطبول وانزعجت الأرض عرضا وطولا وترجلت العالم واصطفوا صفين وتفرقوا فرقتين ثم ترجل الملك هرقل بن قيصر ومشى إليه الملك الجوفران وأخوه الغضنفر فعند ذلك حلف عليهم الملك هرقل أنهم لا يترجلون فابوا عن ذلك وحلفوا عليه أنه لا يسير إلى الخيام إلا وهو راكب معزة فيه وقبلوا يديه فانحنى ابن كسرى إليه وقبل رأس الجوفران وبين عينيه وبالركوب أشار إليه فعند ذلك ركبت الملوك والفرسان وساروا يعمون المكان وهم راكبون إلى جانب بعضهم فى تلك الفلوات والقيعان إلى أن وصلوا إلى أرض الشربة والعلم السعدى والملوك والأمراء والفرسان بين أيديهم ولا أحد منهم بعيد ولا يبدى قال وتقدم ابن الملك كسرى إلى أن وصل إلى قبر عنتر وترجل وكذلك ترجل ابن الملك قيصر وكل من حضر فى ذلك المقام وأمر ابن الملك قيصر أن يذبح على القبر ألف ناقة من النوق العصافيرية وأقبل بعد ذلك على بنى عبس وحياهم الكبير منهم والصغير وسعى إليه الملك زهير بن قيس على أقدامه وقبل الأرض بين يديه ومشى قدامه وكذلك الغضنفر والجوفران وبقية حماة القبائل والفرسان والتقوه بالرحب والسعة وأكرموه غاية الاكرام وما منهم إلا من سعى ماشيا على الأقدام بين يديه ونصبوا له كرسياً عاليا فجلس عليه وسائر الفرسان والأمراء واقفون بين يديه وسائر الملوك تتقرب إلى قلب ولاد عنتر بكل ما تصل إليه قال فعند ذلك نهض الملك المنذر على قدميه ومشى إلى عند قبر عنتر وأشار إليه وبكى بكاء شديداً ما عليه من مزيد وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

حل المصاب فى الفؤاد راسا	لرزيه قدمت وحل البؤسا
فقد الشجاع الليث عنتر يالها	من نكبة وفجيعة زعكوسا
سل من مضى فلكم اسال مدامعا	حزنا عليه وكم أذاب نفوسا
اسفى على من غاب عنى شخصه	تحت الثرى فى مهمه مرموسا
بكت السماء لفقده ولموته	دما واصبح عيشنا منكوسا
هوت النجوم الزهر عند مصابه	والافق اظلم وانكسفن شموسا
والبدر منكسفا غدا فى تمه	حزنا وقد امسى باعظم بؤسا

خلت المراكب والمراكب من فتى عبس وفارق ربعه المأنوسا
يا آل عبس قد فقدتم فارساً كم قد فتى جمعاً وفك حبوساً
مردى الفوارس عند مشتجر القنا يوم النزال وقد أطاح رؤوسا
قد كان ليثاً فى الحروب غضنفراً حامى العشيرة فارساً محروسا
ويل لعبس ما لقت من بعده ذلاً ونهباً من ليوث شوساً
قد طال ما صان الحريم من العدا من بعد ما تركوا الديار دروسا
أرداهموا بحسامه وسنانه وسقاهمو بالسمهرى كؤوسا
قد كان ذا راى مصيب راشد وبقامه بين الرجال نفيسا
فلا بكين على ما هب الصبا بمدامع تجرى وترى العيسا

(قال الراوى) فلما فرغ المنذر من ذلك الشعر والنظم قام إليه شيخ العرب دريد بن الصمة والأمير هانىء بن مسعود وجماعة من الفرسان وأجلسوه إلى جانب ابن كسرى فى أعلى مكان وإلى جانبه الآخر الأمير هرقل بن قيصر والغضنفر والملك الجوفران ثم أنهم بقوا على ذلك مدة أيام وهم فى أكل طعام وشرب مدام وخيرات وانعام ثم أن ابن كسرى أمر باحضار الخلع ليخلع على فرسان العرب فلما حضرت خلع على الملك زهير خلعة سنية وعممه بعمامة خزكوفية واركبه على جواده بمركب ذهب كذلك دريد بن الصمة لأجل كبره ووقيره ولأجل تقدمه على الفرسان وخلع على الملك الغضنفر والملك الجوفران وكانت خلعا بالذهب حسان ثم أرسل إلى أختهم الأميرة عنيترة خلعاً سنية غالية الأثمان لأنها كانت منعزلة فى غير ذلك المكان وكذلك أمها الهيفاء قناصة الرجال لأنهما كانت مجتمعتين مع المالكتين أم الغضنفر والجوفران اللتين هما كانتا نساء عنتر فى قديم الزمان وقد طوق الملك الجوفران بطوق من الذهب وبعد ذلك خلع على ملوك العرب وخلع على كل فارس منتخب ولم يدع أحداً من الأمراء ولا من الفرسان حتى شرفه بذلك التشريف وخلع عليهم الخلع الحسان قال ولما كان بعد ثلاثة أيام أمر هرقل بن قيصر باحضار الخلع الحسان وما كان أتى معه من الأنعام وخلع على ملوك بنى عبس وقد ابتدأ بالملك زهير والغضنفر والجوفران وبعدهم خلع على بقية الفرسان وعلى ملوك العربان وعلى حماة الجيش وكبراء العشائر على حسب القدر بجمع من الشجعان وكذلك أرسل إلى الأميرة عنيترة خلعة سنية عالية الأثمان وأنفذ لها خلع كثيرة لتخلع على من عندها من النسوان مثل أمها الهيفاء وضرتها بنت أخى الملك قيصر وكذلك أم الملك الجوفران وكل من عندهم من النسوان الى لملوك العرب والفرسان ففعل الملك هرقل كما فعل ابن كسرى أنوشروان وزادهم على ذلك أضعافاً لأجل ما بينهم من المعرفة من قديم الزمان وأيضاً فعلت نوابهم ما قدروا عليه من الإحسان وهما المنذر بن النعمان والملك عمرو بن الحارث

الغسانى فاستبشرت بذلك جميع العربان الرجال منهم والنسوان وفرحت بذلك جميع الشجعان وخلعوا عنهم ثياب الاحزان وكان لهم على ذلك عشرة أيام وقد استغنت من كثرة الاموال الفرسان وو تمت فى تلك النعم الامراء والعبيد والغلمان والشيوخ والشبان وقضوا الزاء ومضى كأنه ما كان وتفرقت بعد ذلك الجموع كأنهم لم يكونوا فى ذلك المكان قال وبعد ذلك أحضر ابن كسرى إلى بين يديه الغضنفر والجوفران وأظهرهما على أمر الخارجى الذى خرج على أبيه من أرض خرسان. قال لهم إذا أرسل إليكم لاتتخلوا عنه أنتم ومن تقدروا عليه من العربان فأجابوه بالسمع والطاعة هم ومن معهم من الفرسان ثم رحلت الملوك كل واحد طالب أرضه ومن له من الاطلال وأيضا حماة القبائل وما تحت أيديهم من الابطال وبقيت بنو عبس هادئين السر مستريحين من القتال مدة أيام وليال وهم فى الولائم يرتعون وقد خافتهم جميع من بعد منها ومن اقترب وعاد عزهم قوى ما كان واخلف عليهم الزمان بأولاد عنتر وهم عنيترة والغضنفر والجوفران وقد صارت بنو قراد أحسن ما كانت على أيام حاميتهم عنتر بن شداد وكذلك لاجل خلفته لهذه الثلاثة الاولاد الابطال الشداد وأقاموا على ذلك الحال مدة من الزمان وهم فى أمان واطمئنان وبعد ذلك اشتاق الملك الجوفران إلى بلاده وما له من الاوطال وكذلك والدته زادبها الهيمان لانه ما أعجبها ذات الفلاة فقضوا أشغالهم وأرادوا السفر فشاوروا فى ذلك إخوته عنيترة والغضنفر فما قدر واحد منهم يعارضه فيما أمر فعند ذلك أراد الغضنفر أن يفعل كما فعل أخوه ولما خطر ذلك الخاطر الذى به قد خطر شاور والدته فى ذلك فكانت إليه أسبق وبه أسر لانها قد اشتاقت إلى أرضها وبلادها وقد أخذها القلق وكانت إلى وطنها أشوق فاتفق الامر على ذلك الحال وفى ساعة الحال أمروا بإحضار النوق والجمال وحملوا أموالهما ومتاعهما وما لهما من الاثقال بعدما شاوروا الملك زهير فلم يتعرض لهما بحال من الاحوال (قال الراوى) ثم أنهم صاروا وقد خرج إلى وداعهما جميع من الحلة من الرجال وسائر الابطال وساروا الوداعهما ثلاثة أيام وبعد ذلك وقف أولاد عنتر فى ذلك البر والاكام وحلفوا على بنى عبس وردوهم إلى ديارهم والمقام لان آخر الوداع الرجوع والمفارقة بعد الالتئام وصار كل منهم فى طريق منازله والاطلال وعادت بنو عبس طالبين ديارهم الرجال منهم والابطال ولكنهم لم يمروا على حلة إلا نهبوها ولا أموال إلا كسبوها إلى أن اجتمع معهم غنائم كثيرة وكانوا يفعلون تلك الفعال فيمن تبقى من أعدائهم ويرونه فيه الصواب والحيرة ولم يزالوا سائرين وهم يقطعون البرارى والقفار إلى أن قربوا من الديار ونزلوا وباتوا على بعض الغدران والانهار وقد كانوا بالغنائم التى غنموها أربعمائة عبد من العبيد الذين لبنى عكس وعدنان وأيضا جماعة من بنى قضاعة الشجعان قال ولما نزلوا فى تلك الارض واستقروا الاكل الطعام مع بعضهم بعض واستراحوا إلى الصباح فعزموا بعد ذلك

على السفر و الرواح فافتقدت العبيد الموكلون بالخدمة جواد الملك زهير فما وجدوه وإلا عرفوا امر اخذه فقدفقده وهاج الجيش وانذهل كل احد وتحير فقال الملك زهير والله لقد تم علينا ما يتم على الحضر فقالت عنيتره أيها الملك لاتحزن ولا يأخذنك من ذلك فكر فوحق خالق الخلق ومنبع الماء من الحجر فالذى اخذ الجواد لو طار فى السهل والوعر لأذيقنه الموت الأحمر فعند ذلك نهض جرير وقال للملك زهير لا تحزن فما خليك تحل من هذا المكان إلا وجوادك تحتك فأما ان اقع به وبمن اخذه فيكون بسعادتك وبختك ثم ان جريراً تحزم وتعمم وكذلك فعل الخذروف الآخر تعمم وتحزم ثم ان جريرا قال لعنترة يا ابنة الأخ لا ترحلوا من موضعكم حتى آتيكم بالجواد وبمن اخذه ولو طفنا سائر البلاد ثم انه اخذ معه ابن اخيه الخذروف وسار طالبا الاودية والأوعار وهو مثل الطير إذا طار وإلى جانبه الخذروف وكل من رآهم لا يظن انهما من الانس بل انهما من الجان لانهما كانا ليسا لهما مثل وسارا يستقصان الآثار ويقتفيان الاخبار ليلا ونهارا مدة ثلاثة ايام ولما كان فى اليوم الرابع ظهر لهما اثر جواد طالب صوب ديار بنى ضمرة فلما نظر جرير والخذروف ذلك فزعا وعلما انها عليهما سفرة مباركة قال فعند ذلك جدا فى السير وغدوا غدوا يعجز عنه الطير الذى يطير وإذا بفارس سائر امامهما فلما نظر وتبعاه واخفيا حسهما إلى ان مضى من الليل الأكثر وقد كل ذلك الفارس من المسير والسفر ونزل على بعض الغدران وهو قد امن من نوائب الزمان وعلق على جواده وقد اطمأن قلبه وفؤاده فعند ذلك وثب جرير والخذروف إلى جواده وإذا به جواد الملك زهير والسلال الذى اخذه قاعد على جانب الغدير وهو يغسل فى يديه ورجليه وله وجه مثل القمر المنير فتبينه وإذا به شاب اسمر اعطر كانه فلقة قمر لا نبات بعارضيه فعند ذلك لاحت من السلال التفاتة فنظر جرير والخذروف وقد رمقهما بعينه فطار الشرر من منخريه ووثب على قدميه قائما واخذ خنجره بيده وحمل على جرير والخذروف وقلبه عليهما ملهوف (قال الراوى) هذا والخذروف وجرير لما نظرا إلى ذلك السلال انه قد طلبهما قد اخذاهبتهما للهجوم عليه ووصول الأذية إليه واخذ جرير عن يمينه والخذروف عن يساره وكل واحد منهما يجتهد فى قتله ودماره فلما نظر السلال ذلك الحال علم انه فى مقام الخطر مع هؤلاء الأبطال فقال السلال فى نفسه لابد ان اخذه معهما فى القتال إلى ان يصبح الصباح ويبين الاودية والبطاح وانهزم من قدامهما واطلب الرواح وإن نصرت عليهما اكن من الرجال الأوقاح ثم ان السلال خرج عن الاثنين واوسع فى الميدان وجمعهما بين يديه مثل العصافير إذا طردتها العقبان واخذوا الضرب والطعان وصار يهمز قدامهما مثل همزات الغزال وكلما طلبه جرير بضربة لم يجد له خيال وكلما طلبه الخذروف ليضربه لم يجده قدامه ولا رأى من اهما مثال فحار الاثنان فى

سبب السلال وهجم عليه هجمة أسد الدحال وانقض عليه كما ينقض الجارح على الحمام وكان مرادهما أن يسقوه كاس الحمام ولما نظر السلال الى الاثنين خرج من بينهم أسرع من لمحة العين وطلب متسع الفضاء وطار بالخافقين فلم يروا أثر غبار وقد اختفى في أقل من ساعة من الأبصار ولم تدركه اعين النظار فحار الخذروف وعمه جرير من ذلك الحال وقال ما هذا إلا من الجن وما هو ابدا من الرجال فقال الخذروف لعمه جرير والله يا عم ما هذا من بنى آدم بل هذا بلاء مبرم فوحق بارىء النسيم وموجد الأشياء من العدم لاسمعت ولا رايت مثل هذا فيمن مضى وتقدم وما بقى فى الامر إلا ان يأخذ جواد الملك زهير ونعود به إلى صاحبه لأنه عنده اعز من اهله واقاربه وهو عنده غاية مراده ونكد اعدائه وحساده فلما سمع جرير كلام ابن اخيه رآه صواب وامر لا يعاب فقال له نعم ما قلت يا ابن الأخ ثم انهما رجعا إلى الجواد وهو واقف يعلك فى لجامه وقد انحل حزامه فشدا عليه سرجه وسارا به معهما من وقتهما وساعتهما ولم يركب احد منهما بل سارا مشاة والخذروف ماسك الجواد وقد اتعبه من المسير فى البرارى والوهاد ولم يزالا سائرين ليلا ونهارا مدة ثلاثة ايام وفى اليوم الرابع طلع عليهما غبار حتى سد الأقطار (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك الغبار ان السلال الذى سرق الجواد من جيش بنى عبس وبنى قضاعة وطلع فى اقل من ساعة كان هو السلال الذى يقال له عمرو ابن امية الضمرى وكان قد نشأ فى بنى ضمرة ولم يعرف له اب وكان قد انتشى فى بيت عطارد ملك بنى ضمرة وكان عنده بمنزلة عظيمة ولما انتشى وكبر خرج نارا محرقة وصاعقة مبرقة لا تخمد له نار ولا يعد له على عيار وهو فحل جسور وليث صبور ومقدم على الأمور لا يهاب الرجال ولا يبالى الأبطال قال وكان هذا الجواد الذى تحت فضلة كان أخذه من بنى نبهان من خيل المهاهل وكان قد وصف بين يدى عطارد سيد بنى ضمرة وكان لا يتغافل عنه مرة بعد مرة وكان اسم ذلك الجواد الهطال وكان لا يوجد مثله فى سائر الأطلال واعيت عطارد الحيل فى اخذ ذلك الجواد امتنع الرقاد ووعد السلالين بالأموال والنوق والجمال فسارت إلى بنى نبهان الرجال فما نال أحد منهم منال ولا بلغ مراد من كثرة العبيد المتولية خدمة ذلك الجواد وقد تعبت السلالون والقصاد وسمع عمرو بن امية ذلك الكلام من الرجال والنسوان والأبطال بأن ملك القبيلة لم يلتذ بمنام على ذلك الجواد فلما سمع ذلك دخل على عطارد وقبل الارض بين يديه فضحك فى وجهه وسلم عليه وقال له ما جاءك يا امير عمرو فقال له ايها الملك بلغنى من بعض الرجال ان فى قلبك اثر امن الجواد الهطال فقال الملك عطارد صحيح ما سمعت وانا قد حرمت لذة الطعام وامتنع من جفنى لذيذ المنام فقال له الملك الهمام وحق من حلل الحلال وحرم الحرام أنا آتيك بالجواد ولو أن حوله قوم ثمود وعاد فقال له عطارد وحق ذمة العرب كنت أشاركك فى مملكتى وأقاسمك فى نعمتى فلما

سمع عمرو ذلك الكلام تحزم واستعد فى عاجل الحال وضرب له لثام وخرج من قدام الملك وشق بين المضارب والخيام ولما توسط البر طلع بجرى مثل ذكر النعام وبقى سائراً يقطع البرارى والآكام مدة خمسة أيام وفى اليوم السادس وصل إلى ديار بنى نبهان ونزل على بعض الغدران وأقام ينتظر قدوم الليل وفروغ النهار فما لحق يجلس إلا غبار من قدامه قد علا وسد الأقطار وأظلم منه ضوء النهار وكان ذلك الغبار غبار بنى عبس وبنى قضاعة وقد وصلوا إلى ديار بنى نبهان فى تلك الساعة لأنهم بعد ما ودعوا الأمير الغضنفر والجوفران وعادوا راجعين عطفوا على بنى نبهان وكسروهم وقتلوا الرجال منهم وسبوا النسوان ونهبوا العبيد والغلمان وأخذوا المال والخيل والجمال ووقع فى قسم الملك زهير الجواد الخطال لجهله له مركوب وفرح به ونال المطلوب وكان الذى أتى به عنيترة نفث عنتر لأنها رأته جواداً ما ملك مثله كسرى ولا قيصر فلما أخذ زهير الجواد نال غاية القصد والمراد وساروا بعد ذلك طالبين الديار والأوطان فتبعهم عمرو بقوة جنان ولم يزل تابعهم ثلاثة أيام ولما كانت الليلة الرابعة شق عمرو بين المضارب والخيام وتخطى رقاب العبيد والخدام إلى أن وصل إلى المضرب الذى فيه الجواد فرأى حوله خمسة وعشرين عبد أنجاب فذبح منهم عشرة وهم الذين كانوا نائمين فى الطريق وأعدمهم السعادة والتوفيق أو سحب الجواد وتخطى به المضارب والخيام إلى أن صار خارج البيوت وهمز الجواد فطار به كأنه هبوب الرياح ولم يزل سائراً إلى أن أصبح الله بالصباح وقد أمن على نفسه بطول النهار فى تلك البطاح إلى الليلة الثانية وكذلك الليلة الثالثة ثم لحقه جرير والخذروف وهو على ذلك الحال وقد نزل على الغدير يستريح من المسير وجرى لعمرو ما جرى مع الخذروف وجرير وكان قد قرب من ديار بنى ضمرة فسار عمرو ساعة من النهار حتى وصل إلى الديار وأوقع النفير وحثهم على المسير وسمع عطارد ملك القبيلة بما جرى لعمرو من التعسير فصاح الخيل يا أرباب الخيل العجل العجل قبل حلول الأجل فما كانت إلا ساعة حتى ركبت فرسان بنى ضمرة وركب معها عطارد وسار فى خمسة آلاف فارس ما منهم إلا كل مدرع ولابس وساروا يجدون المسير خلف الخذروف وجرير مدة ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع لحقوا جريراً والخذروف وهما نزول على بعض الغدران وهما يظنان أنهما نجوا من نوائب الزمان فلما نظرا إلى الخيل دارت بهما من اليمين إلى الشمال وأحاطت بهما الأبطال فى ساعة الحال لم يتم لهما مراد بل إن القوم أسروا الخذروف وعمه جريراً وأخذوا منهما الجواد وأقام بنو ضمرة ذلك اليوم ولما كان عند الصباح ركب الملك عطارد ودارت من حواليه بنو ضمرة الأقران وساروا طالبين ديارهم والملك عطارد فرح بأسر جرير والخذروف وأخذه الجواد وهو كأنه ملك الدنيا بطرفيها واحتوى على كل من

فيها وشد جرير والخذروف على جوادين بالمرض وساروا يقطعون الأرض ليلا ونهارا إلى إلى الديار ونزلوا قر بهم القرار وقد ربط الملك عطارد جرير والخذروف في بعض الخيام ووكل بهم العبيد والخدام وأقام في الشد ثلاث أيام ولما كان في اليوم الرابع دخل عليهما بعض النساء وبينهن واحدة كأنها البدر التمام مليحة القد والقوام (قال الراوى) ولما دخلت المضرب الذى فيه جرير والخذروف ورأتهما في ذلك الحال وتبينت وجه الخذروف لحقها الانذهال وتساقطت دموعها بالانهمار أرمت روحها عليه وقبلته بين عينيه وغشى عليها فعند ذلك ضمها الخذروف إلى صدره وتبينها وإذا هي زوجته التي كان تزوج بها في ديار بني سعد لما أغار روضة بن منيع على بني ضمرة وأخذ الخذروف أمية بنت الملك عطارد كما ذكرنا فيما تقدم وكيف أغار بني ضمرة على بني سعد وأخذ عطارد ابنته وكيف هرب جرير والخذروف والتقوا ببني عبس وكانت أمية حملت من الخذروف ولما صارت في ديارها وفي قرارها ما مضت عليها غير أيام قلائل حتى وضعت أمية غلاما ذكر كأنه فلقة قمر فأحبه الملك عطارد لأنه ابن ابنته واعتنى في تربيته إلى أن انتشى ودب ومشى وخرج نارا محرقة وصاعقة مبرقة وكأنه ساعي معدوم في زمانه وكان فارس خيل وخائض الليل سلالا محتالا وإذا ركب ظهر الجواد قهر الأبطال وإن طلبته الخيل لم يلحق له غبار ويسبق في جريه الطيران إذا طار أو قام إلى أن سمع جده عطارد بالجواد الحطال وغلب في سله كل سلال وسمع عمرو بذلك فسار وأخذ الجواد من بني عبس لما نهبوا بني نبهان وسار جرير والخذروف في طلب الجواد وأخذوه من عمرو ثم لحقوهما في الطريق أعدوهما السعادة والتوفيق وساروا بهما إلى ديار بني ضمرة وسمعت أمية بذلك فأخذت معها ثلاث جوار ودخلت على الخذروف وجرير فلما عرفته وقع بها الاندهاش والتحير وعرفته معرفة خبير فوقعت على صدره وقد حار الخذروف في أمره وحين عرفها الخذروف قال أنت أم عمرو فقالت نعم أنا زوجتك وعمرو ولدك وهو منك وأنت منه ثم أنها خرجت من وقتها وساعتها ودخلت على أبيها وعرفته بالحال وقد شكت إليه ما عندها من البلبال وكان أبوها قد علم أنها تزوجت في بني سعد بالخذروف ولكنه لم يعرفه في تلك الأيام وكانت لما ولدت عمرو وكبر أخبرت أن أباه مات في بعض الغزوات وكانت أمه تخاف أن تعرفه بأبيه فيخليها ويمضي إليه وتبقى طول عمرها محسورة عليه فكتمته أمرها إلى أن جرى ما جرى للخذروف وأتى إلى ديارها فهاج عشقها وبلبالها وقد ذكرنا فيما تقدم أنها أحبت الخذروف محبة عظيمة ولما سمع أبوها بكلامها بعث في الحال خلف عمرو وقص عليه ذلك الأمر وقال يا ولدي أن هذا الذي عندنا أسير هو أبوك والثاني عمه وهما من أفخر العرب حسبا ونسبا هذا الخذروف بن شيبوب أخو عنتر الذي مات وذكره باق ما بقيت الشمس والقمر فلما سمع عمرو ذلك الكلام من عطارد اندهل وتحير وخرج طالبا المضرب

الذى فيه الخذروف وقد فرح واستبشر ولما دخل عليه ورأى أباه وقع على صدره وقد حار الخذروف فى أمره وبعد ساعة أتت العبيد والخدام ومعهم الخلع والإنعام وقد حملت العبيد الخذروف وعمه جرير وقد لحقهم من ذلك الأمر التحير هذا وقد أركبوهما على ظهور الخيل ومشى عمرو فى ركاب أبيه الخذروف وقلبه فرحان ملهوف ومازال كذلك إلى أن وصلوا إلى مضرب الملك عطارد فخرج بنفسه وتلقاهما ولما رأى جرير والخذروف إلى ذلك الحال ترجلوا وعتنقوا بعضهم البعض ودخل بهم إلى المضرب وأجلسهما إلى جانبه وقد وقفت فى الخدمة أهله وقرائبه وعملوا الولائم ورتع فيها القاعد والقائم وكان عمرو بن أمية الضمرى ساعى ركاب رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو ينسب إلى أمية لأن أباه ما رآه إلى أن كبر وكان اسمه بين السعاة عمرو بن أمية الضمرى يعنى يعرف بنى ضمرة وأقام جرير والخذروف عندهما ثلاثة أيام وهو فى نعيم زائد وعيش راغد وبعد ذلك اشتاق جرير إلى أرض الشربة والعلم السعدى فقال لابن أخيه الخذروف يا بنى أنا اشتقت إلى الديار فقال له الخذروف يا عم أنا كل يوم عندى يقوم بعام وحق الملك العلام ثم أن الخذروف دخل على أمية زوجته بنت الملك عطارد وكان أبوها أنزلها هى وبعلها فى أعز مكان وجعل لها مضارب وخيام وخيولا وجمالا وعبيداً وخدام ونوقاً وفصلان وبقى الخذروف كأنه ملك من ملوك الزمان ولما دخل على زوجته وأعلمها أنه اشتاق إلى أهله وعشيرته وأنه يريد أن يسافر هو وعمه جرير فقالت له زوجته وأنا أروح معك إلى أهلك ووطنك وأعلم الخذروف ولده عمرو بذلك فقال له يا أبت أنا ما بقى لى صبر على فراقك وبقيت كل ساعة أشتاقك (قال الراوى) فلما سمع الخذروف ذلك الكلام من ولده وزوجته خرج من عندهم وأعلم عمه جريرو قال له يا عم أنا شاورت زوجتى وولدى على السفر والمسير فقالا إنا معك نسير ففرح بذلك القول جرير وقال له يا ولدى لا بد لنا أننا نشاور صهرك فى ذلك فقال الخذروف الليلة أخلى ابنته تشاوره فى ذلك الحال ولما كان عند المساء أقبل جرير إلى مضربه وسار الخذروف إلى عند زوجته وقال لها هل أعلمت أباك عن حال السفر فقالت له نعم وقد قلق لأجل فراقك وتحير وقال لى يا ابنتى أنا أعلم أن بعلك فارس الخيل وخائض الليل وكذلك بنو عمه بنو عبس الفرسان الكرام الذين تسميهم العرب فرسان المنايا والموت الزؤام وما منهم إلا كل فارس همام وبطل ضرغام لا سيما وقد سمعت أنه قد انتشى فيهم لعنتر بنت اسمها عنيترة وقد قهرت الشجعان واذلت الأبطال والفرسان واعادت ملك بنى عبس مثل ما كان فاختار زوجك أن يأخذك معه فاهلا وسهلا وقلبى يكون عليك فى امان إذا كنت فى ديار بنى عبس وعدنان وقد اذن لى ابى معك فى السفر والمسير ولا بقى هناك عاقة ولا تقصير (قال الراوى) فلما سمع الخذروف من زوجته ذلك الكلام حصل له فرح واتسع صدره وانشرح وقال يا امية يكون

السفر بعد ثلاثة أيام لأني لاجل الوطن قد حرمت المنام فقالت زوجته ما بقى لك أبدا عاقة وإن اشتهيت يكون السفر فى هذه الساعة ثم أنها قامت من وقتها وساعتها ودخلت على أبيها وأعلمته بذلك (قال الراوى) فأمر العبيد بالتجهيز إلى ديار بنى عبس وعدنان فأخذت أهبتها وبعد ثلاثة أيام عزموا على الرحيل وخرج الملك عطارد بنفسه وقد حمل جهاز بنته على ستين جملا وجعلها على هودج العظيم من العرعر ومعها اثنا عشر جملا تحمل فوقها البنات والجوار والخدام والأحرار وأرسل معها ألف فارس ما منهم إلا كل مدرع لابس ومعها خمسمائة من النوق والجمال وثلثمائة من خيل وبغال وأربعون جارية وخمسون عبدا وكان لعمرو مقدار ألف مائة ناقة ومائة عبد وخمسين جارية خلاف ما ذكرنا للأميرة وسار الملك لوداع ابنته وقد ركبت لوداعها أهله مع عشيرته وشدوا الأحمال على الجمال وساروا مدة ثلاثة أيام وليال وحلفوا على الملك عطارد وردوه إلى دياره بعد ما ودع ابنته وابنها والخذروف وجرير عمه وساروا طالبين أرض بنى عبس وقد طلب لهم المسير والخذروف فرحان بما أعطاه الملك المنان الذى يشغله شأن غان إلى أن وصلوا إلى الديار فلما رأى بنو عبس ذلك الغبار الذى قد سد الأفق والأقطار من كثرة الخيل والبغات والعبيد والأحرار ظنوا أنه من بعض الأعداء فاعلموا فضالة والأميرة عنيترة بذلك فصرخ زهير فى بنى عبس فما مكنته عنيترة من ذلك بل قالت له ياملك ما هذا صواب فلا تضيع هيبة الملك بل أنا أركب وأكشف له الخبر فان كانوا أعداء نا أفنيناهم وإن كانوا أصدقاء نا فيا بشراهم فلما سمع فضالة هذا الخطاب رآه فى غاية الصواب أن عنترة ركبت فى عاجل الحال وركب كوبها الف فارس من الشجعان (قال الراوى) لهذه السيرة الحجازية العجيبة وما سارت غير ساعة واحدة حتى التقت بعمها جرير وقد تقدم ليعلم بنى عبس بما وصل إليهما من النعمة والمال والجمال وغير ذلك نال فلما وقعت عينه على عنيترة وقربت منه عرفته وترجلت فى الحال ونزلت عن جوادها ونزل هو الآخر أيضا عن جواده واعتنق الاثنان وسلما على بعضهما بعض وما افترقا حتى وصل إليهما الخذروف وما معه من ذلك المال الممدود والتقت الرجال بالرجال والأبطال بالأبطال وسلموا على بعضهم البعض وترجلوا على وجه الأرض وغادوا بعد ذلك إلى ظهور الخيل ولم يزالوا سائرين إلى أرض الشربة والعلم السعدى وكانت عنيترة أرسلت بعض العبيد ليعلم الملك زهير (قال الراوى) فركب الملك فى ساعة الحال والتقاهم فى أطراف البيوت فتذكر جرير ملتقى الملك لأخيه فقال سبحان الحى الذى لا يموت ودخلت القوم إلى داخل المضارب وقد آمنوا من النوائب والتقت الأحباب بالأحباب وأولمت بنو عبس الولائم ورتع فيها القاعد والقائم وخافتهم جميع البلاد وساروا أحسن ما كانوا فى أيام عنتر بن شداد وأحيوا ذكره بعد ما مات وشاع ذكر عنتر بكل المحلات وصارت عنيترة تركب فى

خدمتها مثل جرير والخذروف وعمرو بن أمية المعروف وبقيت سائر الرجال والنساء إليه تشوف لأجل ما فيه من البهاء والجمال وقد افتتن بحسنه النساء والرجال وصار يركب لركوب عنيترة اربعة آلاف فارس من بنى قضاعة وعمرو يركب فى ألف فارس من بنى ضمرة ورحلت من عندهم العربان وقد آمنوا من صروف الزمان وقعدوا فى ديارهم وقد قرارهم وداموا على الافراح والمسرات واغتنام اللذات (قال الراوى) ولما رحلت العرب وأقامت بنو عبس فى ديارهم جرير لعمرو اعلم يا بنى أنى كبر سنى ومرادى اسير إلى مكة المشرفة وأزور البيت الحرام واجدد عهدى برسول الله ﷺ فقال عمرو وانا أسير معك ثم أن عمرو استأذن اباه فى المسير مع عمه جرير فأذن له فى ذلك قال الراوى فسار الاثنان إلى ان دخلا الى مكة فوجدوها قائمة على قدم وساق وقد زادفيها الارعاد والابراد ونظروا إلى جميع غزيرة فسألوه عن سبب الموجب لذلك فقيل ظهر بمكة رجل اسمه محمد ﷺ يدعى النبوة وقد قام عليه اهل مكة وقريش ونفروا عن بكرة ابيهم ومرادهم ان يسيروا إلى عند حبيب بن مالك يشكون له من امره فقال جرير لعمرو سر بنا معه حتى نراه ونعلم السبب وننظر ما يجرى له مع العرب فنفروا بجملة من نفر وطلع اهل قريش وهم غارقون فى السلاح (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك ان رسول الله ﷺ قبل ان ينزل عليه الوحى فى الفلاة كان يتعبد فى غار حراء إلى ان بلغ اربعين عاما ونزل عليه امين الوحى سيدنا جبريل عليه الصلاة والسلام فعلمه اول آية نزلت فى القرآن العظيم وهى اقرا باسم الذى خلق فقال لست بقارىء فقال إن سبحانه وتعالى ارسلك رحمة للعالمين وانت رسوله الامين وانا جبريل وان الله تبارك وتعالى يأمرك ان تبلغ قومك وتنذرهم ان يتركوا كل معبود من دون الله تعالى فان كل معبود من دون الله تعالى باطل (قال الراوى) فرجع النبى ﷺ وجميع ما يمر عليه من حجر ومدر وشجر ورمل الجميع يقولون الصلاة والسلام عليك يا رسول الله فيلتفت فلا يرى غير المذكورين فرجع الى بيت خديجة الكبرى رضى الله تعالى عنها واخبرها بذلك فقامت وراحت الى خالها ورقة بن نوفل وكان على دين خليل الله ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكان حكيما عارفا فحكت له على ما وقع لرسول الله ﷺ فقال لها يا خديجة ان كان ذلك وقع له فانه هو الرسول الأعظم النبى المكرم المنتظر فى جميع الكتب وبشرت به جميع الأخبار فاول من آمن به من النساء خديجة بنت خويلد وصدقت برسالته واول من آمن به من الشيوخ سيدنا ابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه واول من آمن به من الصبيان سيدنا على بن ابى طالب كرم الله وجهه ورضى الله تعالى عنه واول من آمن به من العبيد بلال بن حمامة وكان اصله عبداً لأمية بن خلف رأس الكفار فلما علم باسلام بلال صار يعذبه بعد ما يكتفه فى رمضاء مكة فيمر عليه ابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فيسمعه يقول الله احد فيقول له

ميه يا بلال إن لم ترجع عن هذا الكلام و لأجعلك مطروحا بالأحكام فلما سمع أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ذلك الكلام توجه إلى سيده أمية بن خلف وقال له إلى متى تعذب هذا المسكين فقال له أعطني عبداً من عبيدك وخذه وكان عند أبي بكر الصديق عبد زنيم وهو على كفره مقيم فلم يسلم أبداً فدفعه إليه وأخذ بلالا عوضه وأعتقه وكان مؤذن رسول الله (ص) وكان ذا صوت حسن هذا وقد أقام رسول الله (ص) ثلاث سنين وهو يعرض نفسه على قبائل العرب من الموسم إلى الموسم ويقول هل فيكم من يحمي ظهري حتى أبلغكم رسالة ربي ويأبون عن ذلك نازل الله عليه وأنذر عشيرتك الأقربين (قال الراوي) فجمع النبي (ص) عشيرته وعمومته ودعاهم إلى عبادة الملك الديان وترك ما هم عليه مما هم عليه من عبادة الأصنام والاوثان فشاع ذلك الكلام كله بمكة المشرفة وأظهروا له العداوة والحقد والحسد قال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه بينما أنا ذات يوم من الأيام خارج من شعب بني مخزوم إذ لقيني أبو جهل بن هشام لعنة الله فقال لي يا عتيق إن صاحبك محمد أعجز قومه وعشيرته وأهله وقرابته ومن يتبعه من احبته وليس يقول إني سيد وأمير حتى ادعى النبوة وقال إني نبي مبعوث من إله السماء وحق اللات والعزى والهبل الكبير الأعلى لئن دام على قوله هذا ليكونن ذلك وبالا على قومه وعشيرته وكل من يتبعه (قال الراوي) فعند ذلك قال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يا أبا الحكم إنني منذ أمس ما رأيته فقال له أريد منك أن تمضي إليه وتقول أن يرجع عن هذا الكلام وإلا فقد دنا وباله وقرب دماره وأني قد أضمرت له العداوة فقال أبو بكر ها أنا أروح إليه قال ثم إني سعيت إلى أن أتيت إلى دار خديجة بنت خويلد فلما أتيت وطرقت عليهم الباب قالوا من بالباب فقلت أبو بكر فاسرعوا وفتحوا الباب فدخلت عليهم وإذا أنا برسول الله (ص) وعنده عمه أبو طالب والفضل بن العباس وجماعة من كبراء قومه وباقي عمومته فسلمت على النبي (ص) وعلى الجماعة الحاضرين وجلست وجعلت أحدثه بما سمعته من أبي جهل بن هشام لعنة الله فوثب أبو لهب وقال لأخيه العباس ما جلوسك هنا قم وخذ متاعك وادع مالك لأني أرى أنه ستثور فتنة عظيمة كبيرة يكون لها صباح شرقا وغربا (قال الراوي) فلما سمع رسول الله (ص) قول عمه أبي لهب والعباس أطرق إلى الأرض وقد نزل عرقه على جبينه كاللؤلؤ المنتظم فقالت خديجة رضي الله عنها لا تغم نفسك أنت تعلم أن خزائني مملوءة من الأموال فقم الآن وشدد عزمك واتفق على الرجال واجمع الأبطال وقاتل من يعاديك فقال أبو بكر هذه أموالي وما أملكه الجميع بين يديك وبحكمك أنا وأهلي وعشيرتي تحت طاعتك فقال لهم النبي (ص) جزاكم الله خيراً أعلموا أني منتظر أمر ربي عز وجل (قال الراوي) فبينما هو يحدثهم إذ هبط عليه المطوق بالنور جبرائيل عليه الصلاة والسلام فوقف له في الفضاء والهواء وكان النبي (ص) إذا نزل عليه

الوحي يتطاول عنقه ويشخص بصره وتقع عمامته عن رأسه وأرداءه عن منكبيه لأن جبرائيل عليه السلام ربما يهبط عليه في الصورة التي خلقه الله فيها فنزل عليه مرة وقد نشر أجنحته وعمت أنواره الخافقين فحل عليه هيبة من ذلك من هيبة الله تعالى فناداه السلام عليك يا أحمد السلام عليك يا محمد ربك يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك جل جلاله وتقدست أسماؤه يا حبيبي يا محمد وصفوتي من بين خلقي ما خلقت خلقاً أكرم منك علي ولا أفضل منك ولا أجل منك أتفزع من مخلوق مثلك وأنا الله الذي لا إله إلا أنا خلقت جميع الخلق ورزقتهم ولو شئت هديتهم أجمعين فلا تحزن ولا يدخلك رعب وعزتي وجلالي وارتفاعي في علو مكاني لأمهدن لك ولأنصرنك ولأدخلن لك العقبى حتى يدين بدينك العرب والعجم والحر وأخبرك بأن قريشاً لا بد أن يخرجوك من مكة ويستعينوا عليك بالعرب ويأتوا بحبيب بن مالك بن صعصعة وإنه سيقدم إلى مكة في عشرين ألف عنان وسيدعو بك إليه فاذا دعاك فاخرج إليه من غير جزع ولا فزع فاني سأجعل لك آية عظيمة ومعجزة تفتخر بها على كل من آمن بك وتبعك وتفضل بها على سائر أهل مكة ويتم فخرك ويعلو قدرك وإنه سيقدم ومعه ابنته سطيحة وأنها بلا يدين ولا رجلين ولا سمع ولا بصر وتكون براءتها على يديك وانه قد زوجها الملك من ملوك الارض يقال له عياض بن مرة وأنه قدم إليها مهرها الف ناقة والف حجرة والف حصان والف عبد والف جارية غير الاموال والاثاث وأن ابن مرة قد طالبه بها ويريدان يزفها اليه ويعلم انها سطيحة بلا يدين ولا رجلين ولا سمع ولا بصر منذ خلقت وقد قال في نفسه إني أريد أن أحملها إلى الكعبة وأطوف بها سبعة وأفيض عليها من ماء زمزم وانظر للكعبة نذرا إن عادت خلقاً طويا وكان منذ خطبت بها طال زوجها ويدهه ويسوفه ويمينه وقد قال في نفسه أريد أن أحضرها إلى محمد بن عبد الله وأقول له إن كنت نبياً حقا ورسولا أمينا وقولك صدقا فاسأل الملك العلام أن يردها خلقا سويا كسائر النساء فان فعل ذلك آمنت بك وصدقت برسالتك ودعوت قومي إلى اجابتك وكنت لك عونا على كل من خالفك فاذا سألك فأجبه وعده بقضاء حاجته وسل ما شئت فان ربك قريب مجيب قال النبي ﷺ يا أخي يا جبريل ألا تقدر أن تهبط علي في غير هذه الصورة فقال له جبرائيل عليه السلام في أي صورة تريد أن أهبط عليك فقال له رسول الله ﷺ في صورة رجل من أصحابي فقال له جبرائيل عليه السلام أنا أهبط عليك في صورة دحية ابن خليفة الكلبي وكان دحية حسن الوجه ذا شعر حسن ووفرة جميلة وهو رجل تام الطول حسن الوجه قال فتهلل وجه النبي ﷺ فرحا وسرى عنه الوحي ولم يخبر أحداً من أصحابه بما أخبره به جبرائيل علته وخرج أبو بكر رضي الله تعالى عنه ويده في يد عمر بن الخطاب ويده عمار بن ياسر رضي الله عنهم فقال عمار لأبي أما تفتح اليوم حانوتك فقال لا والله ما ذا تطيب

نفسه أن يبيع أو يشترى حتى ينظر ما يكون من أمر قريش مع رسول الله ﷺ قال فلما كان من الغد ركبت مشايخ قريش ورؤساؤهم فى مائة وسبعين ألف سيد يقدمهم أبو جهل لعنة الله وبين أيديهم العبيد بالسيوف الهندية والدرق البجاوية والرماح الخطية ومن ورائه الموالى على النجب السباق والخيول العربية العتاق وقد حملوا على المطايا الماء والزاد وهم فى أحسن زينة وأكمل عدة وأجل سلاح فساروا حتى قدموا على بدر وإذا بالملك حبيب بن مالك وهو نازل على ماء بدر وقد طبق الأرض ذات الطول والعرض وهو جالس بالخيم ومن حوله السادات والفرسان فلما نظر إليهم عرفهم حق معرفتهم وأقسم وقال وحق اللات والعزى ما قدمت مشايخ قريش وسادتهم بالدساكر والصفوف إلا وهم فى مقام عظيم وخطب جسيم وحق الإله العظيم ما ألفوا الألوف واستمدوا بالدساكر والصفوف إلا على محمد بن عبد الله ثم أن القوم لما عبروا فى الجيش تخطوا بين الخيم وسـ وا إلى بساط الملك حبيب ووقفوا على باب المضرب واستأذنوا عليه فى الدخول فأذن لهم فدخلوا على الملك حبيب وهو غارق فى لبس الديباج الأخضر وهو جالس على كرسى من المرمر مصفح بالفضة البيضاء والذهب الأحمر وعلى جسده حلل من الحلل النفيسة لبس الملوك الكبار وهو عظيم البأس شديد المراس عالم فاهم أديب لبيب وكان رجلا طويلا وبطلا نبيلا وكان قد دخل فى دين اليهودى وجادلهم ودخل فى دين النصرانية وجادلهم ودخل فى دين المجوس وجادلهم ودخل فى كل دين وقرأ فى سائر العلوم والحكمة والبيان وكان فصيح اللسان واسع العينين فنظر إلى سادات قريش وهم يخطرون فى حللهم ويجرون حمائل سيوفهم فرحب بهم وقال أهلا وسهلا يا سادات الحرام وأرباب الحطيم وزمزم وخير الأمم فيما ذا قدمتم وأى شىء طلبتم فلكم الإكرام والاحترام والاعظام قال فلما سمعوا كلامه وفهموا نظامه قام إليه أبو جهل لعنة الله وقال له أيها الملك الكريم والرئيس العظيم اعلم أن الدين القويم هو دين اللات والعزى وما كان عليه آباؤهم الأولون وما له ناصر غيرك وما بقى من ذرية جدهم سوى المعاذ والملاذ لأنك تعلم علما يقينا إننا أصحاب البيت الحرام وزمزم والمقام والمشاعر العظام وأن آبائى أهل العز والشرف والرفعة والصلف ونحن بحقهم عارفون ولقدرهم مبجلون وقد ظهر فيهم غلام يتيم كفله جـ ه عبد المطلب فلما مات كفله عمه أبو طالب وأنه من حين انتشا فينا صار يكفر بآلهتنا ويزرأ بنا وبدينا ولقد كنا نكف عنه أذيتنا حفظا لأهله وعشيرته فطمع فينا بالمحال وهو يجتهد على هذه الفعال حتى أبه يجز وقال إنى مبعوث ورسول مرسل قد أرسلنى إله السماء والأرض إلى سائر المخلوقات من أسود وأبيض وأحمر وحر وعبد وأننا نراه فى كل وقت يشخص ببصره إلى السماء ويرتعد وتأخذه رجفة فظن أنه به جنونا فنسأله عن ذلك فيقول إن جبرائيل الروح الأمين يغشانى فاحتار عقلنا فى ذلك وما قد نحن جئنا إليك قاصدين وبك مستجيرين وإليك مستندين والذى

تريده منك أن تدخل مكة وتنزل الأبطح وتجمع مشايخ قريش ورؤساؤهم وتحضر بني هاشم وتأمر بإحضار هذا الغلام وتجادله بين العرب فإننا نعلم أنه لا يصل إلى علمك ولا يثبت لحجتك فإذا وقف بين يديك وصمت عن جوابك القيناه من بيننا وقتلناه فإن طائفة من الناس كبيرة قد صبوا إليه ودخلوا في دينه وإننا قد أحضرنا ألوف المسك والزعفران مع ماء الورد والمسك والعنبر والكافور لوجوه خيلكم وقد أحضرنا الرماد والبول والفحم والسخام لمن دخل في دينه وتبعته فإن ذلك مما يزيدهم عاراً قال فلما سمع الملك حبيب هذا الكلام أجابهم إلى ما طلبوا وضمن لهم ما أرادوا ثم أنهم أقاموا عنده في ضيافته ثلاثة أيام وهم في أكل طعام وشرب مدام فلما كان في اليوم الرابع أمر جيشه بالرحيل وخيامه بالتحويل وساروا مجدين إلى أن وصلوا إلى مكة المشرفة وأشرفوا على الأبطح ونظروا إلى تلك القباب والهوادج ولاحت لهم الأعلام والأهبة والعدد الملاح واللمعان والزرد والخود والسلاح والخيل الملاح والجنائب تزف زفا والفرسان من فوق متونها صفا صفا وقد كان أبو بكر رضي الله تعالى عنه خرج ذلك اليوم إلى مكة ومعه المغيرة بن شعبة وأبو عبيدة عامر بن الجراح وكان رضي الله عنه خبيراً بالرجال والسادات عارفا بالبطون والفصيلات فكان إذا نظر إلى الفارس عرفه وعرف ما يريد ويعرف سائر الأعلام والرايات وإذا رأى ذلك يقول هذا فلان وهذا فلان وهذه راية فلان وهذا علم فلان ابن فلان ولما نظر القباب والهوادج وكثرة الرجال تميز الجميع فوجدهم عشرين ألف فارس غير الرجالة هذا وقد أقبل الملك حبيب كما تقدم بالأبطح وركز رايته ونصب سريره وجلس عليه وجيوشه وأربابه دولته حواليه ولما علمت قريش بقدومه سارت إليه من كل شعب وواد وانتشر في البر مثل الجراد أو السيل إذا انحدر على الوادفسلموا عليه فردوا عليهم السلام وقربهم وأدناهم إلى أعلى مقام وأجلسهم بجانبه في صدر الديوان وقال هل بقي من أهل مكة أحد لم يحضر هذا المحضر فقال أبو جهل لعنه الله لم يبق إلا بنو هاشم وبنو عبد المطلب فإنهم تخلفوا استكباراً على الملك فقال حبيب لقريش امضوا وأصبحوا على ابن أبي طالب وأخبروا قومكم وعشيرتكم بقدومنا فسار إليه أربعون سيداً من سادات قريش وهم المشار إليهم فيهم راكبين على خيولهم وهم في همة ورياسة وسطوة وحماسة فلما وصلوا إليهم ترقوا الباب فخرج إليهم أبو طالب وفتح الباب ولما نظرهم قال أهلا وسهلا بالأحباب ما شأنكم وما أتى بكم وما حاجتكم فقالوا له أجب الملك حبيب بن مالك أنت وإخوتك وأصحابك ومن يلوذ بك من أحبابك فقال حبا وكرامة ودخل إلى منزله ودعا بثيابه فلبسها وتزين بها فكان منها قميص آدم عليه السلام ثم استدعى بعمامة إسماعيل عليه السلام وحلة إبراهيم الخليل ونعل سليمان ابن داود عليه السلام ثم طلب إخوته كانوا عشرة وهم العباس وحمزة وعقيل وعكرمة والحرث وعقيل وأبو لهب وعلي وجعفر

أولاد أبي طالب فلما حضروا عنده أخبرهم بما أمر الملك فقالوا الدسر بنا إليه ولما أقبلوا على الابطح كان مقدمهم أبو طالب ومن حوله من أخوته وأولاد عمه وعشيرته وقد حفتهم السكينة والوقار والهيبة والأنوار وارتفع مجدهم وعلا قدرهم فلما أتوا إلى الابطح قامت لهم العرب على الاقدام وفرجوا لهم عن طريقهم ما بين الخيام حتى وصلوا إلى الملك حبيب وطلبوا الإذن في الدخول فاذن لهم فدخلوا وسلموا عليه وأحسنوا وتكلموا فابلغوا وافصحوا فردوا عليه السلام بعد ما أقام لهم على الاقدام وأجلسهم بجانبه ولما استقربهم الجلوس وكانوا بأحسن زينة وملبوس ابتدأهم الملك حبيب بالكلام وقال يا بني هاشم أن جميع العرب لم تنكر شأنكم وفضلكم وإحسانكم وأن الملوك بكم تستجير في كل أمر عسير ويفتخرون بفضلكم وكرمكم إذا مسهم التقصير وإن أكابرهم ورؤساهم قد اجتمعوا إلى وقصوا قصتهم وهم يشكون من ابن أخيكم الذي ظهر فيكم وهو يزعم أنه نبي مبعوث ورسول رب السماء وأن الأنبياء والمراسلين يأتون بالعلامات والبراهين ويظهرون الدلائل والمعجزات ويكونون دالين على الخير للخير مخبرين ويجب على ابن أخيكم أن يأتي بالمعجزات في هذا المحضر حتى يشهد له العرب من البدو والحضر إن كان ذلك له قوة قبل أن يتكلم ويدعي النبوة فاذا نظرت العرب إلى معجزاته ودلالاته صدقوا قوله واتبعوه وصاروا حواليه وإن كان مجنوناً أو كذاباً فالواجب عليكم أن تأخذوا عنه جاء أو ترجعوه عن جنونه وتمنعوه عن مراده وتعلموه أن هذا شيء لايتم على العرب ولا على سائر أهل الرتب من ذرية إبراهيم الخليل فاني وحق الخليل قد منعت العرب عن قتله وعن تبديد شمله وذلك حذراً من سفك دمائهم وترميل نسائهم وحفظا لكم وإكراما لانسابكم وقدماء أسلافكم وفضلكم وحسن أوصافكم وأما ما نشأ هذا الغلام عند غيركم من الأقوام وهو يكفر بآلهتكم العظام ويسب آباءكم الكرام ويهزأ بكم وينهاكم عن عبادة أصنامكم لرأيتم ما يجري عليه وكنتم تسارعون بالاذية إليه وتسعون في إهلاكه وتدميره فالواجب عليكم وعلى كباركم أن تحسنوا بين العرب الذين بجواركم وترضوا الناس ما ترضون لأنفسكم ولا تنكروا فضل رحامكم وانسابكم فأجابه أبو طالب وقال أيها السيد الكريم أن ابن أخي لم يأتنا كرها ولا جبراً وإنما قال لنا يابني عمي وأهلي وقومي يجب علي أن أنصحكم اعلموا أني قد جئتكم بآية من ربكم واضحة ودلالة ظاهرة وهو أني أدعوكم إلى عبادة رب العالمين ألا تنظرون إلى السماء كيف رفعها وإلى الأرض كيف سطحها والليل والنهار كيف خلقهما والشمس والقمر كيف أنارهما والنجوم والسحاب كيف سيرهما ومع ذلك أني أقسم عليك أيها الملك بآبائك الكرام وأجدادك العظام أن تسأل الله ربي عما يعرفون منه من محاسن الصفات وما كانوا يسمعونه من

صغره إلى كبره وما ينقلون لك عنه فعند ذلك سأل الملك حبيب العرب فقالوا له نعم صدق ابن عبد مناف أننا عيناه من صغره الصادق الأمين فلما سمع أبو طالب كلامهم فقال يا ملك الذي من صغره يسمونه الصادق الأمين كيف يكون في كبره كذابا مهينا فقال الملك حبيب هذا شيء لا يتفق ولا يكون وأني أحب أن أراه بالعيون وأسمع كلامه وأحقق وأسمع ما يقول إن كان عاقلا أن مجنون فقال أبو طالب أرسل إليه حاجبا من حجابك يدعوه إليك بين الأصحاب فإذا حضر فاسأله عن ذلك الارتياب فهو يرد ذلك الجواب ولا يعجز عن الخطاب فدعا الملك بحاجب من حجابه وقال له امض إلى دار خديجة بنت خويلد وقف بالباب وأطرقه فإذا أجابك أحد غير محمد فقل أني أريد محمدا فإذا خرج إليك فقل له أن عمك مثلك عند الملك حبيب ويدعونك تحضر عندهم في الحين قريب وأن الملك حبيب أراد أن ينظر إلى شخصك وأوصافك ويسمع كلامك وإنصافك فنهض من بين الجماعة أبو جهل ابن هشام لعنه الله وقال أيها الملك لا ترسل إليه الآن جمعا كثيرا حتى إذا لم يأتوا به طوعا يأتوا به كرها فقال له حمزة والعباس وسائر أعمامه ويلك يا عادم السياسة ومستهجنا بالرياسة ترى أن مخافة تكون عليه ونحن متقلدا بسيوفنا وإن لم يأت في هذه الساعة مع الجماعة طوعا فمن يقدر أن يأتي به كرها ونحن له سيوف قاطعة وأسنة لامعة وأسود مانعة وأنه الساعة لا بد أن يحضر قاصر كلامك ولا يطل أرغامك بما يظهر لك قدام الملك حبيب وقدام أصحابه فقال الملك لحاجبه امض لما أمرتك فركب الحاجب فرسه وسار إلى نحو خديجة بنت خويلد وتلك الديار ولما وصل طرق الباب طرقا خفيفا فطلت إليه جارية من جوارى خديجة فنظرته وعادت إلى النبي ﷺ وقالت يا مولاي أن رجلا كهلا له وجه يضيء ولباسه حسن وهو يدق بالباب فقال سيد الأحباب امضي إليه واسأليه ما حاجته فخرجت إليه الجارية وسألته فقال لها قولي لمحمد يريني وجهه فرجعت الجارية وأخبرت النبي ﷺ بما قاله الحاجب فوثب عليه الصلاة والسلام وفتح الباب فلما رآه الحاجب حصل له ارتياب وخفق قلبه وطار لبه وطاش عقله وزاد رغبه فثنى رجله من اشكاب وترجل عن دابته ومسك أذنه وتقدم إلى النبي ﷺ وأخذ يده فقبلها وقبل صدره فقال له النبي ﷺ روح وريحان وكرامة ورضوان فقال له الحاجب يا سيدي أجب عمومتك فإن عبد الملك حبيب بن مالك وأنه قد أحب أن يرى جمالك وينظر حسن وجهك وبهاءك ويسمع إلى حسن كلامك وألفاظك ويتمنى منك الرضا فقال ﷺ سمعا وطاعة وحبا وكرامة لله عز وجل ثم أن النبي ﷺ دخل منزله ولبس أثوابه التي كانت جملها له خديجة وهي قباطي بيض من قباطي مصر وتعمم بعمامة وكان النبي ﷺ يطيب لحيته وعوارضه لأن رائحته كانت أزكى من كل طيب بل كان يأخذ المسك والعنبر ويضعه في مفرقه وجميع شعر رأسه وتردى برداء مليح في غاية الرقة هذا وخديجة

رضى الله تعالى عنها تنظر إليه ودمعتها قد بلت خدودها رقية عليه وزينب ورقية وأم كلثوم يبكين لبكائها بكاء غير مكتوم فهبط الأمين جبريل عليه الصلاة والسلام فى الصورة التى خلقه فيها رب الأنام وبيده حربة الغضب ولها شعبتان عجب شعبة فى المشرق وشعبة فى المغرب ونادى وهو نازل من الهواء السلام عليك يا أحمد يا محمد يا خير مولود وسيد المرسلين أن الله سبحانه وتعالى يقرئك السلام ويقول لك وعزتى وجلالى ما أرسلت إلى قوم أفضل منك ولا أكرم منك ولا أحب الى منك وإنك أنت نبى الرحمة وأمتك المرحومة ها أنا معك من عن يمينك وعن شمالك ومن فوقك ومن تحتك وعزتى وجلالى لا يخلو منى مكان ولا تكبر على إنسان امض إلى هذا الرجل من غير فزع ولا جزع ثم أمر الله سبحانه وتعالى الملائكة أن يسيروا حول النبى ﷺ فقالوا سمعا وطاعة فسمع النبى ﷺ كلام الملائكة الكرام ونظروا اليه وهو البدر التمام يتلألأ وجهه نورا ويتبسم سرورا وأوحى الله سبحانه وتعالى الى أن انكسفى فى وجه حبيبى محمد فانكسفت ولما فى وجهه نور حتى علم اهل مكة ولم يبق منزل ولا علو إلا ودخل به هذا النور وأوحى الله تعالى الى الكمال والبهاء والضياء والسناء والعز والفخا والوقار ان اسعوا بين يدى حبيبى محمد ﷺ ثم صار ﷺ ونوره يزيد عن نور الشمس والقمر وجبريل عن يمينه والملائكة يسيرون عن يساره ويقفون لوقوفه ويهللون بالتسبيح والتقديس حامدين شاكرين لله رب العالمين وما زال ﷺ سائرا حتى دخل الكعبة وصلى ركعتين فى مقام الخليل عليه الصلاة والسلام وخرج من الباب المعروف بباب النبى ﷺ فنظر الأبطح وهو مزدحم بالخيل والرجال فعظم ربه ذو الجلال والاكرام وكان لم يبق فى مكة أحد إلا وشاك هذه المسالك وقد خرج حبيب ابن مالك لينظر ما يتم بينه وبين ابن هاشم وما يجرى من هذه الأمور العظام وكان الملك حبيب جالسا على سريره المرصع وأكابر قريش بين يديه والعشائر جميعا حواليه فى عشرين ألف غضنفر وكلهم قيام ينظرون قدوم النبى ﷺ وقد سبقت الأنوار وعمت جميع الحضار وكان أبو بكر رضى الله تعالى عنه بين يديه ولما وصل الى القوم جعل يخترق صفوفهم ويتخطى ألوفهم فهابوه ورهبوه تكريما له وتعظيما وقامت اليه قريش اجلالا له وتفخيما فلما رأى الملك حبيب هذا الشان وما كان من القوم وما فعلوه عند اقبال النبى ﷺ فى هذا اليوم تعجب فى نفسه وقال ان هؤلاء القوم أتقى سلاستهم الكرام وأشرافهم العظام وهم جميعا يشكون من هذا الرجل العظيم ويعتدون عليه التعليل والتكريم ومنهم جماعة يسبونه ويؤذونه ولما حضر فيهم رأيتهم يوقرونه وهذه الأشياء والله من علامات النبوة لا محالة ومن دلائل الهداية والرسالة وأنا أشهد أنه نبى حقا ورسول صدقا ثم إن الملك حبيب احضر له كرسيا من الذهب الأحمر مرصعا بأنواع معادن الجوهر ليجلس عليه النبى

(ص) فدفعه بيديه الشريفة وأبى أن يجلس عليه وجلس على الأرض وقال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى فقال الملك حبيب فى نفسه وهذه دلائل أخرى وهذا التواضع وجلس النبى (ص) بجانب الملك حبيب فشخصت إليه الأبصار وسكنت الحركات والاثار ونزلت الهيبة على النبى (ص) والوقار فابتدر الملك حبيب بالكلام إليه وقال ياأبا القاسم وما كان على وجه الأرض من يكنى بهذا الكنية إلا هو (ص) فانه سمى محمدا وكنى بابى القاسم ولايجوز لأحد أن يكنى بهذا الكنية إلى يوم القيامة وكذلك عتيق كنى بأبى بكر ولقب بالصديق وكذلك على رضى الله تعالى عنه كنى بابى تراب ولقب بحيدرة والكرار وألقابه كثيرة مذاثم أن حبيب بن مالك قال ياأبا القاسم أعلم أن هؤلاء الشيوخ من أهل مكة سادات قريش ذكروا عنك أنت تقول أنك نبى مبعوث بالحق ورسول أرسلك ربك إلى كافة الخلق من بدو وحضر وفرس وديلم وترك وعجم هل هذا صحيح عنك فقال ﷺ نعم أرسلنى بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فقال حبيب أعلم يا محمد لكل نبى معجزة وحجة وبرهان وآيات تدل على صدقه حتى يجب به الإيمان فأما نوح عليه السلام فانه بعث إلى أهل الأرض وكانت آيته السفينة وصالح إلى الملك جريح وكانت آيته الناقة وإبراهيم بعث إلى النمرود وكانت آيته النار وموسى بعث إلى فرعون وكانت آيته العصا وعيسى كان يبرىء الأكمه والأبرص ويحيى الموتى باذن الله فان أنت أتيت بآية كما أتى الأنبياء من قبلك كنت من الصادقين ونتمسك بحبالك فقال ﷺ أطلب ما شئت من الدلائل فربى على كل شىء قدير فقال له حبيب أطلب منك أن تسأل ربك أن يرد الليلة الصاحية ظلمة ويجعلها ذات كناس . الليالى بعضها فوق بعض من كل ناحية إلى الصباح لا يكاد مخلوق ينظر إلى ضوء مصباح ثم تصعد إلى جبل أبى قبيس وتنادى القمر ويكون فى تمامه وكماله ثم أنك تأمره أن يركض فى السماء ركضا بليغا من مطلعه إلى أن يقف على سطح الكعبة ثم يطوف بها سبعا ويسجد فى مقام الخليل إبراهيم ثم تأمره أن يقبل عليك ويقف بين يديك ويكلمك بكلام فصيح عربى مبين لا يشكل على إنسان ويسمعه القاصى والدانى ويسلم عليك ويشهد أنك نبى حقا ورسول صدقا أرسلك الله تعالى كافة ثم يدخل فى زيقك ويخرج من ذيلك ويعود ثانيا ويدخل فى زيقك ويخرج من كمك الأيمن بنصفه ومن الكم الأيسر نصفه ثم يمضى نصفه إلى المشرق والنصف الثانى إلى المغرب ثم يعودان راكضين فى السماء كركض الجواد بين المسرعين ثم يلتقيان فيصيران بدرا كاملا مستنيرا كما كان فى ليلة تمامه وكماله فقام أبو جهل لعنة الله عند تمام كلام الملك حبيب وجعل يشير إليه بكمه وهو يقول لله أحسنت أيها الملك الكبير والمولى الشهير والسيد الخطير فقد أفرحت القلوب وفرجت الكروب إذ أنت طلبت من محمد بن عبد الله ما لا يقدر عليه لا هو ولا كل أبوبه فقال ﷺ

اجلس يا كاسب قومه وأخس عشيرته ثم أقبل على حبيب وقال له اطلب منى أقوى من ذلك فان ربى على كل شىء قدير فقال الملك حبيب يا محمد لقد طلبت منك مافيه بلوغ المنى للسائلين ونيل الحكمة للمعتبرين قال فما تم هذا الكلام حتى هبط جبريل عليه السلام وقال يا محمد الله عز وجل يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك سل الملك حبيب عن ابنته السطيحة فأقبل ﷺ على الملك وسأله عنها فقال ومن أعلمك بهذا فقال جبرائيل عليه السلام فقال حبيب يا محمد أيقدر ربك أن يعيدها خلقا سويا فقال نعم إن ربى على كل شىء قدير وقد وعدنى أن يعيدها فتكون أحسن نساء قومها وأجلهن وأكملهن فقال له إن فعلت ذلك آمنت بك وأقررت برسالتك وأدعو قومى إلى إجابتك وأكون داعيا لطاعتك فعند ذلك وثب ﷺ وصلى ركعتين ودعا الله سرا بينه وبينه وبعد ماسلم فات اليمين وذات الشمال وبعد ذلك قال للملك قم الآن وادخل إلى بنتك وانظر ماذا صنع المولى بها الملك حبيب فدخل إلى ابنته فوجدا بنته قائمة على أقدامها وهى كالقمر المنير زائدة المحاسن والأوصاف مسترسلة الشعور سالمة الأطراف وهى تقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ فعندها خرج أبوها مسرعا وأتى إلى النبى ﷺ وجعل يقبل رأسه ويديه وأسافل قدميه وقال له يا رسول الله أمهلنى حتى تظهر معجزاتك التى طلبتها وبعدها أسلم أنا وقومى على يديك ولكن أوعدنى فى أى وقت يكون له ذلك فقال له ﷺ كون ذلك عند غياب الشفق وسواد الأفق وأنى ما وعدت وأخلفت ثم قام عليه الصلاة والسلام وسار إلى منزله وتبعه أهله وعشيرته وأعمامه وأبو بكر الصديق أمام القوم تفرق الناس عن رسول الله حتى خرج من الأبطح ومازال سائرا إلى أن وصل إلى الدار ودخل على خديجة فوجدها راكعة لله وساجدة وأدمعها تجرى فقال لها لا تبكى يا خديجة فما هذا الخوف والقلق أتظنين أن الله عز وجل يسلمنى إلى عدوى كلا بل أنا الظافر ولعدوى قاهر وبعد ساعة دخل عليه أبو الصديق وهو مندهش فقال له ياسيدى يارسول الله لاشك أنك قد عاينت هذا الجيش وكثرة المشاة وأنه لم يبق سيد فى قومه ولا أمير فى عشيرته إلا وقد حضر وشهد عليك بما ضمنت فهل تقدر أن تظهر لهم ما قالوه وطلبوه فإنه أمر عظيم فقال ﷺ يا أبا بكر طب نفسا وقر عينا إن ربى على كل شىء قدير فقال له عمه أبو طالب ياسيدى يارسول الله أسألك بالله لا تفضح هذه الشيبة فتصبح ذليلة بعدما كانت عزيزة ولا تفضح قومك ل أهل مكة وقبائل العرب فتصير فيهم شهرة ومسبة وقال عمه العباس يا ابن أخى يا محمد اتق الله فينا وفى أهلنا يا محمد احفظنا واحفظ علينا عرضنا فقال لهم النبى ﷺ اسكتوا يا قومى وعشيرتى ويا أهلى ويا أعمامى فانى ما أيست من رحمة ربى ثم قام إلى محرابه وجعل يناجى ربه وهو ساجد راكع فهبط جبريل عليه السلام وقال يا محمد ارفع رأسك إن الله عز وجل يقرئك السلام ويخصك بالتحية والإكرام ويقول لك وعزتى وجلالى لم أخلق

خلقتا أكرم على منك ولا خلقت شمساً ولا قمراً ولا ليلا ولا نهاراً ولا فلكاً دواراً إلا كرامة لك يا محمد وعزتي وجلالي إني قد أمرت القمر بالطاعة لك من وقت أن خلقته وكونته ثم أن جبرائيل عليه السلام قال وها أنا يا أخي يا محمد واقف عن يمينك والحربة بيدي فذ خافك وعصاك محوته بها كما محوته أول مرة وكان شمساً فصار قمراً فقام صلى الله عليه وسلم ودخل مقام الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام وصلى فيه ركعتين ثم أنه دعا ربه وصعد إلى جبل أبي قيس فعند ذلك نادت العرب جميعاً وقالوا يا محمد قد أقبل الليل وغاب الشفق فمتى تظهر لنا معجزاتك فقال لهم حتى أصلي العشاء الآخيرة وأقضي فرض ربي عز وجل فلما صلى صلاة العشاء وفرغ من صلاته نادى في أهل القبائل وسائر المحافل والجحافل النازلين بالمناهل وكان صلى الله عليه وسلم معه أربعة رجال من بني هاشم وهم عمه حمزة والزبير وطالب وعقيل أخوه وقيل إن طالبا معدود بعقنب والمقنب يحسب بعشرة آلاف رجل قوية من الرجال العتية وأنه كان إن يلقاهم وحده ويكون راجعا عليهم ويبلغ منهم ما يريد ويخرج منهم وهو سليم وكان الزبير أيضاً سيد بني هاشم فلما نشأ علي كرم الله وجهه أغمد سيفه جميع الأسياف وقد أعطاه الله من القوة والباس والهيبة والوقار ما لا مزيد عليه ولا يعرف له عيار وكان هؤلاء الاربعة الذين ذكرهم محتاطون بالنبي صلى الله عليه وسلم خوفا عليه من الأعداء المبغضين ولما أن كان وقت صلاة العشاء أذنوا بها وصلوا الجميع ولم يكن يومئذ بمكة من يوحد الله مع النبي صلى الله عليه وسلم غير هؤلاء الرجال كانوا يعبدون الله سرا فنادى عند ذلك حبيب ابن مالك وقال يا أبا القاسم قد صليت العشاء الآخيرة فاظهر الآن ما قلته من الكلام وما ضمنته لنا من هذه العظائم حتى نصدقك جميعاً ونؤمن بك وبرسالتك ونقر بفضلك وتشملنا بركتك وتثبت عندنا مقالتك وتأتي بحجتك فمد النبي صلى الله عليه وسلم يديه الكريمتين وبسطهما ورفع طرفه إلى السماء وقرأ ما تيسر وابتهل إلى الله عز وجل فأوحى الله تبارك وتعالى إلى الملك الموكل بالظلام ان يخرق مقدار سم الخياط فخرج الملك ذلك فاسود منه وجه الأفق وجميع الطرق وقد اظلم المشرق والمغرب وعم الظلام الروابي وسائر الآكام والبر والبحر وسائر السهل والوعر وما بقى أحد ينظر شيئا حتى باطن الكف وقد خمدت النيران واظلم الخافقان فصاحت العرب بأجمعهم وقالوا يا محمد يا أبا القاسم اجرنا من شدة الظلمة فأشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى القمر بيده وقال له بأعلى صوته السلام عليك ايها المخلوق المطيع الدائر في الأفلاك السريع اعلم انني اشهد انك آية من آيات الله عز وجل وعلامة بينة فأظهر لنا الآن ما فيك من المعجزة ومن الكرامة التي لمحمد بن عبد الله بن عبد المطلب نبي الله ورسوله فما اتم النبي صلى الله عليه وسلم كلامه حتى رأوا القمر قد استنار واتسع وهبط وارتفع ثم انه جعل يركض في السماء مثل الجواد العربي وما زال يركض حتى وقف على الكعبة شرفها الله ثم انه كرر راجعا إلى جهة النبي صلى الله عليه وسلم ووقف بين يديه يهتز ساعة ثم انه اسلم على النبي صلى الله عليه وسلم بلسان فصيح طلق وكلام مليح غير مغلق وقد سمعت

الناس جميعاً مقالته وما أحد منكم ينكر معرفته وهو يقول السلام عليك يا أحمد السلام عليك يا محمد السلام عليك أبا القاسم السلام عليك يا حبيب الله أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً رسول الله ثم أنه بعد ذلك الكلام انقض ودخل زيقه وخرج من زيله وعاد ثانيا ودخل في زيقه وانشق نصفين فخرج نصفه من كمه الأيمن وخرج نصفه الثاني من كمه الأيسر ثم طلع كل نصف من جهة شرقا وغربا ثم ركض كل نصف في السماء مثل الجواد العربي ثم اجتمع النصفان على بعضهما وسار القمر منيراً كاملا مستديراً ثم نادى ثانياً بكلام فصيح أفصح من الأول وقال أشهد أنك حبيب رب العالمين وأفضل الأنبياء وجميع المرسلين والشافع لأمتك المذنبين وأنت ذخر للعاجزين والفقراء والمساكين فيا سعد من تبعك وأطاعك ويا شقاوة من عصاك وخالفك وقد فاز بالرضا والرضوان الذي عرفك ثم ارتفع إلى مكانه ووقف في محله الجليل فقال الناس لأبي جهل لعنه الله أما تنظر هذه المعجزات الباهرات والآيات العظيمات فكيف تمادى مثل هذا وهذه الفعال فعاله وهذه الأقوال أقواله وهذه الأحوال أحواله فقال لهم أبو جهل اللعين إن هذا لسحر مبين وإما حبيب مالك فإنه قال للعرب الكرام ومرا يجتمع في هذا المقام هل بقي لكم على أبي القاسم حجة أخرى أما أنا فقد آمنت به وبرسالته وصدقت بنبوته وأنا أقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ وأسلم في ذلك اليوم سبعون ألفاً وثمانون رجلاً ووقعت المشاجرة بينهم وبين أبي جهل وأصحابه وجردوا السيوف [وكادت الحروب أن تقع بينهم فقال لهم النبي ﷺ يا بني هاشم ويا بني عبد الله اعلموا أني قد بعثت بالرحمة ولم أبعث بالسيف والفتنة فسكنوا نفوسكم وأخلاقكم وكل من أطاع الله ورسوله يترك من يده السيف والرمح ومن خالف الله ورسوله يفعل كما يشاء ويا قوم امتثلوا إلى أن يظهر لهم الحق المبين فسكنوا لما سمعوا قول النبي ﷺ ثم أنهم انفصلوا من ذلك اليوم وكل منهم قد رجع إلى موطنه ومضى حبيب بن مالك إلى منزله بعد أن سلم على رسول الله ﷺ وزف ابنته على عياض بعد أن أخذ عليه شرط الإيمان والدخول إلى دين الإسلام فوافقه على ذلك وأخذوا في إصلاح حالهم فهذا ما كان منهم وأما النبي ﷺ فإنه رجع إلى منزله ودخل على خديجة بنت خويلد وأبو بكر الصديق بين يديه فلما وصل إلى منزله تلقته خديجة رضي الله تعالى عنها من باب الدار وقبلت صدره ويديه وقالت له يا سيدي إنني رأيت لك معجزة أخرى فقال وما هي قالت لقد خاطبني هذا الجنين الذي أنا حاملة به فقال لها سيدنا محمد ما الذي خاطبك به فقالت يا ابن الأطيبين كنت قلقة فناداني وقال لي ما هذا الجزع والقلق وبعلك محمد حبيب الله ورسوله وصفيه وخليله وهو المنصور المؤيد على أعدائه قال فتبسم ﷺ من كلامها وقال إن الله تبارك وتعالى ما أعطى نبيا معجزة إلا وقد أعطاني مثلها وخصني بها وكذلك أخبرني بها جبرائيل عليه السلام بأن هذا الجنين الذي خاطبك وأنت حامل به هي ابنتي

وأن الله عز وجل سماها فاطمة الزهراء وهذا ما انتهى إليه من معجزاته ﷺ في انشقاق القمر وقيام السطيحة لسيد مضر عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وأنشد بعضهم يقول:

ألا يا معشر الإسلام يهنيكم الاشرى — نبيكم شق الإله له البدرا
قد امتحنوه الجاهلون بجهلهم — أرادوا به كيداً فأعقبهم خسرا
وأوحى له الرحمن أن سطيحة — بدار أمير القوم فادع لها تبرا
فقام رسول الله صلى وقد دعا — وقال أيا من علم السر والجهرا
إلهي إلهي قومها فأصبحت — كعادتها تمشي سويا على الغبرا
فقامت بإذن الله تزهو كأنها — هلال مضيء كامل حسنه بدرا
وإخواننا في الدين قد آمنوا به — إماماً أميناً صادقاً ناطقاً جهراً
وقد كان هذا من ألست بربكم — سعيد وفي الدنيا شهيدون في الاخرى
وهذا أبو جهل اللعين بجهله — رأى معجزات المصطفى ظنها سحراً
وقد قال عنه أن هذا لساحر — وأسرارهم لا تستطيع له أمراً
وصاروا عليه حاذقين صدورهم — وصلى عليه الله أعلى له ذكراً
فكم ناله من ربه من كرامة — فكانت له فتحا وآخرها قصرا
فكان إمام المرسلين وكهفهم — وأولاهمو فخراً وأعلاهموا قدرا
وأرحمهم قلبا رؤفا بقومه — إذا أظهروا غيظاً يصاحكهم بشراً
وفي يوم بدر والحديبية التي — أتى مدحهم في الذكر مذ شاهدوا بشرا
وقد بايعوا المختار عهدا مواقيا — له واشترى الرحمن من مشاقهم طرا
وأولاهموا دار السلام فهم بها — نعيم مقيم لا تجوع ولا تعرى
وأعداؤهم في النار طرا وكلما — أتت أمة للنار تلعنها الاخرى
وأمته في الحشر تحت لوائه — فلا يمسهم برد ولا تشتكوا حرا
ويدعون بالتسبيح والحمد والثنا — فشكر همو حمد وحمدهموا شكرا
وتفرح أصحاب النبي إذ غدت — تسير مع المختار في جمعهم طرا
ومن غاب منهم يذكر بحمله — ويسجد تحت العرش سجدته الكبرى
ويكفيه فخرا إذ يقول أنا لها — ورؤية الرحمن في ليلة الاسرى
ويشفع في كل العصاة ولم يدع — سوى مشرك بالله يتبعه الكفرا
عليه صلاة الله ثم سلامه — سلاما زكيا فائقا رائقا عطرا
مدى مدة الدنيا وما دام أهلها — وإن زالت الدنيا فما دامت الاخرى
كذا الآل والاصحاب ما الشمس أشرقت — وما دامت الظلماء يعقبها فجرا

(قال الأصمعى) ولما انتهى الأمر من الشقاق وآمن من آمن بسيد البشر قال جرير لعمرو بن أمية الضمرى أنت أبصرت المعجزات وبعينك رأيت وقد عرفت طريق الهدى فإذا شئت اهتديت فهل أنت على ما عزمت عليه من الدخول فى دين الإسلام فقال له عمرو نعم رضيت بذلك وارتضيت فقال جرير وأنا كذلك ثابت عليه وعنه لا أحيد ثم أنه أخذ عمرا فى يده وساروا من وقتهما وساعتهما ودخلا مسجد النبى ﷺ فوجده بين أصحابه وهو البدر بين الكواكب فسلما عليه وقال يا رسول الله قد جئناك لندخل فى دين الإسلام ونبلغ المطالب بين الأنام وكل منا لا يقبل ملام فتبسم النبى ﷺ لهما وقال أهلا وسهلا ومرحبا بنصير أخانا فى الإسلام ويعرف الحلال من الحرام ثم مد يده ﷺ ووضعها فى يد جرير ويد عمرو بين أيديهم وقد أسلم جرير وعمرو وفرح النبى ﷺ لذلك الأمر ثم أن النبى ﷺ قال يا جرير من هو اليوم ملك بنى عبس وعدنان فقال يا سيدى هو فضالة بن مالك بن زهير فقال أن فضالة من أصحابنا ولنا زمن ما رأيناه وهو من أحبابنا ثم أنه سأل وقال له ومن هو حامية عبس اليوم فقال يا رسول الله هى بنت أخى عنتر واسمها عنيترة واسم أمها الهيفاء وتكنى بقناصة الرجال أخت عمرو ذى الكلاب القضاعى وأن بنت أخى عنيترة الآن فى شجاعة قوية وفروسية حربية ومروءة أبية وفى حمية وأى حمية فقال له النبى ﷺ تقدم عندى يا أبا الأفراح لأن فيك الخير وقد بان لى من فعالك النجابة وقد جعلتك من سعاة المسلمين وقد جعلت عمرو هذا ابن أخيك مقدما على جميع سعاتى لأنى سمعت عن عجائب فى السعى والشطارة والشجاعة والقوة وهو من بعض صفاته ثم مد يده الكريمة ﷺ ومر بها على جسد جرير فازداد بذلك قوة وشطارة وانبساطا واشتد على السعى جلادة وأكمد بذلك مبغضيه وحساده وصار جرير يغدو مثل الجواد السارح والطير البارح وأقام بمكة وعمرو ابن أخيه وهما ملازمان الركوع والسجود فرحا برؤية سيدنا محمد الذى هو فى جميع صفاته محمود ونسبا أعلهما والجنود قال الراوى فهذا ما جرى لهؤلاء وأما ما كان من حديث الخذروف بن شيبوب فإنه كان مقيما عند بنى عبس هو وزوجته أمية أم عمرو بنت عطارد أمير بنى ضمرة وكان قد سافر ولدها عمرو وصحبة عمه إلى مكة كما ذكرنا فطال غياب ولدها عنها وشكت ذلك وبان هذا الأمر منها وذكرنا أن من شدة فرح جرير وعمرو بدين نبى الهدى لم يقدرا أن يفارقا رؤية وجه النبى ﷺ اليوم أو غدا وكانا فى كل ساعة ينظران إلى وجه المظلل بالغمام وقد رسخ فى قلوبهما حب الاسلام وانساهما ذلك أهاليهما والقرائب وسائر عشائرهما والحبائب وأقاما فى أهنى عيش وسرور ولذة وحبور بلغ منهما طلبه ومناه وشكر على ذلك مولاه (قال الراوى) ولما زادت أمية زوجة الخذروف الفراق والنكد والحسرة على الولد واشتد الأمر بها شكت إلى بعلها الخذروف غياب ولدها

عمرو وصار فى قلبها لهيب النار وصارت تبكى الليل والنهار (قال الراوى) فلما رأى الخذروف منها ذلك أخذه عبيده الذين أتوا مع زوجته أمية وتجهز للسفر إلى مكة شرفها الله تعالى وجدوسار وتبطن فى البرارى والقفار ليلا ونهار مدة خمسة أيام وفى اليوم السادس أشرف الخذروف على مكة ودخل واجتمع بولده عمرو وبعمه جرير وشكا لهم شوقه اليهما بعد ما سلم عليهما وقد لام عمه جريراً وولده على كثرة الغيبة وكيف طول أمية على غياب ولدها بالحسرة والخيبة فقال له جرير ياابن الأخ قد أشغلنا عنكم الدخول فى دين الاسلام والنظر إلى وجه المظلل بالغمام ومشاهدة زمزم والمقام وكل من أسلم فاز بالجنة دار السلام ويبقى فى النعيم الأكبر والعز الأوفر والرأى عندى ياابن الأخ أنك تبادر الدين القويم والصراط المستقيم والفضل العظيم (قال الراوى) فلما سمع الخذروف مقال جرير وفتحت فى وجه أبواب السعادة والتيسير وانشرح صدره للاسلام بلا تعسير وقد اشتاق إلى رؤية المظلل بالغمام البشير النذير وبعد ما كان عمى عن ذلك عاد بصير وباتوا تلك الليلة والخذروف يهتف بالإسلام فى يقظته والمنام ومازال كذلك إلى أن انفجر الصبح بالإبتسام وقام جرير والخذروف وعمرو وقصدوا مسجد رسول الله ﷺ ودخلوا عليه المسجد وسلم جرير على رسول الله ﷺ فتقدم عمرو بن أمية الضمرى وقال له يا رسول الله هذا أبى الخذروف قد جاء اليك وهو على دين الاسلام ملهوف فقال له رسول الله ﷺ مرحبا به ياعمرو (قال الراوى) فتقدم الخذروف واسلم على يدى النبى ﷺ وشاهد وجه المظلل بالغمامة وشرح الله صدره للاسلام وأضاف النبى ﷺ الخذروف إلى سماته وانزله فى بعض أبياته وقال لعمرو بن أمية الضمرى ولد الخذروف يا عمرو أنت المقدم على جميع السعادة فأمر اباك أن يسير إلى بنى عبس ويأمرهم بالقدوم إلى ليسلموا على يدى وكذلك عشيرة تكون من جملة المهاجرين اليه الدخول فى دين رب العالمين فقال عمرو لرسول الله ﷺ نعم ما قلت وما به علينا أشرت ثم أن عمرو أمر أباه أن يسير إلى بنى عبس ويميل قلوبهم إلى الإسلام (قال الراوى) فسار الخذروف طالباً أرض الشربة والعلم السعدى وبقى جرير حتى يرسله النبى ﷺ لبعض قبائل العرب وبقى عمرو بن أمية الضمرى مقدم السعاة وسار كلما طلب رسول الله حاجة يرسله فيها حتى افتخر على أبناء جنسه (قال الراوى) وأما الخذروف بن شيبوب فانه سار حتى وصل إلى أرض الشربة والعلم السعدى ودخل إلى زوجته أمية وطمن قلبها على ولدها عمرو وحكى لها على ماصار لهم من الامر وعن إسلامه هو وجرير وولده عمرو وقال لها أنا ما جئت إلا لكى آخذك وأسير إلى مكة ونقيم فيها باقى اعمارنا بمالنا وعيالنا وجمالنا ونوقنا ومتاعنا فعند ذلك فرحت أمية بذلك الكلام وأكثرت الضحك والابتسام وقالت له نعم ما فعلته

بدخولك فى دين الإسلام واسلمت من وقتها وساعتها وفرح الخذروف بتلك الهداية والانابة واجتمع بابنة عمه عنيترة وحكى لها على ماجرى له من الأمور العظام ودخوله فى دين الاسلام وأعلمها باسلام جرير وإسلام عمرو وإسلام جميع العرب وأنهم قد أتوا من كل قفر وسبسب إلى خدمة النبى ﷺ المنتسب والرسول المنتخب صاحب الحسب والنسب وأنه قد أطاعته رباب المعالى والرتب وفرحوا باسلامهم على يد خير الانام عليه أفضل الصلاة والسلام (قال الراوى) وقد علم بذلك فضالة وعمرو وذو الكلب وعتيبة بن حصن ومالك وزخمة الجواد ومن بقى من أعمام فضالة الامجاد ومن جماعة بنى عبس وبنى قراد الاجواد (قال الراوى) ولما سمعوا بحديث الاسلام من الخذروف بن شيبوب مالت إليه منهم القلوب واجتمعوا بعنيترة واشتشاروها ليعرفوا رأيها وقالوا لها ياأم الوعازع ولبوة الوقائع ماعندك من الرأى وبماذا تأمرينا فقالت لهم الرأى عندك أننا نسير إلى حضرة هذا النبى العربى وهو أجل نبى وأعلى مطلبى فعند ذلك قال فضالة بن قيس بن زهير وعتيبة بن حصن بن مالك وزخمة الجواد وورقة وجماعة قليلة من بنى عبس الذين حضروا بمكة فى أول الأمر وكتموا إسلامهم كما ذكرنا فيما تقدم فلما تحقق الخبر من الخذروف وارتضت عنيترة دين الاسلام قالوا لها والله ياأميرة نحن على دينه من مدة طويلة وأيام معدودة ولنا زمان نكتم أمرنا فوافقينا على ذلك لننجوا من الشرك والمهالك فلما سمعت عنيترة ذلك مال قلبها للاسلام واشتاقت للنظر إلى وجه المظلل بالغمام فعندها أجابتهم فى الوقت والساعة وفرح بذلك الجماعة وأسلم عمرو وذو الكلب وأخته قناصة الرجال وأسلم أكثر بنى قضاعة وأسلمت بنو عبس عن بكرة أبيهم وأسلم معهم جماعة من بنى غطفان وفرسان كثيرة من بنى ذبيان أسلم فى تلك الساعة خلق كثيرة وقد عولوا الجميع على المسير (قال الراوى) فبينما هم كذلك وإذا هم بجرير قد أقبل من نحو البر أسرع من الطير الذى يطير وأقبل على بنى عبس وهو ينادى البراز البراز أيها الأخيار إلى مكة والاسلام على يد المختار صاحب المعجزات والأنوار فهو سيد زمزم والمقام والمشاعر العظام والبيت الحرام (قال الراوى) فلما سمعوا قوله عرفوه الجميع الرفيع منهم والوضيع (قال الراوى) وكان السبب فى مجىء جرير إلى أرض بنى عبس هو حديث عجيب وأمر مطرب بديع غريب وذلك ان رسول الله ﷺ كان قد أرسل جريرا إلى بعض قبائل العرب لكى يدعوهم إلى الاسلام ويأمرهم أن يحضروا كلهم إلى عند زمزم والمقام وليعرفوا الحلال من الحرام فسار جرير من وقته وساعته وطاف فى قبائل العرب وشوقهم إلى نظر النبى المنتسب والرسول المنتخب وسار إلى بنى هوزان وجشم وسليم وصار العباس بن مرداس السلمى طالب بنى عبس ومعه خفاف بن ندبه ودثار بن رزق وأمادر يد بن الصمة فانه أبى أن يسير معهم لما سبق له من الشقاوة وقال أكون شيخ العرب من بعد منهم أو من اقترب وأحول

عن مذهب العرب فهذا لا يكون أبدا ولا يشمت بي أحد من العدى وكان قوله هذا لأجل شقاوته وعمى قلبه لأن الله تعالى قد أضله وجعل النار مستقره ومهواه وموطنه كل من طاوعه على كفره وجهله (قال الراوى) هذا ولما سار جرير يطلب قبيلة بنى عامر لم يجبه أحد منهم ولا تبع مقالته لأننا قدمنا ذكر كفر عامر بن الطفيل وكيف أنه طلب قتل النبى ﷺ ودعا ﷺ عليه ومات عامر لعنه الله وجعل النار مثواه (قال الراوى) ثم سار جرير بعد ذلك من ديارهم يريد بنى عبس لأنهم قد قربوا منه ومازال كذلك سائرا حتى أتى فى ذلك الوقت الذى أسلم فيه الجماعة ولما وصل جرير إلى بنى عبس وجد عندهم العباس بن مرداس السلمى وثار بن زروق وخفاف بن ندبة وكانوا قد سبقوه إلى بنى عبس واستبشرت بنو عبس لما نظروه وفرحوا به غاية الفرح واتسع صدر كل واحد منهم وانشرح وأعلم بنو عبس وبنو قضاعة جريرا أن سائر العرب أسلموا الجميع الرفيع منهم والوضيع (قال الراوى) فعند ذلك أخبروا جريرا أن الخذروف أخبرهم عن الاسلام وأنهم ففرح جرير بذلك وأثنى عليه وقال لهم جرير خذوا أهبتكم الآن للمسير وسرعة التشمير فعندها أخذ الجميع أهبتهم للسفر وكل منهم قد فرح واستبشروا وأقاموا يجهزون حالهم ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع استقبلوا الطريق وما بقى لهم عاشق يعيق ولم يبق فى العلم السعدى وأرض الشربة لاديار ولا من ينفخ النار وساروا الجميع طالبين مكة والخذروف قد شد لزوجته أمية على بعض الجمال هودج وهو بالزينة يرهج وقد دارت بالهودج العبيد والغلمان والخدم وكل فارس محتشم والخذروف راكب على جواد أدهم أدق أرخم بغرة كالدرهم وفى خدمته جماعة من عبيده وكذلك ركب جرير على جواد أحمر له غرة كأنها كوكب الصبح إذا أسفر فقال جرير والله ما أركب على جواد وأنا فى خدمة رسول الله ﷺ وسيد العباد الهادى إلى طريق الرشاد فقال له الخذروف يا هماه اركب إلى أن تصير بالقرب فتقدم أمامنا واعلم رسول الله ﷺ بقدومنا قال الراوى فاستحسن جرير ذلك من الخذروف بن شيبوب وركب ذلك الجواد وسار جميع بنى عبس بالأموال والعيال والنياق ومازالوا سائرين حتى وصلوا إلى رسول الله ﷺ وسمعوا منه ما أتى به من الأحكام وهو يبين لهم الحلال من الحرام وسمعوا ما يقول من الأقوال وهم قيام خاضعون بين يدى رسول الله ﷺ فى مكة المشرفة حماها الله تعالى وزادها حرمة وإكرام فنظروا إلى الأصنام وقد اندثرت والأوثان قد رمت فعندها دخلوا فى الاسلام رغبة فيه وأحبوه غاية المحبة وكان رسول الله ﷺ فى المسجد الحرام جالسا بين أصحابه كأنه البدر بين الكواكب وكل أحد منهم إليه وهو له طالب فى تقبيل أياديه راغب فتبسم النبى ﷺ وفرح بإسلامهم وقد جددوا إسلامهم وأظهروه بين يديه وأسلم فى ذلك العباس بن مرداس السلمى وخفاف بن ندبة وثار بن زروق وجميع من وصل من بنى

دبس وعدنان وبني قضاعة الشجعان وأسلمت عنيترة وجددت إسلامها هي وخالها عمرو ذو الكلاب وأمها وأعمامها وتعجب رسول الله ﷺ من عظم صورتها وكثرة هيبتها مع ما سمع عنها من قوتها وشجاعتها وفروسيتها وبراعتها فتبسم النبي ﷺ في وجهها وقال يا عنيترة إن قاتلت في الإسلام مثل ما كنت تقاتلي في الجاهلية ضمنت لك على الله الجنة فقالت يا رسول الله وحرمة دين الإسلام لأقاتلن بين يديك قتالا تقصر عنه الأوهام وتعجز عنه جميع الأنام فدعا لها رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام وقال لها بارك الله فيك يا أم الزعازع وأم الشعني. فنال الكفرة الشتات في سائر المعامع وضربت بنو دبس خيامهم في مكة في المنزل المعروف بهم طول الزمان وأقاموا في أمان واطمئنان هذا والخذروف قد نظر إلى ابنة عمه عنيترة بعين المحبة فأرادوا زواجها وقد زاد فيها رغبة ورأى رغبة والمزاد به الأمر وهو من مزيد شوقه إليها والعشق يتلافى على الجمر وأراد أن يتزوج بها على زوجته أمية قصد إلى زهير ابن قيس وأعلمه بذلك القصد وقال له يا ابن العم أريد منك أن تخطب لي عنيترة بنت عنتر لأنني قد اشتهيت ذلك قبل أن أموت وأقبر فقال له زهير السمع والطاعة ولا بد أن أدعوها إلي وأشاورها في هذه الساعة فقال له جرير أيها الملك امض أنت إليها واخطبها ورغبها (قال الراوي) فعند ذلك قام زهير ودخل على عنيترة من وقته وساعته وشاورها في زواجها بابن عمها الخذروف وأعلمها على زواجها بالخذروف فقالت له أيها الملك المفضال معاذ الله أن أتزوج أبدا ولو شربت كاس الردى ولا أشمت بي العدا (قال الراوي) فلما سمع الملك زهير ذلك من عنيترة لم يرد عليها جوابا ولا خطابا وخرج من عندها وأعلم الخذروف بذلك فزاد به الأمر وعلم أنه هالك لا محالة ويدنو منه العمر فقام من وقته وساعته ودخل على النبي ﷺ وقبل يديه وسلم عليه وعلى كل من كان حواليه وقال يا رسول الله أريد أن أتزوج بابنة عمي عنيترة على سنة الإسلام فإنني يا رسول الله بها مستهام زائد الغرام فقال له رسول الله ﷺ ما في الحلال من عتب ولا رهبانية في الإسلام ثم أن رسول الله ﷺ أنفذ خلف الأميرة عنيترة عبده بلال بن حمامة يدعوها إليه فسار بلال في الوقت والساعة ودخل عليها وبدأها بالسلام فردت عليه التحية والإكرام فقال لها أيتها الأميرة أن النبي ﷺ يدعوك إليه وأن تحضري بين يديه فقالت له سمعا وطاعة لله ولرسوله ﷺ ثم أنها أقبلت تهرول نحو المسجد وبلال خلفها وهي أمامه وما زالت عنيترة سائرة إلى أن وصلت إلى النبي ﷺ وسلمت عليه وقالت له السلام عليك يا صاحب المعجزات ويا من أنزلت عليه الآيات فقال لها رسول الله ﷺ وعليك السلام ورحمة الله وبركاته اجلسي يا أم الزعازع ولبوة المعامع فجلست عنيترة واستقر بها الجلوس فقال لها النبي ﷺ اعلمي يا عنيترة أنه لا رهبانية في دين الإسلام وأريد أن تقبلي مني نصيحتي وتتزوجي بابن عمك الخذروف قال

فلما سمعت عنيترة ذلك استحلت من رسول الله ﷺ وقالت يارسول الله افعل ماتحب وتختار فلست أخالف الك أمرا أبدا ياصاحب الأنوار قال فتبسم النبي ﷺ ودعا بالخذروف وزوجه بابنة عمه عنيترة على سنة رسول الله ﷺ وفرح بذلك الخذروف غاية الفرح واتسع صدره وانشرح وعمل الخذروف الولائم وأكل منها القاعد والقائم وزفت عنيترة على الخذروف وحظى منها بذلك الحسن والجمال والبهاء والدلال (قال الراوى) وأما أمية والدة عمرو فانها أقامت بعد هواج الخذروف بعنيترة سبعة أيام وهى مريضة من الغيرة وتوفيت إلى رحمة الله تعالى على دين الاسلام واستمرت بنو عبس وعدنان بمكة حول النبي ﷺ وما عادوا رفعوا لهم راية فى البر أبدا ولا أقاموا عمدا ولا ضربوا لهم وتدا وكانوا يحضرون الغزوات مع المسلمين فى سائر الأوقات ثم هاجروا مع النبي ﷺ إلى المدينة الشريفة ولما فتحت مكة رجعوا إليها وأقاموا فيها (قال الراوى) وأما الأمير عمرو وذو الكلب فانه طلب من رسول الله ﷺ الاذن فى المسير إلى دياره والأوطان لينظر أهله والخلان فأذن له بذلك وسار عمرو وذو الكلب ومعه بنو قضاعة الأبطال بعدما ودع عنيترة وبنى عبس وسار بمن معه قبل طلوع الشمس وهو طالب بلاد شريف وسار سيرا عنيف وقد كسا هم الاسلام خلعة التشريف وأما قناصة الرجال فانها أقامت مع ابنتها عنيترة فى بقية بنى قضاعة الابطال تحضر الغزوات وتصلى الصلوات المفروضة مع الجماعات وقد حسن إسلامها وأكثرت من صومها وقيامها (قال الراوى) ورزق الخذروف من عنيترة خمسة أولاد فى دين الاسلام اسم أحدهم شيبوب والثانى عمرو وثالثهم الحطال ورابعهم ميسرة وخامسهم غصوب وكل واحد كأنه ريح الهبوب أو كالماء إذا اندفق من ضيق الأنبوب وإذا ركب جوادا يقاتل قتال الأسد الوثوب ويناضل مناضلة النمر الصوب وقد اتلوا مع والدتهم عنيترة فى الاسلام وأقاموا كذلك مدة من الزمان وعدة من الأيام وهم يقاتلون فى ركاب سيد الأنام ورسول الله الملك العلام ساقى أهل الكفر كاس الحمام صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام ما غرد القمرى وما ناح الحمام ثم توفى جرير فى بعض الغزوات وأقام الخذروف بعده مدة سنة ومات وقد حزنت عليه عنيترة حزنا عظيما وكانت تقاتل مع النبى ﷺ فى سائر الغزوات وتطلب الشهادة فى سائر الاوقات وما زالت كذلك إلى أن قتلت فى غزوة الأحزاب وماتت شهيدة على السنة والكتاب وبلغ ذلك رسول الله ﷺ فحزن عليها وقال زملوها فى ثيابها لتلقى الله وهو عنها راض يوم القيامة لأنها قد فازت بكل الكرامة وسار عمرو بن أمية الضمرى مقدم سعاة رسول الله ﷺ وهو الحاكم على إخوته من أبيه أولاد عنيترة وكل منهم له صولة ومقدرة وصارت بقية بنى عبس تقاتل مع رسول الله ﷺ فى سائر الغزوات إلى أن قتل الملك زهير بن قيس فى بعض الغزوات وقتل ابن حصن فى غزوة تبوك ولما قتل زهير تأمر بعده ولده ياسر وكان قد رزقه من امرأة

تزوج بها فى الإسلام من نساء المهاجرين والأنصار فرزق منها ياسر هذا وقد حكم على بنى عبس ومن تبقى منهم وأقام كذلك مدة خمسة أعوام وقتل ببعض الغزوات وخلف ياسر ولداً اسمه عمار بن ياسر العبسى وهو من جملة الصحابة المذكورين (قال الراوى) وأما قناصة الرجال فإنها أقامت بعد ابنتها ثلاثة أعوام وماتت على دين الإسلام ودفنت فى بطحاء مكة بقرب البيت الحرام (قال الراوى) فهذا ما جرى هونا من الكلام (وأما) ما كان من عمرو ذو الكلاب فانه مسيره من مكة إلى بلاده بثلاثة أعوام اشتاق إلى أرض زمزم والمقام فسار بمن معه من بنى قضاعة إلى أن وصل إلى مكة المشرفة شرفها الله تعالى وطلب منازل بنى عبس. فلما أقبل عليهم سلموا عليه وقبلوا يديه وقد سمع به أولاد عنيترة فأتوا أيضاً إليه وسلموا عليه وبل شوقه بهم وبكوا على والدتهم عنيترة بكاء شديداً ما عليه من مزيد وكذلك بكى على أخته قناصة الرجال والماشى عمرو ذو الكلاب غليله من البكاء سار إلى المدينة المنورة ودخل على رسول الله ﷺ إلى أن قتل عمرو ذو الكلب فى بعض الغزوات وقضى نحبه ومات وقد مات أيضاً منهم جماعة وبقى من بنى عبس وبنى قضاعة بعض جماعة وصار الحاكم عليهم الأمير عمار ابن ياسر بن زهير بن قيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن بغيض بن عيسى بن غيلان (قال الراوى) وقد صار عمار بن ياسر بن زهير هو الحاكم على الجميع الرفيع منهم والوضيع وأولاد الخذروف الخمسة الذين هم من عنيترة قد صاروا كبراء بنى عبس وعمرو بن الخذروف وهو ابنه من أمية المشهور بأنه عمرو بن أمية الضمرى فانه كان رأس القوم وكبارهم والحاكم على بنى عبس وأميرهم وكان الأمير عمار بن ياسر يستشيره فى كل الأحوال وتستشيره أيضاً سائر الأبطال وقد كثر الإسلام واشتهر الإيمان ونكست الأصنام وبان الحلال من الحرام وصار عمرو بن أمية الضمرى عند رسول الله ﷺ فى أعلى مكان وهو المقدم على سائر السعاة والفرسان وأما الأمير عمار بن ياسر فقد صار من كبراء الصحابة وممن يشار إليه وكل من كان من بنى عبس من زمن الجاهلية فانه قد اتبع دين الإسلام وتركوا ما كانوا عليه من الضلالة ومن فعل الحرام وتركوا أيضاً شرب المدام ثم تقلبت بهم الدهور والأيام حتى شربوا كاس الحمام بعد أن نالوا ما نالوا من العز والنعمة والقوة والثروة والمجد والرفعة وقد من الله سبحانه على من بقى منهم بالدخول فى دين الإسلام حيث ظهرت بعثة أنوار سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام. فسبحان من لا تغيره الليالى والأيام ولا مرور الشهور ولا توالى الأعوام ولا يغفل ولا ينام، وهو الذى يحيى العظام ويجرى الاقلام وهو الذى خلق الشمس والقمر والليل والنهار وأجرى الأنهار وأنبت الأشجار وخلق الوحوش والأطيار وكل شىء عنده بمقدار العالم بما كان وما يكون الذى أمره بين الكاف والنون وبقدرته سقى القرون الماضية كاس المنون وأدار عليهم من الموت كؤوس الفنا وأبادهم كغيرهم ممن صاروا سيراً وأنباء وتفرد سبحانه وتعالى بصفة

القدم والبقاء (قال الناقل) لهذه الروايات والفنون فقد رأيت من سير الأولين وأخبار المتقدمين وما نقل عن القرون الماضين ما فيه عبر لأولى الألباب وحكمة بالغة يدري المتدبر بها عين الصواب وقد تمت هذه السيرة العنترية كاملة القوافي الشعرية منسجمة النثر حماسية الشعر فكاهية الاخبار بديعة الآثار اللهم صل على سيدنا محمد كما أمرتنا بالصلاة عليه وسلم على سيدنا محمد كما أمرتنا بالسلام عليه يارب العالمين اللهم احشرنا في زمرته واجعلنا ممن فاز بمتابعته واهتدى بشريعته واقتدى بصحابته واهتدى بسنته اللهم أوردنا حوضه وأرنا وجهه ولا تحرمنا شفاعته واجمع بيننا وبينه في مستقر الرحمة والرضوان برحمتك يا ذا الجلال والإكرام (قال المؤلف) لهذه السيرة الحجازية وهو الاصمعي رضي الله عنه كان الفراغ من تأليفها يوم الجمعة المبارك في أواخر جمادى الثانية سنة ٤٧٣ من الهجرة النبويه في أيام الخليفة أمير المؤمنين هرون الرشيد العباسي وقد أرشدني إلى تأليفها رغبة في سماع قولها ونثرها ونظمها وقد جمعت ما عندي من الاوراق مما سمعته من سيرة عنتر ابن شداد المشهور في سائر الافاق وأضفت إليه ما رأيته بعيني ورتبت القوافي على بعضها بحسن نظام من غير زيادة ولا نقصان وانتقيتها من زبدة الكلام وهذه السيرة الحجازية قد رويتها بروايات قوية عن الحمزة وعن أبي طالب وعن عمرو بن معد يكرب الزبيدي وعن حاتم طي وعن امرئ القيس الكندي وعن هانيء بن مسعود وعن جابر المكي وعن عبيدة وعن عمرو بن ود العامري وعن دريد بن الصمة وعن عامر بن الطفيل فإنه بعد عنتر تناولت أفعاله على ألسن العرب فالذي رأيته وسمعته صرت أكتبه عندي بالاوراق من أشعار ومن أفعال والذي ما رأيته ولا سمعته فهو ترتيب القوافي بعضها والله أعلم بالصواب.

تمت